الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد 249 - ربيع الأول 1418 هـ - يوليو/أغسطس 1997 م
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE 249 - JUL./AUG 1997

حقوق الإنسان:
ما أهملته الأنظمة الوضعية

الأدب المقارن
العربي.. إلى أين؟

فان جوخ:
قراءة فريدة
في كتاب الطبيعة

جماليات
النص الشعري
للأطفال

Mngool.com

الشيخ
عثمان الصالح
في منتدى الفيصل

نحن دولة تحيا بروح واحدة في جسد
واحد هدفًا وغاية ورسالة إنسانية

لهذه الأسباب
لن أكتب مذكراتي

نصيحة من صديق كريم وبرقية من
سمو ولي العهد غيَّرا مسار حياتي

التشجيع وبناء شخصية الطالب
لبنتان هما عماد العلم والعمل

جمع الجوامع في الحديث

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،

المتوفى سنة 911 هـ/1505م





قصد به السيوطي استيعاب الأحاديث النبوية وقسمه قسمين: الأول ساق فيه لفظ الحديث بنصه، يذكر من خرّجه ومن رواه من واحد إلى عشرة أو أكثر يعرف منه حال الحديث مرتبًا ترتيب اللغة على حروف المعجم، والثاني الأحاديث الفعلية المحضة أو المشتملة على قول أو فعل أو سبب أو مراجعة ونحو ذلك مرتبًا على مسانيد الصحابة قدم العشرة ثم بدأ بالباقي على حروف المعجم في الأسماء ثم بالكنى كذلك، ثم بالمبهمات ثم بالنساء ثم بالمراسيل.

وقد كتب المخطوط على ورق مشرقي يميل إلى الصفرة بخط نسخي متقن في القرن العاشر الهجري.

كتبت رؤوس الفقرات والفصول والأبواب وبعض الحروف الدالة والمختصرة بالحبر الأحمر. يبدو من التصحيحات في الهوامش أنه قوبل بالأصل وبنسخة أخرى كما نص على ذلك أيضًا.

وقد كتبت الهوامش بعدة طرق فمرة مائلة إلى أعلى ومرة مائلة إلى أسفل وهكذا. يسبق المتن تقييدات للمؤلف بأسماء الكتب التي رجع إليها وفوائد أخرى لتلميذه وبأوله تملكات وأختام تملك.

أما الجلد فهو بني فاتح وكعبه أحمر ومجدولة جلدته بخطوط غائرة ومتوازية في وسطها ميدالية بيضاوية بداخلها رسوم نباتية بارزة ومحاطة بخط ذهبي.

يقع المخطوط في 309 ورقات ومسطرته 31 سطرًا ومقاسه 27 × 18.3 سم.

والمخطوط من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم 369.

إعداد : فراج عطا سالم

في العدد القادم:
● طرائق تعليم اللغة الثانية لغير الناطقين بها
● جدلية الممكن والمستحيل
● وردزورث: شاعر الطبيعة

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين



عن العدد الماضي

لا أعدو الصواب إن قلت إن مجلتنا الغرّاء «الفيصل» هي رائدة المطبوعات الثقافية في عصرنا الحاضر، والدليل على هذا القول مبسوط في كل عدد؛ لا أخص عدداً ولا أستثني آخر. فهناك التناول الجاد لكل ما يهم القارئ، وهناك التنوع والمزاوجة بين الموضوعات العلمية والثقافية والأدبية المطروحة بجرأة وجدّة وعمق، فلا غرو أن احتلت «الفيصل» مكانها البارز في نفس القارئ العربي وعقله، وأصبحت زاده الشهري الذي ينتظره بلهفة وشوق.

وقد جاء العدد 248 من تلك السلسلة الذهبية دسماً حافلاً - كدأب الفيصل الغراء - بكل مفيد وممتع، فجاءت إطلالة العدد تناقش ما نستطيع أن نسميه موضوع الساعة الذي يهم كل المجتمعات العربية المتلمسة طريقها إلى الرقي، موضوع مسؤولية الجامعة تجاه طلابها وخريجيها ومجتمعها، يتناغم معه ما جاء في البريد الثقافي عن التعريب، وموضوع أثر الرواية والكتابة في أصالة الثقافة العربية، وكأني بالفيصل الغراء تفتح الطريق بمثل هذه الموضوعات لنهضتنا المرجوة.

ولابد من الإشارة إلى ما سطره يراع العلامة أستاذ الجيل د. حسن ظاظا عن «اللاسامية» متتبعاً الجذور بصبر الباحث وأناة العالم مبرئاً العرب والمسلمين من تهمة معاداة السامية، وكاشفاً عن ماضي اليهود وحاضرهم وما كانوا يلقونه من معاملة حسنة من المسلمين، وما أفادوه من الفكر الإسلامي، ثم تنكرهم لكل هذا، يتصل به ما كتبه مأمون كيوان عن نشأة الصحافة اليهودية. هذا فضلاً عما تسبق به «الفيصل» غيرها كالحوار النادر مع الشاعر المهاجري زكي قنصل.

والمتصفح للعدد الأخير يجده كالروضة الغناء طابت ثمارها وأينعت من كل صنف ولون، ففيه التعريف بالتراث، والاهتمام بالأقليات المسلمة وبسط معاناتها، وفيه الاستطلاع المصور، والموضوعات النقدية، والقصص القصيرة والقصائد الجيدة يستريح إلى واحاتها القارئ بين الفينة والفينة، وأشير إلى قصيدة «لا تقتلوا الربيع» كأنها تصوغ شعراً ما ورد في باب «العالم إلى أين» بعنوان «اغتيال البراءة» مما يدل على أن القائمين على أمر المجلة مشغولون بهموم البشرية جمعاء متلمسون لما ينقذها من الخواء الروحي والفكري.

أما الأبواب الثابتة فهي الدرر التي تزين العدد حقاً، ولاسيما منتدى الفيصل ومن تجاربهم. وما إلى الثناء قصدت، ولو أردت ذلك لتتبعت العدد موضوعاً موضوعاً، وإنما هو تعبير عن انطباع طيب خرجت به من قراءة العدد.

فالتهنئة لأسرة التحرير والمشاركين فيه مقرونة بخالص الدعوات أن يديم الله سبحانه وتعالى توفيقهم، ويشكر لهم ما يبذلونه من جهد.

د. عبدالمنعم المكي

كلية الآداب، جامعة الملك سعود.

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

1 - أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

2 - ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

3 - حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

4 - أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

5 - **الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.**

العنوان ص.ب (3) الرياض 11411 - المملكة العربية السعودية

هاتف 4653026 - 4653027 - 4647884 - فاكسملي: 4647851

ردمد 1140 - 0258 رقم الإيداع 14/0542

الاشتراكات السنوية :

للأفراد 150ريال سعودي، للمؤسسات 250 ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار السعودية 8 ريالات - الكويت 650 فلس - الإمارات 7 دراهم - قطر 7 ريالات - البحرين 750 فلس - عُمان 750 بيسة - الأردن 500 فلس - اليمن 40 ريالاً - مصر جنيهان - السودان 150 جنيه - المغرب 8 دراهم - تونس 600 مليم - الجزائر 10 دنانير - العراق 400 فلس - سورية 30 ليرة - ليبيا 800 درهم - موريتانيا100أوقية - الصومال 2000 شلن - جيبوتي 150 فرنك - لبنان مايعادل 4 ريالات سعودية - الباكستان 20 روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

البريد

طعنة القصيبي النجلاء

العزيز الدكتور زيد الحسين:

قرأت بكل إعجاب إطلالتك «المصطلح ووهم الحياد» في العدد 238، واستمتعت بتحليلك البارع لمسوغات الغرب وما يطرحه من مفاهيم، ودفاعك عن القيم والمفاهيم العربية والإسلامية ذات الدلالات الثابتة والأحكام الأصيلة، وردك المقنع على ما في قواميس الآخرين من طعن في تراثنا. ثم حديثك عن انسلاخ بعض الأمم والشعوب عن أصالتها التاريخية والجري وراء هذيان التحضر والتقدم حسب المفهوم الغربي، بعد أن عانت من قيود الغزو العسكري حينًا والثقافي الآن، وكان مقتطف الدكتور غازي القصيبي في بانوراميته للإذاعة البريطانية طعنة نجلاء لزيف الثقافة الغربية وادعاءاتها في فرض مفاهيمها على الأمم الأخرى.

والغرب على شعاراته البراقة يُصَدِّر الموت المؤكد للشعوب الفقيرة، لتكون أرضها مقبرة لمخلفاته الحضارية، لأن غياب الأخلاق والقيم الروحية إنما يرسِّخُ مبدأ أنانيًا مستحكمًا في الأعماق تجاه الآخرين.

كم تطابق المعنى والعنوان، وكان عرضك يحمل معاني وإيضاحات وأدلة مقنعة، وإرشادات ذات دلائل تميزت بكثافة الفكر وقلة الكلمات، ثم العروج أخيرًا في ختام الإطلالة على إبراز مدلولات تراثنا ومصطلحاتنا العربية بأنها خير معين؛ تتميز بالثبات وفقدان التأويل والمداولة كأساس نرسو عليه في الانطلاق بعلاقاتنا مع الأمم الأخرى والمعيار الذي نتعامل من خلاله.

لك كل الشكر ولأسرة التحرير.

محمود غزي بن حسن
مزارع الدولة، القامشلي، سورية.

فكرة رائدة وضيوف مقترحون

باب «منتدى الفيصل» فكرة رائدة تستحق التقدير والاحترام. وأود أن أذكر أنني تابعت الحلقة التي استضفتم فيها د. حسن ظاظا - بارك الله في عمره وعلمه -، وكنت أرغب منه أن يتحدث للقراء الكرام عن جيل أساتذته الذين تعلموا اللغات السامية، ومنها العبرية، ودرّسوها لأبنائهم في الجامعات المصرية والعربية، وكنت أود - كغيري من القراء - أن يفيض لنا د. ظاظا في الحديث عن المؤلفات اللغوية التي كُتبت في العبرية في ظل الدولة الإسلامية، مثل «اللُّمع في العبرية» لمروان بن جناح، وغيره من اللغويين اليهود الذين كانوا يعرفون العربية، بالإضافة إلى العبرية لغتهم الأصلية.

د. غنيم غانم الينبعاوي
ص.ب 875، كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

عالمية الإسلام ومحدودية اليهودية

أهنئكم على التقدم الملحوظ مادة وإخراجًا، وأشكر لكم استكتابكم للأقلام المشهود لها بعمق التفكير والتحليل، وأخص بالذكر الكاتبين القديرين د. حسن ظاظا، ود. محمود جبر الربداوي.

لقد شدتني مقالة د. حسن ظاظا الواردة في عدد شهر محرم 1418هـ، بعنوان: «التخبط اليهودي: اليهود المرّان»، ومما جاء في تلك المقالة قوله: «إن اليهود قد ضيقوا على أنفسهم عندما حولوا دين موسى - عليه السلام - من العالمية إلى عصبية قومية مناقبية». وحسبما هو معروف، فإن الأديان السابقة على الدين الخاتم - الإسلام - كانت أديانًا محدودة زمانًا ومكانًا، فقد أرسل أنبياؤها إلى أقوامهم خاصة؛ إلا الإسلام فإنه دين عام لكل الناس، وأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بتبليغه إلى الناس كافة. فالإسلام دين عام للإنس والجن، أما الأديان السابقة فإنها خاصة ومحدودة، وهذا ما أكده القرآن الكريم وأخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم.

أردت أن أسترعي إلى ذلك نظر أستاذنا د. حسن ظاظا متعه الله بالصحة والعافية.

محمد جويرو
منزل حرب 5036، تونس.

أسماء لا نعرفها!

الحمد لله الذي جعل لنا هذه المجلة مصدرًا نقيًا للثقافة بعامة والعربية بصفة خاصة، أدامها الله لنا.

أنا من المتابعين لهذه المجلة الغراء، وقد لاحظت وجود أبواب تعريفية بأعلامنا المعاصرين من الكتاب والأدباء وغيرهم، مثل «من تجاربهم»، و«كتّاب العدد» الذي يُعَرِّف بالكتّاب الجدد في المجلة؛ إلا أننا كثيرًا ما نقرأ أسماء لا نعرفها لأدباء وشعراء من العصور الأولى للحضارة الإسلامية من الأمويين والعباسيين وغيرهم؛ بل من العصر الحديث أيضًا. فهل يمكن تخصيص باب للتعريف بهؤلاء وهوياتهم وإنجازاتهم.

عكاشة آدم أحمد هوساوي
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
ص.ب 6859، الظهران 31261، السعودية.

وردت رسائل كثيرة من الإخوة القراء لم تتسع لها المساحة المحددة للبريد، وسيتوالى نشرها في الأعداد القادمة

نفتح لكم عقولنا فلتفتحوا لنا صدوركم

لمست أساليب التطوير والتجديد التي صاحبت الأعداد الأخيرة من مجلتنا «الفيصل»، وهي تدرج في العقد الثالث من عمرها المديد - إن شاء الله -. كما لمست الجهد المبذول في إخراجها وتقديم موادها الشهية بطرائق تزيد إقبال القراء عليها، وتزيد المجلة رونقًا وبهاء.

ولا شك أن قراء الفيصل يشكرون للعاملين في دار الفيصل، الساهرين على هذه المطبوعة الثقافية العامرة، مجهوداتهم، وتمنياتي الخاصة لكم بالتوفيق وأنتم تحملون شعارًا عظيمًا: الثقافة لكل عقل عربي في سبيل إحراز التقدم المنشود في شتى الميادين.

وإذا كنا نفتح عقولنا لموضوعات الفيصل وطروحاتها الرزينة، فنأمل أن تظل مجلتنا على عادتها بفتح صدرها وقلبها لما يأتيها من مساهمات القراء، وبخاصة جيل الشباب.

أحمد موسى
ص.ب 1888، البريد الرئيسي
تطوان، المغرب.

شكوى وإشادة

طالعت في العدد 244 شكوى القراء من اليمن والجزائر والسودان، وقرأت جوابكم، وأشكر لكم سعيكم الحثيث لإرضاء جميع أصدقاء المجلة في أنحاء العالم كافة، وأسأل الله أن يوفقكم لما فيه الخير. وأعود وأقول لكم إن مشكلة التوزيع تحول دون متابعة القراء للمجلة.

وأبشركم أن مجلتكم - مجلتنا - تلقى رواجًا وقبولاً من جميع القراء. وأشيد بموضوعات المجلة عامة، وتلك التي يكتبها د. حسن ظاظا والشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري ود. عبدالله أبو داهش على وجه الخصوص.

البهاري آدم سعيد حماد
ريفي، جنوب أم درمان
الصندوداب، غرب جبل أولياء، السودان.

«صداع العقول» في كتاب

يسعدني أن أرسل على صفحات مجلة الفيصل الأثيرة لديَّ تحية عرفان وتقدير، تحية عاطرة مصحوبة بعظيم الامتنان إلى الشيخ أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري لمقالاته القيِّمة على صفحات مجلة الفيصل ذات الأفكار والأساليب والموضوعات الجميلة. فجزاه الله خيرا.

وكم أتمنى جمع مقالات الشيخ أبي عبدالرحمن في كتاب مستقل، أو في كتيب ملحق مع مجلة الفيصل، لأن أغلبها متصل الفكرة والموضوع.

ربيع عبدالفتاح أحمد
بلفيا، بني سويف، مصر
مكتب بريد بلفيا.

اقتراحات وأفكار تصطرع

بداية أود أن أشكر لكم ما تبذلونه من جهد لأجل «الفيصل»، كما أثني على ما يخطه يراعكم كل شهر في إطلالتكم من فكر نير ووعي عميق بجملة من قضايا الأمة الإسلامية؛ وإن كنت أضم صوتي إلى صوت القرّاء الذين يطالبون بتكبير حروف الإطلالة لأنها في وضعها الحالي متعبة للنظر ومشتتة للفكر.

أفكار كثيرة تصطرع في ذهني كلما فكرت بالكتابة إليكم؛ إلا أني في هذا الخطاب سأحصر قولي في ثلاث نقاط هي: باب المراسلة، وباب الأسئلة، وباب المنظمات.

أولاً: باب المراسلة: لعلِّي لا أطرح جديدًا بمطالبتي بباب المراسلة؛ فقد وردت طلبات كثيرة من عديد من القراء تطالب بإضافة باب للمراسلة والتعارف، وكانت المجلة في كل مرة تتذرع بحجة أنها مجلة جادة ومثل هذا الباب لا يتناسب مع توجهها. بيد أن هذه الذريعة حجة عليكم لا لكم، فكون المجلة جادة فإن قراءها يكونون على مستوى لا بأس به - إن لم نقل عال - من الجدية والالتزام والبعد من سفاسف الأمور ووضيعها.

ثانيا: باب الأسئلة: وهو باب أقترح إضافته إلى المجلة نظراً لأهميته. ففي عصر تفجُّر المعلومات تتزاحم الأسئلة في ذهن المرء، ويجد الإنسان نفسه مع تقدم العلم أكثر جهلاً مما سبق، وربما لا يتمكن المتابع أو القارئ من معرفة جواب سؤال طُرح عليه أو خطر له، ولم يتمكن من إدراك مظان هذا الجواب، بالإضافة إلى ما قد يفترضه من خطر الوقوع على مصدر لا يُعتدّ به، أو يحمل رؤية عقدية وفكرية مخالفة، أو ماشابه. لهذا أجد أن إضافة باب يجيب عن أسئلة القراء مهما كانت - وليست الشرعية فقط - هي ضرورة ملحة وليست ترفًا كما قد يتراءى للبعض.

ثالثا: باب المنظمات: نحن نعيش حاليًا في عصر زاد فيه عدد المنظمات والجمعيات الإسلامية وغير الإسلامية ذات الأهداف المختلفة. وقد شارك كثير من هذه المنظمات في دعم العمل الإسلامي دعويًا كان أم خيريًا. لذا فإن تخصيص باب للحديث عن مثل هذه المنظمات (وبخاصة ذات الطابع الدولي منها) يعد ضروريًا لسببين: أولهما: رد الجميل. وثانيهما: تعريف القارئ بالمنظمات التي يبحث عنها. هذا ويعد الباب الذي تفضلتم بإضافته، وهو باب «منتدى الفيصل»، بابًا مهمًا يفتح أمام القارئ آفاقًا واسعة.

أحمد ميمون الشاذلي
ص.ب 11265، حلب، سورية.

- بإذن الله -، فمعذرة للذين تأجل نشر رسائلهم، ومرحبًا بآراء الإخوة القراء ووجهات نظرهم واقتراحاتهم.



إطلالة



تظل قضايا الأطفال والمسنين من أكثر القضايا إلحاحًا في العالم، إذ لم يؤد شيوع مؤسسات الرعاية الاجتماعية في مختلف المجتمعات البشرية، وقيام المنظمات الدولية ذات الاختصاص إلى إيجاد حلول ناجعة لها.

ومع تباين المجتمعات تباينت أساليب معالجة هذه القضايا ووسائلها، إلاّ أن النظرة الاقتصادية البحت التي تعتمدها بعض المجتمعات في هذا الميدان الاجتماعي تُعدّ من أكثر الرؤى سلبية؛ لأن هذه الفئة الاجتماعية - كما يرى أصحاب هذه النظرة من الاقتصاديين وخبراء السكان - تشكل قوة استهلاكية للموارد، وعبئًا على الخدمات الاجتماعية والصحية. وفي الوقت نفسه تختلف درجة السلبية التي تكتنف تلك النظرة، فتقل حدتها فيما يتعلق بالأطفال، على أساس أنهم يمثلون قوى بشرية مستقبلية، تقع عليها مسؤوليات العمل في القطاعات المختلفة، وتطويرها مستقبلاً بقدر ما سيتاح لها من إعداد وتأهيل، أما المسنون فيُنظر إليهم بوصفهم قوى بشرية انتهت أدوارها الاجتماعية، فلم تعد تمثل إلا عبئًا على الاقتصاد، وهذه رؤية قاصرة بلا شك، لما فيها من معاني الظلم والإجحاف، ولتغييبها البعد الإنساني الذي هو أهم أبعاد العلاقات الاجتماعية.

وهذه الرؤية المادية البحت لا يقرها الإسلام، لأن منظوره للإنسان ينطلق من قواعد وأصول إنسانية ومثل عليا، تنزله موضع التكريم الذي خصه الله به، حين نفخ فيه سبحانه وتعالى من روحه، وأمر الملائكة أن قعوا له ساجدين.

واشتمل الهدي النبوي على هذا المعنى الجليل من تكريم الله للإنسان، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا».

وقد ابتدع الفكر الإسلامي أصولاً تربوية لتنشئة الطفل ورعايته رعاية متكاملة تتناسب مع ما خص الله به الإنسان من تكريم، إذ منح الإسلام الطفل حقوقًا واجبة، يتعين على الوالدين التزامها والوفاء بها، وهذه الحقوق يكتسبها قبل أن يخرج إلى الحياة، وذلك أن الإسلام أكد ضرورة تخيّر كل من الوالدين الزوج الصالح الذي ينتمي إلى بيئة تربوية سليمة، حتى ينشأ الطفل متأثرًا بها ومتشربًا لقيمها، ثم صان الإسلام حق الطفل في الحياة فحرم قتله ووأده لأي سبب من الأسباب، بل وجه إلى رعايته وهو لا يزال جنينًا في بطن أمه، إلى حد إباحة تأجيل الأم الصيام في حالة تأثيره سلبًا في صحتها أو في صحة الجنين، لضمان أن يأتي قويًا سليم البنيان. ويتفق الفقه الإسلامي على إرجاء عقوبة الإعدام أو الجلد على الأم المذنبة حتى تضع حملها وترضعه. وللجنين حق الانتساب إلى أبيه وعائلته، كما له حق الإرث. وطالب الإسلام الأم بإرضاع مولودها حولين كاملين، وأكدت البحوث الطبية الحديثة أن القيمة الغذائية العالية للبن الأم لاتتوافر في أي لبن أو غذاء آخر يتناوله الطفل، إلى جانب ما ينشأ من الإرضاع من علاقة وجدانية بين الأم ووليدها، وما يشعر به من الأمان والطمأنينة، فيتحقق له التوازن النفسي والعاطفي. وحرص الإسلام على صيانة كرامة الطفل وعدم تعريضه للاستهزاء والاحتقار، فوجّه إلى ضرورة اختيار الاسم الملائم له، كما أمر بإحاطته بالحب والحنان، وبأهمية تعليمه وتأديبه وعدم التمييز في المعاملة بين الأبناء.

وحفلت السيرة النبوية بصور رائعة من أصول التربية الإسلامية والرعاية الصادقة للطفولة، وتأكيد دور الأسرة في غرس القيم في نفس الطفل، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم». ولا يتأتى اكتساب القيم وتمثلها إلا من خلال القدوة الصالحة، واقتران القول بالعمل، لأن تباينهما يولد اضطرابًا نفسيًا لدى الطفل، مما ينعكس على سلوكه، وأُثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يداعب حفيديه الحسن والحسين - رضي الله عنهما - ويلاعبهما ويأمر بالحنو على الأطفال، وهو القائل صلى الله عليه وسلم: «من لا يرحم لا يُرحم»، ردًا على من رآه يقبل الحسن أوالحسين فقال: «إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحدًا منهم». وأمر صلى الله عليه وسلم بتعليم الأطفال العبادات التي تناسب أعمارهم، فقد قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»، وفي مجال العدل بين الأبناء، قال: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم».

وهذه التوجيهات النبوية ترسخ دور الأبوين في تربية أبنائهما ورعايتهما لينشؤوا على قيم الإسلام وتعاليمه.

واستضاء الفكر التربوي الإسلامي بتعاليم القرآن الكريم والسيرة النبوية، حتى توافر على تراث ضخم من الآراء التربوية، وبرز من التربويين العرب والمسلمين من عالج أدق المشكلات التربوية، ووضع النظريات التي سبق بها عصره، حتى امتد أثر الفكر التربوي الإسلامي إلى الحضارات الأخرى وفلاسفتها ومنظّريها التربويين، ولا يزال هذا التأثير قائمًا إلى عصرنا الحاضر.

وبينما كان التربويون المسلمون يضعون أسس تعليم الأطفال وتأديبهم وتهذيبهم، ويحددون الوسائل المناسبة التي يمكن اتباعها لتحقيق ذلك، ويناقشون تأثيرات الوراثة والبيئة فيهم، والمسؤوليات التي على الأسرة أن تقوم بها تجاههم، بما يجعلهم ينشؤون متكاملي الشخصية متوازني البناء النفسي، كان الطفل في أوربا يُعامَل على أنه صورة مصغرة للرجال والنساء، فكان يُعاقَب أشد العقاب ويُرهَب ويُحرَم لأتفه الأسباب من غير مراعاة لسنّه بحجة طرد الشر منه، وتساوى في ذلك أطفال العامة والنبلاء. وكان يُحكم على الطفل في إنجلترا بالإعدام إذا ارتكب جريمة سرقة، وكان يلقى في السجن مع عتاة المجرمين، بلا أدنى نظر لما في ذلك من تأثيرات سلبية في سلوكه ونظرته إلى المجتمع، وكان من حق الوالدين تشغيله في أي عمل يرونه مُربحًا، ولم يكن للدولة حق التدخل مهما كانت القسوة الواقعة على الطفل من الأبوين أو أحدهما. ومما يُحكى في هذا المقام أن طفلة تدعى ماري ألين كانت تعامل من أسرتها بوحشية، رأت معها جمعية الرفق بالحيوان ضرورة التدخل، ومع أن الأسرة استهجنت هذا التدخل إلا أن المحكمة أصدرت حكمها بأن الطفلة في حكم الحيوان الناطق، ومن ثم لا عجب أن تشملها بالرعاية، مع مجازاة مرتكبي القسوة ضدها، وكان هذا الحادث الذي وقع في عام 1875م من أسباب التفكير في إنشاء جمعية لحماية الطفولة تماثل جمعية الرفق بالحيوان.

ولهذه القسوة التي كان يعامل بها الطفل في أوربا جذور في حضارتها القديمة، إذ كان الأطفال الضعفاء والمشوهون والمرضى يتعرضون للقتل في إسبرطة وأثينا إذا رأى شيوخ الدولة أو الآباء ذلك.

وفي هذا العصر اتخذ الاهتمام بقضايا الطفولة منحى دوليًا وأبعادًا جديدة، وإن كان هذا الاهتمام مصدره الإحساس بالذنب لما ارتُكب في حق الأطفال الأبرياء من جرائم بشعة، ولما تعرضوا له من مآس قاسية إبان الحربين العالميتين وغيرهما من الحروب التي اجتاحت العالم، ومحاولة للتخفيف من آلام هؤلاء الأطفال، والعمل على إعادة الطمأنينة النفسية إليهم بعد أن رُوِّعوا بالحروب، التي قضت على كثير منهم، وأصابت بعضهم بمختلف أنواع الإعاقات ومظاهر العجز البدني والعقلي، وجعلت أعدادًا كبيرة منهم أيتامًا يفتقدون دفء الحياة الأسرية. وتجسد هذا الاتجاه العالمي نحو الطفولة في منظمة اليونيسيف التي أنشئت في عام 1946م لتقديم معونات الإغاثة الفورية لأطفال الدول التي دمرتها الحرب العالمية الثانية، ثم تحولت في العام 1953م إلى منظمة دائمة تعنى بالبرامج البعيدة المدى الموجهة لخدمة أطفال العالم، بعد أن تبين أنه لا نهاية لمآسي الطفولة، وأن هناك أعدادًا متزايدة من الأطفال في مناطق كثيرة من المعمورة يعانون الجوع والفقر والمرض، ويفتقدون أبسط أنواع الرعاية الصحية والغذائية والتعليمية والاجتماعية. وتشير إحصاءات حديثة صادرة عن المنظمة الدولية المتخصصة إلى وجود أكثر من 200 مليون طفل في العالم يشتغلون في سوق العمل، ويعمل كثير منهم تحت ظروف قاسية أقرب إلى السخرة، وأن 140 مليون طفل في الدول النامية تتراوح أعمارهم بين 6-11 عامًا لم يلتحقوا بالمدارس، وأن 100مليون معاق في العالم ترجع أسباب إعاقتهم إلى سوء التغذية. ولم يكن انعقاد المؤتمر الدولي حول استغلال الأطفال جنسيًا في العام الماضي في ستوكهولم إلا نتيجة لتفاقم هذه الظاهرة التي أصبحت صناعة رائجة، يذهب ضحيتها الآلاف من الأطفال سنويًا، بينما تدر أرباحًا هائلة على الضالعين في ارتكاب هذه الجريمة البشعة التي تحط من قدر الإنسان لسلبه إنسانيته، وتنزل به إلى مستوى السلع والأشياء التي تباع في الأسواق بأبخس الأثمان.

ولعل في طرح «قمة الطفولة 97» - التي انعقدت في باريس بمشاركة 700 طفل من أنحاء العالم - موضوع «المجتمع» ليدلي أطفال العالم برأيهم حول محاوره الأربعة «الأسرة، التربية، التقاليد، الحياة مع الآخرين»؛ ما يبين الاهتمام المتزايد الذي يوليه العالم للأسرة بوصفها المدرسة الأولى التي تضع أسس بنائه التربوي، وتكسبه تقاليد مجتمعه، وتؤثر في أساليب تفاعله مع الآخرين، كما أن إشراك الطفل في مناقشة القضايا التي تهمه يبدو توجهًا جديرًا بأن يأخذ أبعادًا أكثر عمقًا، كي لا يكون مظهرًا احتفاليًا فحسب ينقضي أثره بانقضاء المناسبة، لأن من المتعين أن يكون لمثل هذه المناسبة أثرها في فكر هؤلاء الذين ستؤول إليهم مسؤوليات صنع القرار في العالم، حين يتبوؤون مراكز القيادة مستقبلاً، مما يستدعي أن يُدفعوا مبكرا إلى التفكير في مصيرهم من منظور قيمي، وأن يتساءلوا عن أدوار الإنسان ومسؤولياته في هذه الحياة، وهل بلوغ الإنسان مرحلة سنية معينة تعني نهاية تلك الأدوار والمسؤوليات، تماما كالآلة الصماء التي لها عمر افتراضي محدد.

ويدفعنا مثل هذا التفكير الذي ينبغي أن يسود عن مسؤوليات

اليوم غدًا

مركز الأمير سلمان الاجتماعي ترجمة للقيم الحضارية الإسلامية التي تمثل دعوة إلى تكريم الإنسان بما يتناسب مع رسالته في الحياة

الإنسان في مراحل حياته المختلفة إلى التطرق إلى بعض القضايا التي تتعلق بكبار السن، وإيراد وجهة النظر الإسلامية حولها، التي تستند إلى عالمية رسالة الإسلام، التي هزت أركان نظام العالم القديم البالي في تعاليمه وشرائعه وتقاليده غير الإنسانية التي قضت على جميع معاني وحدة الأسرة الإنسانية، ونالت من كرامة الإنسان وحقه في الحياة.

وقضايا المسنين ليست أقل تعقيدًا من قضايا الأطفال، وإن كانت تجد اهتمامًا أقل من الباحثين والدارسين وصناع القرار في العالم. فالإحصاءات تدل على تزايد أعداد المسنين في العالم، فبعد أن كان عدد المسنين الذين تزيد أعمارهم على 60 عامًا هو 200 مليون نسمة، فإن من المتوقع أن يرتفع هذا العدد إلى 590 مليونًا مع انتهاء القرن الحالي، وهذا الواقع يقتضي أن تكون هناك نظرة موضوعية إلى هذه الفئة من البشر، تحل محل النظرة المتشائمة التي لا ترى فيها سوى مجموعة من المرضى والعاجزين الذين يعتمدون على غيرهم في تلبية احتياجاتهم.

وقد أوضحت بعض الدراسات في مجال الشيخوخة أن الاتجاهات السلبية التي يكونها المجتمع عن المسنين لها أثر كبير فيما يعانونه من اضطرابات صحية ونفسية، وأن من يستطيع أن يغالب منهم هذه الاتجاهات السلبية، يكون قادرًا على مواصلة حياته بشكل طبيعي، ولاسيما إذا كان قد هيأ نفسه لتقبل الوضع الجديد الذي سيكون عليه عقب التقاعد، مستفيدًا من تجارب زملائه الذين سبقوه، وموظفًا إمكاناته في عمل بديل، لإشباع حاجته إلى العمل، وإثبات الذات، وتأكيد قدرته على العطاء، وهذا يقتضي منه طاقة نفسية كبيرة، قد يستمد بعضها من محيطه الاجتماعي، إذا كان متفهمًا لظروفه وحاجاته.

وهناك نظريات متعددة حول تفسير ما يمر به المتقاعد من أدوار اجتماعية عقب تركه العمل، حيث تشير نظرية النشاط ACTIVITY THEORY إلى أن في إمكان المسنين الاحتفاظ بنشاطاتهم واتجاهاتهم المكتسبة، فيستطيعون توظيفها لإيجاد أنشطة بديلة لما كانوا يقومون به من عمل. أما نظرية الانسحاب DISENGAGEMENT فترى أن هناك انسحابًا متبادلاً من المتقاعد والمجتمع، ففيما يعتزل المتقاعد عن عالمه الاجتماعي، يبدأ المجتمع في تقليل المسؤوليات التي يقوم بها، ويمكن أن يصل به الأمر إلى الانعزال الاجتماعي تمامًا، ويتمحور بشكل أساس حول ذاته. أما نظرية الأزمة CRISIS THEORY فتوضح أن المسن يبدأ في التعامل مع أشكال جديدة من الحياة الاجتماعية، لا يعرف لنفسه دورًا فيها، مما يسبب له الشعور بالنقص والدونية، وتتأثر بذلك أساليب تعامله مع أسرته ومجتمعه، ويكون الإحساس بالإحباط متزايدًا لدى أولئك الذي عرفوا بالالتزام في العمل وحبه.

ويبدو مهمًا أن يتيح المجتمع للمسنين القادرين على العطاء فرص العمل التي تناسب إمكاناتهم، وأن ينزلهم المنزلة التي تليق بالعطاء الذي قدموه في سالف الأيام.

وقد أثبتت الدراسات الاجتماعية والنفسية أهمية دور الأسرة في كل مرحلة من مراحل العمر، لأنها تكون الملاذ للإنسان في حالات الشدة، وكلما تميزت بالتماسك والتفاهم والانسجام بين أفرادها كانت أقدر على تحقيق التوافق النفسي لكل واحد منهم مهما كانت الأزمة التي يمر بها، ولا أدل على ذلك من أن المرافق والمؤسسات الخاصة بالمسنين في الغرب لم تبلغ ما ترمي إليه من غايات اجتماعية، على الرغم مما يبذل فيها من جهد لتوفير أسباب الرعاية والراحة لهم، فمبتغى الإنسان في هذه الحياة ليس الحاجات المادية، وإنما مبتغاه الشعور بقيمته الذاتية، والتواصل الإنساني مع الآخرين، أما التنعم بالحاجات المادية من غير أن يتحقق إحساس الإنسان بإنسانيته، فلا يزيده إلا إحباطًا وعزلة وتبرمًا بالحياة، ولذلك تعالت بعض الأصوات في الغرب منادية بضرورة أن تعود للأسرة مكانتها الأولى لتؤدي مسؤولياتها بفعالية في صون كيان المجتمع، وتوفير حياة كريمة لأفرادها، ينعمون فيها بمشاعر الحب والألفة.

والإسلام بأحكامه ومبادئه الرامية إلى صون كرامة الإنسان وتحقيق مصالحه كفل للمسنين أسباب الحياة الكريمة، بحيث لا يحول بينهم وبينها ضعف أو وهن، وإنما على المجتمع أن يفيهم حقوقهم جزاء ما قدموا من خدمات وأعمال مهما قلّ شأنها، بل أن يشمل بمظاهر التكريم أولئك الذين لم يتبين لهم إسهام يذكر، أو حتى من كانوا عبئًا عليه، لأن من فضائل شرع الله الحنيف أن يعم خير الصالحين من سواهم.

ومن حسن الطالع أن هذه المفاهيم التي تنبثق من قيم الإسلام وحضارته لا تزال حية في مجتمعنا، إذ بدأت تتبلور في صورة نشاطات اجتماعية على أرض الواقع، يقوم بها كثير من أولي العزم من الرجال، الذين لم يرضوا أن تظل هذه المفاهيم الحضارية محفوظة في بطون الكتب بعيدة من الترجمة الواقعية. وهؤلاء ينطلقون في نشاطاتهم الاجتماعية من خلال مؤسسات خيرية يتعزز وجودها في المجتمع تأسيسًا على هذه الصفة التي تحملها، والتي تشجع الراغبين في عمل الخير على التدافع للبذل والعطاء، لتمضي في مسيرتها المرسومة بعيدًا من الاتكالية والنظر إليها على أنها شأن حكومي فقط، والمتأمل في مدن المملكة ـ وبخاصة مدينة الرياض ـ يجد أعدادًا هائلة من الجمعيات والمؤسسات الخيرية التي تتعدد نشاطاتها وتتنوع لتشمل جميع أوجه الخير الممكنة.

وعلى هذا الأساس القيمي تبنّى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز مشروعات خيرية في أرجاء مختلفة من منطقة الرياض وغيرها، لا يملك المرء إزاءها إلا القول إنها جهود ومواقف إنسانية ستظل تُذكر فتُشكر لسموه. ولست في مجال الحديث عن سمو الأمير سلمان، لأن الكلام عنه يطول ويتعمق، لما عُرف عن الرجل من بالغ اهتمامه بكل ما يخص مدينة الرياض وأهلها. وما كانت هذه الأفكار والمؤسسات التي تعبر عنها لتتسع ويمتد عطاؤها ما لم يكن وراءها شخص متميز مثل سمو الأمير سلمان، وكثيرون يشاركونني هذا الرأي لأن سموه وسع الناس بخلقه وسعة عقله فأصبح علمًا من أعلام الأسرة السعودية، فهو أستاذ الترابط الاجتماعي، حيث أدهش الجميع بقدراته ومواقفه الكريمة، وصار رمزًا لجواهر الرجال، فلا غرو، أن كان مرجعًا للرأي السديد والحكمة، فهو ابن عبد العزيز، وهذه النبتة من تلك الحبة.

وما مركز الأمير سلمان الاجتماعي إلا تعبير من أهل الرياض عن هذه المعاني الإنسانية التي يجدونها ملازمة لسموه، وترجمة للقيم الحضارية الإسلامية التي تمثل دعوة إلى تكريم الإنسان، بما يتناسب مع رسالته في هذه الحياة، تلك الرسالة التي تمتد بامتداد عمر الإنسان، بل يظل أثرها بعد مماته.

ومن أهم ما يميز مركز الأمير سلمان الاجتماعي تأكيده دور الأسرة في تحقيق التوازن النفسي للفرد، فجُعل ناديًا صحيًا واجتماعيًا للكبار، لا دارًا لإيوائهم، مما يعني عدم انفصالهم عن أسرهم ومحيطهم الاجتماعي، مع توافر فرص قضاء أوقات الفراغ في نشاطات ثقافية ورياضية واجتماعية وقتما أرادوا ذلك، مما يهيئ لهم المجال لإقامة علاقات اجتماعية جديدة تكسر ما قد يشعرون به من رتابة في حياتهم، ولاسيما أولئك الذين تقدموا كثيرًا في السن، كما أنه يفتح المجال أمامهم لاكتساب خبرات وتجارب جديدة إلى جانب الإفادة من تجاربهم السالفة في الأنشطة التي ينظمها المركز، ويهيئ لهم ـ كذلك ـ فرص الرعاية الصحية وقاية وعلاجًا، من خلال نشاطاته الرياضية التي تتناسب مع أعمارهم، وبرامج التوعية الصحية التي تقدم لهم، فضلا عن الخدمات العلاجية التي توفرها عيادة المركز. أما الدراسات والبحوث التي يجريها المختصون فتمثل رصيدًا علميًا مهمًا للمجتمع يستعين به في وضع البرامج والخطط اللازمة التي ترمي إلى رفع مستوى الخدمات المقدمة لهذه الشريحة المهمة من المجتمع؛ وتزيد من مستوى الوعي الاجتماعي بمشكلاتها، وتغطي نقصًا كبيرًا في البحوث العلمية في هذا المجال الحيوي الذي يعد جديدًا إلى حد كبير في عالمنا العربي، كما تتميز مشكلات الفئة المعنية بهذه البحوث بالجدة والاتساع، وتتزايد التخصصات العلمية التي تتم فيها هذه البحوث والدراسات، مما يعطي هذا المركز الاجتماعي صفة المركز العلمي بكل أبعاده، إلى جانب صفته الاجتماعية.

إن ما يمكن استخلاصه مما يثار عن قضايا الأطفال والمسنين وكفالتهم، والوسائل المتبعة لإيجاد الحلول لها أن الأسرة هي مفتاح تلك الحلول، وأن المجتمع لا يستقيم أمره ما لم تكن مؤسسة الأسرة قائمة على أسس متينة من القيم الإنسانية، لتكون هي بدورها سياجًا يحمي هذه القيم ويصونها. وما تشهده بعض المجتمعات من فساد الأخلاق وانهيار القيم ليس إلا نتيجة لتفكك البناء الأسري، وشيوع النزعة الفردية في تحديد القيم، وسيطرة روح «الأنا» على أفراد المجتمع، وغلبة القيم السلبية عليهم. ومن يتعمق في المنظور الإسلامي للأسرة، يجد أن الإسلام وضع ضوابط وقواعد تكفل تماسك الأسرة المسلمة وتكاملها وسريان روح المودة والرحمة والإيثار بين أفرادها، مما يمنحهم التوازن النفسي والقدرة على الاضطلاع بمسؤولياتهم في المجتمع بكفاءة وفعالية، وإقامة علاقات سوية مع مجتمعهم ومع الآخرين بروح إنسانية عالية بعيدة من التمحور حول الذات.

وتمثّل مؤسسات الرعاية الاجتماعية في بلادنا للقيم الحضارية الإسلامية يحول بينها وبين الانجراف نحو تقليد الآخرين الذين تختلف مجتمعاتهم عن المجتمع الإسلامي قيمًا وسلوكًا، مع إمكان الإفادة من تجاربهم وفق المعايير والضوابط الإسلامية.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل
العدد 249 ـ السنة 21 ـ ربيع الأول 1418هـ ـ يوليو/أغسطس 1997م



الشيخ عثمان الصالح في «منتدى الفيصل»

مرت النهضة التعليمية في المملكة العربية السعودية عقب توحيدها على يد الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ بمراحل مختلفة، شارك فيها رجال أخلصوا العمل، إدراكًا منهم بأنه السبيل الأمثل والوسيلة الفاعلة للتقدم الحضاري.

وفي الحلقة الجديدة من «منتدى الفيصل» يحاور القراء الشيخ عثمان بن ناصر الصالح بوصفه شاهد قرن على تطور التعليم بالمملكة متلقيًا ومدرسًا ومربيًا، إذ يتناول بعض مشاهداته ومشاركاته خلال عقود مضت؛ مبديًا رأيه في بعض من عاصرهم من رواد النهضة التعليمية والمشاركين فيها، وموضحًا وجهات نظره في قضايا عصرية تضمنتها الأسئلة الموجهة من القراء إليه، وملقيًا الأضواء على جوانب من تجربته في حقل التعليم قائلاً إنه من أوائل الذين شجعوا تعليم الفتاة.

طالع «منتدى الفيصل» ص 24

العلم ووجوب التشاور



يشهد زماننا هذا ـ أخريات القرن العشرين الميلادي ـ تناميًا مذهلاً في الاكتشافات والاختراعات التي تفتح أبواب الجدل والاختلاف الواسع حول جدوى العلم للإنسان وأثره في مستقبله. ولما كانت المستجدات العلمية تنطوي على أبعاد مختلفة، فإن التعاطي معها، مناقشة لفكرتها وتداولاً لمقاصدها وفوائدها، يتطلب وجود المعرفة المتكاملة بجوانب الاكتشاف العلمي المطروح للمناقشة، والتشاور المكثف بين أهل العلم وأهل الفكر والنظر.

حسن بن حسين المهنا يطرح للحوار قضية التسرع في الحكم على المستجدات العلمية، وما يشيعه ذلك من مفاهيم خاطئة حول العلاقة بين العلم والدين.

طالع ص35



فان جوخ واستنطاق الزهور

تنفرد الزهور بميزات خاصة لما تحركه في الوجدان من مشاعر، وما تفصح عنه ألوانها وأريجها من معان ومفردات لغوية بليغة. وشكلت الزهور موضوعًا أثيرًا لدى الفنانين التشكيليين، ولكن علاقة المصور الهولندي فنسنت وليم فان جوخ بالزهور اتسمت بالخصوصية حتى صارت محور أعماله، التي وضعته في صدارة فناني عصره، ومازال لوحاته تباع في المزادات بمبالغ ذات أرقام فلكية!

كامل يوسف حسين يرصد ملامح في قراءة فان جوخ لكتاب الطبيعة.

طالع ص 84

من كتاب العدد

شخصيات

شعر وقصة

الأبواب والزوايا الثابتة



د. محمود أحمد شوق

- من مواليد مصر.
- حاصل على الدكتوراه في التربية من جامعة كولمبيا، الولايات المتحدة الأمريكية 1965م.
- يعمل مستشاراً لمعالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.
- من أواخر مؤلفاته: أساسيات المنهج ومهماته، تطوير المناهج الدراسية، تربية المعلم للقرن الحادي والعشرين، تخطيط المناهج الدراسية، الاتجاهات الحديثة في الرياضيات.
- من أواخر بحوثه: دروس مستفادة من مشكلة الخليج في مجال تخطيط المناهج الدراسية، مهمات المنهج الدراسي في تربية الطفل تربية إسلامية، مهمات المنهج الدراسي في بناء المجتمع والمحافظة على هويته، التحديات المستقبلية التي تواجه العالم الإسلامي ومهمات التربية في التغلب عليها.



د. إبراهيم القرشي عثمان

- من مواليد ود مدني، السودان 1955م.
- حاصل على الدكتوراه في النحو والصرف والقراءات، جامعة الخرطوم 1993م.
- يعمل محاضراً بقسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود منذ عام 1986م، حتى الآن.
- عضو هيئة تحرير الموسوعة العربية العالمية، ومكلف تصحيح المادة الأدبية في صحيفة «رسالة الجامعة» بجامعة الملك سعود.

من مؤلفاته: إعراب القراءات وعللها لابن خالويه (تحقيق ودراسة)، الرد على من لحن بعض القراء السبعة، الاحتجاج بالمتأخرين، أقوال الأصمعي في الشعراء والشعر، النقد عند الخلفاء، وقفات في اللغة والنقد مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، كتاب ابن خالويه في القراءات بين الأصل اليتيم والتحقيق السقيم.

- له قصائد ومشاركات في الصحافة المحلية والعربية.



د. حامد أبو أحمد

- من مواليد مصر.
- حاصل على الدكتوراه من جامعة مدريد، إسبانيا 1983م.
- يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً بكلية اللغات والترجمة، جامعة الملك سعود بالرياض.
- من مؤلفاته: رائد الشعر الإسباني الحديث خوان رامون خيمينث، دراسات نقدية في الأدبين العربي والإسباني، عبدالوهاب البياتي: القيثارة والذاكرة، قراءات في أدب إسبانيا وأمريكا اللاتينية، نقد الحداثة، بالإضافة إلى عدد من الكتب المترجمة في الرواية والمسرحية ونظرية الأدب.



د. فؤاد عبدالمطلب

- من مواليد حمص، سورية 1952م.
- حاصل على الدكتوراه في الآداب 1989م، جامعة إسكس، انجلترا.
- عضو هيئة التدريس في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ورئيس قسم اللغة الإنجليزية وآدابها في جامعة البعث.
- له أعمال مؤلفة ومترجمة في الدوريات المحلية والعربية.



قشور الجوز أكثر فعالية في تنقية الماء والهواء



قشور جوز البقَّان قد تصبح وسيلة مساعدة لتنقية ما نتنفسه من هواء وما نشربه من ماء، وذلك من خلال عملية جديدة من ابتكار باحثين زراعيين في الولايات المتحدة.

يُعَدّ الكربون المنشط أو الفحم النباتي المنشط وسيلة جيدة بشكل كبير جداً لامتصاص المركبات العضوية والمعادن، وتُستخدم المصافي التي تُصنع من الفحم لتنقية الهواء والماء، كما أن المصافي المستخدمة في المنازل لتنقية المياه غالباً ما يُستخدم فيها الكربون المنشط.

يقول كريس تولز الكيميائي الذي يعمل في مختبر خدمات أبحاث وزارة الزراعة الأمريكية في نيو أورلينز: إن معظم الكربون المنشط يُصنع من الفحم، ويُسَخَّن الفحم لطرد المركبات العضوية تاركاً مخلفات كربونية تسمح للماء بالنفاذ بشكل كبير.

إن جراماً واحداً من غبار الكربون المنشط قد يغطي مساحة ألف وخمسمئة متر مربع. وعندما تلامس الملوثات والمعادن هذه المساحة فإنها تترسب وتبقى بها. إلا أن عملية التسخين يمكن أن تكون هي نفسها عملية ملوثة جداً؛ حيث غالباً ما تنتج مقادير كبيرة من ثاني أكسيد الكبريت، لذلك يُعدّ إنتاج الكربون المنشط من قشر جوز البقَّان عملية أكثر نقاءً. ولتحويل القشور إلى كربون منشط ـ كم أوردت مجلة نيو سينتست ـ فإن الباحثين في وزارة الزراعة الأمريكية يقومون بطحن قشور الجوز على شكل مسحوق أولا، ومن ثم تسخينها في جو يخلو من الأكسجين. وهذه العملية تطرد الأكسجين والهيدروجين تاركة جزيئات على شكل شعرية، ثم تُسَخَّن القشور ثانية، وهذه المرة في جوٍّ به بخار أو ثاني أكسيد الكربون لطرد المركبات العضوية الطيارة المتبقية، وبذلك يتمتع الكربون الناجم عن ذلك بقابلية امتصاص كبيرة جداً.

تنتج الولايات المتحدة ما قدره ثلاثة وأربعون ألف طن من قشور جوز البقَّان سنوياً، وتباع هذه القشور أعلافاً للماشية مقابل دريهمات للطن الواحد. وحتى بهذا السعر الرخيص لا تجد دائماً من يشتريها. يقول تولز: إنهم في حاجة إلى إيجاد استخدامات جديدة لمخلفات المواد الزراعية. ويضيف: إن سعر الكيلو جرام من الكربون المنشط يبلغ دولارين، وبمثل هذا السعر يمكن أن تصبح قشور جوز البقَّان سلعة تسويقية.

طائر الكيوي معرّض للانقراض خلال عشر سنوات



يواجه الكيوي، ذلك الطائر الصغير الذي لا يقوى على الطيران - والذي أصبح أيقونة (رمز) نيوزلنده - خطر الانقراض. وكان الكشف عن هذه الحقيقة صدمة لأهالي نيوزلنده الذين تبنّوا هذا الكائن بوصفه رمزًا لهم في كل مجالات الحياة تقريبًا؛ بدءًا من الفرق الرياضية إلى مُسَمَّى عملتهم في الأسواق الخارجية لتبادل العملات. ويقول المحافظون: إنه ما لم يُتّخذ إجراء صارم فإن هذا الطائر - الذي لم يره معظم النيوزلنديين قط - يمكن أن يختفي خلال عشر سنوات.

تتناقص طيور الكيوي في نيوزلنده بمعدل ٥٪ على الأقل سنويًا، وذلك بسبب فقدانها بيئتها الطبيعية، واستيراد الحيوانات القارضة مثل الكلاب والقطط والفاقُم الأوروبي وابن مقرض وابن عرس والأبوسوم.

إن أكثر الأنواع الأربعة المعروفة تعرضًا للخطر هو طائر الكيوي الصغير المنقط (المرقط) الذي تناقصت أعداده حتى وصلت إلى نحو ألف طير في جزيرة بالقرب من ويلنغتون. وهذه الأرقام تعد أرقامًا مضللة لأن أغلبية هذه الطيور متقدمة في السن لدرجة أن العلماء يخشون من عدم تعويضها عندما تهلك.

هرمون يتغلب على تغيير بيئة الضفادع

عندما تبدأ برك المياه بالجفاف فإن فراخ العلجوم (ضفادع الطين) من فصيلة سكافيوبوس هاموندي SCAPHIOPUS HAMMONDI تنمو بسرعة لتتحول إلى ضفادع كاملة النمو بنسبة 25٪.

وقد وجد بوب دينفر BOB DENVER وزملاؤه، من جامعة متشغان في آن أربُر، أن سر هذا التغير السريع هو هورمون إجهاد يُطلق عليه اسم هورمون إعتاق الكورتيكوتروبين CRH، ويُعتقد أن هذا الهرمون نفسه هو الذي يُعَجِّل بولادة الثدييات قبل الأوان.

وفي عملية لمحاكاة آثار الجفاف عمل دينفر على تخفيض مستوى الماء تدريجيا في خزان ماء به عدد كبير من فراخ الضفادع. وفي آخر عدد من مجلة الهورمونات والسلوك (مجلد 31، ص169) HORMONS AND BEHAVIOUR نشر الفريق الذي يعمل معه تقريرًا يفيد بأن فراخ الضفادع بدأت بإنتاج المزيد من هورمون CRH22 بعد أيام فقط من تفقيسها، وأخذت بالتحول السريع. كما أن حقن الفراخ بهورمون CRH عمل أيضًا على نموها بسرعة. إلا أنها عندما أُعطيت عقاقير لإبطال مفعول الهورمون اختفت آثار النمو التي سببها ذلك الهورمون.





مراكز الرعاية النهارية وتأثيرها في العلاقات الأسرية



يقضي نصف الأطفال تقريبًا ممن هم فوق العام الأول من أعمارهم ثلاثين ساعة على الأقل أسبوعيًا في مراكز الرعاية النهارية أو مع الجدات أو الأقارب. ومع تنامي هذه الأعداد يزداد قلق الخبراء من إمكان افتقاد الأطفال لخبرات تعليمية حيوية بسبب بعدهم من والديهم.

أكدت ذلك دراسة تمولها الحكومة الفيدرالية الأمريكية أُجريت على ما يزيد على ألف وثلاثمئة طفل منذ ولادتهم وحتى سن الثالثة، وأعلن فريق من الباحثين بأن في إمكان الأطفال في مراكز الرعاية النهارية أن يتعلموا كيفية التفكير والحديث مثل نظرائهم الذين ينشؤون تحت رعاية والديهم، مادامو يتعرضون لوسائل التحفيز الفكري.

وتوحي تلك الدراسة - التي أشارت إليها مجلة يو. إس. نيوز - بأنه حتى مع توافر الجو التعليمي فإن ذلك لن يعالج جميع المشكلات التي تنشأ في مراكز الرعاية النهارية. إن ترك الأطفال في تلك المراكز يمكن أن يسبب أخطارًا تحيق بالروابط العاطفية للأطفال مع والديهم إذا لم تُبذل جهود أسرية قوية في هذا الشأن. والأمر بحاجة إلى مزيد من البحث لتوضيح النتيجة التي توصلت إليها الدراسة؛ فمن الواضح أن الأمهات يستجبن بشدة أو بسلبية إزاء أطفالهن اللائي يتركنهم في رعاية غيرهم، وبخاصة في البرامج المتدنية النوعية. وهذه الدراسة ستقلل من شعبية مراكز الرعاية النهارية على مستوى العالم.

كما توصلت جهات أخرى إلى نتيجة مفادها أن الأمهات العاملات غالبًا ما يهملن أطفالهن، وبذلك يضربن مثلاً سيئًا في مجال الرعاية الأسرية.

الطبع يغلب التطبع



كثيراً ما يعتقد الإنسان - خطأ - أن الإجراءات التي يقوم بها للسيطرة على كثير من مظاهر الطبيعة والبيئة تجعله في مأمن، وتحول دون أن تعود تلك المظاهر إلى حالتها الأولى، وتشكل خطرًا على كل ما صنعه الإنسان على أساس من تلك «الطبيعة المروَّضة»، ومن ذلك ما يُشاهد على نطاق واسع من كوارث: أمطار وفيضانات تدمر الجسور والسدود، صواعق تأتي على الأخضر واليابس، زلازل لاتعترف بالبنايات الهزازة.. وحيوانات يتم تدريبها وتدجينها، وما إن يطمئن الإنسان إليها، ويعاملها بلطف ربما لا يحظى به كثير من البشر، سرعان ما ترتد تلك الحيوانات إلى أصلها، وتمارس سلوكها الغابي المفترس، مؤكدة أن «الطبع يغلب التطبع».

المشهد المأساوي الذي حدث في أحد حلبات السيرك يشير إلى أن ترويض الحيوان المفترس مهما

كان علميًا ومحكمًا، فينبغي للإنسان أن يأخذ حذره، ويجعل بينه وبين صديقه سواء كان نمرًا أو أسدًا أو فيلاً مسافة معقولة.

فقد انقض أحد نمور السيرك على مدربه وقتله أمام مئات من المتفرجين بينهم أطفال، وهم يولولون ويصرخون. وقد هرع مدير الحلبة محاولاً نجدة المدرب، عندما فرّ المشاهدون مذعورين إلى الخارج، ووصل رجال السيرك، وأوسعوا ذلك النمر البالغ من العمر ست سنوات ضربًا بقضبان حديدية؛ إلا أنهم في الواقع كانوا قد وصلوا بعد فوات الأوان، وبعد هلاك المدرب فرانزين البالغ من العمر خمسين عامًا.

كان الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 4- 16سنة قد استقروا في أماكنهم منذ دقائق فقط لمشاهدة «راجا»، ذلك النمر البنغالي وهو يستعرض مع نمرين آخرين في سيرك متنقل في مدينة كارول بنسلفانيا، وعندما أدار فرانزين ظهره، وثب عليه ذلك الحيوان بوزنه البالغ نحو 180كجم فجأة، وهو يدوسه بأرجله ويجرجره في الحلبة مثل دمية.

فقد ألقى النمر مدربه أرضًا، وأمسك بعنقه وأخذ يهزه هزًا عنيفًا حتى قتله. بعدها وقف النمر الذي دربه فرانزين منذ أن كان عمره ستة أشهر فوق الجثة وهو يزأر ويزمجر، قبل أن تتم السيطرة عليه ويعاد إلى قفصه. والغريب أنهم أبقوا على حياته، واشترك ثانية في مواسم السيرك الشتوية في بوشنل بفلوريدا.

يقول موظفو السيرك: إن راجا قد يكون ذُهل بالزي المتلألئ الأزرق الجديد الذي كان يرتديه فرانزين حيث كان زيه المعتاد لم يجف من الغسيل بعد.

وتقول جين هولين إحدى المشاهدات التي كانت تصطحب ابنتيها المراهقتين: إنها ظنت لأول وهلة أن هجوم النمر على مدربه يُعدّ جزءًا من مشهد تمثيلي، ثم أدركت بعدئذ أن المدرب وقع في ورطة. ويقول فانسا سيدلايمر الذي كان يصطحب معه زوجته وابنه (4 سنوات): المنظر كان لا يحتمل التصديق. ويضيف: في البداية دفع النمر الرجل من الخلف بمخلبه، ثم دفعه ثانية فاستدار المدرب ووقع أرضًا، فسارع النمر وهاجمه في نحره. وقد أخذ مدير الحلبة يصرخ طالبًا النجدة، في الوقت الذي تدافع فيه جمهور المشاهدين نحو المخارج وهم يولولون ويصرخون.

وشرع النمران الآخران يزأران ويزمجران، وخاف الأولاد والبنات من أن يأخذا في الهجوم أيضًا، لكن إرشادات نفسية قُدّمت على عجل طمأنت الأطفال المذعورين.

الإبر الصينية تقلل من الاضطرار إلى العمليات القيصرية

على الرغم من أن العلاج بالوخز بالإبر الصينية ينتشر على نطاق واسع؛ إلا أن هذا الأسلوب العلاجي لا يزال يثير تساؤلات عديدة حول كيفية تأثير «الوخز» وتحقيقه الشفاء من بعض الأمراض، وما تزال الدراسات تجرى لاستكشاف المزيد من أسرار هذا الأسلوب الصيني، الضارب في القدم، والذي فتح آفاقًا رحبة أمام الطب الحديث.

ومن ذلك ما تشهده وحدة رعاية الأمومة في



مستشفى ووروِيك WARWICK من تطبيقات تقوم بها القابلات لتسكين الآثار الجانبية للحمل وآلام المخاض، من طريق الوخز بالإبر. تقول زيتا ويست طبيبة الوخز بالإبر بالوحدة نفسها: إن علاجها لكثير من النساء قد «خفف آلامهن، وقلَّل من غثيانهن ودوارهن، وأعاد الجنين في أحشائهن إلى الوضع الطبيعي». وترغب زيتا المفتونة بالأسلوب الصيني - بعد ما عولجت هي نفسها من وهن أصابها بعدالولادة - في أن يصبح هذا الخيار متاحًا في وحدات رعاية الأمومة في المستشفيات. وتقول زيتا: إن هذا الأسلوب قد حقق نجاحًا كبيرًا في منطقتها.

أما الحالات الشائعة التي يتم علاجها بالوخز بالإبر - حسبما تضمنه تقرير لـTHE WEEKLY TELGRAPH - فهي غثيان الصباح، والتقيؤ، والصداع، وآلام الظهر، وآلام عِرْق النسا (العصب الوركي)، بالإضافَة إلى آلام الوضع. وذكرت زيتا أنها تشعر بقوة لأن أسلوب الوخز بالإبر الصينية والطب الغربي يمكن أن يعزز كل منهما الآخر، ففي الصين يوجد مثل هذا التكامل الوثيق. والواقع أن كثيرًا من النساء يرحبن بعلاج الوخز بالإبر لأنهن ينفرن من استعمال الأدوية في أثناء مدة الحمل.

يعود تاريخ الوخز بالإبر في علاج الأمراض إلى نحو أربعة آلاف سنة، وهو يستند إلى أن تحفيز بعض النقاط على سطح الجسم له أثره في الأعضاءالموازية.

ويُعتقد أن هذا الأسلوب يعمل على تحرير المواد الكيماوية في الدماغ، وكذلك البتيدات العصبية والإنيفالين، والسبروتونين، وهو ما يُحدث أثرًا مهدئًا.

قامت زيتا وفريقها بمعالجة ما يزيد على ثلاثة آلاف امرأة بالوخز بالإبر، وتود زيتا أن تجري تقويمًا كاملاً لمنافع هذا الأسلوب بغرض تعميمه، وفي الوقت نفسه هناك عدد من الدراسات التي تشهد بفعالية هذا الأسلوب، فعلى سبيل المثال يُستخدم لمنع الولادات المتعسرة التي ينقلب فيها وضع الجنين، وبذلك يعمل على التقليل من الاضطرار لإجراء العمليات القيصرية. أما مسألة تخفيف آلام المخاض فيبقى الحديث حولها مفتوحًا، ولكن يبدو أن استخدام الإبر يحدث نوعًا من الاسترخاء مما يهدئ من توتر العضلات.

ما يبدو أنه آمن قد يكون مكمن الخطر

توفي صبي متأثرًا بجراحه حين فقد توازنه وسقط في جلاية أطباق مفتوحة، فاخترقت صدره إحدى سكاكينها قاطعة أحد الشرايين؛ مما جعله ينزف حتى الموت على الرغم من الجهود المحمومة التي بذلها المساعدون الطبيون لإنقاذ حياته.

وذكرت صحيفة «الديلي ميل» التي أوردت النبأ أن الجمعية الملكية لمنع الحوادث أعلنت أنها لم تسمع من قبل عن أحد مات بهذه الطريقة.

كان الصبي مارك روكنغهام يقضي عيد الفصح مع والديه ديفيد وباربرا وشقيقه الأكبر لي في منزلهم المؤلف من طابق واحد في كترنغ في نورثامبتونشير عندما وقع الحادث.

ويُعتقد أن والديه قد سمعا صراخه فاندفعا إلى المطبخ ليجداه مستلقيًا على غسالة الأطباق.

قال ريتشارد تايبينهام الناطق باسم الجمعية الملكية لمنع الحوادث: إن هذه المأساة تلقي الأضواء على المخاطر في جميع المطابخ. وأضاف: إنه من الحكمة إبعاد الأطفال عند تعبئة جلايات الصحون أو تفريغها وإبقائها مغلقة كلما أمكن ذلك.

ويعتقد تايبينهام أنه يُستحسن أن تُوضع السكاكين بشكل مستو (أفقي) في جلايات الأطباق، بيد أن صانعي الجلايات لا يوصون بذلك. ومن بعض أسبابهم لذلك تجنب إمكان تلف الرؤوس الحادة للسكاكين في الجلايات، هذا بالإضافة إلى تأمين فعالية التنظيف.

يقول المستر تايبينهام: إن هذه حالة نادرة، ولكنها تخدمنا بوصفها صيحة تحذير أخرى عن مدى خطورة المنزل، إننا مهتمون جدًا بسماع رأي المحقق الجنائي في ذلك، وهذا يوضح أن ما يبدو أنه آمن قد يكون خطرًا جدًا، وكقانون عام فإننا ننصح الناس أن يبقوا دائمًا الأدراج والدواليب في المطابخ مغلقة بسبب إمكان سقوط الناس عليها أو الارتطام بها. وبشكل عام، فإننا ننصح الوالدين أن يبقوا الأطفال الصغار بعيدين من الآلات التي قد تكون خطيرة. فالأطفال لا يُقَدِّرون الأخطار المحتملة. وهذه بالتأكيد حادثة مأساوية.

العلم يواجه الشيخوخة

أحمد شاكر عضيمة

يهتم مشروع كرونوس الفرنسي بدراسة العوامل التي من شأنها زيادة متوسط العمر بمعالجة مسببات الشيخوخة. ولقد أخذت الدراسات المتعلقة بأسباب الشيخوخة وأساليب معالجتها طريقها إلى التطور - مؤخراً - بما ينبىء بإمكان التوصل إلى حلم العيش في مراحل العمر المتقدمة مع الاحتفاظ بمظاهر الشباب.

تجعد الوجه والشيب وتقوس الظهر من العلامات المميزة للشيخوخة

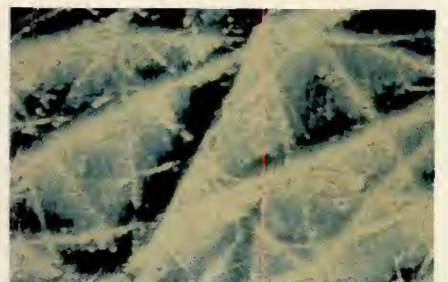
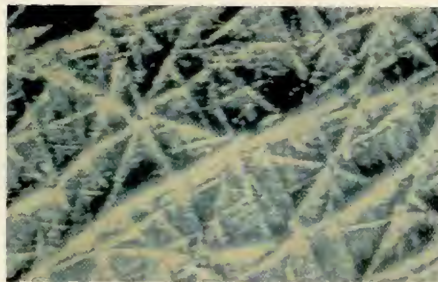
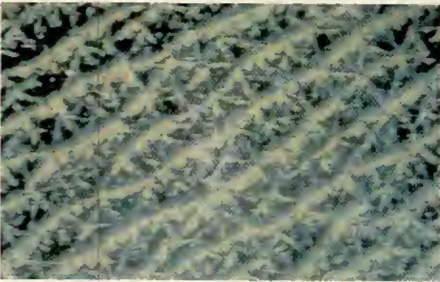


وتركز البحوث الراهنة في هذا الصدد على دراسة أعراض الشيخوخة على مجموعة من المسنين الذين تجاوزوا سن السبعين، وذلك في إطار البحث عن مسببات الأمراض الكثيرة التي تظهر في هذه المراحل المتقدمة؛ كالسكري والسرطان والأمراض الوعائية والقلبية ومياه العين الزرقاء والصمم وفقدان الأسنان. كما يصبح الجسم في هذه السن عرضة لهجوم الجراثيم نظرًا للضعف الحاصل في جهاز المناعة. ولقد للتحقق. على أن الأمر هنا - كما يقول الباحثون - أشبه بتجديد محرك الحياة بعد أن يكون قد ناله الكثير من العطب.

ويقتضي تفهم المظاهر (الفسيولوجية) للشيخوخة وأسبابها على نحو مبسط الولوج إلى داخل الخلايا البشرية والتجول في أعماق الذرات والجزيئات المؤلفة لها. ففي عقد الستينيات، أثبت الباحث الأمريكي ليونارد هاي فليك أن الأنسجة الرئوية تنقسم ستين مرة في المتوسط العمر، كما تستمر في الحياة على الرغم من توقفها عن الانقسام. ويبدو أن هذا السلوك الخلوي النادر يتعارض مع قاعدة هاي فليك. ومهما يكن من أمر فإن السؤال الذي يبقى مطروحًا: لماذا تشيخ الخلايا؟

هناك نظريتان للإجابة عن هذا السؤال. وضع أولاهما العالم الأمريكي لينرلي أورغل، وتفترض أن آلية عمل الخلية يصيبها شيء من الخلل مع مرور الزمن، وينجم عن ذلك حدوث أخطاء في تركيب للخلية تكون مصحوبة بتغيرات مهمة في الوظيفة البروتينية. إلا أن الخلل يمكن تحاشيه من طريق حث الخلية على تنشيط أجهزة الترميم الذاتي التي توجد فيها عادة.

وتتفق النظريتان على أن تراكم الأخطاء في تركيب البروتين الخلوي يؤدي إلى اختلالات وظيفية (فسيولوجية) هدامة. ومثالُ ذلك، ما يحدث في خلايا (الميتوكوندريا)، حيث يتم حرق الدهون والأغذية بوساطة الأوكسيجين لتوليد الطاقة

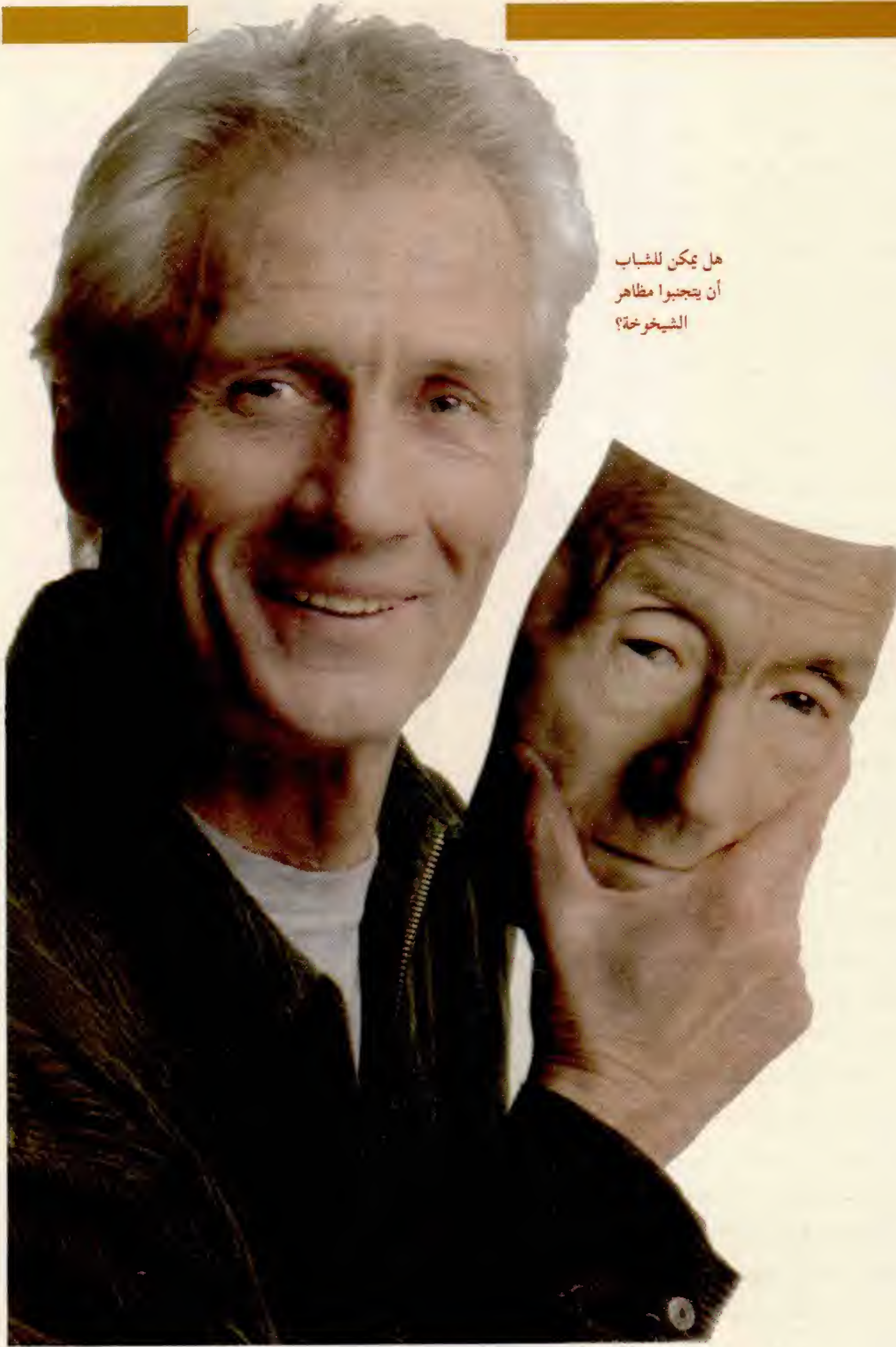
مظاهر الشيخوخة تبدو بوضوح على سطح الجلد: إلى اليسار صورة مجهرية لسطح جلد طفل عمره ستة أشهر، وفي الوسط صورة لجلد شاب عمره 30 سنة، والصورة الأخيرة لجلد رجل مسن عمره 90 سنة.

لوحظ قبل زمن بعيد أن تقدم السن يترافق مع تنامي العوامل التي تؤدي إلى تدمير الأعضاء وظهور بعض العلامات المميزة لهذه المرحلة؛ كتجاعيد الوجه والبقع السمراء على الأيدي وارتخاء بعض العضلات والشيب وتقوس العمود الفقري. وإذا أمكن التوصل إلى السيطرة على الأسباب المؤدية إلى هذه الأعراض، فإن الأمل في ارتفاع متوسط عمر الإنسان إلى ما بين 75- 90 سنة سوف يصبح قابلاً خلال سنوات العمر؛ مما يدفع إلى الاعتقاد بأن للخلايا ساعات حيوية (بيولوجية) مبرمجة تحكم عملية الانقسام لمدة محدودة تتوقف بعدها عن الانقسام وتموت. ومن جهة أخرى، أثبت العلماء: دانيال كوهين وفرانسوا شيختر ولورانس فور، من مركز دراسات الأنسجة البشرية CEPH في فرنسا بأن بعض الخلايا اللمفاوية المنتزعة من مسنين بلغوا المئة عام تنقسم نحو مئة مرة خلال سنوات البروتينات فتفقد الخلية بذلك القدرة على القيام بوظائفها على النحو الطبيعي. وفيما يتعلق بهذه المشكلة، فإن العلماء يعترفون الآن بعجزهم التام عن معالجتها. وتقوم النظرية الثانية التي وضعها الأسترالي ماك فرلان بورنيت، أحد أساطين علم المناعة الحديث، على افتراض أن اختلالات متوالية تصيب الحمض النووي DNA مع التقدم في السن تنتج منها تعديلات على السيرة الوراثية اللازمة للحياة. وينجم عن هذا الاحتراق مخلفات تدعى الرواسب الحرة Radicaux li-bres. وقد سميت هكذا لأنها تتضمن مدارًا سطحيًا يحتوي على إلكترون حر يزيد من فاعليتها ونشاطها الكهربي. ومع تقدم السن يتزايد إنتاج هذه الرواسب مسببًا تراكم الأضرار التي تصيب الأغشية الخلوية والحمض النووي ذاته. وباستخدام المجهر الإلكتروني، تبدو الخلية الشابة على خلاف ما تبدو عليه الخلية الهرمة من

حيث إن ألياف الحمض النووي في الخلية الهرمة تكون أقصر، كما تكون المسافة بين هذه الألياف أكثر تباعداً ولا تبقى ملتصقة بالغشاء الخلوي.

ولقد لاحظ لادسيلاس روبرت أن تشوهات معينة تصيب جزيئات الحمض النووي اللولبية مع تقدم السن والإغراق في الشيخوخة، كما تتعرض عملية الانقسام الخلوي للاضطرابات بحيث تفقد انتظامها وتناغمها العادي. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الجينات لا تنقسم قسمين متساويين مما تكون نتيجته اضطراب البرنامج الوظيفي للخلية برمته.

ومن الجدير بالذكر أن تلف جزيئات الحمض النووي ذو تأثير عميق في جهاز المناعة. فمن المعروف أن المضادات الجسيمية Anticorps هي بروتينات تتوالد بوساطة جزيئات الحمض النووي لبعض الخلايا الدموية التي تدعى الكريات اللمفاوية من الفئة (ب). وعندما تكون هذه الجزيئات بحالة جيدة تكون المولدات عالية المرونة، بحيث يمكنها تنظيم الدفاع عن الجسم ضد البكتريا والفيروسات بشكل فعال. أما عندما تتوالد هذه الجزيئات على نحو غير سليم في جسم إنسان هرم فإنها تشكل مولدات ضعيفة الفعالية وقليلة المرونة؛ مما يفتح الباب أمام الأمراض الالتهابية



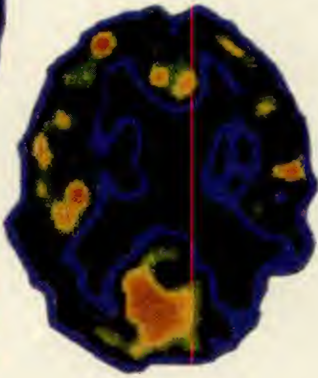
هل يمكن للشباب أن يتجنبوا مظاهر الشيخوخة؟

وباقي الأمراض الناتجة من نقص المناعة.

كما أن الشيخوخة لابد أن تعم آثارها أعضاء الجسم برمته بحيث لا ينجو منها أي عضو أو جهاز. ولقد وجد أن الجهاز العصبي للإنسان يتضمن 10 مليارات عصبون Neurone عند الولادة، ولا يتبقى منها إلا ملياران أو ثلاثة مليارات عصبون عند الإغراق في الشيخوخة. وعلى هذا يمكن القول إن الدماغ والجهاز العصبي من أكثر أعضاء الجسم تأثراً بالشيخوخة.



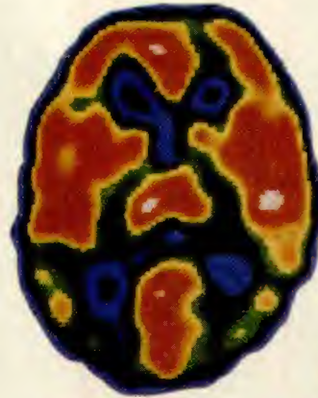
ومن الدراسات الجادة المتعلقة بالتصدي لأعراض الشيخوخة تلك التي قادها البروفيسور إيتيان إميل بوليو، مدير قسم البحوث في الجمعية الوطنية الفرنسية للصحة والبحث الطبي INSERM في باريس، حيث تمكن من اكتشاف مركب دوائي أطلق عليه اسم «مضاد الشيخوخة» هو: بلا ماء ايبياندروستيرون Dehydroepiandrosterone الذي تفرزه عادة الغدة الكظرية



التي تتوضع فوق الكليتين. ومن المعلوم أن هذا المركب يبدأ في الظهور في جسم الإنسان في سن السابعة، ويستمر تركيزه في التزايد حتى الخامسة والعشرين، ثم يبدأ بعد ذلك بالتناقص التدريجي حتى يصل إلى 10 بالمئة من تركيزه الأعلى عند بلوغ السبعين. واستنادًا إلى هذه المعلومات عَدَّ بوليو تركيز هذا المركب في الجسم دليلاً على مراحل العمر. وإذا أمكن عزله أو تركيبه لحقنه في الجسم، فقد يكون دواء شافيًا للعديد من أعراض الشيخوخة.

والسؤال الذي يبقى مطروحًا أمام العلماء: ما دور هذا المركب في التأثير العضوي (الفسيولوجي) في الجسم؟ وهل يعد تغير تركيزه في واقع الأمر سببًا للشيخوخة أم نتيجة لها؟

يقول العلماء إنهم لن يحصلوا على الإجابات الشافية



صورتان للمقابلة: يبدو إلى اليسار دماغ فتي، ويلاحظ كيف يحدث الإرواء الجيد للخلايا الدماغية بالدم، وفي الصورة الأخرى تبدو ظاهرة نقص التروية الدموية لدماغ شخص مسن مصاب بمرض الخرف الشيخوخي

لهذه الأسئلة إلا بعد مرور نحو ثلاث أو أربع سنوات، حين ستبدأ نتائج الدراسات التي أجروها على 600 شخص ممن تجاوزوا الخامسة والستين بالظهور، والتي ترمي إلى تحديد طبيعة العلاقة بين تركيز المركب في أجسامهم والوضع الصحي والعقلي لهم.

وأما مرض الخرف الشيخوخي أو (الألزايمر) فهو كثير الشيوع بين المسنين، ولعله المقصود عند العرب بأرذل العمر، وينتج من الانحطاط التدريجي والبطيء للدماغ مع الإغراق في الشيخوخة بسبب تناقص عدد العصبونات. ومن أعراض المرض فقدان الذاكرة وفقد القدرة على تحريك الأعضاء الإرادية وفق التناسق الطبيعي المألوف عند الشباب. على أن ذلك لا يعني انتفاء ملكة التأليف والإبداع تمامًا في مثل هذه الأحوال. والشرط الأساسي للاحتفاظ بهذه الملكة عند عتاة المسنين هو التنشيط المستمر للدماغ من طريق القراءة واسترجاع الذكريات، والخوض في الأحاديث الدقيقة التي تحتاج إلى زاد معرفي غزير، والإكثار من زيارة الأماكن والمدن. ويمكن أن تعزى ظاهرة تقدم العمر دون الإصابة بمرض الخرف الشيخوخي إلى التعويض عن فقد العصبونات بخلق دارات جديدة للاتصال بين العصبونات المتبقية. ولقد أجرى الدكتور كارمن ريتشي، طبيب الأمراض العصبية في فرع الجمعية الوطنية الفرنسية للصحة والبحث الطبي في مدينة مونبلييه جنوب غربي فرنسا، دراسة إحصائية تبين من خلالها أن 9 من كل ألف من الفرنسيين الذين تجاوزوا 62 عامًا من العمر قد بدت عليهم الأعراض الكاملة للشيخوخة، وأن 36,7 بالمائة من الشيوخ الذين تجاوزوا 96 عامًا من العمر والذين بلغ عددهم 15226 شخصًا أصيبوا بالخرف الشيخوخي.

وأعلن في بريطانيا ـ مؤخرًا ـ عن توصل علماء الطب إلى تركيب عقار جديد لعلاج مرض الخرف الشيخوخي ما يزال قيد التجريب بانتظار موافقة الحكومة على طرحه في الأسواق. ويعرف هذا العقار الآن باسم تتراهيدرو أمينو أكريدين Tetrahydro ami-no acridine ويختصر اسمه الطبي إلى «تاكرين»، ويقوم بإيقاف تلف الخلايا الدماغية العصبية، ويصلح بعض الوظائف الدماغية المتعطلة عند المسنين. ومن مساوئ هذا العقار تأثيراته الجانبية القوية في الكبد.

وعمد باحثون من جامعة كامبريدج في ولاية ماساشوسيتس الأمريكية ـ مؤخرًا ـ إلى تجربة جديدة في طريق العثور على وقف تلف العصبونات عند المسنين، وذلك بحقن الدماغ بعامل مغذّ ومنمّ للأعصاب يدعى NGF، إلا أن نتائج هذه الطريقة لم تتضح بعد على الرغم من عكوف عدد كبير من الخبراء على دراستها.

وخلاصة الأمر أنه على التطور الهائل الذي تشهده علوم الطب الحديث، وعلى تطور الأجهزة والأدوات الطبية، إلا أن العلم وقف عاجزًا أمام إيجاد العلاج الناجع للكثير من الظواهر المرضية كالسرطان والإيدز. فهل سينجح في تحدي الشيخوخة بإيجاد العقاقير التي تؤدي إلى مجرد التخفيف من أضرارها.

لغة التوراة ؟!



د. حسن ظاظا

لـو طرحنا هذا السؤال على أي إنسان له أدنى حظ من الثقافة، مسلمًا كان أم يهوديًا أم نصرانيًا، بل علمانيًا له حظ، ولو قليل، من العلم بالأديان واللغات لأجابنا دون تردد بأن «العبرية هي لغة التوراة»، ثم إذا علمنا أن الله سبحانه وتعالى - باتفاق الكتب السماوية المقدسة - قد كلّم موسى تكليما، برز إلينا سؤال مهم: بأية لغة كان ذلك الحوار المعجز؟ ويؤكد اليهود أن هذه المحادثة كانت بالعبرية، وسرى هذا التأكيد إلى عامة النصارى والمسلمين، وانتقل عبر تاريخهم جيلاً بعد جيل، إلى يومنا هذا. وانتهز اليهود هذه الفرصة فزعموا أن العبرية هي لغة الله تعالى، ولغة الملائكة، ولغة أهل الجنة، بعد أن دخلت الجنة وجهنم في عقائدهم من أمم أخرى كالنصارى والمسلمين وغيرهم، على حين أنها لم يرد لها أي ذكر في أسفار التوراة العبرية الخمسة في توراة موسى التي بين أيدي اليهود والنصارى، باللغة العبرية أو بأي من اللغات التي تُرجمت إليها تلك النصوص وهي كثيرة جدًا. وتكتفي هذه التوراة بأن تذكر أن موسى تسلم التوراة من ربه سبحانه وتعالى مكتوبة «بأصبع الله» - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا -، في نهاية الأربعين ليلة التي خلا فيها موسى إلى الله تعالى، على الجبل، في حين كان بنو إسرائيل يصنعون لهم صنمًا من ذهب على هيئة عجل له خوار! بأية لغة كانت هذه الألواح مسطورة؟ ويقول اليهود والنصارى إنها كانت بالعبرية! وإذا كان ذلك كذلك فهل كانت معرفة موسى بالعبرية كافية ليكلّم قومه بالعبرية، ويبين لهم؟ وإذن فلماذا طلب من ربه أن يرسل معه أخاه هارون لأنه أقدر على الإبانة من موسى؟ ولماذا كان من الضروري للدعوة الموسوية من رسول، ووزير من أهله أفصح منه لسانًا؟ مسألة ساخنة - على بساطتها - فكّر فيها كثير من الباحثين الغربيين، من اليهود والنصارى، ولم يجرؤوا على حسمها بأي جواب، وروّج غيرهم إلى قصة تقول إن موسى - وهو طفل رضيع - أغضب فرعون، فهمّ بقتله، فشفعت له زوجة فرعون، وقالت لفرعون إنه طفل صغير لا يفرّق بين التمرة والجمرة، وبالفعل قُدّمت إليه تمرة وجمرة فأسرع وتناول الجمرة ووضعها في فمه! وهكذا احترق لسانه وبقيت فيه هذه العاهة!

اضطراب الباحثين في لغة التوراة

لكن إذا تذكرنا أنه وهو يافع مراهق ضرب مصريًا فقتله، وهرب من مصر إلى سيناء، ومنها إلى أرض مدين بشمال الحجاز، ووجد ابنتيْ نبيّ الله العربي شعيب فساعدهما على سقي القطيع الذي معهما، وذهبتا به إلى أبيهما عليه السلام فاقترحتا عليه أن يستخدم هذا الشاب «القوي الأمين» راعيًا عنده، فاستبقاه ثم زوّجه إحدى ابنتيه. والقصة متفقة في القرآن الكريم والتوراة بفارق بسيط هو أن هذا الرجل العربي يوصف في التوراة بلقب «كاهن مدين»، وذلك ممكن وكثير في الاستعمال اللغوي عند الساميين القدماء، إذ كان النبي هو الذي ينبئ بالغيب عن الله تعالى، والكاهن هو الذي يقف بين يدي الله يلتمس منه علامة تعينه على الاختيار بين أمرين في موضوع مشكل. وقد بيّنتُ ذلك في بحث بعنوان «حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل» من إعداد العالم الإسرائيلي م. ص. سيجال وقد ترجمته إلى العربية، وعلقت عليه تعليقات طويلة (أطول من البحث نفسه) لتخريج كل ما أشار إليه من نصوص باختصار شديد، فترجمتها أيضًا من الأصول العبرية والآرامية التي لم يشر إليها اعتمادًا على مقدرة علماء اليهود على إدراكها في مظانّها، فحرصت على أن أزوّد القارئ العربي بها، ووضعتها في أسفل الصفحات منفصلة عن نص البحث، وقدمت نسخة من هذه الترجمة إلى ولده البروفيسور «سيجال» أستاذ اللغات السامية بمدرسة اللغات الشرقية والآسيوية في لندن، فأبدى لي إعجابه - كتابةً - بهذا العمل.

وكاهن مدين تسميه التوراة اليهودية «يثرو» بدلاً من «شعيب» ولعلّها في لغة أهل مدين كانت تعني الثروة والجاه، والرجل عليه صلوات الله كان ثريًا، ولعل الاسم القديم للمدينة المنورة «يثرب» على صلة لغوية اشتقاقية باسم «يثرو» وأن من معانيه الغنى والسعة، ولا شك في أن شعيبًا كان رجلاً وجيهًا مسموع الكلمة، وكانت له قبيلة قوية تكوّن من حوله (شعبًا) يأتمر بأمره، فكان ذلك مسوّغًا في تسميته بالعربية «شعيب». وفي التوراة أن موسى عندما توجه إلى فرعون ترك زوجته وابنه «جيرشوم» عند شعيب، وأن هذا النبي العربي عندما خرج للقاء زوج ابنته، لاحظ أن جماعة «بني إسرائيل» الذين معه كانت بحاجة إلى تنظيم، وهو الذي أشار على موسى بأن يختار من عقلائهم سبعين رجلاً يقومون بعملية «تنظيم» لهذا المجتمع الكثيف الذي كان عدد أفراده من الرجال الصالحين للقتال فقط أكثر من ثمانمئة ألف! فنفذ موسى نصيحة حميه، ونصب عليهم سبعين رجلاً لم يكن بينهم - بكل أسف - رجل رشيد!

ويقول الباحث السويسري «شارل نافيل» طبقًا للتوراة إن موسى كان قد خرج من مصر وهو بين الخامسة عشرة والعشرين من عمره، وأُمر بالتوجه إلى فرعون وهو في الثمانين، وأخوه هارون أكبر منه سنًا بثلاث سنين. فإذا كان موسى قد عاش بعيدًا من مصر أكثر من ستين سنة، عاشها في بلاد العرب، وصهرًا لنبي عربي، لا يستعمل إلا اللغة العربية، فليس عجيبًا أن ينسى القليل من العبرية - إن كان قد عرفها - وأن ينسى أيضًا اللغة المصرية الفرعونية، فهذه العقدة في لسانه لم تكن نتيجة جمرة، وإلا لكان قد تركها بمجرد لمسها بأصبعه. وإلا فكيف حملها حتى وضعها في فمه وعلى لسانه؟

أما شارل نافيل فخلص من بحثه إلى أن لغة التوراة «غير معروفة» ولكنها لم تكن عبرية! والحقيقة أنه في تلك الأزمان الموغلة في القدم كانت اللغة العربية مركزًا تفرّعت عنه بقية اللغات السامية، في العراق القديم (الأكادية، والبابلية، والأشورية، والكلدانية) واللغات السامية الشامية (الكنعانية، والفينيقية، والمؤابية الأردنية، والآرامية، والعبرية)، ثم اللغات السامية الجنوبية اليمنية (السبئية، والمعينية، والحميرية، والقتبانية، والحضرمية، والحبشية)، وفي وسط كل تلك اللغات واللهجات تقف «العربية المركزية» متوسطة في شبه الجزيرة، بفروعها مثل العربية المضرية بلهجتها القرشية التي اكتسبت في ما قبل الإسلام وضعًا ممتازًا لوجود الكعبة بها، والحج إليها، واستعمالها في الشعر والأمثال - لأنها أقدم وأشرف، ولأنها مفهومة من العرب كافة -، ولأن أهم الطرق التجارية تمرّ بها، من الهند وإيران والخليج والبحر الأحمر إلى الحبشة والسودان ومصر والشام والعراق وآسيا الصغرى - بلاد الروم قبل أن يقطنها الأتراك -. فكانت هذه اللغة العربية الفصحى من أوسع لغات العالم القديم وأقدرها على التعبير، وأشدها كذلك ازدحامًا بالكلمات الحضارية التي كانت تأتي من مواطنها

مع السفن والقوافل، مما جعل التمييز بين الفصيح الأصيل، والمعرب المستعار، والدخيل الأجنبي يمثل تراثًا ثمينًا في المعجم العربي لم يستطع أحد أن يردّه إلى أصوله منذ الخليل بن أحمد إلى الجوهري والجواليقي والثعالبي، إلى الخفاجي والمحبي، إلى لجان التعريب في المعاهد والمجامع اللغوية في العالم العربي، والعالم الإسلامي، وما في بقية أمم العالم الكبير من معاهد للتعريب والاستشراق، وما تزال هذه الفجوة رهيبة الاتساع لا تجد من يسدّها حفاظًا على سلامة هذه اللغة القويمة العظيمة.

في هذا الخضم الزاخر من اللغات واللهجات تبدو العبرية أسيرة في (حارة اليهود)! ذلك أن العبرية على الرغم مما يدعيه اليهود زورًا من أن الله خلقها مع خلق السماوات والأرض لا تعدو أن تكون لهجة كنعانية شديدة الشبه بأصلها الكنعاني. لكن القدماء ـ في جميع الشعوب ـ إذا غيّروا الدين، وأصبحت لهم شريعة أخرى غير شريعة أسلافهم، غيروا اسم اللغة مع تغيير الدين: المصرية الفرعونية بعد دخول النصرانية إلى مصر صارت تسمى القبطية، والآرامية الوثنية عندما اعتنق أهلها النصرانية سموها السريانية، وهي لا تكاد تختلف عن الآرامية. والكنعانية والفينيقية كانتا من لغات الكفار، وبعد أن عمّت وحدانية موسى بني إسرائيل سموا لغة الناموس الموسوي العبرية تمييزًا لها ـ بالوحدانية والوحي الربّاني ـ عن الشرك الكنعاني أو الفينيقي أو المؤابي.

أخلاط من أمم شتى!

أما الذين خرجوا من مصر مع موسى فلم يكونوا من أرومة واحدة بل كانوا أخلاطًا من الناس، بعضهم آمن بموسى ـ أو تظاهر بالإيمان ـ ليتحرر من عبودية فرعون. فكان فيهم أسرى من الكنعانيين، والسينائيين، والعرب، والآراميين، والحثيين (من آسيا الصغرى)، والعراقيين (من أكاد وبابل وأشور) ومن لصوص البحر المتوسط، أو البحر الأحمر، ومن بدو الصحراء الأفريقية الكبرى، ومن السودان والحبشة، وبعض المفاليك من المصريين الذين لا يملكون في مصر شيئًا، كل أولئك ـ وغيرهم كثير ـ خرجوا مع موسى للنجاة من الأسر، لأن بلادهم عجزت عن أن تدفع عنهم أية فدية، والمصريون الذين كانوا في جماهير الخارجين مع موسى كان فيهم اللصوص وقطاع الطرق ومحترفو تجارة المومسات، والتوراة تذكر أن موسى أقام حدّ القتل على واحد من هذا النوع هو وامرأة إسرائيلية. فهذا المجتمع الذي خرج مع موسى لم يكن يتكلم العبرية ولا المصرية القديمة إلا قليلاً.

مشكلة بغير حل!

وهكذا تبقى مشكلة «لغة التوراة» بلا حلّ إلى الآن، على الرغم مما يدّعيه شيوخ اليهود من أنها «اللسان المقدّس» وأنها لغة الرّب والملائكة. ومع احترامنا لهذه الطمأنينة الروحية العميقة الموروثة عن الأسلاف، فإن ذلك لا ينفي وجود رجلين في الدعوة التوراتية، أولهما، وأهمهما، موسى عليه السلام، والثاني أخوه هارون. أولهما رسول في لسانه وتعبيره صعوبات سببها قضاء الجزء الأكبر من حياته ـ أكثر من ستين عامًا ـ بعيدًا من مصر ومن بني إسرائيل، ومندمجًا في مجتمع عربي صميم يؤويه ويرعاه ويصاهره، بحيث كانت البقايا التي علقت بذاكرته من اللغة المصرية القديمة لا تكفي لإبلاغ أوامر الله تعالى إلى فرعون، أما معرفته باللغة العبرية فمما لا شك فيه أنها أضعف بكثير، لأنه انتُشل من النهر وهو طفل حديث الولادة، وتربى في بيت يعادي بني إسرائيل ويقتلهم، ولا يستعمل أحد منهم كلمة عبرية في قصر هذا العاهل الجبار، وهكذا أسعفه الله بأخيه الأكبر هارون، الذي لم يغادر مصر ولم ينشأ في قصر فرعون، فعرف اللغة السامية (الكنعانية) لغة بني إسرائيل، كما عرف المصرية القديمة بإحدى لهجاتها المحلية في دلتا نهر النيل. ويبدو هذا الأمر مطّردًا في حالات كثيرة مماثلة، منها أن عالمًا تركيًا هو الصديق الأستاذ إبراهيم صبري ابن شيخ الإسلام في الدولة العثمانية سماحة الشيخ مصطفى صبري، جاء مصر مع أبيه لاجئًا من تعسف مصطفى كمال «أتاتُرك» ضد كل من خدم الإسلام في عهد الخلافة العثمانية، وكان الأستاذ إبراهيم صبري ـ الابن ـ قريبًا من الثلاثين من عمره، وكان يعمل ضابطًا مترجمًا في الجيش العثماني لإتقانه العربية والفارسية والإنجليزية والفرنسية والروسية وغيرها من لغات المنطقة، وعمل معي أستاذًا للغة التركية في جامعة الإسكندرية حيث كنت أعمل أستاذًا للغة العبرية. وأخبرني أكثر من مرة بأن مصطفى كمال بعد أن غيّر الكتابة التركية من الأبجدية العربية إلى الحروف اللاتينية، وكون أكاديمية هدفها (تطهير) اللغة التركية من الألفاظ العربية والإسلامية، وصياغة كلمات بديلة من أصول مغولية، أو خربوطلية، أو تركمانية، أصبح هذا الرجل العالم المثقف التركي الأصيل العريق، لا يكاد يفهم نشرة الأخبار من إذاعة أنقرة ويجد صعوبة في قراءة الصحف التركية، لأن اللغة التركية تغيرت في الثلاثين عامًا التي مضت بين عام 1920م وعام 1950م على إثر خروجه من تركيا مع والده، وولاية أتاترك.

وقد مررتُ بنفسي بتجربة مريرة من هذا القبيل، عندما ذهبت إلى فلسطين مبتعثًا لدراسة اللغة العبرية والعلوم اليهودية منذ أكثر من خمسين عامًا، في الجامعة العبرية بالقدس. كانت الحرب العالمية الثانية تشمل العالم كلّه، مما أوجب ابتعاثي إلى فلسطين. وكانت الجامعة العبرية ـ وهي صهيونية حتى نخاع العظام ـ تتحلّى بكثير من الدماثة والرقة والتواضع، مع أنها كانت تزخر بكبار الأساتذة العالميين اليهود الذين لجؤوا إلى هذه الأرض الطيبة فزعًا من الدمار الهتلري الذي شمل أوربا كلها، وقد جاء كثير منهم تطوعًا لا يسأل على علمه أجرًا. وكان مدير الجامعة ـ الدكتور ماغنيس ـ مليونيرًا أمريكيًا، إذا وجد في ميزانية الجامعة نقصًا دفعه من ماله الخاص، وكان يرأس تنظيمًا سياسيًا أساسه المعايشة الأخوية مع العرب، وتجنب أي صراع معهم، والعمل على رفع مستواهم المادي والفكري، وكان اسم هذا التنظيم «عهد السلام» يعاونه فيه أقطاب من العلماء والمفكرين اليهود في مقدمتهم البروفيسور «هوغو بيرغمان» الذي تولى طوال حياته رئاسة قسم الدراسات الفلسفية بتلك الجامعة، وعمادة كلية الآداب بها، وله مؤلفات وبحوث قيمة في الفلسفة والسياسة والاجتماع، ولم يظهر الإرهاب الصهيوني في فلسطين إلا بوصول مناحم بيغين من بولندا، ومردخاي شتيرن وغيرهما من شياطين الرعب في عصابة كانوا يسمونها «الإرغون» وهي التي لمّت شعث الإرهابيين من مغامري الصهيونية، وتلاميذ معسكرات النازي الألمان في أوربا الهتلرية؛ ووضعت نواة مشروع لإجلاء كل من ليس يهوديًا من فلسطين، أو القضاء عليهم بالقتل، وما تزال هذه الأساليب تمارس إلى الآن على أوسع نطاق، وعلى أنجع ـ وأخبث ـ استعداد إلى الآن. كل هذا الاستطراد أعتذر منه لقرّائي الكرام، وأقول إنني في أثناء رحلاتي الكثيرة إلى الغرب أستمع إلى تسجيلات صوتية غنائية إسرائيلية، أو إلى ندوات صهيونية مذاعة بالراديو، وأقرأ جرائد إسرائيل كلما وجدتها في الأسواق، فلا أفهم كثيرًا مما أسمع أو أقرأ لأن الألسنة تبلبلت، ولأن «المجمع اللغوي الإسرائيلي» حاول أن يسدّ حاجة اللغة من المفردات فراح يقيء ألفاظًا لا يمكن أن يفهمها موسى عليه السلام، ولا داود أو سليمان. ذلك لأن اللغة جسد يحتاج إلى روح حتى يكون مخلوقًا سويًا، والروح السائد في العبرية المستحدثة ثقيل كثيف مخيف، لا أثر فيه للكرم، ولا للارتباط بتراث الآباء، ولا لاستشراف آمال الأجيال المستقبلة من المتكلمين. وعندهم فِرَق من عباقرة الإعلام، يوهمون اليهودي الغارق في هموم الخوف من انهيار السلام، والذي يرى منذ قيام الدولة الصهيونية في قلب الشرق الأوسط أنه ـ عاجلاً أو آجلاً ـ مقدر لحساب عسير لا يقدر عليه، وأنه لا توجد واحدة من سوابقه يمكن أن تشفع له، بعد نصف قرن من الإرهاب العسكري والمدني، والتخريب. ودليل ذلك أن كثيرين من المهاجرين اليهود إلى فلسطين يرفضون تعلّم هذه اللغة اللقيطة، مع أن تعلمها مجاني هناك، ويفضلون استعمال اللغة اليهودية العامية «اليديش» فيما بينهم، وهي اللهجة الألمانية لحارات اليهود «الجيتو» منذ العصور الوسطى. والحق أن آداب اليهود بهذه اللغة أكثر عمقًا وصدقًا وتلقائية، وأخف ظلاً، وأكثر سلاسة ووضوحًا من اللغة الصهيونية التي أصبحت اللغة القومية الرسمية لما يسمى «الدولة العبرية». والذاهب إلى إسرائيل يدهش لعدد الصحف والمجلات التي ما زالت تصدر بلغة اليديش، وستزداد دهشته عندما يطّلع على عدد المشتركين في هذه الصحف والمجلات في المواطن التي

في تلك الأزمان الموغلة في القدم كانت العربية مركزًا تفرعت عنه بقية اللغات السامية، وقد أعلن باحث غربي أن لغة التوراة «غير معروفة»، ولكنها لم تكن العبرية!

يسكنها يهود في أنحاء العالم كافة. وقد حاولت إسرائيل بجميع الوسائل أن تقتل لغة اليديش لكن دون جدوى، ويكفي المشاهد دليلاً لذلك إخفاق المراكز الثقافية الملحقة بالسفارات الصهيونية في العالم التي تنظم دروساً مجانية في اللغة العبرية ليرى قلة عدد روّاد هذه الدروس، وهم يرتادونها إذا كان عليهم أداء اختبار أو مسابقة في اللغة العبرية، أو إذا رشّح أحدهم نفسه لوظيفة مترجم أو كاتب على الآلة العبرية أو مندوب شركة سياحية لنقل السائحين إلى إسرائيل.

التوراة التي بين أيدي اليهود ليست توراة موسى!

وخلاصة ما قلناه إلى الآن هو أن موسى لم يكن - على الأرجح - من الناطقين بالعبرية، بل يرجح عندي أنه بعد ثمانين عاماً قضى أكثر من أربعة أخماسها في بيئة عربية حجازية صميمة، ثم أربعين عاماً من رحلة الخروج يشق أراضي تتكلم بلهجات قريبة جداً من العربية مثل السينائية والمؤابية والنبطية؛ مما يجعل من المحتمل أن يكون ماسمعه من كلام ربه وما أجاب به كان بالعربية الفصحى، وأن دور هارون معه كان الترجمة أمام فرعون وأمام بني إسرائيل. وأن هذه التوراة التي أنزلت على موسى غير الكتاب الذي ينسبه اليهود - والنصارى تبعاً لهم - إلى الله سبحانه وتعالى. وذلك لأسباب أهمها:

1- أن نص هذه التوراة الحالية، بعد أجيال طويلة من البحث الدقيق، لا يرجع إلا إلى القرن الخامس قبل المسيح، أي بعد موسى بألف سنة. وكان الإمبراطور الإيراني «قورش» قد سمح للأسرى والمبعدين من ذويهم بالعودة من أرض بابل (العراق) بعد استيلائه عليها، فذهب نحميا إلى أورشليم (القدس) عاصمة داود وسليمان وسائر خلفائهما وورثتهما على مملكة يهوذا، فوجد الموضع الذي كان سليمان قد بنى فيه المعبد اليهودي المركزي (الهيكل) قد أصبح حطاماً هو وأسوار المدينة المقدسة، فشرع في تجديد ذلك وترميمه، وبناء هيكل كان اتساعه ضعف هيكل سليمان، كما ذكر المؤرخ اليهودي «يوسيفوس» في كتابه «ماضي اليهود» الذي كتبه في القرن الأول من ميلاد المسيح. أما نحميا وعزرا فإنهما كانا أقدم من يوسيفوس بخمسمئة سنة، وبعد أن تم بناء هيكل عزرا كان لا بد من نسخة من التوراة توضع في المحراب حتى تصبح الصلاة في المعبد «شرعية». فجمع عزرا الحفّاظ لإعداد هذه النسخة، وعند تمام كتابتها جمع عزرا الكهنة وأمر بقراءة كاملة للتوراة، كما طلب من الكهنة والأحبار أن يفسّروا للناس ما يسمعون، فاستغرقت القراءة والتفسير نصف نهار، أي من الفجر إلى الزوال. وتوراة عزرا هذه لم تصل إلينا، ولا بد أن يكون نصها أقصر بكثير من النص المعروف بين أيدينا، لأنه لو قرئ باللغة العبرية، ومن دون شرح ولا تفسير، لاستغرقت قراءته أياماً معدودات.

2- التوراة التي بين أيدينا الآن اهتم اليهود بالبحث

كثير من المهاجرين اليهود إلى فلسطين يرفضون تعلم اللغة العبرية، مع أن تعلمها مجاني هناك، ويفضلون استعمال اللغة اليهودية العامية «اليديش» فيما بينهم

فيها هم والنصارى، وألفوا في ذلك مئات بل آلاف الكتب، وأصبحت كتابة مقدمة لدراسة التوراة مشهورة لدى الباحثين باسم «علم المقدمة»، ويبدؤون عادة بالبحث في مصادر الرواية في التوراة، ومعنى ذلك أن النسخة الموجودة في أيدي اليهود والنصارى غير النسخة التي تسلمها موسى من ربه. والنص الموجود بين الأيدي الآن فيه عجائب وغرائب مثيرة للتساؤل:

أ- لم يرد فيه، لا تصريحاً ولا تلميحاً، أي ذكر للآخرة ولا للحساب بما فيه من ثواب وعقاب، ولا الجنة أو النار!

ب- كل الثواب والعقاب يقع على العباد في الدنيا، المرضيّ عنهم يعيشون في خصب ورفاهية والمغضوب عليهم يعيشون أشقياء تعساء فقراء!

ج- الطقوس الواجبة المفروضة هي قرابين للمعبد والقائمين به من رجال الدين، حتى الزيت للإضاءة، ووجبات الطعام تُحمل إليهم مطبوخة وساخنة من الأمة، وكذلك الحطب للتدفئة.

د- النذور تكون للمعبد بغرض تجميله وترميمه وتهيئة وسائل الراحة فيه، وتكون للكهنة بحيث لا تدخل نذور الهيكل ونذور الكهنة في ميزانية واحدة، وكان ذلك بأمر يوشياهو (أحد ملوك يهوذا من سلالة سليمان وداود، وكان من أكثرهم تديناً وورعاً، واهتماماً بالهيكل، وبعدم ترك الكهنة يستولون على جميع النذور، فالهيكل له صندوق، والكاهن يتسلم ممن نذر له شخصياً يداً بيد).

أربع مدارس مختلفة في كتاب واحد!

واستخلص المؤلفون في «علم المقدمة» أن التوراة التي وصلت إلينا بالعبرية تحتوي على أربع «مدارس» من الرواة المختلفين زماناً ومكاناً قبل أن يتم جمع هذا كله على يد عزرا (العُزير) - كما أسلفنا - وهذه المدارس من الرواة هي:

1- مدرسة من قدماء اليهود كانت تطلق على الله سبحانه وتعالى اسماً علماً تدعوه به هو «يهْوه» الذي تنوّع النطق به فصار «ياهُو» أو «يهُو» أو «يُو» أو «ياه» وهو المعبود «القومي» لكثير من القبائل السامية في وثنيتها وجاهليتها. ويرجع في التاريخ اليهودي إلى أيام داود وسليمان؛ أي إلى بداية الألف الأول قبل ميلاد المسيح. وكان هذا الرعيل من رواة التوراة من جنوب فلسطين حيث قامت مملكة يهوذا في الخليل أولاً (حبْرون) ثم في أورشليم (القدس). ويُعدّ هذا الاسم مميّزاً للمعبود السياسي والعنصري والوطني لليهود، وهم الآن إذا رأوه مكتوباً في كتبهم المقدسة لا ينطقون بحروفه، بل ينطقون بدلاً منه بلفظة «أدُوناي» أي «سيّدي» أو بلفظة «هسّيم» أي «الاسم» ويعنون به «الاسم الأعظم». ويقال إنهم بعد تدمير هيكل سليمان بأمر بختنصّر البابلي، عزوا هزيمتهم الفادحة - والفاضحة - إلى غضب الله عليهم، فحرّموا أن ينادوه باسمه تأدّباً لله، وتوقيراً له، ومخافة منه. ويقولون إن من أهم «قرارات» المسيح المنتظر أن يبيح لهم دعاء يهوه باسمه من جديد. أما النطق بحروفه كما هي فيُعدّ الآن تدنيساً لاسم الرب!

2- مدرسة من الرواة كان اسم المعبود عندهم «إلُوهيم» والياء والميم في آخره علامة الجمع المذكّر السالم الذي يقابل الواو والنون في العربية، والمفرد في العبرية ينطق «إلُوهْ» وهو يدل على أي معبود كان. أما إلوهيم فهو من أسماء الله الواحد، ويزعم شيوخهم أنه جمع للتعظيم، وهو زعم باطل، لأن لفظة إلوهيم استُعملت - حتى في التوراة - بمعنى المخلوقات العلوية، والأشباح المخيفة، والجبابرة، إلى جانب المعبودات الوثنية. وظنّ كثير من الباحثين أن إلوهيم لعمومها، وشمولها للمعبود الشرعي وسائر المعبودات غير الشرعية هو اسم الإله الأقدم في هذه المنطقة، وأن يَهْوه كان الاسم الخاص الذي يؤمن به أتباع موسى. ومع اتصالنا بهذه البحوث في مظانها وبيناتها على مدى ستين عاماً لم نجد في هذه المسألة قولاً حاسماً نطمئنّ إليه. وهذا الاسم بصيغته كان علماً على المعبود الوطني في مملكة إسرائيل بشمال فلسطين، والنطق بحروفه جائز عند اليهود جميعاً حتى الآن، على أنه فقد الكثير من قدسيته عندما دعا به اليهود الشماليون في السامرة!

3- مصدر تثنية الشريعة، وهو لغة القوانين والأحكام المروية في سفر «التثنية» خامس أسفار التوراة وآخرها. ويقول عنه البريطاني «درايفر» إنه ملخص يجمع الأحكام الشرعية التي وردت متفرقة في الأسفار الأربعة الأولى، وكأنه دفتر مرتب لاستعمال القضاة في المحاكم والأئمة في المعابد عند الإفتاء، ويرجح أن هذا الكتاب هو المذكور في سيرة الملك يوشياهو - من ملوك يهوذا - عندما عثر عليه حلقياهو - الكاهن الأعظم في هيكل سليمان بأورشليم - في أثناء عملية تدعيم وترميم للهيكل. وبناء على ذلك عدّه الكهنة الرواة جزءاً لا يتجزأ من توراة موسى سنة 621 قبل ميلاد المسيح. واستدل الباحثون على وجوده بعد قيام مملكة داود وسليمان وأحفادهما، بأنه الوحيد في التوراة المنسوبة إلى موسى الذي يوصي اليهود بأن يختاروا عليهم «ملكاً»، إذ قبل أسرة ملوك يهوذا لم تكن في بني إسرائيل أية مملكة، ولا أي كيان سياسي جدير بهذا الاسم. فكان «الملك» صفة حكام الأمم الأخرى غير اليهود. ولم يرد ضرورة تتويج ملك لليهود قبل داود. ويمكننا أن نؤرخ لسفر التثنية بالتاريخ الذي ذكرناه، فيكون ظهوره متأخراً بالنسبة لبقية أسفار التوراة.

4- حواشي الكهنة، وهي نصوص من تأليف أئمة الدين اليهودي أقحموها في صميم نصوص التوراة، ويمكن تعرّف كثير منها لكونها آتية للشرح والإيضاح

والتفسير، مع بقاء فوارق في العبارة تدل على أن هذه الحاشية أو تلك «مضافة» وليست من زمن النص الأصلي. وإذا كان الراوية أو الكاهن القديم قد «أضاف» نصوصًا جديدة، فإنه أيضًا «حذف» نصوصًا أخرى خطرها على تماسك اليهود، أو لأنها بدت في رأيه هو منحولة أو مكذوبة على موسى، أو لأنها تضمنت أخبارًا تناقض أخبارًا أخرى جاءت في التوراة.

ضاعت التوراة وأصبحت نسيًا منسيًا!

ثم تعاقب الأنبياء بعد موسى في بني إسرائيل، بل وجد من أولئك الأنبياء أكثر من واحد في البلد الواحد أو الجيل الواحد. أما توراة موسى التي نسأل عنها في هذه الصفحات فإنها - حتى في وضعها عندما تداولها اليهود من قديم الزمان - كانت قد ضاعت، ونُسيَ ذكر موسى في الجيل الذي حكم فيه ملك يهوذا «يوشياهو». وفي عهده عثر الكاهن الأعظم حلقياهو على كتاب في أثناء ترميم الهيكل كما قلنا، «وأخبر شافان الكاتبُ الملكَ وقال: قد دفع إليّ حلقيا الكاهن كتابًا، وقرأه شافان أمام الملك، فلما سمع الملك كلام كتاب التوراة، مزّق ثيابه. وأمر الملك حلقيا الكاهن، وأحتعام بن شافان، وعكبور بن ميكا، وشافان الكاتب، وعسايا: عبد للملك، وقال: اذهبوا فتوسلوا إلى الربّ لي، وللشعب، ولكل يهوذا بمناسبة كلام هذا الكتاب الذي وُجِد» (سفر الملوك الثاني 22.8-12). وقراءة متأنية لهذا الفصل كله يتضح منها أن التوراة كانت قد «ضاعت» منذ أسلاف يوشياهو، وأصبحت نسيًا منسيًا.

وهذه التوراة التي ضاعت، أكانت توراة موسى حقًا وصدقًا؟ أو حتى ترجمة «عبرية» لها بعد الأسباب التي سقناها على أن موسى احتاج إلى مترجم ثقة ينقل عنه لفرعون رسالة الله باللغة المصرية القديمة، وأوامر الله في الحلال والحرام إلى كل هذا الخليط الهائل المتعدد الأجناس من الذين آمنوا به واتبعوه وخرجوا معه من مصر بعبارات مما يفهمون لعلها كانت بلهجة سامية وسطى يفهمها الجميع، أو أكثر الجميع. والواضح أن هذا التبليغ لم يكن بكلمات الوحي السماوي الربّاني، وكان يجيء بحسب الظروف، على مدى الأربعين سنة التي استغرقتها رحلة الخروج. والذين خرجوا مع سيدنا موسى عليه السلام، لم يكونوا بحاجة إلى توجيه عقدي فيما عدا الإقرار بوحدانية الله، وعبادته بالصلاة والصوم والقرابين المختلفة؛ أما تفصيل القول في الآخرة، والقيامة، والبعث والنشور، والحساب والميزان، والثواب والعقاب، ودار النعيم ودار العذاب، فإنه كان فوق مدارك هذه الأخلاط من الناس الذين كانوا تحت قيادة موسى وهارون وأختهما «مريم» - وهي غير السيدة مريم أم المسيح - وسط شعوب وقبائل لا تحبهم، ولا ترحّب بهم ولا تتعامل معهم إلا على أنهم غرباء؛ بدليل أن رحلتهم عبر سيناء إلى جنوب الأردن تغطي أربعين عامًا، وهي مسافة صغيرة لا تحتاج إلى أكثر من بضعة أسابيع على الأقدام أو على ظهور الدواب. وسيدنا إبراهيم - عليه

التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام هي غير التوراة الموجودة في أيدي اليهود الآن بالعبرية؛ لأن الأخيرة تحتوي على أربع مدارس من الرواة المختلفين زمانًا ومكانًا!

السلام - خرج من العراق إلى بادية الشام، ثم إلى فلسطين، ومصر، ثم عاد إلى فلسطين، وسافر منها إلى مكة المكرمة بعد زواجه من السيدة هاجر وإنجابه إسماعيل عليه السلام، ثم تركها هي وطفلها في مكة، وعاد إليها أكثر من مرة، إلى أن رأى ابنه إسماعيل شابًا يعينه في رفع القواعد من البيت، وهو بيت الله، الكعبة المشرفة. كل هذه الرحلات والأسفار التي تعادل رحلة بني إسرائيل مع موسى أضعافًا مضاعفة لم تستغرق رحلة منها أربعين عامًا. كان السبعون رجلاً الذين اختارهم موسى على علم بأحوال الآخرة، ولكن واجباتهم الإدارية والتنظيمية والعسكرية لهذا الجمهور الكبير الذي تسوده الشحناء والفتن والعصيان المتكرر جعلت إبلاغه أوامر الرب في الإيمان بالآخرة ضرورة غير ملحة في ظروفهم تلك، وربما كانوا يخشون أيضًا من حدوث ردّة نحو الكفر الفرعوني حيث تكثر فيه أوصاف الحياة بعدالموت. ومهما يكن من شيء فقد بقيت فرقة من اليهود بعد موسى بأكثر من ألف سنة - هي فرقة الصَّدُّقيين - ترفض الإيمان بالآخرة، ذكرها المسيح باسمها - وكانت قد بقيت منها بقية في الشام - وأمر أتباعه بمقاطعتها، لأنها لا تؤمن بالآخرة. وإن كان الإيمان بالآخرة قد صار ركنًا من أركان العقيدة اليهودية، بعد أن دعا إليه أنبياء متأخرون من اليهود، ووعظوا اليهود وحذّروهم من «يوم الربّ» وهو يوم عظيم مخيف. ثم توسع في ذلك مفسرو النصرانية فنصّوا على أنه يوم القيامة، ثم أعطى الإسلام للآخرة أهمية دينية محورية سارية في آيات القرآن الكريم، فأخذ بذلك علماء اليهود الذين عاشوا وألفوا في ظل الحضارة الإسلامية، مثل سعديا سعيد بن يوسف الفيومي في كتابه في العقائد اليهودية الذي كتبه في بغداد بالعربية منذ أكثر من ألف سنة، وعنوانه «الأمانات والاعتقادات»، ثم موسى بن ميمون الطبيب الأندلسي المهاجر إلى مصر منذ ما يقرب من تسعمئة سنة، الذي ألف كتاب «دلالة الحائرين» بالعربية أيضًا، وظهر الفقيه الأندلسي اليهودي «بَحْياي بن فاقودة» فألف كتابًا جميلاً بالعربية عنوانه: الدليل إلى واجبات القلوب، وحتى الأديب والشاعر العبري الأندلسي اليهودي أبو الحسن يهود أهلاوي الموسوي ألف كتابًا يدّعي فيه فضل الدين اليهودي على وثنية الفلاسفة اليونان، وشرك النصارى، وتناقض المسلمين، وجعل عنوانه «الحجّة والدليل في نصرة الدين الذليل»، وقد فات هذا المؤلف أن الدين اليهودي ليس للناس كافة، بل احتكروه لأنفسهم: ونصحوا علماءهم بألا يشجعوا أحدًا على اعتناقه، فهو دين بلا دعاة ولا مبشرين، مع أن المسلمين يعتقدون أن إبلاغ الدعوة - بالحكمة

والموعظة الحسنة - من واجبات القادرين على ذلك من المسلمين، وكذلك أوجبها المسيح على حوارييه. والزمن الذي يفصل بيننا وبين موسى يناهز ثلاثة آلاف وخمسمئة سنة، ضاعت فيها توراته أكثر من مرة، وجاءت لليهود ملأى بالتحريف بين رواتها وناسخيها، ونظرة إلى طبعة دقيقة من طبعاتها العبرية بتصحيح العلاّمة المتبحر «دافيد جينزبورغ»، وهي تقع في ما يقارب الأربعمئة صفحة، أحصيت فيها مع التساهل وبالتقريب أكثر من ألف موضع غموض أو شك أو تحريف، هذا غير ما ذكره هو من خطأ الترجمات القديمة الآرامية واليونانية واللاتينية والسريانية والسامرية وغيرها، وهي أخطاء تعد بالمئات، بحيث يتساءل الإنسان: أين التوراة الحقيقية التي أنزلها الله على موسى، وبأية لغة كانت؟ هل كانت باللغة العربية، أفصح لغات موسى وأسهلها على لسانه، أو بعبرية اليهود المصريين إذ ذاك التي كان هارون يتقنها؟ ومعلوم أن «كليم الله» كان موسى لا هارون، لهذا قلت إن التوراة أُنزلت على موسى بالعربية. وأستغفر الله وأتوب إليه مما يكون في رأيي هذا من شطط أو غلط، وإن كنت إلى الآن لم أجد رأيًا آخر أركن إليه.

جهل اليهود بكتابهم وانقطاعهم عنه

واليهود يعتبرون العهد القديم (كتب الأنبياء، وكتب الحكمة، بعد توراة موسى بأسفارها الخمسة) المثل الأعلى في البلاغة والقدسية وصحة الرواية، على الرغم من كل ما يحيط بذلك من مناطق مظلمة، تشهد بأن أولئك المؤمنين قد أضاعوا التوراة في وقت مبكّر جدًا، ثم وجدوها أو وجدوا بديلاً لها في فترات معينة من تاريخهم، وكانوا من قبل قد أضاعوا موسى في ظروف عجيبة، فبعد سلسلة من حركات التمرد عليه التي روتها التوراة التي بين أيديهم، اختفى موسى نهائيًا، وذكرت السطور الأخيرة في ما يسمونه التوراة أنه صعد إلى جبل «نبو» في شرق البحر الميت، ثم رأى «جميع أرض الميعاد من أقصاها إلى أقصاها، ورأى البحر إلى غربها، وجدد الرب وعده له بمنح هذه الأرض إلى بني إسرائيل، كاملة، ميراثًا لهم من الله، ثم مات ودفن في أسفل الجبل، ولم يعرف أحد قبره (إلى يومنا هذا). وهذه العبارة في آخر التوراة تدل على أن الكاتب - وقد يكون عزرا الذي يسمونه عزرا الكاتب أي كاتب التوراة - وكان عصره بعد موسى بألف سنة، كما كان يعيش في الإمبراطورية الإيرانية، وله كتاب منسوب إليه في كتب العهد القديم، تناولته أيدي التغيير والتبديل وزيدت إليه نصوص موازية كثيرة اعتمد الباحثون صدق الرواية في بعضها وشككوا في بعضها الآخر، ويندر فيها الوقوع على جملة واحدة منسوبة إلى موسى. بل أن سفر عزرا نفسه مصنف في مجموعة النصوص «التراثية» المسمّاة «الكتب» التي تأتي في آخر العهد القديم، بعد التوراة المنسوبة إلى موسى، وبعد الجزء الخاص بالأنبياء.

وقد أثرت السؤال حول لغة العهد القديم في كتابي: الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، وكان العرض موجزًا جدًا إذ ذاك. وأقتطف من هذا الكتاب نصًا طريفًا

حول الفساد الأخلاقي والديني والعقائدي في (هيكل سليمان) في حكم يوشياهو ـ ملك يهوذا وسليل سليمان وداود في أورشليم ـ بمناسبة «نبيّة» معاصرة لهذا الملك اسمها «خلده»:

ولم تكن النبية «خُلدة» وحدها في أورشليم، بل كانت هذه المدينة المقدسة تحتوي جمعًا غفيرًا من الكهنة والأنبياء. ومع ذلك كان هيكل سليمان غاصًا بالأدوات الدينية الوثنية «... التي كانت مصنوعة للبعل، وعشتروت، ولجميع جند السماء (أي الكواكب) فأحرقها ـ أي الملك يوشياهو ـ خارج أورشليم، في أرض قدرون، وحمل رمادها إلى بيت إيل (هيكل اليهود السامرة، الذين أعلنت مملكة يهوذا في أورشليم تكفيرهم)، واستأصل كهنة الأصنام الذين أقامهم ملوك يهوذا، ليوقدوا فوق المرتفعات، في مدن يهوذا وحول أورشليم. وكانوا يوقدون للبعل، وللشمس والقمر، والبروج، وجميع جند السماء. وأخرج عشتروت من بيت الرب إلى خارج أورشليم، إلى وادي قدرون، فأحرقها في وادي قدرون، وسحقها غبارًا، وذرّى رمادها على قبور بني الأمة، وقوّض بيوت المخنثين التي في بيت الرب، حيث كانت النساء (المومسات) ينسجن بيوتًا لعشتروت! (سفر الملوك الثاني 4:23 إلى 7). وهذا الفصل يروي في بقيته من ألوان الفجور والكفر والانحلال الأخلاقي ما يظهر الابتعاد المذهل من موسى وتوراته ودعوته إلى الإيمان بالله، وتوحيده، وطاعة ما أمر به، وتجنب ما نهى عنه. لكن يندر أن يمرّ ذكر موسى في أسفار العهد القديم بعد التوراة. فالنبي إشعياء ـ مثلاً ـ وهو من أنبياء بني إسرائيل ولا يفصله عن موسى إلاّ نحو ستة قرون فقط، لا يذكره في سفره إلاّ مرة واحدة ـ على طول هذا السِّفر ـ فجاء فيه: فيذكر هذه الأيام الغابرة، أيام موسى، وشعبه، أين الذي أنجاهم من البحر مع راعي غنمه؟ أين الذي جعل في قلبه رحمة القدّوس؟ الذي سيّر عن يمين موسى ذراع عزّه؟ وفلق الماء أمامهم، ليجعل له اسمًا أبديًا.. (إشعيا 12-11:63). وبعده نجد النبي إرميا يذكر فسوق اليهود ثم يقول: وقال لي الرب، لو أن موسى وصموئيل وقفا بين يديّ، لما مالت نفسي إلى هذا الشعب، بل سأطردهم من أمامي، وليخرجوا! (إرميا 51:15)، وهي المرة الوحيدة التي يرد فيها اسم موسى عند إرميا، مع أن سفره من الأسفار الطوال أيضًا.

وأقوى دليل على جهل اليهود بكتابهم، وانقطاعهم عنه أجيالاً طوالاً، هو أن أهم طريق إلى التحقيق والتدقيق في معاني ألفاظه كان بإحصاء المواضع التي جرى فيها استعمال كلمة ما وتحسّس القرائن اللغوية والأسلوبية التي تحدد معاني هذه الألفاظ. لكن بقيت كمية من الكلمات لم تُستعمل كل منها إلاّ مرة واحدة فقط، فلم يعرف أحد بالضبط دلالتها، وظلت من المشكل اللغوي في كتابهم، يرجم فيها علماؤهم بالغيب أو التقريب. حتى جاء عالم عربي اللسان من اليهود هو سعيد بن يوسف الفيومي، سعديا جاؤون (أي المعظّم)، فكان من مؤلفاته كتاب «تفسير السبعين لفظة الفَرْدة»، ولكي يعرف معناها لجأ إلى المقارنات اللغوية بين اللغات الساميّة العبرية والعربية والآرامية (السريانية) وغيرها، ونجح في تحديد مدلول هذه الألفاظ الوحيدة الاستعمال في كتابهم، فكان رائدًا من الروّاد المؤسسين لعلم اللغة المقارن. والذي يهمنا هو أن ألفاظ الكتاب لم تكن ميسّرة للذكر كلغة القرآن الكريم، لأن لغة القرآن كانت ـ وما زالت ـ واسعة الانتشار، كما أن فصحاء العرب كانوا يملؤون بلاد العرب في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولبضعة أجيال بعد وفاته، ظهرت فيها معاجم اللغة وتفاسير الكتاب الكريم، وقواعد النحو والصرف على أكمل وقت، مما أدى إلى وجود علماء متبحرين في اللغة العربية في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فهذه الألفاظ الفردة، والألفاظ المعرّبة لم تكن تمثل أية صعوبة أمام الباحث في معاني ألفاظ الكتاب العزيز، وهناك عشرات من المعاجم اللغوية تشرح معاني ألفاظ القرآن دون الحاجة إلى القيام بحفائر لغوية في بقايا لغات الجيران لتحديد مدلول كلمة صعبة في اللغة العربية. أما ردّ الألفاظ إلى أصولها أو إلى معانيها الأولى غير الاصطلاحية فما زالت الحاجة ماسة إليه حتى تستكمل لغتنا العربية جميع ألقاب الوضوح والشرف والعراقة التي تستحقها بجدارة.

كتاب اليهود مجموع من أسفار شتى!

وكتاب اليهود لم ينته عند التوراة المنسوبة إلى موسى، بل استمر التنزيل اليهودي أكثر من ألف سنة، فأدخل اليهود فيه أسفارًا لا نعرف للوحي بها مصدرًا يقينيًا، مثل سفر «نشيد الأناشيد» الذي يُنسب عندهم إلى سليمان عليه السلام، وهو نص شعري غزلي جميل، وإن كان على جانب كبير من الحرية الغرامية، وقد حيّر الباحثين قديمًا وحديثًا، فزعم بعض شيوخ الدين اليهودي أنه غزل رمزي من سليمان في التغني بجمال معشوقته مدينة أورشليم، ولغته أيضًا متحررة من الحشمة الصارمة، إلى نوع من الوصف الحسّي والجسدي في بساطة تعطيه ظلاً من الغناء الشعبي، لدرجة أن بعض الباحثين من النصارى واليهود عدّوه نمطًا من أغاني زفاف العرائس، الدائر على ألسنة الناس جميعًا، وأشاروا إلى أن سليمان عليه السلام عقد لنفسه على سبعمئة من النساء كان أكثرهن من بنات الملوك والحكام المجاورين له، حتى يأمن الدخول في حروب معهم لأن أباه نذره للسلام، وأوصاه بأن يعيش في سلام مع جيرانه، وأن يكون عهده عهد سلام، ولهذا السبب سمّاه سليمان، فهذه الزيجات السبعمئة التي أتمها ألفًا بالتسرّي بثلاثمئة مملوكة جعلت قصره يهتز بأغنية الزفاف هذه مئات المرات، مما شجع الناس على نسبتها إليه. وهو الرأي الذي يحوز إقرار معظم الباحثين المحدثين. وهناك من الباحثين من يذهب إلى أن هذه الأغنية من شعر سليمان في الغزل في ملكة سبأ. ولغة نشيد الأناشيد جاءت متميزة، لخلوّ الكتاب اليهودي من شعر الغزل إلاّ في هذا النشيد.

وفي العهد القديم أيضًا قصة أيوب، وكل الدلائل على أنها كانت في الأصل ملحمة عربية قديمة جدًا، ربما قبل أن تستقلّ اللغة العبرية عن أختها الكبرى ـ العربية ـ، ولذلك جاء هذا السِّفر مشحونًا بالغريب العبري الذي لا يوضحه إلاّ الرجوع إلى الأصل العربي، أو ما يمكن أن يكون كذلك. فمثلاً في توراة موسى ليس هناك ذكر للشيطان على الإطلاق. والذي حمل الفاكهة المحرّمة من الشجر وأهداها آدم وحوّاء كان ثعبانًا أو حية. أما الشيطان وعدواته للإنسان فإنهما من المحاور المأساويّة في قصة أيوب، إذ سمع الشيطان مباهاة الرب للشيطان بتقوى أيوب وطاعته لربه، فسخر الشيطان من ذلك وتجرأ على الله قائلاً إن أيوب لا يطيع الله مجّانًا بل لأنه نال منه الثروة والذرية الصالحة والنماء والبركة في كل ما يهم به من عمل! فبدأت منافسة بين الله والشيطان: لو نزل بأس بأيوب فقد يثور على الله، وقد لا يصبر، وقد يكفر.

وهنا تبدأ منافسة فظيعة بين الرحمن والشيطان، وتنهال المصائب على أيوب، وهو صابر، يتهدم بيته فيصبر، يموت أولاده وبناته فيصبر، يأتي لصوص من الكلدان ويسرقون الغنم والبقر والجمال والعبيد فيصبر، ثم يضربه قرح خبيث في كل جسده فيتساقط لحمه، وتطرده قبيلته لأنه يحمل كل لعنات السماء، ويتطيرون به، ثم تأتي زوجته وقد ضاقت ذرعًا بهذا المريض الميؤوس من شفائه فتشير عليه أن يتعدّى بلسانه على الله، فينزل عليه صاعقة تقتله فيستريح، فيقول لها أيوب: أما رضينا بنعم الله، والآن كيف نسخط عليه عندما يستردها. ووقائع هذا السفر كثيرة، وخصبة جدًا. وأيوب ليس اسمًا عبريًا، لأن الفعل آب يئوب بمعنى رجع لا يوجد في اللغة العبرية. ومن آداب القصص القديم في الكتاب أنه لايذكر اسم الرجل إلاّ منسوبًا إلى أبيه: فلان بن فلان، ثم السبط الذي ينتمي إليه: اللاوي، الداني، ثم مقره في أي بلد: حبروني، يروشَلمي.. وهكذا، أما أيوب فغير مذكور الأب ولا القبيلة، ويكتفي القاصّ بأنه يعيش في أرض «عُوص» وهو عوص بن إرم عند العرب، وأرض عوص هي بادية في شرقي نجد قريبة من الخليج، والرجل عربي لأن الإبل كانت جزءًا من ثروته، وهي محرّمة تحريم الخنزير عند اليهود. وأما الشيطان فيأتي مذكورًا باسمه المعروف عند العرب بلكنة عبرية، فهو في هذا السِّفر يُنطق «ساطان». وهذا التوازي بين الله والشيطان تفوح منه رائحة الأصول الأولى للزرادشتية المجوسية المتأصلة في إيران منذ أقدم العصور. فهذه ملحمة وثنية تصف صراعًا بين إله الخير والنور والرحمة وإله الشرّ والظلام والرعب.

وما يزال سفر أيوب يثير مشكلات معقدة في دراسة نص الكتاب. وهو أوسع الكتب العبرية استعمالاً لألفاظ ذات اشتقاق عربي. حتى أصدقاء أيوب الذين جاؤوا لعيادته ومواساته كان أحدهم يسمّى اليفاز التيماني (من تيماء أو من اليمن)، ويِلْدَد السوحي نسبة إلى سَوح أو سيح، وصُوفر النّعماني، ربما كان منسوبًا إلى «نعمان الأراك».

ولولا خوف الإطالة لقلت في صدر هذا الكلام إن الدولة الصهيونية التي ما تزال بعد خمسين سنة من قيامها لا حدود لها؛ بل كلها خطوط هدنه أو أراض محتلة أو مناطق مدارة أو أشرطة حدودية، أو معابر أمنيّة، وهي لا دستور لها ولا شريعة ثابته، ولا ماليّة ثابتة، ولا لغة موحّدة (العبرية العرجاء، واليديش، واللادينو، والعربي اليهودي) كل هذه لغات «قومية» في إسرائيل!!



منتدى «الفيصل»

الشيخ عثمان بن ناصر الصالح

أفخر أنني كنت من أوائل الداعين إلى تعليم الفتاة

شهدت المملكة العربية السعودية نهضة تعليمية واسعة لها أثرها في التطور الحضاري الذي ينتظم جميع مجالات الحياة فيها.

ويقتضي الإنصاف والموضوعية أن يتقدم الذين عاصروا بدايات هذه النهضة - بكل ما فيها من صعوبات ومشاق ونجاحات - للإدلاء بشهاداتهم للأجيال الجديدة التي تنعم بما تحقق من إنجاز وتشارك في تطويره ودعمه بإنجازات أخرى، وذلك تحقيقًا للتواصل بين الأجيال، واعترافًا بفضل من كان لهم السبق في وضع اللبنات الأولى لهذه النهضة المباركة.

ويستضيف «منتدى الفيصل» في هذه الحلقة الشيخ عثمان بن ناصر الصالح بوصفه شاهد قرن علي تطور التعليم في المملكة متلقياً ومدرساً ومربياً، إذ قضى جلّ عمره في حقل التربية والتعليم، معاصراً مراحل تطوره، ومشاركًا في مسؤولياته التعليمية والتربوية.

وقد تناول الشيخ عثمان الصالح جانبًا من مشاهداته ومشاركاته، إضافة إلى الإدلاء ببعض وجهات نظره في قضايا معاصرة تضمنتها الأسئلة الموجهة إليه من القراء.

الصور المنشورة ضمن هذا المنتدى، من الأرشيف الخاص بالأستاذ بندر عثمان الصالح

• الذين يعرفون المربي الشيخ عثمان الصالح يعلمون أنه عاصر بدايات التعليم في المملكة، وهي مرحلة يجب التأريخ لها بدقة. فماذا تقول للذي يريد أن يسجل شيئًا عن بدايات التعليم في المملكة؟

عبدالرحمن اليحيى

بقالة اليحيى، المذنب، القصيم.

- التعليم الديني في المملكة لم ينقطع، إذ إن له جذوراً سليمة في تلك الحلقات التي كان لها أثرها في الدين والخلق، والتي كانت توجد في كثير من أمهات المدن وقصبّات المناطق في بريدة وعنيزة والمجمعة وشقراء وحريملاء وحائل وغيرها، ولم نُشر إلى المنطقة الغربية ففيها تعليم حديث منهجي كمدارس الفلاح والصولتية وغيرهما، ولهما أثر وتأثير. أما التعليم المنهجي الحديث فلم يبدأ إلا عام 1356هـ بجهود السيد محمد طاهر الدباغ، وكذلك كان للسيد أحمد العربي دور بارز في تحضير البعثات، والشيخ محمد بن مانع - بعد السيد محمد طاهر الدباغ - وآخرون. تلاها مباشرة تأسيس دار التوحيد التي أمر الملك عبدالعزيز بإنشائها في الطائف، وقد استقطبت خريجي مدارس الملحقات أو المناطق التي شُكِّلت كما قلنا عام 1356هـ. وهناك مدارس مستثناه كان لها دور مبكر ورائد يكاد يكون تجريبيًا كمعهد الأنجال ومدرسة الأيتام. ثم انطلق التعليم بصورة عجيبة وإقبال من الناس على استقباله، وإقبال من الدولة على بذل المال في سبيله، وكانت «الحجاز» سببًا مباشراً بإمداد المدارس في تلك المناطق بالأساتذة والموجهين والمفتشين والمعلمين، وكلهم مواطنون يتمتعون بالإخلاص والاهتمام بمهمة التعليم ورفع مستواه. ومن تلك الوثبة سنة 1356هـ إلى اليوم قامت نهضة أدهشت العالم في التعليم والتربية، خطط لها الملك فهد منذ كان وزيراً للمعارف - حينذاك - ومعه رجال مخلصون من بينهم ناصر المنقور وعبدالوهاب عبدالواسع وحسن آل الشيخ، وبعد تلك المرحلة كان آخرون منهم خالد بن فهد بن خالد ومحمد الفريح وغيرهم. وتضاعف نمو الحركة التربوية عامًا بعد عام، حتى غدا التعليم كالشجرة الخضراء الوارفة الظلال، تجري الحياة متدفقة في نسغها، ويتقدمها بحمد الله سبع جامعات للتربية والتعليم، وكليات للأمن والحربية والبحرية والجوية وغيرها من معاهد ومدارس، مما لهج بذكره الشعراء، وامتلأت به بطون الكتب الكثيرة.

• نريد منكم إطلاع القراء على تاريخ معهد الأنجال ومعهد الكريمات. وماذا عن رحلة التعليم في تلك الحقبة؟

س. ع. ع.

ص ب4999، الرياض 11511.

- إن معهد الأنجال هو معهد العاصمة حاليًا، وإن الثلاثين عامًا التي قضيتها فيه صعبة الوصف عسيرة الرصف تحتاج إلى تطويل وتفصيل، ولكني أجملها بأن المعهد بدأ مرحلته الأولى في أوائل الستينيات الهجرية والتعليم في بداية مراحله. وكان المعهد يسير على منهج تربوي يعتمد على مديرية المعارف آنذاك. وحسب رأيي فإن أي مدرسة أو معهد ينشأ ولايكون جزءًا من وزارة المعارف فإنه في طريق لا هُدى فيه مهما كان سديداً في مساره، محترمًا بين الناس في اعتباره علميًا وفنيا ومنهجيا. وتجدر الإشارة هنا إلى ذكر أسباب وصولي أو اختياري مديراً لمعهد الأنجال في ذلك الوقت الذي مررت به وأوجزه في هذه الأسطر؛ فقد تلقيت دراستي على أستاذي صالح الناصر الصالح الذي تلقى دراسته في الزبير (العراق) في مدرسة منهجية مديرها محمد الشنقيطي، فدرس جميع العلوم المنهجية حتى الخط العربي، وقد تعلم فيها أبناء أكابر الأسر، وأهل الزبير وآخرون من خارجها. ولما تخرج فيها عرج على الكويت وتزود منها بعلوم نافعة، ثم واصل السير إلى البحرين، فاستقى من مناهلها - وكانت أولى إمارات الخليج علما آنذاك - كما درس على شاعرها الأول إبراهيم العريض اللغة العربية والشعر معًا. بعد ذلك عاد إلى عنيزة مسقط رأسه، لأن والدته من الرشود من عنيزة، وأنا والدتي من المدلج من بلدة حرمه المجاورة للمجمعة. وفي عام 1347هـ افتتح مدرسة أهلية بطلب من الإمارة وأعيان البلاد. وأقبل عليها الأهلون لأن أهل عنيزة عندهم تطلع للمعرفة بحكم أسفارهم إلى الخارج، وامتداد رجالها في ميادين التجارة والرحلات إلى أرجاء العالم، وخاصة تركيا ومصر والهند. ودرست فيها إلى عام 1353هـ، منها سنتان أو ثلاثا كنت فيها دارسًا ومدرسًا معا. وفي عام 1354هـ عدت إلى مسقط الرأس - المجمعة -، وافتتحنا فيها مدرسة برغبة من أعيانها وبموافقة من رئيس قضاتها العلامة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، وأميرها عبدالعزيز بن عبدالله العسكر، وقادتها الاجتماعيين، أمثال: أحمد التويجري وعثمان العبدالجبار وعبدالرحمن العبدالجبار وعثمان بن صالح الصالح وإبراهيم الحقيل وعبدالرحمن بن ربيعة وأحمد بن محرج وعبدالله بن علي. واستمرت حتى أوائل العام 1356هـ الذي افتُتحت فيه أول مدرسة حكومية أُسندت إدارتها إلى الشيخ سليمان بن أحمد الذي جمع مع العلم الشرعي خلقًا كريمًا، وهضمًا للمناهج التربوية، فطلب مني الالتحاق بها، غير أن الأعيان المذكورين رأوا أن من المفيد أن يستمر وجودي في هذه المدرسة الأهلية لعاملين: جودة الراتب، والمصلحة التعليمية التي رأوا ثمرها. فامتنعت في بادئ الأمر من الالتحاق بالعمل الحكومي، لكن نصحني من أثق به أن أبادر إلى قبول عرض الأستاذ الشيخ سليمان بن أحمد، لأن الاستقلال الفردي في مهمة ما لا يدوم، ولا يدوم إلا ما تخططه وتتبناه وتقوم به الدولة، وقال هذا الناصح الكريم: قد يكون لك من الفائدة مستقبلا ما هو أجدى من أن تستمر في المدرسة الأهلية، فقبلت النصح، والمجمعة آنذاك صغيرة وإن كانت مدينة، وأكبر ما في المنطقة من المدن. وكان طلابها البارزون المعروفون كلهم في المدرسة الأهلية، والمدرسة من دونهم تصبح غير ذات جدوى. وأذكر، ولست أنسى، أننا سرنا صفوفا بنظام دقيق ننشد الأناشيد حتى وصلنا إلى المدرسة، واستقبلنا الشيخ سليمان بغاية الحفاوة والتقدير، وسعى سعيه الموفق لأكون معاونًا رسميًا، وهي خطوة جعلت راتبي يصبح قرابة الخمسين ريالاً بدلاً من ثلاثين. وسارت المدرسة سيرا موفقًا بغاية الالتئام والنظام معا. لكن طموحي وهمتي كانا فوق ما وصلت إليه، لذا رغبت في الذهاب إلى الرياض، فكان ذلك عام 1358هـ، وزاولت عملي كاتبَ ضبط في محكمة الرياض عند الشيخ عبدالله بن زاحم والشيخ محمد البواردي رحمه الله مدة قصيرة، ثم طلبني الأمير الجليل عبدالله بن عبدالرحمن أخو الملك عبدالعزيز - رحمهما الله - لما علمه من سداد المنهج الدراسي الذي سرت عليه، فاستأذنت من الشيخ عبدالله الزاحم الذي كان يود بقائي لديه، وعملت عند الأمير الجليل عبدالله بن عبدالرحمن مديراً لمدرسته مدة من الزمن. وبعدها رغبت عن التعليم، فسافرت إلى الشرقية (الجبيل) لدى ابن عم لي تاجر هناك هو صالح اليوسف الصالح، وإن كنت في دخيلة نفسي لا أصبو إلى التجارة. ثم فوجئت يومًا بوصول برقية من وليّ العهد الأمير سعود بن عبدالعزيز في أوائل الستينيات الهجرية يدعوني فيها إلى القدوم إلى الرياض من طريق الظهران، وتولى الشيخ عبدالله بن عدوان والسيد نسيب السباعي ذلك وكانا في مهمة لدى (أرامكو)، وعندما وصلت إلي الرياض أُسندت إليّ من لدن سموه مدرسة الأنجال وفيها 12 أو 13 طالبًا، وكان فيها الشيخ عبدالرحمن بن عوين مدرسًا شرعيًا، وهو تلميذ للعلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والمدرسة ليس فيها إلا حجرة واحدة، والطلاب جميعهم يدرسون بألواح من الخشب في أعلاها خيط وخشبة ثابتة في اللوح ينقلون فيها آيات من القرآن الكريم، يقرؤونها ويحفظونها ويمحونها في اليوم التالي، وتتكرر العملية كل يوم. فاستأذنا من الأمير ولي العهد أن يُعطى طلابنا أسبوع إجازة لنعمل ما يفيد مما دَرَسناه ودرَّسناه، فطلبنا نجاراً وألواحًا من الخشب وعملنا (سبورات) جدارية، وأخرى تقف على مسندين.. وكان منظرها في ذلك الوقت طريفًا فريداً مما جعل الطلاب يتوافدون بكثافة على المعهد. وكان المرجع الأول في الأمر الأمير سعود - رحمه الله -. ثم انتقلنا إلى مكان

مدرسة الأنجال بدأت بحجرة واحدة في قصر ولي العهد، إلي أن أصبحت منتدى اجتماعيا يزورها الملوك والرؤساء من الدول العربية والدول الأجنبية، وكذلك الأمراء والعلماء!

منتدى «الفيصل»

الشيخ عثمان بن ناصر الصالح



أوسع وأفسح (أم قبيس) القصر والضيافة معا. ومرت سنتان استدعاني بعدهما الأمير سعود وقال لي: كثرت علي الطلبات، فماذا يلزمكم؟ قلت له شيئان: بناء مدرسة فيها عشرات الغرف للإدارة والدراسة معا، وسفري لاختيار أساتذة لهم مكانتهم العلمية والدينية معا. فأذن لي بذلك، فسافرت إلى مصر وكان فيها مندوب لمديرية المعارف ـ ودائمًا صداقتي وحبي للمعارف هجّيراي ـ وكان آنذاك الدكتور الفاضل عبدالله الوهيبي، فعرضت عليه اختياراتي فأبدىَ رأيه وكان موفقًا مسددًا، فكان من بينهم الأديب والشاعر والمربي والمثقف، وعلى رأسهم أستاذ فاضل هو صالح جمال من النوبة المصرية تتوافر فيه التربية والعلم وفهم أكثر من لغة أجنبية. وقدمت بهذه المجموعة المباركة، وكانت المدرسة قد كمل بنيانها، فأتممنا المرحلة الابتدائية، وسرنا إلى المتوسطة، ومنها إلى الثانوية بمراحل في غاية الإتقان، ومعنا الوزارة تشجعنا، لأن التعليم الموسع هو السبيل لخلق الرجال. واستمرت المدرسة في الناصرية: الأسئلة نأخذها من وزارة المعارف ونتولى توزيعها، والتصحيح داخليا. وانضم إلى المعهد دارسون كُثُر من أبناء أعيان البلاد وأبناء الأسرة المالكة حتى كوّنوا من 30 إلى 40٪ منهم. ثم لما تولى ابن لادن عمارة قصر الناصرية طلبت من الملك ـ رحمه الله ـ أن يبني مدرسة على أصول فنية كالتي نحن فيها أو أحسن، فوافق، وَجَدَّ العمل فيها داخل الناصرية أيضًا، وهي المدرسة التي تكاملت فيها مسيرة المعهد علما ودراسة حتى صارت مثلا يُحتذى، فيها أبناء الأسرة المالكة وأبناء الوزراء وأبناء المواطنين من الحجاز ونجد والشرقية وسائر مناطق المملكة. وتقدم فيها التعليم، وكذلك الجمعيات والندوات، وأُنشئت الفرق الكشفية، واعتُني بالتربية الرياضية، والصحافة المدرسية، وأصبحت منتدى اجتماعيا يزورها الملوك والرؤساء من الدول العربية والدول الأجنبية، وكذلك الأمراء والعلماء وكثيرون غيرهم. وقد تميّز المعهد بألوان النشاط المختلفة، فهناك أكثر من 35 جمعية ومنتدى، منها جمعيات الرحلات، والتربية، والصحافة، والإذاعة التي أصبحت بخطبائها مثلا يُحتذى به من الصف الخامس الابتدائي إلى الثانوية العامة، وتوافر في المعهد العشرات من الأساتذة والمربين في مختلف العلوم. وكذلك معهد الكريمات توافر فيه ما توافر في معهد الأنجال الذي أصبح له ذكر بعيد حميد وسمعة طيبة، وكان وزير المعارف الأمير فهد بن عبدالعزيز يتعهده في جولاته بين الحين والآخر لتحقيق أهدافه ومثله، ويرأس حفلاته، ويتعهد الأوائل الثلاثة من كل فصل. وأذكر بالمناسبة أن الشباب فيصل بن فهد وفهد بن سلطان وسلطان بن محمد بن سعود الكبير ومتعب بن عبدالله وبندر بن سلطان كانوا من الأوائل على دفعات مختلفة. وكان سمو الوزير يرأس كل ما يصدر في المعهد من تطور؛

سداد منهجي الدراسي جعل الأمير عبدالله بن عبدالرحمن يطلبني لإدارة مدرسته في نهاية الخمسينيات الهجرية

كالكشافة وتطورها، والرياضة البدنية وإبداعها، وحفلات تكريم الأوائل وانتظامها، والرحلات وأهميتها، والمباريات الرياضية التربوية وإشهارها. وكذلك حال الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ. وقد زارنا في تلك الفترة الملك فيصل ـ يرحمه الله ـ، وتجول في المعهد وطلب أن تكون جولته ميدانية فكان ذلك. وكان الملك سعود ـ يرحمه الله ـ يبذل من ماله ووقته في تشجيع الرياضة الشيء الكثير، وكان يحضر مبارياتها ومنافساتها التي كانت تشتد مع المؤسسات التعليمية الأخرى، وخاصة الكلية الحربية، وكانت الانتصارات سجالاً. وأتذكر أننا فزنا على فريق الكلية الحربية مرة ووُزّعت الجوائز على طلابنا، غير أن الملك سعود استدعاني وقال: خذ هذه ساعات سلمها لقائد الكلية الحربية (وكان آنذاك وزير الإعلام السابق علي الشاعر) يوزعها على طلابه. فقلت ـ وهذه مني غلطة أُحاسَب عليها ـ: يا طويل العمر كيف تعطي الجوائز طلبة انتصرنا عليهم؟ فعاتبني عتابًا مرًا وقال: كيف تقول هذا، هؤلاء هم نواة الجيش وضباط البلاد، وهم أحق من الطلبة. ونفذت أمره وذهبت إلى علي الشاعر قائلاً له: هذه جوائز الطلاب. فقال: يا عثمان، ما لنا حق في ذلك يكفي أننا عملنا ودافعنا حتى أصبح لنا دور طيب، أما الجوائز فهي شيء زائد. فأخبرته بشعور الملك وأنه يقول هم أعز علينا وهذه مكافأتهم منه.

مرت الأيام والمعهد من تقدم إلى تقدم حتى بلغ عدد طلابه وطالباته بضعة آلاف، وجاء وقت أدخلنا فيه التدريب للتمارين العسكرية كل يوم في آخر النهار، وأعتقد أن هذه نواة لما يعرف باليوم الدراسي الكامل بشكل غير منهجي. ولا أزال أغبط الأساتذة والطلاب على تمرينهم، وأنا مع الأسف كنت المشرف على النظام ولكن لم أتدرب.

ومما يجدر ذكره ويحسن رصده أن معهد الكريمات في دراسته وأستاذاته وتطوره كان يمشي جنبا إلى جنب، صحافة وتطوراً وتربية، كالمعهد تماماً، وصحافته قابلت الملك سعود والملك فيصل ـ رحمهما الله ـ، وما زالت مقابلات الطالبات مسجلة في صحافة المعهد ومحفوظة في (أرشيف) يهتم به أصغر أبنائي وهو بندر.

والوقت يطول بذكر الطالبات اللواتي كان لهن دور بارز من بنات الأسرة المالكة وغيرهن ممن كان لهن الأثر الكبير.

• من أبرز الذين رسخوا في ذاكرتك من أبناء معهد الأنجال وكنت تنتظر له شأنًا؟

محمد بن أحمد المراوغي

ص ب22، أصيلة، المغرب.

ـ رسخ في فكري جمهرة تبلغ العشرات لا أستطيع حصرهم في الأدب والاجتهاد والبروز في كل شيء من الخطابة والكتابة والتفوق الدراسي، وفي كل ما هو من سمات الدارس من الأمراء وغيرهم. فمنهم من كان الأول في الدراسة، ومنهم من كان الأول في الوعي والفهم، ومنهم من كان المقدَّم في الصحافة والخطابة، ومنهم من كان البارز في الرياضة.. إلخ. فالوقت يطول لسرد الاسم وما تفوق به.

• يقولون إن عثمان الصالح من أوائل الذين شجعوا تعليم الفتاة. أرجو التعليق على هذا؟

هيلة عابد المسبحي

وادي ليه، الطائف.

ـ أجدني في هذه المنطقة من أول من شجع المرأة دراسة ومتَّجهًا بجد، وقد عانيت الكثير في هذا المجال مما يطول شرحه، ولا يتسع وقت القراء الآن لإيضاحه. ولكنني نجحت ولله الحمد نجاحًا باهرًا جدا حتى أكملنا معهدا من الروضة إلى الثانوية، وتمكنا من إقناع سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية بأن يكون للمعلم الكفيف الرجل دور في التعليم النسائي، وكان منهن متفوقات برز أثرهن إلى اليوم، وكنت أول من أدخل هذه الفئة إلى معهد الكريمات. ولاة الأمر في بلادنا عندما يرون الناصح الأمين يمنحونه الثقة للإقدام على ما فيه المصلحة العامة. وهذا الأمر يتكرر مع اختلاف العهود في جميع التخصصات، وأنا أتحدث عن قطاع التعليم الذي هو هدفي. وإنه لشرف وفخر لي أنني،

منذ عام 1356هـ إلى اليوم قامت نهضة أدهشت العالم في التعليم والتربية، خطط لها الملك فهد منذ كان وزيرًا للمعارف ـ حينذاك ـ ومعه رجال مخلصون

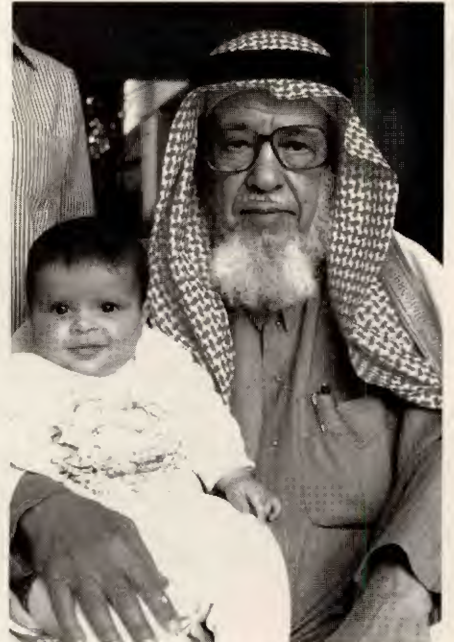

خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز في إحدى زياراته لمعهد الأنجال إبان توليه وزارة المعارف

وبأمر الملك سعود، أول من أوجد مدارس للبنات بمستوى عال ومؤثر، وهي النواة التي انطلقت منها رئاسة تعليم البنات.

• ما الأهمية التي ترونها لتعليم الفتاة؟ وما الدور الذي ينبغي عليها أن تقوم به في مجتمعها؟ وهل أنتم راضون عن المستوى الذي وصل إليه تعليم الفتاة؟

تحرير الفيصل

ـ تعليم الفتاة يسير في بلادنا سيرا حسنا وموفقًا معا، فقد بدأ بدايةً مثالية جادة في معهد الكريمات الذي كان مع معهد الأنجال (معهد العاصمة النموذجي حاليًا) نموذجين موفقين للتربية والتعليم، واستلمته رئاسة البنات من معهد الأنجال المدار فنيا وتعليميًا من وزارة المعارف بعد أن تخرجت فيه دفعة كاملة في عهد الملك فيصل رحمه الله، وبإشرافه الشخصي، ليكون وجها من وجوه التعليم النسائي. الذي استلمته الرئاسة معهدان: معهد الكريمات، ومبرّة الكريمات، بنات الملك سعود وبنات الأسرة. فمعهد الكريمات خَرَّج أول فوج من الثانوية العامة تسع بنات، ومبرة الكريمات تَخَرَّج فيه أول فوج من الكفاءة في آخر المرحلة الإعدادية.


الشيخ عثمان بن ناصر الصالح مع حفيدته

وعن رضاي عن المستوى الذي وصل إليه التعليم النسائي؛ فالكل رأى مرفقًا كاملاً يعمل فيه رجال مخلصون مؤهلون فيهم الجدارة، ولهم الخبرة الكافية والكاملة، حتى انتهى ـ بعد إدارات متعاقبة موفقة ـ إلى الدكتور علي المرشد. ويكفي أن يعلم الجميع أن مدارس الرئاسة وكلياتها الكثيرة ومراكزها المحترمة كادت تقارب أعداد مدارس البنين في وزارة المعارف، ووصولها حاليًا في مناهجها إلى الحد الذي خدم البلاد. على أنني أتمنى أن تركز أكثر على خدمة المنزل والأولاد. والذي أعتقده وأراه لازمًا أن يكون لكل طالبة منهج معروف تدرس فيه، وهذا يعني أن توضع خطة شاملة بعيدة المدى للقبول في مختلف الفروع التعليمية حسب العدد الذي تقتضيه حاجة التعليم، فعندنا الآن، مثلاً، عدد كبير من المتخرجات في العلوم يزيد على الأعداد المطلوبة، ويجب ألا تُقبل فتاة إلا في مجال معين لها حسب خطة مستقبلية مرسومة بإتقان ودقة تحدد: أين تدرس الفتاة، وماذا تدرس؟ وبعد ذلك: أين تكون، وماذا تُعلِّم؟

• متى تشعر بأن المدرس والمربي أديًا رسالتهما؟ وهل اختلف المربون والمدرسون عن ذي قبل؟ وهل للمناهج دور في اختلاف التحصيل العلمي للطلاب؟

دلال محمد الراشد

الخبر، المنطقة الشرقية.

ـ المنهج هو المنهج مع الفارق، ولكن بلا شك فقد اختلف المربون عن ذي قبل، فطغى عنصر المادة وقلَّ عنصر الإخلاص واختلف الهدف، وغدا التعليم مجرد وسيلة للعيش، ولم يعد رسالة سامية مبنية على الإخلاص والإيمان والحرص الشديد على العناية باللغة العربية والاهتمام بها والتطور الذي يواكب الجديد. والاختلاف كذلك ينطلق من براعة الأستاذ والدارس؛ فالمنهج أبوه المدرس الكفء، وابنه الدارس الواعي.

• هل خدمت المناهج التربوية في المرحلتين المتوسطة والثانوية التطورَ والنهضةَ اللذين نعيشهما؟ وهل سايرت تلك المناهج القفزة العملاقة في مختلف مناحي الحياة في المجتمع السعودي؟

سميرة علي السليمان

الرفاع، البحرين.

ـ المرحلتان المتوسطة والثانوية خدمتا التطور وواكبتا النهضة بعمق وصدق، ولكن في اللغة العربية يختلف الأمر على نحو ما، إذ كان الأنسب والأصوب لو كان النظر في المقررات في اللغة الفصحى وفروعها أقوى وأمتن، وأحسن وأنضج، على أن يكون المنهج متطورا دون نقص، وأن يكون الأستاذ مؤهلاً يلتقي مع التحسن لمناهج اللغة ومفرداتها بعد أن يتلقى تدريبات مختلفة في فنون التعليم، لأن العلم فن وموهبة يجب صقلها في المعلم وغرس محبة التدريس لديه.

• من عاصر الشيخ عثمان في أيام إشرافه على معهد الأنجال يعرف حرصه وحبه للنشاط غير المنهجي. وأتذكر أن من الأنشطة التي صدرت

منتدى «الفيصل»

الشيخ عثمان بن ناصر الصالح



في أيامه: رسالة الناصرية، والرائدة. فما نظرتكم للأنشطة غير المنهجية ومدى أهمية تحقيقها للثقافة العامة؟

أحمد بن علي العامر

عمارة عكاظ، ص ب81152، جدة.

ـ من أهم ما خطر في بالي وكان لي سميراً ولهدفي مشيراً، كلما كنت في مجال تربوي علمي أدبي، أن المعهد برع في الناحية الصحفية التي أصبحت عندنا سمة بارزة وحيوية واضحة، فمجلة الناصرية استطاعت أن تحتل وسطا تربويا وأدبيا. ومع أنه لم يصدر منها سوى أربعة أعداد فقط، إلا أن كل واحد منها كان موسوعة. كما أصدر المعهد للبنات أيضا مجلة الرائدة التي تعتني بنشاط الطالبات، وبها عدة لقاءات أبرزها قام بها مجموعة من الطالبات المتفوقات مع الملك فيصل ـ رحمه الله ـ؛ وهناك أيضا مطبوعات معروفة في الاجتماع والتاريخ. أما الصحف الجدارية التي كانت على جانب كبير من الرصانة والقوة والمتانة فهي موضع الإتقان، ومثلها في مدرسة معهد الكريمات التي كان لها نشاط نسائي مستقل، وقد احتضنها وأنشأها معهد الأنجال، واستمرت مسؤوليته عنها حتى خرجت الدفعة الأولى من الثانوية العامة. وأرى أن الأنشطة غير المنهجية وتغلغلها في أي مرفق تعليمي واجب ثقافي ملزمٌ على أي إدارة، إلا أنني أرى ألا تكون خارجة عن وزارة المعارف ولا نادة عنها من حيث الإشراف والمتابعة والرعاية. ومعهد الأنجال نجح بلا شك في هذه المضامير في مجالات الثقافة العامة.

• يرى التربويون ضرورة وضع حوافز تشجيعية للطلاب في شتى المراحل التعليمية المبكرة حثًا لهم على التنافس فيما بينهم بما يعود عليهم بالنفع والتحصيل العلمي. فما مدى فائدة ذلك من وجهة نظركم؟

نصار أحمد طفيل

ص ب313، معان، الأردن.

ـ لقد ثبت لديّ من خلال عملي في ميدان التربية أن التشجيع وبناء شخصية الطالب لبنتان هما عماد العلم والعمل. فالتشجيع يضاعف لطالب العلم ـ التلميذ ـ محصولاً جزيلاً يقصر المدة بما لديه من عدة. ولا أجمل من المال ـ قل أو كثر ـ دافعًا، فإنه يحفز الشباب إلى إدراك العلا بهمة ونشاط لا يعترضه كسل، ولا يدنو منه خور.

والتربويون، وهم يرون ضرورة وضع الحوافز التشجيعية للطلاب في شتى المراحل، هم موفقون غاية التوفيق في ذلك، لأن البارز فهمًا وأدبًا وإقبالاً تزيده الحوافز بروزًا وتفوقًا.. ودوافعه ثلاثة: أولها الاستقامة في الدراسة الجادة والمثابرة على موالاة درسه. وثانيها اتساع دائرة أفقه وعمق ولذة فهم المعارف الواسعة. وثالثها إدراك معلميه ومجتمعه واعترافهم ببروزه وإبداعه؛ بل التنافس يتعدى ذلك ليعين المعلم على معرفة مراتب الطلاب، ويدرك الواعي وشبه الواعي والخامل منهم. ولابد لي هنا من التنبيه على أن المنافسة سيف ذو حدين، إن كنا لا نستغني عن حدها الخيِّر، فإننا يجب ألا ننسى أن الحد الآخر هناك، وعلى المعلم مراقبة آثاره على فلذات الأكباد.

وخلال الأربعين عامًا التي مرت عليّ معلمًا ومربيًا لم أجد أنفع في بناء الإنسان من تنمية شخصيته، على أن يرافقها تفوق ونبوغ ليستحق التشجيع والحافز، كي يسلك المسالك التي يصبو إليها مجتمعه.

• المُواطَنَة والمُواطن أمران متلازمان. فمتى تتحقق المُواطَنَة، ومتى يصدق على الإنسان أنه مواطن صالح؟

تغريد سليمان اليوسف

ص ب409، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.

ـ المواطن والمواطَنَة موجودان منذ رفع الملك عبدالعزيز ـ طيب الله ثراه ـ راية هذه البلاد ـ وهي مرفرفة من عام 1319هـ ـ، ومنذ جاهد وناضل وكافح ومعه رجال أشداء ذوو بطولة ورجولة وشجاعة وإيمان بالله، فأزال العنصريات والتنافر والخصام بإيجاد هجر للبادية تساوت مع الحاضرة بمدارسها ودارسيها من بنين وبنات، وأصبح التنافر ودًا والتباعد قربًا. وكان الأبطال والملوك العظماء سعود وفيصل وخالد ـ رحمهم الله ـ والفهد ـ حفظه الله ـ يدًا واحدة في سبيل الإصلاح والبناء. ومن ذلك اليوم صدقت على الإنسان في هذه المملكة أنه مواطن بين إخوانه في دولة تحيا بروح واحدة في جسد واحد هدفًا وغاية ورسالة إنسانية أدهشت العالم وكوّنت لنا دولة سامية في هذه الأرض المترامية، وخطب ودّنا رجال العالم أجمع. والمواطن يحس بالمواطنة إذا شعر أنه يؤثّر في وطنه، والوطن يؤثر فيه. ونجاح الوطن يتمثل في إيجاد القنوات الفعالة التي بوساطتها يؤثر المواطن في حياته اليومية ومصيره.

• شباب اليوم وشباب الأمس. لكم نظرة حول الفريقين فما هي؟

عبدالله بن سليمان الحميدي

ص ب114955، حي النفل، الرياض.



الشيخ عثمان بن ناصر الصالح وفرقة الكشافة في زيارة لشركة أرامكو في الظهران بالمنطقة الشرقية



الشيخ عثمان بن ناصر الصالح أيام الدراسة



صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز في زيارة لمعهد الأنجال يرافقه الشيخ محمد سرور الصبان

ـ شباب اليوم يختلف عن شباب الأمس. وبعض شباب اليوم حلّق في سماء التطور معنى وكتابة وفهمًا ورأيًا، لكنه صَدَف عن اللغة العربية ومعلوماتها وأبوابها ومفرداتها. وشباب الأمس لم يكن لديه ما لدى شباب اليوم، ولهذا كان شباب الأمس متينا في معرفته، لكنه غير واسع في اطلاعاته على التطور والازدهار مثلما يحدث لشباب اليوم. والقارئ والكاتب يعرفان الفرق بين الفريقين ببلاغة الأسلوب وبراعته وسلاسته ومرونته.

• يبدو أن جيل الشباب العربي غدا محل اتهام دائم من الأجيال السابقة، بينما هو يرى أن هناك تقدما قد طرأ على المجتمع العربي! فما رأيكم في ذلك؟

أحمد بن عمر المعلا

ص ب1511، المكلا، الجمهورية اليمنية.

ـ الشباب العربي يختلف بعضه عن بعض باختلاف ظروف بلاده، فالدول التي دنّسها الاستعمار طبع كثيرًا من شبابها بطابع استعماري ليس له سند من الأدب الرفيع والدين السليم والخلق القويم، أما الدول التي كانت في سلام وأمان من الاستعمار، كبلادنا المملكة العربية السعودية، فهو ليس في موضع اتهام، ولا يخدش خلقه ودينه ومسلكه ودراسته خادش، لذا فإنني أرى أن دراسة الدين يجب أن ترافق الطالب من سنيه الأولى وحتى الدراسات العليا، تبدأ موجزة بسيطة، ثم تتسع باتساع الزاد الثقافي للدارس بحيث لا يكون في مرحلة من المراحل مفصولاً عن الدين والأدب العربي الفصيح لغة ونحواً.

• هل يمكن القول بوجود انقطاع ثقافي بين الأجيال في عالمنا العربي؟

عبدالعزيز بن حامد الرفاعي

كلية علوم البحار، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة.

ـ الانقطاع الثقافي بين الأجيال في عالمنا العربي ليس موجودا على إطلاقه. ذلك أن الأساس في ثقافة ابن البلاد السعودية مثلاً راس وراسخ، ولا تؤثر فيه الرزايا والأفكار المسمومة التي أشرنا إلى أصحابها من قبل. ويجب ألاّ ننكر أن الحياة الحديثة قد استأثرت بهوى كثير من شباب العرب والمسلمين، وأحدثت اختلافًا في وجهات النظر بين الجيل الماضي والجيل الحاضر، وذلك أمر طبيعي؛ فالحياة متجددة، والتطور مستمر، غير أن التمسك بالجذور في إطارها العام يعين على هضم الجديد، والانتفاع بحسناته، ونفي خبثه وسموم الماكرين من أصحابه، وتقريب الأجيال بعضها من بعض.

• ما السبيل إلى رأب الصدع إذا كان هذا صحيحا؟

تحرير الفيصل

ـ أشرنا آنفًا إلى أن ما نراه من اختلاف بين الأجيال إنما أحدثه العصر بما جدّ فيه من اتصالات بين الأمم، واختلاط بين المبادئ والمثل، وإعجاب فريق كبير من الشباب بمظاهر الحياة الغربية الحديثة، ونسيان النفس والماضي في ظلال الخديعة الحضارية المضلّلة الوافدة؛ ولا يمكن رأب الصدع، في رأيي، إلا بحسن تربية الفتى والفتاة على أسس إسلامية متينة، وتثقيفهما ثقافة واعية تعرف ماذا نأخذ وماذا ندع، وترفض كل ما يخل بتوازن تنشئة الأجيال، واعتماد الأسس التي وضعها الحكيم العليم لعباده.

• مع وجود القنوات الفضائية التي حققت الاتصال المباشر بين أرجاء المعمورة؛ إلاّ أن قنوات الاتصال بين المثقفين العرب لا تزال مصابة بالتشويش وعدم الوضوح. إلى أيّ حد يصدق هذا الرأي؟

أحمد علي النجراني

ص ب42، الرفاع، البحرين.

ـ معظم القنوات الفضائية (ما عدا قنوات حكومتنا المطهرة المبرأة) فيها من السفور ما الله به عليم!! ودعنا من التشويش، فضلاً عن المعنى المذاع الذي لا نرضاه ولايلتقي مع ديننا ومُثلنا وعاداتنا وتقاليدنا.

• كيف تنظرون إلى هذا الكم الهائل من المعلومات المتجددة في العالم، وما الطريقة المثلى لاستيعاب هذه المعلومات وتوظيفها؟

تحرير الفيصل

ـ هذا الكم الهائل من المعلومات الواردة التي تتجدد يوما بعد يوم في العالم، وتسمعها عبر المذياع والتلفاز، وتنظر إليها بلا استغراب هي خير دليل على العصر الذي نعيشه بما فيه من خير قليل وشر كثير، لأن معظمها يصدر من قوم أخلاقهم ليست سامية كريمة في خدمة الإنسان. والفتى والفتاة لا يُخشى عليهما منها إذا حَصّنا أنفسنا بما يوصي به الدين وبما ينهى عنه سيد المرسلين، وبما حَصّننا به القرآن والسنة من دروع العلم والتقوى. وديننا ما ترك شاردة ولا واردة إلا أعطانا عنها توجيهًا وإرشادا لذوي العقول والنهى. ولا طريقة مثلى لتحصين الجنسين من الانزلاق في هذا المورد الوبيء إلا الدين والخلق اللذان هما ـ ولله الحمد ـ خير درع يقينا هذه الوافدات إذا ادّرع بهما فتانا وفتاتنا وتحصّن بهما الآباء

منتدى «الفيصل»
الشيخ عثمان بن ناصر الصالح



والأمهات، وبذلك نكون قد أمنّا هذه المزالق الوافدة والخاطئة معاً. وأرجو ألا يُحمل كلامي على رفض كل مـا تأتي به الثقـافات، فنحن لا خوف عـلينا ـ مادامت الأسس سليـمة ـ إذا أخذنا ما هو نافع من ثمرات العلوم والفنون، أما الخطر كل الخطر فيبدو حين نُقبل على أخذ كل ما يُلقى إلينا في جوّ من نسيـان النفس والماضي.. لذا فإن عليك غربلة هذا الذي يأتيك من كل مكان؛ فما كان صالحًا فخذه، وما كان فاسدًا فاطرحه غير مبال!

• مـا مـدى قناعـتكم بوجود المجـلات التـخـصـصيـة، وهل حـان وقت التخصص الثقافي؟

عمر علي خسرو
شارع جرير، الملز، الرياض.

ـ المجلات التـخصصية يجب أن تظهر بتكاتـف نخبة من المتـخصصين ليكوّنوا مـجلات. وأرى أن التخصص واجب، وعلى أدبائنا والمشرفين على المجلات أن يعتنوا بهذا كل العناية. ولكن لابد من أن يكون في أي مجلة اتساع فكري واع يجعل مع التـخصص ما يلطفه من الموضوعات الأخرى كالتأريخ لشخصيات أدبية وتاريخية في القديم والحديث.
إن العصـر الآن عصر التخـصص ويجب أن يكون، على أن تدير دفتـه أيد خبيرة، وعـقول مستنيرة.

• «مجلة المعـرفة» حـضرتم افتتاح عـودتها تحت رعاية ابن الـرياض البار الأمير سلمان بن عبدالعزيز حفظه الله. فكيف تنظر إلى هذه المجلة؟

س. م. ع.
ص ب 60059، الرياض 11545.

ـ مجلة المعرفـة أصدرها وتابع إصدارها ونشرها الأميـر فهد بن عبدالعـزيز عندما كان وزيراً للمعارف، ثم توقفت المجلة. وكان أحد إنجازات وزير المعـارف المتألق محمد الرشيد أن أعاد استمرارها. وأعجبتني كثيراً إشارة الأمـير سلمان في حفل افتتاح عودتها إلى إبراز اسم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد في مجلة المعرفة؛ حيث صدرت في عهده وزيراً وأعيد إصدارها في عهده ملكًا. والمجلة مكسب لقضية المعلم والمتـعلم والتعليم على حد سواء، فهي تخاطب الجميع. ولم تدهشني قوة انتشارها والإلحاح على طلبها من الجميع، لأنها كانت مطلبًا تحقق وعاد إلى الحياة. أما وزير المعارف فـقد عرفناه طالبًا متفوقًا، ومعلمًا ناجحًـا، وخبيرًا ناصحًا، ومديرًا بارزًا، وباحثًا متعـمقًا. لذا أعطى المعلم وهجًا، وأعطى العلم نشرًا، والدارس والمدرس ما يستحقانه من التقدير. ولا شك أن هذا نابع من استنارته بلمسات خادم الحرمين الشريفين وبتأثيره البالغ في التعليم في بلادنا.

• مجلة رسالة الخليج التي تصدر عن مـكتب التربية العربي لدول الخليج العربية.. هل أدت رسالتها؟ وماذا أنت قائل لمكتب التربية العربي؟

علاءالدين دسوقي
عمارة بن سيف، حي الصفا، ص ب 21153، جدة.

ـ تصلني «رسالة الخليج» المجلة التربوية العلمـية الاجتماعية التي بلغت شأوا بعيداً في ميادين الثقافة المختلفة، تعالج بحوثهـا ودراساتها بصدق، وتبنيها على أسس كريمة من الدين والخلق والتقـوى. ويصلني معهـا كتب قيـمة، منها ما يمثل الأقدمين من المربين والعلماء، ومنهـا ما كُتب بأقلام علمائنا المعـاصرين، وهما ملتقيان هدفا وقيمـا وغاية. وعلى رأس مكتب التربية العربي لدول الخليج الـعربية رجل مثـابر هو الدكتور علـي التويجري، المؤهل علميًا وتربويًا، الدارس العاشق للغـة العربية، وقد أدى من المجهـودات الكثير بشجاعـة فكرية، وبروح وطنية على مبـدأ علمي رزين وتوجيه مكين (وقبل ذلك كان للدكـتور محمـد بن أحمد الرشـيد خطوات تُشكر وأفعـال تُذكـر في مكتب التربيـة)، وقد أسس كـيـانًا أعطاه القـدرة على الاستمـرار. ولكن المُثل التي تصدر حول التربيـة والاتفاق عليها لم تكن مطـابقة لما يراد وما يريده الدكتور علي التويجري الذي أعرب وأطرب وما أبعد ولا أغرب. وأقول له بصراحة لم يكن لإعـرابك وإطرابك من التطبـيق في التربية، مـا يتفق ومـا يجب ومـا هو المراد؛ لا في البـرامج التي لم تكن مـتطابقـة، ولا في الأخـلاق التربـوية التي ينادي بهـا المكتب، ولا في تعـميم المثل الدينيـة، ولا تطبيق النـواحي التعليـمية الـتي نود أن تكون واحـدة في جميع المدارس، والتي نحن نتمـسك بها، وندعو إليها، وننادي بتطبـيقها. لكني أعتقد أن المكتب أدى رسالة ومازال يؤديها بحنكة وسياسة وإيمان، ونريد منه المزيد.

• ما العـلاقةالتي يجب أن تسـود بين رجال التربيـة والإعلام؟ ومـا معنى إعلام تربوي؟

عبدالرحمن الشويمي
مكتب التربية العربي لدول الخليج، ص ب808، الرياض.

ـ رجال التـربية مـعنيّون بغرس حـسن الخلق في نفوس الشبيبة، وحب العـلم في عقولها بمقياس ومـقدار وتفكيـر وتدبر؛ فـلا يزيدون كـميـات المعلومات بحيث تتضخم مما يجـعلها تفتّ في إدراك الشباب وفي جهـده، وتخلخل عزمه في سنواته الأولى. فـهـضم المعلومـات يجب أن يكون بطرائق واضـحة جـذابة تحبب إليـه العلم وترغبـه فيـه، وبجرعات ومـقادير لا تنبو عنها قـدرته ولا ترتفع عن مداركـه. فالطعـام إذا زاد على المعدة شَقّ عليها وربما أرهقها فأحدث فيها عسـرًا. وكـذلك المعلومـات إذا زادت على حدها، أدت ـ كما تقول العامة في أمثالها ـ إلى



في حفل إصدار كتاب ذكريات محمد الحمد الشبيلي ويبدو في الصورة من اليمين بندر الصالح، عبد الرحمن الشبيلي، الشيخ عثمان الصالح، محمد الشبيلي



الشيخ صالح بن ناصر الصالح أستاذ الشيخ عثمان الصالح الذي درس على يديه

ضدها. فإذا كان الشاب متطلعًا للفائدة جادا في الدراسة فلا تُزاد عليه المعلومات طمعًا في إدراكه أكثر من استيعابه. ولكنْ مقدارٌ بمقدار وتوجيه بفكر وتقدير يصل الشاب إلى مرامه. فإذا اتسعت مداركه، وانداحت مواهب، وتجاوز مراحله الأولى، برزت شخصيته في علومه، وتكامل مفهومه، وغدا جديراً بهضم كل علم، ومدركا لكل معرفة بفضل المربي الذي أحسن التقويم بعقل سليم، فسيصبح الفتى عالمًا ذكيا مستوعبًا واعيًا. فاعطه ما أراد وزد عليه ما تريد، فهناك يتحمل ما تعطيه، وسيلتقي مع الإعلام لبلوغ هذا المرام، وسيجتازه بأمان وسلام مكنهما المربي في فكره ورسخهما في وعيه، وصحباه في عمله وسعيه. لكن ما هو الإعلام؟ لست أقصد هنا الإعلام في صحيفة ولا في جهة إعلامية إذا كنتم ترون ذلك، لكن من المدرسة وفي المعهد. يبدأ من الأولى بشجاعة في تلقي درسه بتشجيع مستمر وتوجيه متوال، حتى إذا اشتدَّ عوده وزاد مجهوده فاجعل له مقالا في مدرسته، وكلمة في فصله، ومقولاً في كل مهرجان وحفلة تقام.. ففي هذا بناء الشاب، وهذا هو الإعلام الأول الذي يوصله إلى الإعلام الأعلى والدرجات المَرْضيّة في العلم والمعرفة. وهنا يلتقي الإعلام والتربية ليكون الإعلام التربوي الذي يخلق شخصية متميزة وعقلا واسعا وإدراكا مهمًا في هذا الشاب الذي ارتوى من معين التربية، وتضلّع من العلم، فبدا شابًا في ميدان الحياة يتسنم معالي الأمور بعقل منير وفكر مستنير، وما دام متدربا في هذه المسارات بكثير من المعلومات والمهارات على يد المربي الأول؛ فسترى منه في المجتمع رجلاً كبيرًا جديرًا بالحياة والعمل وخدمة الوطن، مهيأً للإعلام العام.

والإعلام العام يشكل إمكانات واسعة في عون العلم والتربية أو - لا قدر الله - عقبة في سبيلهما، وإنني، وإن كنت لا أرى توجيه الإعلام لشرائح المجتمع المختلفة توجيها خاصًا، فإنني في الوقت نفسه أرى مراعاتهم وأخذ ما ينفعهم في الحسبان حين الإعداد والتقويم.

• كيف هو التذوق الأدبي عند شيخنا عثمان الصالح؟ ولمن يقرأ من الشعراء، وما المؤلَّفات التي يوصي بها شيخنا لطلاب المراحل التعليمية أن يقرؤوها في ميدان الأدب والثقافة؟ وهل هناك كتب تحرص عليها تنمي ثقافة الطلاب؟

علي بن محمد الذوادي

شارع الشيخ عيسى، المنامة، البحرين.

- الأدب سلعة غالية. والأدب العربي الفصيح شعرًا ونثرًا يكفي أن القرآن والسنة كستاه ثوبًا جميلا رائعًا نُسج من لغة فصيحة حفظها لنا الكتاب والسنة. وثوب الأدب العربي الفصيح - جاهليًا كان أو إسلاميًا - لم يزل حتى الآن ثوبا أنيقًا وتاجًا وسيمًا، ما تضعضع بنيانه ولا تخلى عن روائه ونقائه. وفي كل عصر من عصورنا الزاهية وإلى الآن، في كل دور من أدوار حياتنا يتجدد له موسوعات ومجموعات وعلماء وأدباء حافظوا على كيانه. وإذا كان قد تسرب الوهن إلى بنيانه في دول معينة فلأن إعداد اللغة وما لها من تأثير حاول المستعمر أن يخضد شوكته ويخلخل كيانه بإيجاد مدارس لا تُعلِّم الدارس إلا لغة نائية عن اللغة السليمة والدين. ولم يبق في هذه المدارس إلا الرسم فقط بل الوهم. أما ما أنصح به وأراه البنية الكبرى والسمة العليا فهو أولاً: كتاب الله جل وعلا، والسنة التي حفظها لنا علماء لو كان علمها في النجوم لنالها رجال من علمائنا. كما أن مجموعة من شعراء الجاهلية وعلى رأسهم امرؤ القيس والنابغة والأعشى وزهير بن أبي سلمى، وبضعة شعراء من المخضرمين أو شعراء العهد الأموي كحسان وكعب بن زهير وعبدالله بن رواحة والفرزدق وجرير، وشعراء من بني العباس أمثال أبي تمام والبحتري والمعري والشريف الرضي ثروة هم وأمثالهم لا تُضيَّع.

وعلينا أن نستبدل بالقواميس المنمقة التي ألفها أعداء اللغة كالمنجد وأضرابه، المحكمَ ولسانَ العرب وشرحَ القاموس الذي يشرح الكلمات ويستشهد بآي القرآن الكريم وكلام من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم، وكذلك كلام بلغاء العرب. ولا أنسى كتّاب صحوة مصر ونتاج الأزهر من أمثال الرافعي والزيات وشوقي وحافظ ومحرم ومطران والمنفلوطي الذين أبدعوا أدبًا حيًا لا يُنسى، وهذا يذكرني بالجاحظ وكتابه العظيم البيان والتبيين، وهو رابع أربعة كتب خالدة يجب أن تكون بحوزة الأديب، وسماها العلماء أعمدة الأدب، وهي: الكامل للمبرد، والأمالي للقالي، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والبيان والتبيين للجاحظ. ولابد أن تكون بين يدي العالم والمتعلم والمدرس كتب أخرى من نفائس التراث مثل: أدب الكاتب لابن قتيبة، وحماسة أبي تمام، ومختارات الأصمعي وما يماثلها، فهي كتب ثمينة تربي الذوق الأدبي وتطبع المتعمق فيها على الفهم الأدبي الصحيح الفصيح، ومن يجلس إلى مكتبه وليس على يمينه هذه الكتب فليس يستحق، في رأيي، أن يكون فصيحًا ولا طالب علم عربي صحيحًا.

الشيخ عثمان بن ناصر الصالح في سطور:



- من مواليد المجمعة، المملكة العربية السعودية 1335هـ/1917م.

- نال ما يعادل الشهادة الثانوية من المدرسة الأهلية في عنيزة عام 1353هـ، ودرَّس فيها سنتين قبل تخرجه.

- قضى 34 عامًا من حياته في حقل التربية والتعليم، إذ عمل مدرسًا بعنيزة، ومعلمًا ومديرًا بمدرسة المجمعة، ومديرًا لمدرسة أنجال الأمير عبدالله بن عبدالرحمن، ثم مديرًا عامًا لمعهد الأنجال بالرياض «معهد العاصمة النموذجي»، الذي قضى به قرابة ثلاثين عامًا، كما كان رئيسًا لتحرير مجلة البحوث الإسلامية عدة سنوات.

- من الأعضاء المؤسسين في مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، وسبق أن كان نائبًا لرئيسها، وعضوًا في مجالس إدارتها بضع عشرة سنة.

- قدَّم بعض المشاركات والاستشارات في جهاز الدولة من خلال المجالس واللجان المتخصصة.

- له مشاركات كثيرة بالكتابة في قضايا التربية والتعليم، والقضايا الاجتماعية والتاريخية والدينية في مجلات البحوث الإسلامية، والفيصل، والمجلة العربية، والحرس الوطني، والدفاع، والمعرفة، إلى جانب الصحف المحلية وبعض الصحف الخليجية.

منتدى «الفيصل»

الشيخ عثمان بن ناصر الصالح



• عندما يتحدث المربون عن الطلاب وتحصيلهم العلمي المبكر يذكرون الشيخ عثمان الصالح وحبه للمبدعين. فماذا يعني الإبداع لكم؟

أحمد جهاد الأميري (مصري مقيم بالمملكة)

عمارة الباخرة، الرياض.

ـ التحصيل العلمي والتفوق من الأمور التي ترافق الإبداع، وكذلك اختيار العلم وانتقاء المدرس. ولمعهد الأنجال حظ كبير في هذا المجال، فقد كان المتفوقون والمبدعون فيه مما يجذب النظر. ففي سنة ما كان من المعهد طالب أصبح الأول في وزارة المعارف عموماً. وفي سنة أخرى كان ثلاثة من الطلاب من العشرة الأوائل. ولا يخلو عام إلا ويكون من المعهد بارزون ومتفوقون ومبدعون، وهذا التفوق وراءه عمل وتشجيع. والإبداع عندي ثمرة واضحة لمجهود يُبذل، مداه النصح والاجتهاد من المدير والمُدار والمدرس. والإبداع يستعصي على التفسير بطبيعته، ولكنه بشكل عام ضد التقليد، وخروج من الوضع العادي، وليس كل إبداع صائباً، ولكن ما كلُّ تقليد حق، إلا تقليد نبيّ هذه الأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

• ومن المبدع في رأيكم؟

ناهد عبدالعزيز

الجمعة.

ـ هو ذلك الذي يتفوق لدرجة تميزه من الآخرين في مجاله أو مهنته أو عمله. وهذه موهبة إذا وجدها في نفسه وأتقنها يجب أن يحافظ عليها وينميها بالدراسة والمثابرة والتواضع الجم الذي يجعله في المقدمة.

• كلمات الشاعر «عبدالله الفيصل» بماذا تذكرك؟

س. ع. م.

ص ب8، السوق الشعبي، طريف.

ـ قناعتي وكتابتي عن الشاعر الجليل الأمير عبدالله الفيصل في شعره حق، فهو سلس يصطنع أسلوباً عربياً خالياً من الفضول والأوشاب. ثم إنه يقصد إلى معان شريفة سواء كانت مدحاً أو غزلاً أو قضايا اجتماعية. وأكاد أجزم أن مثل شعره وما يماثله من الآخرين هو ما ندعو إلى إذاعته ونشره لعله يجتث أشعاراً كثيرة تطغى ـ طباعةً ونشراً ـ على غيرها مما هو مستحسن مثل شعر من ذكرت كالأمير خالد والسديري وغيرهما. وتذكرني دواوين الأمير خالد الفيصل تلميذ أخيه عبدالله بأصالة الشعر الشعبي الذي كان، وما زال، رافداً من روافد الشعر العربي ومنحى من المناحي المعروفة والمطلوبة محليا وخارجياً، وحتى عربياً.

لم أجد أنفع في بناء الإنسان من تنمية شخصيته، على أن يرافقها تفوق ونبوغ ليستحق التشجيع والحافز، كي يسلك المسالك التي يصبو إليها مجتمعه

• برزت بين المثقفين ظاهرة المجالس الأسبوعية، ومنها ما يُعرف بالاثنينية أو الخميسية. وعلمنا أن لكم في كل اثنين ندوة أسبوعية، فما قصتها؟

عصام عبدالمقصود هشام

ص ب11511، سوق مكة التجاري، الرياض.

ـ الاثنينية بدأت بعد أن كنت ممن يداوم على حضور خميسية أستاذنا الجليل عبدالعزيز الرفاعي، وبعد وفاته رأى مجموعة من الإخوان أن يكون هناك لقاء يجمع بين محبي الأدب والثقافة والتعليم، وقدرت للجميع رغبتهم واختيارهم، وتكونت الاثنينية وبدأت، ولقيت تأييداً من أمير الرياض وابنها البار سلمان بن عبدالعزيز، وتشجيعاً في احتضان المحبين في منزلي كل اثنين. إلا أنني أحاول ـ على تزاحم المناسبات والحفلات والافتتاحات في هذه البلاد العظيمة وفي جميع أرجائها الواسعة ـ أن أحضرخميسية أحمد باجنيد، واثنينية جدة للوجيه المعروف عبدالمقصود خوجة، وأحدية جدة للدكتور المحبوب أنور عشقي، وأحدية الرياض للدكتور راشد المبارك.

• واقع الأندية الأدبية اليوم هل حقق طموحات الأدباء والمثقفين ؟

عبدالعزيز بن يوسف مهاوي

سوق قابل، جدة.

ـ الأندية الأدبية وتبعيتها لرئاسة الشباب التي يرأسها الشاب النشط الأمير فيصل بن فهد وأخوه ونائبه سلطان (وقد عرفتهما طالبين بارزين في معهد الأنجال)، تسير سيراً حسناً مطابقاً للغرض والهدف التربوي والإسلامي معا. لكن الأندية شبه مستقلة بعضها عن بعض ولا رابط يشدّ بعضها إلى بعض إلا الوطن. وليت أنديتنا، وفيها رجال مخلصون، يلتقي معهم المواطن في الحضور والمشاركة، فقد يُدعى عظيم من عظماء الأدباء والشعراء ويدعون للحضور، ولا يحضر إلا قلة لا يشكلون نصابا فيخجل النادي ويأسف المحاضر (بكسر الضاد)، وهذا شيء شاهدته بنفسي، وقليل من أندية المملكة يحظى بحضور تام.

• من واقع اهتمامكم بقضايا المرأة والأدب: هل هناك أدب نسائي؟ ولماذا لا تزال المرأة تتأرجح في هذا المجال؟

عواطف الأحمري

بلجرشي، المنطقة الجنوبية.

ـ أدب المرأة وأدب الرجال يستقيان من مَعين واحد، ومَنْ فرّق بينهما فإنما يفرق بين مادة أدبية واجتماعية وبحثية واحدة، فالنساء شقائق الرجال، وكلٌّ من الفريقين يحس بحاجته إلى الآخر، والفريقان كلاهما يسيران في مجال واحد ويصبان في نهر أدبي واحد. ولا أعتقد أن المرأة تتأرجح أو تتخبط في ميدان الأدب، فعندنا أديبات بلغن شأواً عاليًا في مجالهن. كما أني أومن أن إدراك المرأة الناضج لمعنى المنزل والأولاد، وبناء حياة الأسرة بناءً سعيداً متماسكاً يجد فيه الزوج والأولاد الطمأنينة والمودة، إن إدراك المرأة لتبعة ذلك كله هو بحد ذاته أدب يعود بالخير العميم على المجتمع كله.

• ألم يفكر الشيخ عثمان الصالح في كتابة مذكراته وتقديم ماشهده للتاريخ؟

تحرير الفيصل

ـ المذكرات هي لعظماء الرجال من القادة والعلماء والأفذاذ في سيَرهم وصلاحهم، وما أنا من هؤلاء في شيء. ومع هذا فقد جرت معي حوارات كثيرة في الصحف والمجلات منذ تركت التعليم قبل أكثر من خمسة وعشرين عامًا، وما أكثر ما عبّرت عن حياتنا التعليمية والتربوية، وأشرت إلى ما كان فيها من قسوة نبيلة الأهداف، وتجديد في المعلومات في ضوء طبيعة تاريخنا وعقيدتنا .

أما المذكرات لو كُتبت كما أراد الكثيرون، ومنهم الأمير فيصل بن فهد، فلا أريد أن أكتب ما سيكون غباراً في حياتي وبعد مماتي. وشهادتي للتاريخ فهمها أصحاب التاريخ وأنا حيّ أُرزق، وأخشى أن يكون لما أكتب تأويل آخر ما قصدت إليه.



الدكتور
غازي بن عبدالرحمن القصيبي

ضيف المنتدى في عدد شهر جمادى الآخرة 1418 هـ

نبذة من سيرته :

ـ من مواليد الأحساء، المملكة العربية السعودية، 1359هـ/1940م.

ـ حاصل على ليسانس الحقوق، جامعة القاهرة، وماجستير العلاقات الدولية، جامعة جنوب كاليفورنيا، والدكتوراه في العلاقات الدولية، جامعة لندن.

ـ التحق بسلك التدريس في جامعة الملك سعود بالرياض حتى أصبح رئيسًا لقسم العلوم السياسية، فعميدًا لكلية التجارة؛ وكان خلال ذلك يعمل مستشارًا لعدد من الجهات الحكومية.

ـ عُيِّن مديرًا عامًا لمؤسسة الخطوط الحديدية في عام 1394هـ/1974م، وفي عام 1395هـ/1975م عُيِّن وزيرًا للصناعة والكهرباء، ثم وزيرًا للصحة عام 1402هـ/1982م، وفي عام 1404هـ/1984م عُيِّن سفيرًا للمملكة في البحرين.

ـ يعمل حاليًا سفيرًا لخادم الحرمين الشريفين في المملكة المتحدة وإيرلندا.

ـ له نشاط اجتماعي واسع من خلال جمعية رعاية الأطفال المعاقين، وجمعية البر بالرياض، وجمعية البر بالمنطقة الشرقية، وجمعية مكافحة التدخين، ولجان أصدقاء المرضى، وبيت القرآن بالبحرين.

ـ له عدد من الدواوين الشعرية: أشعار من جزائر اللؤلؤ، قطرات من ظمأ، معركة بلا راية، أبيات غزل، أنتِ الرياض، الحمى، العودة إلى الأماكن القديمة، ورود على ضفائر سناء، مرثية فارس سابق، عقد من الحجارة.

ـ من مؤلفاته: عن هذا وذاك، في رأيي المتواضع، المزيد من رأيي المتواضع، التنمية وجهًا لوجه، قصائد أعجبتني، سيرة شعرية، مئة ورقة ورد، الغزو الثقافي، أزمة الخليج محاولة للفهم، العودة سائحًا إلى كاليفورنيا، وغيرها.

ومن آرائه :

«يبدو لي أن أي مواطن بعيد عن الإلمام بأولويات التقنية محروم من الوعي التقني هو مواطن أميّ تقنيًا.. مثل هذا المواطن لا يستطيع تطويع التقنية وبالتالي تحقيق التنمية، ومجتمعاتنا العربية تغص بأمثال هذا المواطن».

التنمية: أفكار وانطباعات

محاضرات الموسم الثقافي لجامعة الدول العربية، تونس، 18تشرين الأول/ أكتوبر 1985م.

يقول موجهًا حديثه للغرب: «.. كلُّ قاضٍ مسؤولٌ أمام الله مسؤوليةً شخصية مباشرة عن كل حُكم يُصدره.. هذا شيء لا تستطيعون فهمه في الغرب!! كل ما تفهمونه هو العدالة التي تتحقق عن طريق المبارزة بين الدفاع والهجوم.. ولدينا لا توجد مبارزات».

حوار في برنامج «بانوراما» في هيئة الإذاعة والتلفاز البريطانية، نشرته مجلة المجلة في 10آب/ أغسطس 1996م.

«.. ما تفعله مخالب البيروقراطية بالتنمية ليس سرًا مكتومًا يُضيره الافتضاح بل ظاهرة معروفة مألوفة.. كثيرًا ما تكون أهداف التنمية في وادٍ وأهداف البيروقراطية أو جزء منها في وادٍ آخر!!».

التنمية: أفكار وانطباعات

محاضرات الموسم الثقافي لجامعة الدول العربية، تونس، 18تشرين الأول/ أكتوبر 1985م.

«.. أقول إنَّ الشاعر الحقيقي هو الذي يستطيع أن يحوِّل تجربته الفردية إلى موقف إنساني: حبيبةُ الشاعر تصبح حبيبة كل إنسان، وألم الشاعر يصبح ألم كل إنسان.. وهكذا يصبح القارئ جزءًا من التجربة الإنسانية التي تحدث عنها الشاعر!!».

من مقالات في الأدب تحت عنوان: هل للشعر مكان في القرن العشرين، ص13، مطبوعات نادي الطائف الأدبي.

«منذ إنشاء الدولة السعودية الأولى، قبل قرابة قرنين، كان هناك تحالف بين القيادة السياسية، متمثلة في أسرة آل سعود، والقيادة الدينية التي تمثلت في الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثم في العلماء. وقد أثبت هذا التحالف، عبر السنين، صلابته وقوته وصموده في وجه كل الضغوط والأزمات».

أزمة الخليج: محاولة للفهم، ص122

«إن سبيلنا الإسلامي القويم لا يتطلب منا ما تطلبته الرأسمالية المتطرفة من أتباعها، ولا ما تتطلبه الشيوعية الغاشمة من الواقعين تحت نيرها الجهنمي. الإسلام يعترف بحقوق الفرد كما يعترف بحقوق المجموع، ويرفض أن يخنق حرية الفرد ويقضي على مقومات إنسانيته في سبيل بناء جنة مزعومة على الأرض لم تتحقق ولن تتحقق».

التنمية وجهًا لوجه، ط1، 1401هـ، ص47.

«.. سأطرح عليكم سؤالي التالي: هل للإسلام موقف مناهض للشعر من حيث هو شعر؟ وللشعراء من حيث هم شعراء باستثناء شعر معيّن لشعراء معينين تتوافر فيهم شروط معينة؟ أم إنه لا يتصف بأي نوع من أنواع العداء إلاّ ما كان لشعراء هجوا الرسولَ صلى الله عليه وسلم؟».

من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون، ط1، 1410هـ، ص5.

تتلقى المجلة أسئلة القراء البريدية على العنوان: ص.ب 3 ـ الرياض 11411، وبالفاكس: 4647851 وبالهاتف 4653027
ما بين الساعة 12- 1 ظهرًا والساعة 8- 9 مساءً.

يتقدم مجلس إدارة

الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع

بخالص الشكر وعظيم التقدير

لمعالي الشيخ

أحمد محمد صلاح جمجوم

رئيس مجلس إدارة الشركة
على جهود معاليه المتميزة، التي بذلها
إبان توليه رئاسة المجلس، والتي كان لها
الأثر الواضح على الإنجازات الكبيرة التي
حققتها الشركة طوال السنوات الماضية.
ويتمنى المجلس لمعاليه دوام النجاح
والتوفيق، وأن تُكلَّل أعماله بالخير
والسؤدد

بين العلم واليقين

حسن بن حسين المهنا

هذه السطور تخوض في موضوع شائك صعب، أطرح فيها رأيا حول بعض المستجدات العلمية، وموقفنا منها نحن المسلمين، وهو رأي قابل للمناقشة والتعقيب، والأخذ والرد، لتعم الفائدة الجميع، والله المستعان.

تخرج علينا أنباء الاكتشافات العلمية متتابعة ومتسارعة في هذا العصر، فما كاد العالم يفيق من صدمة استنساخ الحيوانات، حتى خرجت وسائل الإعلام لتقول إن بعض العلماء قد اكتشفوا في جسم الإنسان «صمام الحياة والموت»، (جريدة الاقتصادية 9 آذار/مارس 1997م)، حيث هناك من يدّعي التنبؤ بمقدار ما بقي من عمر شخص من الأشخاص، استنادًا إلى مواد كيماوية تتضاءل في جسم الإنسان حتى تنتهي.

وكما تعودنا دائما، فإن المطبوعات الأجنبية كانت تمتلئ بمعلومات مفصلة عن هذه الإنجازات العلمية، وكيفية القيام بها، ونبذة عمن قام بها، مشفوعة بالصور والرسوم التوضيحية، بينما تكتفي أغلب المطبوعات العربية ـ بشكل عام ـ بإبداء الآراء، وأغلبها آراء سلبية ومستنكرة لما حصل، ولكنها تتجاهل التفاصيل العلمية، وهذه خاصية عامة لكثير من المطبوعات العربية، التي انطبعت بطابع الضجة والإثارة، وطغت عليها الآراء والانطباعات، وأصبح المهم أن تؤيد أو تعارض، أما التفاصيل العلمية لما حدث فهي غير متوافرة فيها.

على كل حال، لا يهمنا في هذه السطور موقف الصحافيين والكتاب من ناحية إغفال المعلومات الأكاديمية التفصيلية، لكننا نتساءل عن موقف المفكرين والعلماء واعتراضهم أو شجبهم واستنكارهم لهذه الأمور، من دون مناقشتها ومعرفة حقيقتها، ونستغرب أكثر حين ينقسم علماء المسلمين، ما بين قائل باستحالة بعضها، وعدم إمكان حدوثها، لأنها مما اختص به الخالق عز وجل، وقائل بأن من يفعلها آثم، مما يعني ضمنًا أنها ممكنة الحدوث.

وجوب المعرفة قبل الحكم

إن أكثر ما يهمنا لدى الحديث عن الاكتشافات العلمية الأخيرة هو منهج تعاملنا معها بصفتنا مسلمين، لأننا نتوقع أن تطلع علينا الأيام القادمة بما هو أعظم وأفدح. إن غير المختص في العلوم الفيزيائية أو الكيماوية أو التقنيات الحيوية، يحتاج إلى الإلمام بها قبل الحكم على شيء منها بالتحريم، وليس قصدنا هو الاعتراض على تحريم بعض الاكتشافات العلمية، لأننا ندرك مصير هذه الاكتشافات حين تقع في أيدي من يفتقرون إلى الوازع الديني، والحاجز الأخلاقي، ولكننا نقول إن تحريمها في العالم الإسلامي يجب أن يكون بعد دراسة وتشاور بين علماء الفقه أو الشريعة والمختصين في هذه العلوم المتعددة؛ بل بعد التشاور بين علماء الشريعة أنفسهم، وبعد تقليب الأمر على وجوهه المختلفة؛ أي إن المقصود بالذات ـ في هذه السطور ـ هو عدم التسرع في الحكم.

إن التسرع في الحكم أمر شائع في مجتمعنا، وفي كثير من المجالات الفكرية والاجتماعية وغيرها، وقد رأينا حالات كثيرة أقحمت فيها الأحكام الشرعية، على الرغم من أن كلا منها تتعلق بإجراء عملي عادي، وهو أمر مثير للدهشة والقلق معًا. ولنأخذ على ذلك مثالا عشوائيًا، فهناك ـ على سبيل المثال ـ من يبدي ملاحظات حول برامج التلفاز السعودي، ويرغب في تطويرها، لينافس ببرامجه برامج المحطات الفضائية، فقد يطلب بعض المشاهدين ـ كما قرأنا في بعض الصحف المحلية ـ من بعض المذيعين أن يخففوا من الطابع الجدي الغالب عليهم، ويدخلوا بعض المرح والدعابة والبشاشة على برامجهم، وهذا طلب عادي نتمناه كلنا، لأن التطوير سيضمن جذب المشاهدين وإبعادهم من البرامج الرديئة في المحطات الأخرى، لكننا نرى آخرين يسيئون فهم المقصود بالتطوير والتغيير، ويوجهون الأمر إلى وجهة عجيبة غريبة، نتيجة التسرع في الفهم والحكم، حيث قرأنا في بعض الصحف المحلية من يتهم أصحاب هذه الملاحظات بالرغبة في مخالفة الأحكام الشرعية، وتغيير النمط «المحافظ» للتلفاز.

وقد يقترح بعض المشاهدين تحسين إدارة البرامج حتى لا يتكرر قطع برنامج معين بسبب الصلاة، وقد يقفز بعضهم فورًا إلى الرد بأنه لابد من التوقف للصلاة، وصاحب هذا الرد قد يكون ملمًا بالأمور الفقهية، ولكنه بالتأكيد لا يلم بالأمور العملية في إدارة البرامج، فمكمن الخطأ أن يُعرض برنامج طويل قبيل الصلاة بدقائق قليلة، حيث الأولى أن تُعرض بدلاً منه فقرة قصيرة، وبعد انقضاء فترة الصلاة تقوم إدارة البرامج بعرض البرنامج الطويل، وبذلك لا تضطر إلى قطعه. إذا فالملاحظات تتعلق بمواضيع إجرائية وإدارية وفنية، ولا تتعلق بأمور شرعية أو تقترح عدم الاهتمام بالصلاة كما يتبادر إلى بعض الأذهان مع الأسف.

قد يرى بعض الناس أن هذه الأمثلة بدهية جدا، لكننا نلمس أن هذه البدهيات كثيرا ما لا تُفهم على حقيقتها، وتُقْحَم الأحكام الشرعية فيها إقحامًا. وكثيرًا ما يرى بعضهم أن اقتراح أي شيء من التطوير والتعديل إنما هو طلب لتغيير مبدأ من مبادئ الدين الإسلامي، ومثل هذا الخلط الفكري إنما يأتي من ضيق الأفق، وعدم الإلمام بالثقافة العصرية؛ بل يدل على عدم فهم الرسالة الإسلامية السمحة التي نسي فريق أنها سمحة، وأنها تصلح لكل زمان ومكان، فاكتفوا بقليل من العلوم الشرعية، ثم طبقوها حسب هذا المفهوم الشخصي.

إن التسرع آفة عظيمة، فلنحاول أن نتخلص منها، ولن يكون ذلك إلا بالمزيد من الوعي العلمي الشامل، والثقافة العصرية، والإلمام بالنظريات والعلوم المختلفة، وهذا مما لا يجدر بأحد أن يتحلى به أكثر من علماء المسلمين.

كان علماؤنا المسلمون الأوائل يلمون بالعلوم المختلفة في آن واحد، فترى عالم الطب ملمًا بالفقه والعقائد أيضا، وعالم الفلك متبحراً في اللغة وعلم الكلام أو الفلسفة، وهكذا، ولما كان هذا متعذراً في العصر الحاضر، فلا أقل من أن يتشاور علماء الفقه والشريعة مع علماء التخصصات الأخرى قبل البت في الأمور المستجدة، بدلا من التسرع في ذلك.

الاستنساخ: ما له وما عليه

والآن، لندلف إلى الموضوع الذي بين يدينا. لقد ذكرت مجلة نيوزويك الأمريكية (بتاريخ 1997/3/10م) أن بعض العلماء البريطانيين كانوا يعملون في معهد روزالين في اسكوتلندا، وكانوا يفكرون في استنساخ الغنم، حتى يمكن أن يتوافر غذاء وافر للبشر مهما تزايد عددهم. وقد عملوا عدة سنوات لتحقيق هذا الهدف، حتى تمكن أحدهم واسمه «إيان ويلموت» من استنساخ نعجة بأخذ خلية من ضرعها، ثم أخذ بويضة نعجة أخرى، وأزال منها المورثات (الجينات) التي بداخلها، ثم وضع فيها خلية النعجة الأولى، ووضع البويضة مرة أخرى داخل رحم النعجة الثانية، فولدت نعجة، هي نسخة مطابقة للنعجة الأولى.

وهناك ملاحظتان لابد من ذكرهما، الأولى أن هناك استنساخًا يحصل طبيعيًا، ومنه أخذ الإنسان هذه الفكرة، ومثال على ذلك أن بعض الزواحف إذا قطعت ذيلها ظهرت نسخة منه بعد مدة، والملاحظة الأخرى أن الإنسان أجرى تجارب عديدة على استنساخ النباتات، حتى في الدول الخليجية، (الاقتصادية 1997/3/23م)، ولم تكن لذلك أية ردة فعل سلبية على أي مستوى، بل إن بعضهم احتفى بهذا الكشف العلمي في مجال النباتات.

ونضيف إلى الملاحظتين أن أهم التطبيقات التي حفزت العلماء إلى البحث في الاستنساخ هي إمكانية استنساخ عضو من أعضاء الإنسان - كما يحصل في الزواحف - ومن فوائد ذلك أنه لو أصيب إنسان بقصور في المعثكلة (البنكرياس)، أو فشل كلوي، أو تليف في الكبد، أو تصلّب في الشرايين، أو ثقب أو تضخم في القلب، واستعصى علاج هذا العضو المريض، فإن من الممكن أن يستنسخ هذا العضو فقط، ثم يزال العضو المريض، وتوضع النسخة الصحيحة، بل يمكن صنع عدة نسخ، وتُجمّد، وتوضع في جسم المريض كلما احتاج إلى ذلك. والجديد في هذا الأسلوب أن جهاز المناعة في الجسم لن يرفض زرع هذه الأعضاء لأنها من الشخص نفسه.



انفجار بركان جبل سانت هيلانة حوّل صيف عام 1980م في أمريكا إلى شتاء

ونلاحظ على موضوع استنساخ الأغنام أنه ابتدأ لغرض نبيل، هو إيجاد ما يكفي من الغذاء للأعداد المتزايدة من البشر، وهذا أمر يحتاج إلى تدبر من جهة المسلمين فعلاً، ولا بأس من الإشارة إليه في عجالة، حيث إنه يدخل أيضًا في صلب موقفنا من العلوم الجديدة، فأغلب علماء المسلمين، أو كلهم، ضد تحديد النسل مثلاً، ولكنهم حين يسألهم الماديون عن الموارد المتاحة للأعداد المتضاعفة من البشر، فإنهم يرددون أن الله كفل رزق عباده، وأن الله «يخلق مالا تعلمون» ويكتفون بهذا، أي إنهم يحتجُّون بالغيبيات على الآخرين (الماديين)، من دون ذكر شيء عن الأسباب المادية، فلا عجب أن لا يقتنع الماديون، ويرونه جوابًا اتكاليًا وليس توكليًا، أي إنه لا يرسم طريقا للسعي في زيادة الأرزاق، ولا يشير إلى السنن المادية التي وضعها الله في الأرض.

فضل الله غير محدود

وكثيرة هي المحاولات العلمية التي يمكن أن تؤيد قولنا - لو أردنا - بأن الرزق ليست له حدود، وأن آفاق هذه الأرزاق ستُفتح للبشر تباعًا، ولكن العجيب أن المسلمين لم يلتفتوا إلى أي منها في حواراتهم مع أصحاب الأفكار الأخرى، كالداعين إلى الإجهاض، وتحديد النسل ونحوهم، فكم من اكتشاف علمي مذهل (كاستنساخ الحيوانات) يُحسب لصالحنا، ويثبت أن وسائل الرزق قابلة للتضاعف بلا نهاية. صحيح أننا قد نعترض على أسلوب الاستنساخ بالذات، ولكن المهم أن هناك أساليب متعددة يمكن أن تسهم في مضاعفة الموارد الحيوية للإنسان، ومع ذلك فقد أعرضنا عن التفكُّر في هذه الأساليب المستجدة، فلا نحن أعددنا بديلاً عنها يقنع الآخرين بوجهة نظرنا، ولا نحن عرضناها - كما هي - كأحد الأدلة على ما نؤمن به.

ولنسمح لأنفسنا بتقصي هذه النقطة بالذات بمثال آخر، فهناك أسئلة كثيرة يثيرها الماديون عن المكان الذي سيؤوي كل البشر إذا تضاعفوا دون ضوابط، حتى لو افترضنا وجود غذاء لهم، وهناك في هذا الصدد اكتشافات وبحوث علمية عجيبة أهملها المفكرون المسلمون، مع أنها تُحسب لصالح ما ذهبوا إليه، من ذلك نتذكر محاولات أمريكية - يابانية - روسية لتغيير بيئة كوكب المريخ لجعله قابلاً لسكنى البشر، واختلفوا فقط في أن اليابانيين يرون أن يبدأ الإنسان بمستعمرات صغيرة (على غرار تجربة بيوسفير - 2 في الولايات المتحدة)، تكبر وتنتشر تدريجيا، بينما رأى بعض العلماء الأوربيين والأمريكيين إمكانية تحويل المناخ في الكوكب أولا.

واختلفت الاجتهادات، ليس في كون هذا ممكنا أم لا؛ بل في الوسيلة الأفضل لتدفئة هذا الكوكب المتجمد، فقال بعضهم باستخدام التفجيرات النووية الانشطارية - أو الاندماجية بعد تطويرها، ورأى بعض العلماء أن ترسانات العالم النووية جميعها لا تعادل الطاقة الشمسية التي تتساقط على المريخ مدة نصف ساعة، ولذلك اقترحوا الاستفادة من تجربة الروس، حيث إنهم صمموا مرايا عملاقة لتسبح في الفضاء وتعكس مزيدًا من أشعة الشمس على أصقاع سيبيريا.

وعلى كل حال، فمهما كانت طريقة تسخين الكوكب، فإن شحنات الحرارة الهائلة تلك كفيلة بإطلاق كميات ضخمة من غاز ثاني أكسيد الكربون المحتبس في ثلوج كوكب المريخ. ويقوم هذا الغاز نفسه باحتباس مزيد من حرارة الشمس في جو الكوكب نفسه (على أساس ظاهرة البيت الزجاجي)، فترتفع الحرارة أكثر، وتطلق المزيد من ثاني أكسيد الكربون، وبعد ذوبان الثلوج، وتوافر

الماء، يقوم الإنسان بنشر الطحالب والنباتات البدائية في الكوكب، لتعمل على امتصاص ثاني أكسيد الكربون وإنتاج الأكسجين.. ثم يتم نشر النباتات والحيوانات الأكثر رقيًا - حسب التصنيف الأحيائي - لتطوير بيئة متكاملة على الكوكب.

هناك إذن محاولات جادة وطويلة النفس، وهناك اجتهادات علمية مختلفة في طرائق تنفيذ هذه الإنجازات الخارقة، ولكننا - نحن المسلمين - تنحينا جانبا، لا أقول تنحينا عن المشاركة فيها فعليا (ولا ندري، فقد يرى فريق حرمة استعمار كواكب أخرى)، بل تنحينا حتى عن الاستشهاد بها بوصفها وسائل متاحة لتحقيق استخلاف الإنسان وعمارته للكون، وأن الأرزاق والموارد تكتنفه من كل جانب..

وننبه هنا على أننا لا نقول بإطلاق العقال للتناسل والتوالد دون حدود، أو إنتاج أطفال لا تتوافر لهم أدنى مقومات الحياة الكريمة، فليس هكذا تكون عمارة الأرض؛ بل ما نقصده أنه لو أحسنَّا التوكل على الله وأخذنا بالأسباب، فإن من السهل علينا أن نثبت للآخرين أن فضل الله غير محدود. وحين نرى الأمور بذلك المنظار العملي الواقعي الشامل، فإننا سنحسب هذه الاكتشافات العلمية لنا وليست علينا في نهاية الأمر.

العلم ذو وجهين!

ومع ذلك نحن ندرك الجانب الآخر من هذه الاكتشافات العلمية، إذ مهما بلغ النبل والورع في نفوس أصحابها، فمن الممكن - بل المحتمل - أن تتوجه هذه الاكتشافات وجهة أخرى شاذة، ففي حالة نجاح استنساخ الإنسان مثلا، يمكن للشاذين جنسيًا الحصول على أطفال بغير الوسائل الطبيعية، بل بمجرد استنساخ أنفسهم، وقد أعلنت نساء شاذات في الغرب - مؤخرا - أنه لم يعد لهن حاجة في الرجال حتى للتوالد والتناسل!! فتستطيع أيه واحدة منهن أخذ خلية منها، ومعالجتها، وزرعها في رحمها، لتنتج نسخة منها، بل لماذا تزرعها في رحمها؟ لقد بدأ الحديث يدور عن تطوير الحاضنات الآلية لتحل محل الرحم، وتغذي الجنين، فتأتي «الأم» لتأخذه بعد نهاية الأشهر التسعة. وهناك سلبيات أخرى يتيحها الاستنساخ، حيث يمكن للجشعين والمتمردين على الإنسانية أن يصنعوا نسخًا آدمية لمجرد استعمال أعضائها في توفير قطع غيار للميسورين ماديا. وهناك الآن فعلاً من يختطف الأطفال لهذا الغرض، ويمكننا أن نتخيل غير ذلك، وأكثر منه عند غياب الضمير والخوف من الله.

بل إن هناك محظورات في عملية الاستنساخ نفسها، فمن المتفق عليه أن الذرية تكون أقوى وأحسن صحة - بإذن الله - حين تتنوع الجينات، كما لو كان الأب من قبيلة معينة، وكانت الأم من قبيلة أخرى مثلا، ولعلنا هنا نتذكر قوله تعالى: *وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا*. **الحجرات**:13. حيث إن الطفل يتكون من مورثات يأتي نصفها من الأب والنصف الآخر من الأم، بينما في عملية الاستنساخ تكون كل المورثات من صاحب الخلية، فإذا كان زواج الأقارب ضاراً فكيف بإنتاج شخص (أو حتى حيوان) من أصل فرد واحد؟ ولعلنا لا نحتاج إلى التنبيه على أن نظام المناعة قد ينهار لو انتشر هذا الأسلوب من التكاثر غير الطبيعي.

وهكذا، ففي الوقت الذي نحث فيه على عدم التخلف عن ركب التقدم العلمي، فإننا ندعو إلى عدم الانبهار وفقدان التوازن، بسبب النجاحات المادية الباهرة لأصحاب هذه المنجزات العلمية؛ بل إننا سنرى - في بحث قادم إن شاء الله - أن العلوم نفسها، التي اعتُمد عليها للتوصل إلى هذه «المعجزات» لا تخلو من ثغرات خطيرة، وعيوب كثيرة، وأخطاء فادحة، ونواقص واضحة.


د. إيان ويلموت

إننا هنا نسجل إدراكنا لكل هذه المحذورات، وتحفظنا على كثير منها، ومع ذلك ندعو إلى أن نكون إيجابيين، ونتخلص من بعض سلبيتنا المزمنة.

إن أمامنا - نحن المسلمين - الكثير لنتداركه، وفجوة واسعة لابد من ردمها، لنحسب أكثر هذه الاكتشافات والإنجازات إلى جانبنا وليس مهددة لكياننا، أو مزعزعة لعقيدتنا، كما أن علينا أن نخرج من نطاق رد الفعل المخصص ضد من يسيء استغلال أي اكتشاف جديد، وهذه معضلة فكرية عرقلتنا كثيرا في مسيرتنا كأمة، فكلما سمعنا باختراع مدهش جديد (كالمذياع أو التلفاز أو الأطباق الهوائية أو الإنترنت أو غيرها) سارعنا بالانكماش والاعتراض، لماذا؟ ليس بسبب الاختراع نفسه، بل لأن بعض من ليس لهم ضمير ولا وازع ديني قد سبقونا إلى الاختراع، واستغلوه في خدمة أهوائهم، وبدلاً من منازعتهم على مكانتهم، نترك المجال مفتوحا لهم على مصراعيه، والأدهى من ذلك أننا بعد مدة طويلة نستسلم للواقع، ونتقبل ما رفضناه سابقًا.

الغيب لا يعلمه إلا الله

ومن أكثر الأمور تعقيدًا في مجتمعاتنا أن نوائم بين معتقداتنا والاكتشافات العلمية المتسارعة، وكيفية فرز الاكتشافات نفسها من بين الإسقاطات الفكرية والاجتماعية والثقافية التي تتبعها في بلاد الغرب، ولهذا فلا بد من أن نطل على العلاقة بين هذه الإنجازات العلمية، والظلال التي تلقيها على العقيدة، وبخاصة في الإيمان بالغيب والقدر خيره وشره.

كلنا نعرف أن هناك أموراً «يتنبأ» بها الإنسان - مجازيًا - مثل الأرصاد الجوية، والذين يتنبؤون بها قد درسوا ذلك كعلم، ومن تكرار المشاهدة، ولم يقل أحد إنه شيء من علم الغيب، أو إنه يقدح في العقيدة. فخبراء الأرصاد الجوية قد يعلنون عن رياح شديدة أو أمطار غزيرة خلال اليومين القادمين، فإذا أعلنوا ذلك فإن بعض الناس (كصيادي الأسماك) يمتنعون عن الخروج للصيد، إيمانًا منهم بصدق هذه التوقعات، وهذا أمر يحصل حتى في أقطار العالم الإسلامي، ولم يقل أحد إن علماء الأرصاد يعلمون الغيب مثلاً، أو أنهم يتدخلون في ما اختص به الله عز وجل.

وقس على ذلك العلوم المعاصرة كافة، فحين يقول طبيبٌ لشخص ما إن الكبد عنده في الجهة اليمنى والقلب في الجهة الأخرى، من دون أن يفتح بطنه وينظر إليه ببصره، فإن هذا مبني على المشاهدة والتجربة، وليس رجمًا بالغيب. ولا يمنع هذا العلم «اليقيني» الثابت أن يظهر أحد بعكس ذلك، فمن الطريف أن بعض المجندين البريطانيين في الحرب العالمية الثانية قد فُصلوا من الجيش البريطاني بسبب كون أجهزتهم وأعضائهم الداخلية معكوسة (حيث القلب في الجهة اليمنى والكبد في الجهة اليسرى)، وعُدّوا غير لائقين صحيًا!

بل إن الطرائف لا تنتهي حين ننعم النظر في كل «اليقينيات» التي نؤمن بها كلنا، ولنأخذ علم الأرصاد الجوية مثلاً، ألسنا نؤمن مثلاً أن أشهر يوليو وأغسطس هي أشهر الصيف الحارة، التي يسافر فيها الناس إلى المصايف؟ إذن فلنقرأ قصة التقويم الأمريكي الشهير «تقويم الفلاحين»، وهو يشبه التقاويم الموجودة عندنا، ويحتوي على معلومات عن المناخ ومواسم الحصاد.. إلخ.. وسبب شهرة هذا التقويم أنه توقَّع عن المناخ ما لم يتوقعه أحد قط، وهو سقوط الثلوج في الصيف.

خلاصة القصة أن سوء تفاهم حدث بين المؤلف والناشر في عام 1979م، وطلب الناشر من المؤلف أن يعجل بالكتابة لأن لديه التزامات الطباعة والتوزيع وغيرها، قبل بداية السنة الجديدة، وهدده إن لم يُعجل فإنه

يجب التعامل مع المستجدات العلمية بروية وعقلانية، وبعد التشاور المكثف بين أهل العلم وأهل الفكر والنظر؛ إذ ليس من مصلحتنا الاعتراض دون تثبت

سيكتب تنبؤات شهور الصيف بدلاً من المؤلف، وسيقول فيها إن الثلوج سوف تتساقط في شهر يونيو (في الصيف).. ونفذ الناشر تهديده، وراح ربيع عام 1980م، وقدمت طلائع الصيف كالعادة، وأصبح التقويم ومؤلفه محل سخرية الجميع، ولكن حدث أن بركانا انفجر (وهو بركان جبل القديسة هيلانة في ولاية واشنطن)، وكان انفجاراً مروعًا، وارتفعت سحب الغبار إلى عنان السماء وحجبت الشمس مدة أسابيع، وبرد الجو كثيرا، مما أدى إلى تحول الأمطار الصيفية إلى ثلوج كثيفة.. ومن تلك الحادثة ذاعت شهرة التقويم المذكور.

والعبرة من هذه القصة تُحسب لصالحنا نحن المؤمنين بالغيب، وتوضح أن عمل الأرصاد الجوية هو توقع الأمر «الأكثر احتمالاً» حسب الخبرة والتجربة، وليس معرفة ما سيحدث فعلاً، لأن ما سيحدث فعلاً هو من علم الغيب، ولا يعلمه إلا الله. لكنها - من ناحية أخرى - تبين الفرق الدقيق بين الأمور المتوقعة «الأكثر احتمالاً»، التي يحاول العلماء المتخصصون استكشافها، والأحداث الفعلية، وهي ما لا يقول عالم في الشرق أو الغرب أنه يحيط بها. وعلينا - بصفتنا مسلمين - أن نضع هذا في أذهاننا، ونفرق بين الاثنين، ونحن نناقش القضايا العلمية المستجدة.

إن هذه القضية بالذات، تستوجب منا أكثر من أسطر قليلة للتركيز عليها، فلا أحد في الغرب (ونقصد العقلاء منهم) يدّعي أبداً أنه يعلم الغيب، ولا يقول أحد منهم إن علمًا من العلوم وصل إلى مرحلة الكمال، لا في التنبؤ بالطقس أو الزلازل أو البراكين، ولا في التنبؤ بالاستثمارات الناجحة أو الأسهم الرابحة، وعلينا أن ندرك أن أية مقولة عن اكتشاف علمي، هي مقولة عما هو في حدود طاقة البشر.

وجوب التشاور بين العلماء جميعًا

إن علينا التروي قبل إصدار الأحكام، أو القول بحتمية التصادم بين مقولة علمية والعقيدة الإسلامية، مما قد ينعكس سلبًا على صورة الإسلام والمسلمين في ميادين العلم والعقل والحكمة، والأهم من ذلك أن نضع مبدأ الشورى في حياتنا بصفة فعلية، ومن أحق من المفكرين الإسلاميين أنفسهم بالتعامل بالشورى؟ وعلى من تكون أوجب إن لم تجب عليهم؟ ومن الذي سيقتنع بها (من عامة الناس) إن لم ير لها أحد نموذجًا حيا خارج صفحات الكتب؟ فليتشاور علماء العقيدة والفقه مع علماء الطب والأحياء وغيرهم للخروج بتصورات واسعة الأفق للمستجدات العلمية والتقنية، قبل النطق بكلمة واحدة، تأييداً أو اعتراضا، بدلا من أن نسمع - نحن المسلمين - بتصريح من هنا وآخر من هناك، من علماء مرموقين، وجهات إسلامية ذات وزن، وهي لا تختلف فقط، بل قد تتناقض.

هذه في الواقع أحد مآخذ الغربيين على المفكرين المسلمين، كما حدث للمنظرين للاقتصاد الإسلامي، والهيئات الشرعية المشرفة على بعض البنوك الإسلامية، فقد اتُّهم الغربيون (مثل وزير المالية البريطاني) العلماء المسلمين بأنهم غير متفقين فيما بينهم على صيغ معينة حتى يستطيع الغرب أن يتعامل معها، فما يراه فريق جائزًا قد يراه آخرون حراما.. وهكذا. ومن هنا نرى وجوب التعامل مع هذه المستجدات العلمية بروِيَّة وعقلانية، وبعد التشاور المكثف، بين أهل العلم وأهل الفكر والنظر، لأن وضع خطوط حُمْر اليوم والتخلي عنها غدا لن يؤدي في هذ العصر المادي إلا إلى إضعاف ثقة الأجيال القادمة في الفكر الإسلامي. بل إن أكبر ضرر نلحقه بالفكر الإسلامي هو أن نقول اليوم إن هذا أمر يتناقض مع العقيدة، وأمر يختص به الخالق عز وجل، ثم نأتي غدا ونستسلم ونتقبله حيث لا يمكننا إنكاره.

وهذا ما نود تأكيده حين تخرج علينا أنباء الاكتشافات التي تقول إن صمام الموت قد اكتُشف في جسم الإنسان، فليس من مصلحتنا - كمسلمين - أن نعترض مباشرة، ونفند صحتها دون تثبت، بل يجب علينا أن نترك الأمر للمختصين في علم الأحياء والطب من المسلمين الثقات ليبحثوا فيه في مصادره العلمية الموثوقة، فإذا ظهر أنه اكتشاف كاذب (كما حدث فعلاً في ادعاء نجاح تجربة الالتحام النووي البارد مثلاً) فإن هؤلاء الإخصائيين في الفيزياء والطب والأحياء هم الذين يجب أن يردوا الزعم الكاذب، ويفندوه ويُكَذِّبوه، في المجلات والدوريات العلمية المتخصصة نفسها، وردهم عليه أفضل لأنهم متخصصون، ويمكن أن يكون لردهم صدى أفضل بين الناس الذين سحرتهم المادة، لأنهم علماء في الماديات أساسا.

ولكن ماذا لو ثبت لعلماء الطب والأحياء، المسلمين المؤتمنين الموثوقين، أن هناك مقداراً من الصحة في هذا الاكتشاف؟ عندئذ يجب عليهم الاجتماع بعلماء الفقه والعقيدة، وشرح الأمر لهم وبيان كيفية حدوثه، وعندئذ يُجمع هؤلاء وأولئك على موقف موحد لطرحه أمام الأمة الإسلامية وأمام غير المسلمين، سواء بتأييد الأمر أو استنكاره أو تحريمه أو غير ذلك.

ولكننا نقول في هذا الصدد، ومن باب إلقاء بعض الضوء العلمي عليه، إن الأمر ليس دائما كما يتصور غير المختصين بهذه العلوم، وخاصة حين يتصورون - مباشرة - أن الأمر يصطدم مع العقيدة، وقد يبادرون إلى تكذيبه اعتماداً على ظاهر الأمر، وهو ليس كذلك. ولتوضيح الأمر، وإلقاء بعض الضوء على ما يُسَمَّى بصمام الحياة، نقول: إن وجود صمام (أو هرمون أو إنزيم) داخل جسم الإنسان، متعلق بالحياة أو الموت أمر ممكن، وليس هناك مانع من أن تكون هناك مكونات أو كيماويات في جسم كل واحد منا بمقدار معين، وهي تذوي وتُستهلك شيئًا فشيئًا، وبقياس ما تبقى منها في الجسم قد يكون ممكنا تقدير المتبقي من العمر الحيوي (البيولوجي) للإنسان..

وقد يكون ذلك من «الرزق» الذي نؤمن به، والذي يتفاوت فيه الناس، والذي يمكن أن يكون جزءًا من القضاء والقدر الذي كتبه الله على كل إنسان. إن تقبل فكرة وجود هذا «الرزق» بمقدار معين في جسم كل إنسان أمر وارد، ولكن المعضلة - في نظر بعض الناس - هي أن شخصا يقوم بتقدير المتبقي من عمر شخص ما، وتوقع يوم وفاته، لأن هذا - كما يُستنتج - من علم الغيب، والجواب، بل مربط الفرس، هو في عبارة «العمر الحيوي» الذي أشرنا إليه آنفا.. وهو عمر تقديري، أو هو «الأكثر احتمالاً»، وليس هناك من يجزم بأنه موعد الخروج من هذه الدنيا بالتأكيد.

فنحن نعرف أن للإنسان عمرًا حقيقيًا وهو ما لا يعلمه إلا الله، ولا نعرفه نحن البشر إلا بعد موت الإنسان، من حساب الفرق بين تاريخ وفاته وتاريخ مولده. وهناك عمر عقلي مثلا (وهو عمر اعتباري يُستخدم لقياس ذكاء الشخص)، فليس هناك مانع من أن يكون هناك عمر حيوي (بيولوجي)، وهذا العمر الحيوي الذي يصل فيه إنسان ما إلى نهاية مرحلة ذبوله يعني أن الإنسان - من الناحية الحيوية - قد استنفد طاقته على الحياة، ولا يعني أبدا أنه الحد الفاصل بين الحياة والموت، فقد يتم تقدير العمر الحيوي المتبقي لشخص ما بأربعين سنة، لأنه لا يعاني من السمنة ولا يدخن وليس في عائلته أمراض وراثية أو مزمنة... إلخ، وتبتهج شركة

التأمين على الحياة وتوقع معه عقداً طويل الأجل، ولكن لدى خروجه من مكتب الشركة تدهسه سيارة ويموت.. أليس هذا ممكناً جداً؟

ويمكن أن نشبه هذه المادة في جسم الإنسان بكمية ماء يحملها إنسان مسافر في الصحراء، فقد يتوقع بعض أهل الدراية أن يكفيه هذا الماء ليومين فقط، وسيموت بعدها بيومين أو ثلاثة، أي إن الخبير يتوقع ألا يعيش هذا الرجل أكثر من أربعة أو خمسة أيام على أكثر تقدير، وهذا توقع مبني على الخبرة والدراية، وليس من باب علم الغيب، ولكن الرجل قد يبقى حيًّا لأن قومًا وجدوه وسقوه، وقد يموت بعد ساعة واحدة لأن حية لدغته، وهذا الذي هو من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله. ونحن في حياتنا نتعامل بما هو غالب على الظن أو «الأكثر احتمالاً» لأنه يتطابق مع قدرة الإنسان وطاقته، فلو أننا بحثنا عن صاحبنا هذا في الصحراء، ولم نجده بعد أسبوع، فسنتوقف عن البحث، ولن يظل الناس يبحثون عنه إلى يوم القيامة، استناداً إلى ما قد يكون حدث في علم الغيب.

إن العمر الحيوي - إذا صح وجوده - يتعلق بصحة الجسم وفعالية أجهزته وسلامة نظامه، وليس في التصديق بذلك ما هو مناف للإيمان، لأن قضاء الله وقدره أوسع وأشمل من هذا، وقد سمعنا كثيرًا بأمور غاية في العجب، ما بين مريض يعيش سنين عديدة وإنسان صحيح يموت قبله. كما أن هذا يندرج ضمن قناعاتنا وما لا ننكره بأن الله سبحانه وتعالى قد ربط الأمور بأسبابها، وأن القضاء والقدر لا يتناقض مع الأخذ بالأسباب، وبلغة عصرية نستطيع القول: «إن لكل من هذه الأمور تفسيراً ماديا علميًا».

المنظور الشامل للأمور

لقد دهشنا حين ذهبنا إلى بلاد الغرب قبل أكثر من عقد من الزمان، ودخلنا أحد الأسواق المركزية لشراء بعض السلع، ثم توجهنا إلى المحاسب لدفع الثمن، وبدلاً من أن يقوم المحاسب بتسجيل ثمن كل سلعة على الآلة الحاسبة، رأيناه - ونحن مدهوشون - يضع المعلبات وغيرها في أكياس، بسرعة خاطفة، ويضغط أخيراً على زر واحد فقط، فيظهر الثمن الإجمالي، وتساءلنا: كيف عرف مجموع الثمن وهو لم ينظر إلى السعر المكتوب على كل علبة؟ ما كنا نجهله أن «عينا» إلكترونية كانت تسجل الخطوط العديدة على كل علبة، والتي ترمز للسعر، فيقوم الحاسوب بجمع الأثمان، بينما كنا نراوح في تفكيرنا بين عدم التصديق، والتفكر في علم الغيب الذي اختص به الله عز وجل.

وهناك فرصة للجيل الجديد من شبابنا ليهزوا رؤوسهم تعجبا، كما فعلنا من قبلهم، فالنظام الجديد القادم في الأسواق المركزية العملاقة - في الغرب - يقضي بأن يظهر لك السعر الإجمالي لمشترياتك قبل أن يحين دورك، وذلك حتى تجهز محفظتك أو بطاقتك، وتوفر بعض الوقت لصفوف الطويلة من المشترين خلفك، فكيف يظهر هذا على الشاشة والمحاسب لم ير أساسًا محتويات عربتك؟ ومرة أخرى نقول إن هناك تفسيراً علميا، وليست القضية علم غيب أبدا، فهناك مستشعرات لدى الحاسب الآلي تقرأ ملصقات الأسعار على البضائع بطريقة الاستشعار من بعد، وكما يقولون: إذا عُرفَ السبب بطل العجب!!

هكذا اذن، إن علينا ألا يضعف إيماننا بهذه السهولة، فنعتقد أن كل شاردة وواردة في الأخبار العالمية يمكن أن تؤثر في عقيدتنا، فهذا في حد ذاته ضعف، ولكننا نزيد الطين بلة بأنّا لا نقوم بما يتوجب علينا فعله إزاء ذلك، من الاستعانة والتشاور مع المختصين بالماديات (من الأطباء والكيميائيين والفيزيائيين والفلكيين) المسلمين الثقات، والخروج بتصورات واسعة الأفق، تليق بسعة الإسلام وشموله الذي نردد دائمًا أنه صالح لكل زمان ومكان.. وما لم نفعل ذلك، فإننا حينئذ سنعتزل عن الإسلام، لأنه صالح لكل ظرف، بينما نحن لا نصلح لهذه الظروف العجيبة المستجدة والمتسارعة.

إن علينا - نحن المسلمين - أن ننظر إلى الأمور من منظار شامل، وندرك أن كثيرًا مما نراه متصادمًا مع قيمنا ومعتقداتنا ربما لا يكون مصطدمًا فعلاً بنصوص شرعية بقدر ما يكون مصطدمًا بتفسيرنا لها.. إن معرفة جنس الجنين - مثلا - قد تصطدم بتفسيرنا نحن للآية الكريمة: *وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرحام*. **لقمان**: 34، ولكنه لا يصطدم بالنص الصريح للآية.. بل إنه مصداق لقوله تعالى: *سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ*. **فصلت**:53، ومن ثم فهو علامة إعجاز للقرآن الكريم أكثر من كونه تحديا وتعديا على العقيدة أو علم الغيب.

إن العلماء في الغرب (بل في تايوان وما جاورها) دخلوا ميادين التقنيات الحيوية، ولازالوا يقومون بأبحاث سرية في هذه المجالات، ونحن إذا لم نشارك بأبحاثنا في هذه المجالات، فلا أقل من أن نتورع عن الزج باسم الإسلام ضد كل مرحلة من مراحل تطور هذه العلوم، وبخاصة حين نتحدث عن علوم لا نفهم الكثير من تفاصيلها.

ولندع التقنيات المعقدة، فلو اكتفينا بمناقشة التقنيات البسيطة لدارت الأفكار نفسها في رؤوسنا، فما يحدث في بعض القرى الجبلية في دولة تشيلي بأمريكا الجنوبية، هو بكل بساطة إنزال للمطر، ونعني ذلك حرفيا، حيث إن الغيوم السوداء تمر فوقهم دائما من دون أن تسقط منها أمطار، فماذا فعلوا؟ نصبوا مساحات كبيرة من الشباك اللدائنية على قمم الجبال، فتعترض الغيوم، وتتجمع قطرات الماء على خيوطها (كما يتجمع الندى كل ليلة على سياراتنا الواقفة في الشارع)، وتنزل المياه نقطة نقطة إلى خراطيم وأنابيب متصلة بأسفل هذه الشباك، ثم تنقل الأنابيب هذه المياه إلى القرى الواقعة في سفوح تلك الجبال.

في هذا المثال، ليست هناك تقنيات معقدة، ولا تجارب سرية، ولو تدبرنا الآية الكريمة: *إن الله عنده علمُ السَّاعة وينزِّل الغيثَ ويعلمُ ما في الأرحام*. **لقمان**:34، فلن نجد في هذا الإنجاز الطيب لتوفير المياه ما يتناقض مع العقيدة الإسلامية، حيث إن الله دائم التفضل على عباده بإظهار العلوم المختلفة لهم، لتسهل لهم معايشهم، وترفع عنهم الضنك والمشقة.. أليس هو الرحمن الرحيم؟ كما أنه تعالى وعد عباده بأن يظهر لهم آياته في الآفاق كلها.. فهو هنا ينزل الغيث لعباده بتعليمهم كيف ينزلونه من الغيوم، وهو صاحب الفضل في ذلك، إن هذا لا يختلف عن إرسال الله عز وجل للغراب ليوضح لقابيل كيف يدفن أخاه هابيل، بعدما تحيَّر في أمره.

إن علينا مسؤولية جسيمة توجب علينا توخي الحذر في تفسير النصوص الشرعية من القرآن والسنة، والحكم على العلوم الجديدة، وأن نتشاور كثيرا مع المختصين الثقات في المجالات المختلفة والعلوم المتشعبة، بل لا بأس من الاستعانة بهم في التعامل مع بعض المعضلات الشرعية المتعلقة بمشكلات القرن الحادي والعشرين. إن الدين الإسلامي صالح لكل زمان ومكان، فيجب علينا - نحن المسلمين - أن نصلح أنفسنا للقرون القادمة، والمستقبل المجهول.

الاكتشافات العلمية، مهما بلغ الورع والنبل في نفوس أصحابها، من الممكن أن تنحرف أو تتحول عن وجهتها الصالحة إلى وجهة شاذة. وما الاستنساخ منا ببعيد

أقوال
الماضي للحاضر

ما وراء الهدية



د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

الهدية وسيلة مودة، ورمز استجلاب، لعلها مِنْ أول ما عرف الإنسان في مجتمعه للحمة نسب، وتقوية صلة، وعلامة رضى، وباب اقتراب؛ يقدمها من يقدمها فتفسح طريقًا، أو توسع جادة، أو تقضي دينًا، أو تزرع معروفًا؛ منها ما هو مادي في مظهره ومدلوله، ومنه ما هو لمرمى معنوي؛ فالأولى لها قيمة مادية، ويراعى فيها الثمن والقيمة، والثانية قيمتها لا تتعدى اسمها، وصورتها، وهي رمز لا يتعدى أمرها ذلك.

والهدايا وما يكمن خلفها من عادات وتقاليد تكاد تكون بعدد الأمم والشعوب، بل لعلها تتنوع في الأمة الواحدة، وهذا تحكمه عوامل بعضها يختص بالبيئة، وبعضها بالناس أنفسهم، وبعضها يختص بما يتوافر في البيئة، وقد تعارف الناس عليه في محيطهم.

ولعل الهدية منذ بدئها إلى اليوم قد سلكت مسارب مختلفة تطورت معها، حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم. وتراث الأمم مملوء بالأخبار التي تروي أمور الهدايا، وما كان منها، وكيف كانت، وفي أي زمن إذا كانت منتظمة، وأي نوع إذا لم ترتبط بوقت، وجاءت منقطعة أدى إليها مناسبة طارئة، كقدوم من سفر، أو حج، أو حدوث ولادة، أو نجاح في أمر، أو انتصار في معركة، أو خروج من مرض، أو بلوغ سن معينة، أو اعتلاء منصب.

والهدايا يختلف حجمها ونوعها، فقد تكون الهدية مماليكَ استُرقّوا في معركة، أو اشتُروا من مجلب، أو حيوانات نادرة أو غير نادرةَ، أو أدوات غريبة، أو أشياء عجيبة، وقد تكون الهدية صغيرة، أهديت للطفها وانفرادها في صنعتها، وقد تكون الهدية لدفع حاجة، ورفع عوز.

وهي من الصغير إلى الكبير تختلف عنها من الكبير للصغير، فما يأتي من الكبير عادة يأتي جزلا في قيمته، وفي حجمه، وما يأتي من الصغير يأتي بديعًا في صنعه، نادراً في جنسه، وما يهديه الناس عامتهم وخاصتهم للحاكم له اعتبار خاص، يوجب حسن الانتقاء، وصواب مرمى الإشارة، لأن المعنى الذي قد يؤخذ منه، ويستقى من تقديمه، تفسيره مهم في النفع أو الضرر، فالهدية للحاكم مثل القصيدة في مدحه، يجب أن تقترب من كل إشارة تسره، وتبتعد من كل إشارة تزعجه؛ والابتعاد مما يحتمل التأويل غير السار يجب أن يُراعى باعتناء.

ومن بين المقاصد التي قد تصاحب الهدية، وتكون هدفا لها أو مصيدة تُنصب لكسب غير حلال، هدية الرشوة، من رجل لقاض، أو من رجل لسجّان، أو من رجل لمن أُوكل إليه أمر من أمور الحكم؛ ومثل هذه تفقد صفتها الأولى «الهدية» وتَتلطخ بالصفة الثانية «الرشوة»، وكثيراً ما حدث هذا، ولم يسلم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من محاولة إهدائه لحم جزور، أملاً في أن يحكم في أمر موضوع بين يديه للحكم، حكمًا لصاحب الهدية الرشوة؛ وقد تنبه عمر - رضي الله عنه - لهذه الختلة، ورأى الشبك المنصوب له، والمصيدة المعدة للإطباق عليه، ولم يكن من الغباء ألاّ يتنبه لهذه المحاولة الغبية، فخيّبَ ظن صاحبها، أو صاحبتها؛ وحكم عليه، ولم يكتف بهذا، بل سَنّ أمراً تجاه الهدايا لحكام، ومنعهم من قبول الهدية؛ وقبلَهُ الرسول - صلى الله عليه وسلم - نبه أحد الذين أرادوا أن يسوّغوا وجود أموال لا يتوقع أن تكون عندهم، وقال له ما معناه: أفلا جلست في بيت أمك لترى هل يُهدى لك؟.

ولا تُهدى الرشوة للقاضي، أو الحاكم، مقابل حكم أو غرض، إلا لأحد سببين: إما أن يعرف المهدي مقدَّمًا أن الحق ليس معه، ويريد أن يُحَوِّل العدل عن مجراه؛ أو أن القاضي أو الحاكم عُرِف عنه قبوله للهدايا، وتأثره بها، فأراد الراشي أن يضمن حقه، وقد يكون فعلاً صاحب حق أراد أن يحميه بالرشوة.

والتراث ممتلئ بأخبار الهدايا الطريفة، والرشاوي التي تأتي في

صورة هدايا، ولو جُمع ما كتب عن ذلك مفرقا بين الكتب لكان منه كتاب كبير، وسيكون فيه من الطرافة، واكتشاف عقول الناس الذين يقومون بهذا، والمجتمع الذي تحصل فيه مثل هذه الأمور، شيء بديع.

والحكام المستقيمون يرعبهم أن يعرفوا أن أحدًا من عمالهم أخذ هدية مثلت رشوة، لأنهم يعرفون أن هذه سوسة تنخر جسم العدل، وتهز الحكم؛ ولا يستقيم معَها أمر، ولا يسعد بها مجتمع، ولهذا فهم لا يسارعون إلى المعالجة فقط، وإنما يسعون إلى قطع دابر الشبهة، إمعانا منهم في الحذر من هذه الآفة المهلكة. وهذا عبدالملك بن مروان، أحد أبرز خلفاء الدولة الأموية، فقيه متضلع، وحاكم مجرب، وخليفة يقظ، ينتفض انتفاضة الصقر، ويزأر زأرة الأسد، عندما لمح شبح رشوة، استترت في ثوب هدية؛ فتحدث عنها حديث الحكيم:

«استوفد عبدالملك بن مروان عاملاً، بلغه أنه قبل هدية، فقال له:

ـ أقبلت هدية؟

قال: يا أمير المؤمنين، بلادك عامرة، ورعيتك راضية.

فقال: أجب عما تُسأل عنه.

قال: نعم.

فقال عبدالملك: أما والله لئن كنت قبلت هدية كافأت صاحبها بأن وليته من عملنا ما لم تكن لتوليه لولا هديته، إنك للئيم؛ وإن كنت قبلتها، ولم تعوضه منها، إنك لخائن حسود؛ وإن كنت أعطيته مثل ما أخذت، وأطمعت في نفسك رعيتك، وعرَّضتها لخليفتك، إنك لأحمق؛ ومن أتى شيئًا لا يخلو فيه من حمق، أو لؤم، أو خيانة، حقيق بأن لا يُقَرَّ على عمل».

[البصائر والذخائر للتوحيدي، تحقيق: د. وداد القاضي: 95/8].

قصيدة

أروى في حضني

شعر: د. محمد حكمت وليد

جَلستُ وأروى قد حَبَتْ نحو مكتبي
لتجلسَ في حضني فما أطيبَ البُشرى
تزغردُ يا بابا وفي الصوت لثغةٌ
طفوليةٌ تُزكي بأصدائها العُمْرا
وفي العينِ إشراقٌ وفي الحَبوِ خِفةٌ
وبسمتُها في ثغرها تسكبُ السِّحرا
وما هيَ إلا لحظةٌ إذ تربَّعتْ
بحضني ملاكًا ينثُر النورَ والبِشرا
تَحِنُّ إلى قربي وأهفُو لقُربها
وأسكنها قلبي فتُلهمُه شعرا
وَأسبحُ في بحر الهنا إذ أضُمُّها
كأني ضممتُ الفُلَّ والوردَ والعِطْرا
نظرتُ إليها والبهاءُ يَلُفُّها
وَروحيَ في دُنيا مَحبَّتها سَكرى
هُنا وجهُها يفترُّ عن طيبِ مبسمٍ
وذا شعرُها المسدولُ ما أجملَ الشَّعرا
وَفُستقةٌ وردية عند ثغرها
فسُبحان من سوّى بقدرته الثغرا
وتلك يدٌ بيضاءُ مثلُ حَمامة
تطيرُ بأشواقي فما أزْجرُ الطَّيرا
وذي قدمٌ ممدودةٌ في بَراءة
تأملتُ فيها الخلقَ والنشأةَ الأخرى
ستجري عليها ذاتَ يوم بخِفَّة
فسُبحان من سوّى وسُبحان من أجرى
وسبحان من سَوَّى العظامَ ولحمها
وابدعَ ذاكَ الخلق معجزةً كُبرى
وفي غمرة التفكير داعبتُ رجلها
وقبَّلتُها في كلِّ أنملة عَشْرا
ولَمّا رأتْ مِنّي الهيامَ إذا بها
وقد رفَعَتْ حتى أقبِّلها الأخرى

ما أهملته الوثائق والبيانات الوضعية لحقوق الإنسان

الحق الأول والأكبر للإنسان:

حماية الفطرة ورعايتها

د. عدنان علي رضا النحوي

لقد كثر الحديث عن حقوق الإنسان، وصدرت وثائق عديدة وضعية عن هذه الحقوق، مثل وثيقة الاستقلال الأمريكي سنة 1776م، وإعلان حقوق الإنسان في أثناء الثورة الفرنسية سنة 1789م، والبيان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن هيئة الأمم المتحدة سنة 1948م، وما صدر قبل هذه البيانات الوضعية وما صدر بعدها.

وجميع هذه الوثائق والبيانات ليست هي البيان العالمي الأول لحقوق الإنسان. إن البيان الأول في التاريخ البشري هو رسالة الأنبياء والمرسلين منذ نوح عليه السلام، والذين ختموا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وبكتاب الله الذي نزل به جبريل على خاتم الرسل بالحق: *مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ*. **المائدة:48.**

ذلك لأن حقوق الإنسان منحة من الله ورحمة منه، وليست منحة من أحد من البشر ولا من سلطة أو هيئة. وما صدر من الوثائق الوضعية لم يَفِ بحقوق الإنسان من ناحية، ولم يربطها بمسؤولياته كما فعل منهاج الله من ناحية أخرى. إن الحقوق تنشأ أصلاً عن المسؤوليات وعن الوفاء بها. فإذا لم تتحدّد المسؤوليات فكيف تُحدَّد الحقوق؟ وحسبنا في هذه العجالة أن نشير إلى الحديث الشريف عن معاذ رضي الله عنه الذي خاطبه الرسول قائلاً: «يا معاذ! أتدري ما حقُّ اللّه على عباده، وما حقُّ العباد على اللّه؟ فإنَّ حقَّ اللّهَ على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله ألاّ يعذِّبَ مَنْ لا يُشرك به»(1).

فمن هنا تنشأ الحقوق والمسؤوليات وتتماسك في منهاج ربّاني متكامل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. والمنهاج الرباني ـ قرآنًا وسنّة ولغة عربيّة ـ هو البيان الأول الحق لحقوق الإنسان متكاملة مترابطة مع المسؤوليات.

ولقد أهملت الوثائق والبيانات الوضعية كثيرًا من حقوق الإنسان، بالإضافة إلى أنها لم تستند إلى قواعد راسخة ملزمة، فجاءت متناقضة في النظرية وفي التطبيق. ونريد هنا أن نبيّن أن هذه الوثائق الوضعية أهملت الحق الأول والأكبر للإنسان، ذلك الحق هو حقُّ حماية فطرته التي فطر الله الناس عليها ورعايتها، وتوفير سبل الحماية والرعاية في البيت والمجتمع كله.

الفطرة ومسؤولية الوالدين والمجتمع

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود يُولد إلا على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه. اقْرَؤُوا: *فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا*... الآية».

ولنتدبّر الآيات الكريمة التي صدر عنها هذا الحديث الشريف: *فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ*. **الروم**:30-32.

إنّ الله فطر الناس جميعهم على فطرة واحدة سليمة تكفل لهم الحياة الطاهرة السعيدة، لتكون هذه الحياة الدنيا دار ابتلاء وتمحيص، وممرًّا إلى الحياة الحقيقية في الدار الآخرة؛ وكذلك لتكون هذه الفطرة أساسًا يعين الإنسان على الوفاء بمسؤولياته في الحياة الدنيا والتمتع بحقوقه، مع ما هيّأ اللّه لعباده من أسباب أُخرى: الآيات المبثوثة في الكون، وفي نفس الإنسان الدالة على اللّه الذي لا إله إلاّ هو، والرسل والأنبياء الذين يبلغون رسالة الله ويذكّرون، والسمع والبصر والفؤاد لتكون هذه أجهزة الاستقبال التي يستقبل بها الإنسان آيات الله من الكون وهو يتأمل ويتدبّر،

وآيات الله التي يبلغها الرسل والأنبياء: *لئلاّ يكونَ للنّاسِ على اللّه حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ*. **النساء**:165.

وإن قدرة السمع والبصر والفؤاد على الاستقبال والإدراك والوعي تعتمد على سلامة الفطرة. ولذلك جاء الحديث الشريف ليُبيِّن مسؤولية الوالدين أولاً في حماية الفطرة. ومسؤولية الوالدين ليست مسؤولية معزولة عن واقع الحياة؛ فواقع المجتمع والأمة كله يؤثر في سلامة الفطرة أو انحرافها. ولكن أثر المجتمع والعوامل المتوافرة فيه يصب في البيت، في الأسرة، حيث يتحمل الوالدان معًا، الرجل والمرأة، الزوج والزوجة، مسؤولية حماية فطرة أبنائهم. إنها ليست مسؤولية أسرة واحدة. إنها مسؤولية الآباء والأمهات جميعهم في المجتمع. إنها مسؤولية شديدة الخطر سيحاسَبون عليها بين يدي اللّه سبحانه وتعالى يوم القيامة، وإنها مسؤولية شديدة التأثير في واقع الأمة في الحياة الدنيا. وبذلك تمتد المسؤولية إلى جميع العاملين في مختلف المستويات:

فعن ابن عمر عن النبي صلى اللّه عليه وسلم، أنه قال: «ألا كُلُّكُم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته. فالإمام الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رعيته. والرجلُ راعٍ في أهلِ بيته، وهو مسؤول عن رعيّته، والمرأة راعية في أهل بيت زوجها وولده، وهي مسؤولة عنهم، وعبدُ الرجل راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» رواه الشيخان والترمذي باختلاف يسير في اللفظ(2).

وهكذا تمتد المسؤولية في الأمة من أدنى مستوياتها إلى أعلاها. وجميع هذه المسؤوليات تصب آثارها في البيت، في الأسرة، حيث يتولى الوالدان الرعاية المباشرة هناك. فذكر الوالدين في الحديث الشريف ومسؤولياتهما لا تنفي سائر المسؤوليات والقوى المؤثرة في الأمة من معاهد التربية ومراكز الإعلام وسائر المؤسسات.

وحين تنحرف هذه القوى تنعكس آثارها على الزوجين، ثم على الأبناء، لتنحرف بذلك فطرة الأبناء إلى النصرانية، أو اليهودية، أو المجوسية.

وتأتي الآية الكريمة لتؤكد أهمية الفطرة الثابتة التي فطر اللّه الناس عليها، إنها فطرة واحدة لا تتبدل، فطر اللّه الناس عليها: *لا تَبْديلَ لِخَلْقِ اللّه*.

وكيف تتبدل هذه الفطرة وهي رحمة من اللّه على عباده، رحمة واسعة. ثم تبين لنا الآية الكريمة أهم الوسائل والركائز الضروريّة لحماية الفطرة: الإنابة إلى اللّه، والتقوى، وإقامة الصلاة وسائر الشعائر التي فرضها الله. إن هذه هي أسس الحماية. فإن ضعفت أو تخلخلت أو ذهبت أثَّرَ ذلك كله في سلامة الفطرة.

وتبين لنا الآية الكريمة، وكذلك الحديث الشريف نتائج انحراف الفطرة في الواقع: الإشراك باللّه: *ولا تَكُونُوا مِنَ الْمُشركِينَ*، و«أبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه»، وكذلك تفريق الدين حتى ينقسم الناس شيعًا وأحزابًا يحارب بعضهم بعضًا، ويفرح كل حزب بما لديه، وتشتد الفتنة، وتضعف الأمة، ويهون أمرها في الحياة الدنيا، وتنال غضب الله وعقابه في الدنيا والآخرة إذا لم تتدارك نفسها بالتوبة والإنابة والتقوى، وإقامة شعائر الدين، وسائر قواعده، لتكون أمَّة مسلمة واحدة، صفًا واحدًا كالبنيان المرصوص.

إن انحراف الفطرة خطر كبير على الفرد والأمة والمجتمع الإنساني. ومن هذا الانحراف تنطلق المفاسد في الأرض، وتمتد الفتن، وتثور الأهواء والشهوات، والمصالح المتصارعة، والتنافس على الدنيا، تحت جميع الشعارات المحبَّبة إلى النفوس، المزخرفة للفتنة: من سلام ووطنية وقوميّة،ودين يستغله المفسدون بالشعارات دون التزامه.

إنّ الله سبحانه وتعالى زوّد الفطرة السليمة بوسائل التحكّم والموازنة والتوجيه. فإذا انحرفت الفطرة تعطلت هذه الوسائل؛ فاختلّ التحكم واضطربت الموازنة وضاع التوجيه.

لهذا كله كانت حماية الفطرة على سلامتها كما خلقها الله، أكبر حقٍّ للإنسان، وأوّل حقّ للّه. والإنسان مدعوٌّ إلى أن يطالب بها ولا يتنازل عنها، وأن يجاهد في سبيل ذلك. وهي كذلك مسؤولية جميع مستويات الأمة ومؤسساتها، أن تخطط لذلك بوسائل التربية ومناهجها، والقوانين وتوجيهها، ووسائل الإعلام وغير ذلك.

القوى التي تعمل في الفطرة: أولها الإيمان والتوحيد

ولندرك خطورة الأمر بصورة أكثر وضوحًا، فإننا نشبه الفطرة بمستودع أودع الله فيه ما يشاء من قوى وميول وغرائز، مما عرَّفنا سبحانه وتعالى بعضها وجهلنا بعضها.

إن أهم ما غرسه اللّه سبحانه وتعالى في الفطرة هو الإيمان والتوحيد، وشهادة أن لا إله إلاّ اللّه، وشهادة أنّ محمدًا رسول اللّه. أما بالنسبة لشهادة أن لا إله إلاّ الله، فهي جلية ثابتة في الآيات من سورة الأعراف: *وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ. أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ. وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ*. **الأعراف**: 172-173.

ويأتي الحديث الشريف ليبين هذه الحقيقة المهمة أيضًا.

فعن أنس عن النبي صلى اللّه عليه وسلم، أنه قال: «يُقال للرجل من أهْلِ النار يوم القيامة، أرأيت لو كانَ لك ما على الأرض من شيء أكنتَ مفتديًا به؟ فيقول: نعم! فيقول اللّه: «كذبتَ قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم ألاّ تشرك بي شيئًا فأبيتَ إلاّ أن تُشرِكَ» رواه أحمد والشيخان(3).

هذا بالنسبة لشهادة أن لا إله إلاّ اللّه، أما شهادة: أن محمدًا رسُول اللّه، فنجدها في الآية الكريمة من سورة آل عمران عهدًا موثّقًا أخذه الله من الأنبياء والرسل جميعًا ليكون جزءًا من رسالتهم ودعوتهم: *وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ على ذلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ*. **آل عمران**:71.

وهكذا ثبتت الشهادتان عهدًا وميثاقًا بين الله

مسؤولية الوالدين في حماية الفطرة ليست مسؤولية معزولة عن واقع الحياة؛ لأن واقع المجتمع كله والأمة كلها يؤثر في سلامة الفطرة وانحرافها

وعباده، وبين الله ورسله، أساسًا للإيمان والتوحيد، أساسًا مغروسًا في الفطرة السليمة.

إن الإيمان والتوحيد مغروسان في الفطرة تشهد عليهما الآيات المبثوثة في الكون، والآيات التي يأتي بها الرسل وحيًا من عند الله. وتظل الفطرة السليمة قادرة على استقبال هذه الآيات بالسمع والبصر والفؤاد. وفي الفطرة قوى أخرى مغروسة برحمة من الله: كالحب والكره، والشجاعة والجبن، والشهوات والغرائز، وقوة التفكير، وقوة العاطفة، وما يضع الله في عبد من عباده من مواهب وقدرات، يتميز بها إنسان من إنسان. ويكون الإيمان والتوحيد كالنبع الصافي يروي جميع ما في فطرة الإنسان من ميول وغرائز وقوى ريًا عادلاً متوازنًا. وكذلك يكون الإيمان والتوحيد في فطرة الإنسان كالمصفاة، تُصَفّي ما يدخل إلى الفطرة من تجارب وخبرة من الواقع، أو علوم أو زاد يكتسبه في هذه الحياة الدنيا.

وكل عمل يقوم به الإنسان، أو فكرة يفكر فيها، أو أمر يعزم عليه، هو عمل صالح يدخل في ساحة التقوى مادام مرتبطًا بالإيمان، مَرويًا به. فإذا انعزل العمل عن الإيمان أو انقطع ريُّ الإيمان أو ارتوى من غيره، فإنه يدخل ساحة الفتنة والفجور والفساد، واستَمِعْ إلى آيات الله البيّنات توضح ذلك: *وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا*. **الشمس**: 7-10.

إن العمل نفسه قد يكون طاعة للّه وتقوى، وقد يكون فتنة وفجورًا وإفسادًا، فإذا زكّى الإنسان نفسه وصدقت نيته، كان عمله في ساحة التقوى، وإلا كان فجورًا.

النيّة ودورها في عمل القوى المودعة في الفطرة

إنها النيّة! فالنيّة هي المفتاح الذي يفتح نبع الإيمان، لتطلق منه الريّ، إذا كانت النيّة صادقة خالصة للّه سبحانه وتعالى، واعية لنهج الإيمان والعمل الذي تقبل عليه. أما إذا فسدت النيّة فإنها لا تستطيع أن تفتح نبع الإيمان، أو تفتح ريًا فاسدًا، فإما أن يرتوي العمل من نبع الإيمان، وإما أن يرتوي من غيره.

فحين تصدق النيّة وتتوجه خالصة للّه سبحانه وتعالى، فإن الإنسان يزكيّ نفسه: *قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*، ويفلح في مسعاه.

وحين تفسد النيّة ويرجو الإنسان غير وجه ربّه، أو يطلب الدنيا ويسعى لها، فإنه يكون قد دسّى نفسه، أي أخفاها بالضلال والنيّة الفاسدة: *وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا*.

ويأتي حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرويه عنه عمر - رضي اللّه عنه - ليُبْرِزَ لنا أهميّة النيّة وخطورتها في حياة الإنسان وعمله كله. فبها يرتبط قبول العمل عند اللّه أو عدم قبوله. وصدْق النيّة وصلاحها يستدعيان أن يكون العمل خاضعًا لأحكام منهاج اللّه، فعن عمر - رضي الله عنه -، عن رسول اللّه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إنما الأعمال بالنيّة. وإنّما لامرئ ما نوى. فمَنْ كانَتْ هجرتُه إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومَنْ كانت هجْرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» رواه الشيخان(4).

فالنيّة هي المفتاح، مفتاح نبع الإيمان إن صدقت وصلحت، فيروي كلَّ قوى الفطرة وميولها وغرائزها ريًا متوازنًا عادلاً، فَيُفْلِحُ الإنسان بعمله، ويصبح عمله برًا وتقوى، فلا تطغى قوة في الفطرة على قوة، ولا غريزة فيها على غريزة، ولا شهوة على حساب فضيلة، وتتوازن بذلك القوى والغرائز والميول، وتؤدي عندئذ كل قوة مَهَمَّتها التي خُلِقَتْ لها أداءً أمينًا، فيوفي الإنسان بعهده مع اللّه، ويوفي بالأمانة التي حملها.

أما إذا فسدت النيّة، فإن التوازن في الرِّيّ يضطرب، أو يختفي أو يتوقف؛ وعندئذ تطغى قوة على قوّة، وغريزة على غريزة. فواحدة تنمو وأخرى تضمر. ولا تعود القوى كلّها أو بعضها قادرة على الوفاء بالمهمّة التي خُلِقَتْ لها، فَيَنْقض الإنسان عهده مع الله، ولا يوفي بالأمانة التي حملها، ويصبح عمله فجورًا وفتنة وفسادًا، ويصبح الإنسان ظلومًا جهولاً.

فالعمل ذاته قد يكون تقوى، وقد يكون فجورًا. فالشهوة الجنسية إذا انضبطت بضوابط الإيمان وأحكام منهاج الله، كانت خيرًا وتقوى، وأدت المهمة التي خُلِقَتْ لها. وأما إذا تفلّتت من ضوابط الإيمان وأحكام منهاج اللّه، فإنها تصبح فجورًا، وتفسد في الأرض، ولا تؤدي المهمة التي خُلِقَتْ لها والأمانة التي حملها الإنسان. وقس على ذلك حب الوالدين حين يصبح برًا وتقوى إذا ارتبط بالإيمان والتوحيد بصدق النيّة وإخلاصها، أو عصبية جاهلية إذا انفصل عن الإيمان والتوحيد. وكذلك حبّ الأهل والأرحام، وحبّ الوطن، والكراهية، والكرم، والشجاعة، وغير ذلك من القوى والميول والرغبات تكون برًا، أو فتنة وفسادًا.

ولا ينحصر أثر الفطرة وما أودع اللّه فيها من قوى وغرائز ورغبات ومواهب في أوجه النشاط العادي للإنسان. ولكنه يمتدّ إلى الأعمال المتميّزة، أعمال الإبداع والعبقرية في مختلف ميادين الحياة من فنٍّ، وأدب، وعلوم، وصناعة، وفكر، وغير ذلك. فهناك فرق كبير بين عطاء الموهبة حين ترتوي من نبع الإيمان والتوحيد، كما ترتوي سائر القوى، وبين عطائها حين لا ترتوي من نبع الإيمان والتوحيد. ويتبيّن لنا الفرق حين ندرس كيف ينطلق العطاء المتميّزون.

ولادة العطاء المتميّز من القوى العاملة في الفطرة

فهذا العطاء المتميّز تطلقه عدة قوى تعمل في داخل الإنسان، في ذاته، في فطرته التي هي مستودع القوى. وأهم هذه القوى التي تعمل على إطلاقه قوتان في الإنسان، طاقتان في فطرته، هما قوّة الفكر والتحليل والتدبر، ولنُسَمِّها قوّة «الفكر». والأخرى هي قوّة الإحساس والشعور والعاطفة، ولنسمها قوة «العاطفة». وتعمل هاتان القوتان معًا في آن واحد، مع اختلاف في قوّة هذه وقوة تلك مع هذا العطاء أو ذاك. ولكن لا يمكن أن تنعدم أيّ منهما في أي عطاء مبدع. وربما كان هنالك قوى أُخرى لا نعلمها!

ومع مسيرة الإنسان في الحياة ينال تجارب وخبرة وزادًا من مختلف العلوم. وتمرّ هذه

حماية الفطرة على سلامتها كما خلقها الله، أكبر حق للإنسان، وأول حق لله. والإنسان مدعوّ إلى أن يطالب بها ولا يتنازل عنها وأن يجاهد في سبيلها

التجارب، وهذا الزاد على مصفاة الإيمان والتوحيد ما دامت النيّة تعمل خالصة للّه، وما دام الإيمان والتوحيد يعمل في الفطرة السليمة، حتى إذا صفا هذا الزاد من التجارب والعلوم، توجَّهَ ليَتْرُكَ على كلّ قوّة من القوتين ـ الفكر والعاطفة ـ شحنات تغذيهما. ومع مسيرة الحياة يظل الواقع يمد هاتين القوّتين بهذه الشحنات. فكأن القوّتين قطبان كهربائيّان تتجمَّع عليهما الشحنات الكهربائية، على حكمة للّه غالبة، وسنن للّه ماضية، قد نعلم بعضها ونجهل بعضها. حتى تأتي اللحظة المناسبة على قدر غالب من اللّه، وحتى تنمو الشحنات نُمواً يجعلها قابلة للتفاعل، وحين تظلّ النيّة تعمل عملها يُفتَح نبع الإيمان والتوحيد ومصفاتهما، وحين يظل هذا النبع الغنيّ الطاهر يروي الفكر والعاطفة وما عليها من شحنات، ويروي الزاد والتجارب ويصفيها، ويروي «الموهبة»، ليظلّ عمل جميع هذه القوى في ساحة التقوى، حين يحدث هذا كله، وتأتي اللحظة المناسبة على قدر غالب من الله، تأتي الموهبة المؤمنة المرويَّة بالإيمان، فتطلق التفاعل بين القطبين وما عليهما من شحنات، وينطلق من هذا التفاعل ومضةُ الإبداع، تحمل العطاء الإيماني المتميّز، عطاءً غنيًا على قدر غنَى الفكر والعاطفة، والإيمان والتوحيد، والزّاد وشحناته، وعلى قدر غنَى الموهبة أيضًا. إن هذه العوامل كلها تعمل في ذات الإنسان، في داخله، في فطرته، ليقدم الإنسان عطاءه. ويكون الإنسان مؤمنًا، وعطاؤه عطاءً إيمانيًا مادامت الفطرة سليمة سويّة لم تنحرف.

وقد يحدث أن تنحرف الفطرة، أو يضعف الإيمان، فلا يكون الريُّ متوازنًا، فتنمو بعض القوى والغرائز والميول على حساب غيرها، فيختل الأداء ويضطرب، ويدخل بعضه أو كله في ميدان الفجور.

وقد نجد في واقع الحياة عملاً يبدو لنا في ظاهره طيّبًا مع فساد صاحبه أو انحرافه، أو كفره وضلاله. أما عمل الكافر والملحد فقد بيّن اللّه ورسوله لنا أمره. فمهما حمل من زينة وزخرف فهو مرفوض عند الله: *وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا*. **الفرقان**:23.

وحين سألت عائشة رضي الله عنها رسول اللّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن عبدالله بن جدعان، وهل يقبل الله عمله، وقد كان يصل الرحم ويقري الضيف؟ فقال: «لا! إنه لم يقل يومًا قط اللهم اغفر لي يوم الدين»(5).

وقد يحدث أن يصدر عمل طيّب في ظاهره من رجل منحرف، وتختلف درجة الانحراف من إنسان إلى إنسان. ويتساءل الناس: كيف يصدر هذا العمل من هذا الرجل؟!

ومن خلال ما عرضناه عن الفطرة نرى أنه من الممكن أن يصدر عمل طيبٌ كما يبدو لنا من رجل تظنّ أنه ليس أهلاً لهذا العمل. فيكون هذا العمل من أثر البقيّة الباقية من فطرته التي انحرفت أو شُوِّهتْ، فيبقى جزءٌ ما يعمل فيها، فتصدر بعد ذلك بعض الأعمال التي تبدو لنا في ظاهرها طيبة، والله أعلم بخلقه وحسابهم على الله.

حماية الفطرة ورعايتها وسبيل الإسلام إلى ذلك

من هذا العرض السريع الموجز لأهمية الفطرة ولخطورة دورها في حياة الإنسان، ندرك أهمية حمايتها وصونها من أن تتعرّض للانحراف أو التشويه.

والفطرة ليست «عضلة» في جسم الإنسان، ولا هي مادة ذات شكل وحجم ووزن وموضع محدَّد في الجسم. إنها أمر من عند الله أعلمنا به اللّه سبحانه وتعالى. إنها مجموعة قدرات وطاقات، وغرائز وميول ورغبات، أودعها اللّه في كيان الإنسان، تتفاعل مع أجهزة الجسم: من قلب ودماغ وجهاز عصبي، وغير ذلك مما لا يعلمه إلاّ الله.

ومن هذا التصور أيضًا ندرك مدى امتداد أهميتها في كيان الإنسان، وهي تتفاعل وتؤثر وتتأثر بأجهزة الإنسان المختلفة على سنن للّه ماضية، وحكمة بالغة.

ومهما كانَ التصور فإنه يقودنا في النهاية إلى الأهمية البالغة للفطرة وخطورة دورها. ففيها أودع الله الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، قضية الإيمان والتوحيد. ومنها ينطلق عطاء الإنسان مرويًا بنبع الإيمان غنيًا به، أو جافًا منحرفًا.

من هذا التصور ينطلق الأدب الإسلامي الملتزم بتميزه الفكري والإيماني والفني على قدر الإيمان والموهبة والزاد. ومن هذا التصور يخرج العطاء المتميّز كله من علم وفن وصناعة وغير ذلك.

ولذلك كانت القوى التي أودعها الله فطرة الإنسان تقرر مصيره في الدنيا والآخرة. وهل هناك أخطر من ذلك؟!

ولذلك كانت حماية الفطرة هي الحق الأول للإنسان في هذه الحياة الدنيا. فإذا لم يُوَفَّ هذا الحق تعطَّلت سائر الحقوق أو انحرفت أو تشوهت، فدخلها الظلم والفتنة والفساد، وتعطلت المسؤوليات كذلك.

وإذا كانت حماية الفطرة حقًا لكل إنسان، بل هي الحق الأول والأكبر، فإنها في الوقت نفسه مسؤولية الأمة بكل مستوياتها ومؤسساتها وقوانينها، ابتداء من الأسرة والبيت والوالدين، وانتهاء بالدولة ورجالها، ومرورًا بالمعاهد والجامعات وسائر المراكز.

ستختلف القوانين كثيرًا حين يحرص واضعوها على حماية الفطرة، أو حين لا يحرصون على ذلك. لذلك جاءت الشريعة الإسلامية حريصة كل الحرص على حماية الفطرة من أن تلوّث بالآثام والمعاصي والجرائم. حَرِصَتْ على ذلك في بناء الأسرة وروابطها ونظامها، وحرصت على ذلك في تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة، ومنع الاختلاط الذي يفسد الفطرة ويدفع إلى الفجور. وحرصت على ذلك في تربية الفتاة خلقًا، ودينًا، وعلمًا، ولباسًا، حتى تحفظ الفتاة سلامة فطرتها. ألا ترى الحياء مغروسًا في فطرة الفتاة، في فطرتها السليمة حتى يكاد يكون سلاحًا يحميها من الفتنة. فإذا فسدت الفطرة فقدت الفتاة حياءها وانزلقت في الرذيلة وجاهرت بها. وكذلك حرص الإسلام على حماية فطرة الفتى وحماية ما أودع الله فيها من قوى، لتؤدي كل قوّة ما خُلِقَتْ له.

لَقد جاء الإسلام بتشريعات كاملة ترمي إلى تحقيق هذه الحماية والرعاية. فهو يحرص على الإنسان وسلامة فطرته قبل الزواج، فسنَّ للزواج تشريعًا كريمًا دقيقًا. فحرَّم زواج المسلم، أو المسلمة من مشرك أو كافر. وجعل الإسلام أساس علاقة الزوجين، وأباح زواج الرجل المسلم من الكتابية مادام الرجل المسلم صادقًا في دينه عارفًا بمسؤولياته وحقوقه، يدرك أن من أهم مسؤولياته الدعوة إلى الله ورسوله، إلى الإيمان والتوحيد. فإن كان الرجل المسلم كذلك فهو أول ما يكون داعية في بيته. ولا يختار الكتابية إلا عن علم وبيّنة

حماية الفطرة ورعايتها

ليطمئن أنه سيوفي بعهده مع الله في أداء واجبات الرسالة الربّانية، وأنه لن يترك منفذاً لانحراف أو فتنة. وإنّنا هنا نأخذ قبسات ليعود المسلم إلى الكتاب والسنّة فيجد التفصيل البيّن المعجز: *وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حتى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ*. **البقرة**:221.

وحرّم الإسلام زواج الأمهات، والبنات والأخوات، والعمات والخالات، وبنات الأخ وبنات الأخت، والأمهات اللاتي أرضعن الرجل، وأخواته من الرضاعة، وأمهات الزوجات، والربائب اللواتي في الحجور من النساء اللاتي دخل الرجل بهن، وحلائل الأبناء الذين من الأصلاب، كما حرّم الجمع بين الأختين، وبين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها.

وعن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة». رواه الخمسة(6).

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «تُنكَحُ المرأةُ لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداكَ». رواه الخمسة(7).

فالدين هو الأبعد أثرًا في حماية فطرة المولود ورعايته بعد ولادته. وكذلك:

عن أبي حاتم المزني، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا جاءكُم مَنْ تَرْضَوْنَ دينَهُ وَخُلُقَهُ فأنكحُوه. إلاّ تفعلوه تَكُنْ في الأرضَ فتنةٌ وفسادٌ كبيرٌ». قالوا: يارسول الله! وإن كان فيه؟ قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه» أعادها ثلاث مرات. رواه الترمذيّ(8).

وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «تخيَّروا لنُطفكُمْ، فَأَنْكحُوا الأكفاء وأنكحوهم» رواه ابن ماجه والحاكم في مستدركه والبيهقي في السنن(9).

والكفاءة هي الدين والخلق.

وعن معقل بن يسار، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «تزوّجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم» رواه أبو داود والنّسائي(10).

وعن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «تزوَّجوا الأبكار، فإنهنَّ أعذب أفواهًا وأنتق أرحامًا، وأرضى باليسير» رواه الطبراني في الكبير(11).

وقواعد أُخرى كثيرة جاء بها الإسلام لرعاية الزواج مما يعين على حماية الفطرة ورعايتها.

هذا قبل الزواج، ثم بعد الزواج حدَّد الإسلام حقوق الزوجة، وحقوق الزوج، وآداب الأُسرة تنظيمًا وتحديداً كاملاً، حتى يكون بيت الزوجية سَكَنًا تُرْعى فيه الفطرة وتُصان.

فقد جعل الإسلام للولد حقوقًا على أبيه نذكر أهمها: أن يحسن اختيار أمه، وأن يحسن اختيار اسمه، وأن يعلمه، وأوَّل العلم كتاب الله وسنّة نبيّه، وفي واقعنا اليوم تدخل اللغة العربية وتعلمها حقًّا للولد على أبيه وأمته.

لقد جعل الله البيت سَكَنًا تسكن فيه الأسرة كلها، تسكن نفوسها في جو من التراحم كريم، وفي جوّ من البرّ والتعهّد:

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ. **النحل**:72.

واللَّه جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا. **النحل**:80.

وكذلك:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. **الروم**:21.

مع الفطرة السويّة السليمة يتحقّق السكن في جوّ الأسرة، وتتحقّق المودّة والرحمة، والبرّ، وتتصل الأرحام وتتواصل. أما حين تفسد الفطرة فإن الأسرة تتمزّق، وروابطها تتقطّع، والأرحام كلّها تتفرّق، ويذهب السكن والبرُّ والرحمة: *فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ*. **محمد**:22.

السكن والرحمة والبرُّ وصلة الرحم تنشأ مع الفطرة السليمة في عبق الإيمان والتوحيد، في رعاية الإسلام وتشريعه، لتقوم حقوق الإنسان سليمة نقيّة؛ حقوق الجميع، جميع أفراد الأسرة، وجميع أُسَر المجتمع، وجميع مؤسساته ومستوياته.

أما في حقوق الإنسان خارج الإسلام كما هي في الغرب، حيث تولّى الناس عن الإيمان والإسلام، فهناك تَتَقطَّع الأرحام، ويذهب السَّكَنُ والبرُّ والرحمة، كما نجدها في حضارة الغرب وقوانينه، مع رعايتهم للفاحشة والفتنة والفساد.

من هنا، من هذا الحق الأول والأخطر للإنسان، حق حماية فطرته، من هذا الحق تنطلق سائر الحقوق والمسؤوليات، وتترابط الحقوق والمسؤوليات، من خلال فطرة سويّة سليمة قادرة على استقبال رسالة اللّه وتدبّرها والإيمان بها، والخضوع لها والتزامها، رسالة اللّه التي خُتمت بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليبلّغها للناس كافة، للعالمين، رحمة من عند الله. إنّها منهاج اللّه قرآنًا وسنّة ولغة عربية.

حين ندرك هذه الخطورة لحماية الفطرة ستتغيّر أسس التربية والبناء، وقواعد الإعداد والتدريب، سيختلف النظام الاجتماعي، وستنتظم العلاقات بين الأفراد، وبين الشعوب، لتخضع كلّها إلى منهاج ربّاني معجز، فيه وحده نجاة الإنسان في الدنيا والآخرة، وفيه وحده الحقوق الكاملة والمسؤوليات الكاملة للإنسان، وهو البيان العالميّ الحق المتكامل لحقوق الإنسان.

فعسى أن يعي المسلمون ذلك، ويعيه الدعاة لتستقرّ الدعوة الإسلامية على أسس ربّانية ثابتة، ولتلتقي القلوب المؤمنة صادقة مع ربّها وفيّة لعهدها، صفًا واحداً كالبنيان المرصوص، تجمعها الفطرة النقيّة السويّة السليمة.

ولا تقف القضية عند حد الحماية والصون. ولكنها كذلك تمتد إلى الرعاية المستمرة خلال الرضاعة والطفولة والفتوة والصبا، وخلال مراحل الحياة كلّها ليظل الإنسان في جو طاهر نظيف، ولتظل الفطرة على سلامتها، توفي بمسؤولياتها وتنال حقوقها.

الهوامش:

1- رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه. صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط3، ج6، ص303، رقم 7845.
2- البخاري: 93/1، مسلم: 1829/33/5. الترمذي 1705/24/17.
3- صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط3، ج6، ص350، حديث 7979.
4- البخاري: 41/1. مسلم: 1907/45/33.
5- أحمد: المسند:120/6.
6- صحيح الجامع الصغير، ط3، ج6، ص327، حديث 7894.
7- صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط:3، ج:3، ص56، حديث 3000.
8- المصدر السابق، ج1، ص134، حديث 267.
9- المصدر السابق: ج:، ص37، حديث 2925.
10- المصدر السابق: ج3، ص40، حديث 2937.
11- المصدر السابق، ج3، ص40، حديث 2936.

قصيدة

موّال فلسطيني

شعر: محيي الدين فارس

تَحْتَ ظلٍّ الشَجَرِ المنسيّ قد ماتَ أبي
وبعَيْنَيْه دُعَاءٌ.. وَصَلاةٌ.. وحكَايَا
احْفَظُوا عنّي الوصَايَا
مَا سَقَطْنَا.. رغْم آلاف الضَّحَايَا
إنْ يكُنْ قَدْ صَادَرُوا منَّا بطَاقَاتِ المُرُورِ
فَافْتَحُوا للزّمَنِ الآتي مَمرًّا
بيْنما كَانَ هُنَا يعْزقُ حَقْلَه
ضَاعَ منَّا بيْنَ آلاف الشَّوَاهد
ظلُّهُ الوَاقِفُ مَازَالَ مُطَارَد

* * *

حِينَمَا نَدْخُلُ مِنْ بَابِ
ولاَنَخْرُجُ مِنْ بَابِ
وتَحْتَجُّ الخيَام!
ويَقُولونَ لنَا: مَاتَ السَّلاَم
ادخُلُوها برَصَاصِ خَائِفين
ادْخلوا.....
لا تَدْخُلُوا....
مُرُّوا... وَلكنْ
ابْرِزُوا كُلَّ بِطَاقَاتِ الهوية
وقِفُوا..
كَيْ تُفْرِغُوا كُلّ الدِّماء العربيَّة
واتركُوا تاريخكم وانْسَوا الدّم الغَالِي
الذي انْثَالَ على الصَّخْرِ نُقُوشَا
والذّي خَضَّبَ وجْهَ الأرضِ بالحِّناءِ وَانْهَلَّ
دُمُوعًا ونعُوشا
فَالقَرارَاتُ.. احْتِمَالاتُ حوارٍ.. لاَ حوَار

* * *

وَطَنٌ.. دُونَ وَطَنْ
بَعْضُنَا فيه.. وبَعْضٌ
لم يَجِدْ حَتّى الكَفَن
اعْطِنَا يَاربٍّ بَعْضًا مِنْ زَمَنْ
نَعْرف القَبْرَ الذي كَانَ ارتحالاً في فُجَاءَات المحَن
كَيْفَ نرْضَى.. بعد هَذَا الجُرْحِ بَعْضًا مِنْ وَطَنْ

إنما نسبح الله بالقول والاعتقاد



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

قضية: «هل الاسم هو المُسَمَّى ذاته، أو غيره؟» من مسائل علم الكلام نشأت عن تفكير اعتزالي، وقد عُني بها كبار العلماء من أمثال الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وأبي محمد ابن حزم، والبطليوسي، وغيرهم..

والصواب أن الاسم غير المسمَّى، وأن الاسم دال على المسمَّى، وقد أسلفتُ في هذه المجلة بحثًا صُداعيًا حول ذلك. وحديثي اليوم عن بيان سر الأمر بالتسبيح باسم الرب في آية كريمة لم يأت فيها معمول الفعل مباشرة، فلم يقل: سبح ربك.. وإنما قال: *سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ*.. مع مناقشة آراء بعض العلماء حول ذلك.

وجاءت هذه المسألة فرعًا عن قضية الاسم والمسمى بقول الله تعالى: *تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ*. **الرحمن**:78، وقوله: *وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ*. **المزمل**:8، وقوله: *سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ*. **الأعلى**:1.

ونوقش هذا الاستدلال ببيانين متلازمين: البيان الأول أن المأمور المبيِّنَ كلامَ ربه رسول الله صلى الله عليه وسلم (عندما امتثل أمر ربه) سبَّح المُسَمَّى، ولم يسبح الاسم. ولو فهم عليه الصلاة والسلام أن الاسم هو المسمى لَسَبَّح الاسم بإطلاق، أو سبح الاسم تارة وسبح المسمى تارة. وإنما سبح المسمى بإطلاق. قال ابن قيم الجوزية عن امتثال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولو كان الأمر كما زعموا لقال: سبحان اسم ربي العظيم.

ثم إن الأمة كلهم لا يجوز(1) أحد منهم أن يقول: عبدت اسم ربي، ولا سجدت لاسم ربي، ولا ركعت لاسم ربي، ولا باسم ربي ارحمني.. وهذا يدل على أن الأشياء متعلقة بالمسمى لا بالاسم»(2).

وعن امتثال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر ربه (بأن سبح ربه وقد أُمر بالتسبيح باسم ربه) قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع: حدثنا إسرائيل: عن أبي إسحاق: عن مسلم البطين: عن سعيد بن جبير: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ: *سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى* قال: سبحان ربي الأعلى.

وهكذا رواه أبو داود: عن زهير بن حرب: عن وكيع به. وقال: خولف فيه وكيع. رواه أبو وكيع، وشعبة: عن أبي إسحاق: عن سعيد: عن ابن عباس [رضي الله عنهما] موقوفًا.

وقال الثوري: عن السدي: عند عبد خير قال: سمعت عليًا قرأ: *سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى*، فقال: سبحان ربي الأعلى.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد: حدثنا حكام: عن عنبسة: عن أبي إسحاق الهمداني: أن ابن عباس [رضي الله عنهما] كان إذا قرأ: *سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى* يقول: سبحان ربي الأعلى(3).

والبيان الثاني عن إيضاح السر في أمر الله بتسبيح الاسم مع أن المراد تسبيح المسمى، وذلك بأدلة التصحيح والترجيح.

وبهذين البيانين، وبأدلة هذين البيانين يقوم برهان واحد - وهو البرهان المركب - على أن المراد تسبيح المسمى بالسنة القولية والفعلية، وبهذا البرهان تسقط الدعوى على النصوص المذكورة بأن الاسم هو المسمى.

وهذا برهان لإزالة شبهة، وليس برهان تقرير حقيقة. والفارق بين البرهانين أن الثاني برهان إثبات والأول برهان دفع؛ أي إن برهان الإثبات في هذا الموضع لإثبات أن المسمى غير الاسم، وبرهان الدفع لنفي دلالة تلك النصوص على أن المسمى هو الاسم.

قال أبو عبدالرحمن: وقد قررت هذين البرهانين على افتراضهم أن الصيغة وردت بتسبيح الاسم.

وأما البيان الثاني عن سر الأمر بتسبيح الاسم والمراد المسمى فقد اختلفت كلمة العلماء في ذلك، فقال بعضهم: إن التسبيح للمسمى، فوجب التسبيح للاسم بالتبع كما يقال: سلام على الحضرة العالية، والباب السامي، والمجلس الكريم، ونحو ذلك.

وردَّهُ ابن قيم الجوزية بوجهين:

أولهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفهم هذه التبعية، فقال: سبحان ربي.

وثانيهما: أنه إذا صح تسبيح اسم الله وجب تكبيره وتحميده وتهليله، فيقال: الحمد لاسم الله، ولا إله إلا اسم الله.. وهذا لم يقله أحد(4).

وذهب ابن قيم الجوزية إلى أن سر التسبيح بالاسم عدم إخلاء اللسان من النطق بالتسبيح؛ لأن التسبيح نوع من الذكر، ومحل الذكر الحقيقي القلب؛ بدليل أن ضد الذكر النسيان.. فلا يُفهم من الأمر بالتسبيح غير تسبيح القلب دون

اللسان، والله أراد من عباده الأمرين معًا، فأقحم الاسم تنبيهًا على هذا المعنى!!.

ثم قرر هذا المعنى الذي اختاره بتفريق بين ذكر القلب وذكر اللسان، فقال: «لأن ذكر القلب متعلقه المسمى المدلول عليه بالاسم دون ما سواه، والذكر باللسان متعلقه اللفظ مع مدلوله؛ لأن اللفظ لايراد لنفسه.. فلا يتوهم أحد أن اللفظ هو المسبَّح دون ما يدل عليه من المعنى»(5).

ولم يُنقل قط - لا من النص الشرعي، ولا من سيرة الصحابة والتابعين وأتباعهم - تسبيح اسم الرب، وإنما التسبيح للرب باسمه مثل: سبحان الله، وسبحان ربي، وسبحان الملك القدوس.

وجعل هذا الرأي صادراً عن شيخ الإسلام، فقال: «وعبَّر لي شيخنا أبو العباس ابن تيمية قدَّس الله روحه عن هذا المعنى بعبارة لطيفة وجيزة، فقال: المعنى سبِّح ناطقًا باسم ربك متكلمًا به.. وكذا(6) سبِّح اسم ربك.. المعنى سبح ربك ذاكراً اسمه.

وهذه الفائدة تساوي رحلة.. لكن لمن يعرف قدرها!»(7).

قال أبو عبدالرحمن: ها هنا وقفات:

الوقفة الأولى: أننا - نحن المخلوقين الضعفاء - ليس لنا فعل في تسبيح الرب سبحانه، وليس لنا فعل في عدم تسبيحه.. والتسبيح التنزيه.. فلا نملك له سبحانه نفعًا يكمل به تنزهه؛ إذ لا نستطيع أن نضيف إلى علمه شيئًا لم يعلمه، فنكون بفعلنا نزهناه عن الجهل.

ولا نملك له سبحانه ضرًا؛ إذ لا نستطيع أن نُغيِّب عن علمه شيئًا فيعتريه بذلك جهل ينافي التسبيح.. بل هو سبحانه متنزه له الكمال المطلق، وهو المبرأ من كل نقص بإطلاق.. فالكمال حقيقة وجوده سبحانه في علمه وحكمته وحياته وقدرته وسمعه وبصره.. إلخ.. إلخ.. هو سبحانه هكذا قبل أن يخلقنا.

وإنما تسبيحنا له عقيدة نعتقدها، وقول نقوله، وفعل عبادي يصدر عن عقيدتنا، وليس فعلاً ينال كماله بإتمام أو ثلم.

إذن تسبيحنا لربنا أن ندعوه بأسمائه الحسنى، فدعاؤه بها تسبيح كما في قول الله تعالى: *فَسَبِّح بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ*. **الحاقة**:52.

وقوله في تفسير الجلالين عن الباء قبل «اسم»: زائدة، من الخطأ.. وقد بيَّنتُ في كتابي «التحرير والتقرير» على تفسير الشوكاني، وفي كتيبي عن واو الثمانية، وفي كثير من المباحث: أنه لا وجود لزائد في لغة العرب ألبتة.. فكيف يكون ذلك في كتاب الله؟!

وتسبيحنا لاسم ربنا له ثلاث دلالات:

الأولى: أن نعتقد مدلوله كمالاً وتوحداً، فلا نلحد فيه بتأويل بلا برهان، أو تعطيل، أو تشبيه.

والثانية: أن لا ندعوه باسم غير توقيفي ليس له سبحانه.

والثالثة: أن تسبيحنا قولاً وإضماراً مضاف إلى اسم ربنا.. لا نستطيع أن نُسبِّحَ ربنا بغير ذلك، إذ لا فعل لنا - كما أسلفت -.

الوقفة الثانية: أنَّ سَبِّح ربك بمعنى اعتقد ما يليق بجلاله وعظمته، وادعه بأسمائه وصفاته مُسبَّحة.. أي مُنزَّهة.

الوقفة الثالثة: أنَّ سَبِّح اسم ربك بمعنى ادع ربك باسم يليق بجلاله وعظمته منزَّهًا عن اعتقاد ما لا يليق.. فمن دعا ربه بالعليم، واعتقد أن ربه لا يعلم الجزئيات العادية من حياتنا كتاريخ شربي لذلك الكوب من الشاي: فلم يُسبِّح ربه.. لأنه لا شيء ألبتة من حقير أو خطير يغيب عن علم ربه.

الوقفة الرابعة: التلازم بين ما ورد في الوقفتين الثالثة والرابعة: أن تسبيحي اسم ربي تنزيه لكل صفة يُسَمَّى بها، فالصفة اسمه.. وتنزيه الاسم غاية المطلوب منا في تنزيه الرب، وذلك أن الاعتقاد نيَّةً، والاعتراف قولاً بأن الله كما هو في جلاله وكماله.. لا أننا - جل وعلا - منحناه وجوداً كماليًا ليس له.. فهو المُسبَّح المُنزَّه ولو كفر به من كفر.. والكافر لم ينل من كمال ربه شيئًا، وإنما جحد كمالاً لا يستطيع ثلمه.. والله هو الغني الحميد القوي القاهر.. نستحضر ذلك حال كفر الكافرين.. والله هو الشكور الودود الرحيم المنعم.. نستحضر ذلك حال إيمان المؤمنين.

كما أن تسبيحي ربي تنزيه له بأن أدعوه بما يليق به، ولا أدعوه بما لا يليق به، وأعتقد له الكمال المطلق والبراءة من كل نقص.

إذن تسبيح الرب دعاؤه باسم منزه، وعدم دعائه بما لا يليق به.. وتسبيح الاسم تنزيه الاسم التوقيفي عن اعتقاد يثلم كماله.

الوقفة الخامسة: جاء الأمر بتسبيح الاسم مع أن الامتثال جاء بتسبيح مَن له الاسم؛ لأن مآل تسبيح الاسم إلى تسبيح من له الاسم، ولأن تسبيح من له الاسم لا يكون إلا بالاعتقاد الصحيح، والقول الصحيح في أسمائه وصفاته التي يُسَمَّى بها.

وصفات الرب أسماء له لأنه الواحد الأحد في استحقاق كمال مدلولها.

الوقفة السادسة: اسم ربنا في الآيات الثلاث يعم كل اسم لربنا؛ لأن الآيات لم تخص اسمًا دون اسم.

الوقفة السابعة: أمرنا ربنا بذكره كما في قوله تعالى: .. *وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ*.. **الكهف**:24. *وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ*. **العنكبوت**:45.. كما أمرنا بذكر اسمه كما في قوله تعالى: *وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ*. **المزمل**:8.. وحيثما أُطلق ذكر الرب فالمراد عموم الاعتقاد نيَّةً، وعموم الدعاء قولاً.. وحيثما قُيِّد ذكر الرب بذكر اسمه فالمراد الدعاء بالقول إضافة إلى عقيدة التوحيد في القلب المشترطة لكل قول وفعل؛ ولهذا كان ذكر اسم الله قرين التبتل في سورة المزمل.

الوقفة الثامنة: جاء الخبر عن الله سبحانه بتباركه كما في قوله تعالى: *تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ*. **الملك**:1، وقوله: *تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا*. **الفرقان**:61.. وجاء الخبر بتبارك اسمه، وذلك قوله تعالى: *تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ*. **الرحمن**:78.

وزعم بعضهم أن كلمة «اسم» زائدة، وهذه دعوى على القرآن واللغة كما أسلفت.

والله سبحانه له التبارك في ذاته، فهو الكبير العظيم ذو الجلال والكمال.. وله التبارك في أمره الكوني؛ لأن الكون يقوم بأمره على مراده.. وله التبارك في أمره الشرعي؛ لأن شرعه صلاح البلاد والعباد، والبر والبحر. ويفسد الكون، وتقوم الساعة إذا عُطِّل شرعه.

وكذلك اسمه له التبارك على العباد؛ لأنه لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، ولأن باسمه يكون الدعاء جلبًا للرزق، واستمطاراً للرحمة، ودفعًا للضر، وحرزاً من الشيطان.

الوقفة التاسعة: يمتنع عبدت اسم ربي، وسجدت لاسم ربي.. إلخ. ولم يرد في المنقول من السيرة العملية أن أحدًا يقول: سبحان اسم ربي.. ولو قيل ذلك لم يكن فيه من المحذور إلا أنه لم يُنْقَل.. إذن التسبيح للرب يكون قولاً واعتقاداً، وتسبيح الاسم يكون اعتقاداً بأنه لله على الكمال والتوحد، ويكون قولاً بغير لفظ «سبحان»، بل يكون قولاً بأن تُسَمِّي ربك بما سَمَّى به نفسه.

الوقفة العاشرة: القول بأن التسبيح للمُسَمَّى كلام صحيح، ولكن الخطأ قولهم: فوجب التسبيح للاسم بالتبع.

بل الصواب: وتسبيح الله بتسبيح أسمائه.. أي تنزيهها بأن لا يكون الاسم غير مشروع، وبأن لا يُعتقد في المشروع غير الكمال والتوحد.

إذن لم يجئ الأمر بتسبيح الاسم لأنه تبع لتسبيح الرب، بل لأنه السبيل إلى تسبيح الرب.

الوقفة الحادية عشرة: لو صَحَّ أن تسبيح الاسم تبع لتسبيح الرب لما ورد عليه قول ابن قيم

الجوزية رحمه الله تعالى: لم يفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه التبعية، فقال سبحان ربي.. لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون حينئذ مُبَلِّغًا شرعًا جديدًا، وهو أن تسبيحنا امتثالاً يكون حسب الأصل لا التبع.

الوقفة الثانية عشرة: ليس بصحيح أنه إذا صح تسبيح اسم الله وجب حمد اسم الله؛ لأن تسبيح اسم الله ورد به نص، وحمد اسم الله لم يرد به نص.. ولا قياس في العبادات والعقائد على أصول القوم.

وإنما امتنع قول: سبحان اسم الله؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بَيَّن كيفية الامتثال، ولأن السيرة العملية لم تنقل ذلك.

الوقفة الثالثة عشرة: اختيار ابن قيم الجوزية رحمه الله سلف بيانه، وموجزه أن سر الأمر بتسبيح الاسم مع أن المراد تسبيح الرب لبيان أن المراد التسبيح بالقلب واللسان.. ثم احتج لذلك.

قال أبو عبدالرحمن: وكل ذلك مدفوع بأمور:

أولها: على فرض أن محل الذكر الحقيقي القلب ـ لأن الأمر بالذكر يجزئ فيه ذكر القلب.. وها هنا قال ربنا: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ، فلا نص على الذكر ها هنا.

والأصل في مادة الذال والكاف والراء في لغة العرب العلو والرفعة والحضور.. من ذلك علو الذكر على الأنثى، وذكور البقل بمعنى ما غلظ منه، والعلا والشرف.

ويقال: ذكر فلانًا بخير أو شر بمعنى أحضره وأظهره، والظهور علو في الخير أو الشر.. والنسيان جفاء، ولهذا جاء النسيان ضدًا للخفاء.

والنسيان ليس محله القلب، بل محله الذاكرة من قوى العقل، فإذا لم يوجد في الذاكرة شيء: فلن يوجد في القلب، ولا على اللسان شيء.

وإذا استحضرت الذاكرة شيئًا فقد يضمره الإنسان فيكون ذكر قلب، وقد ينطق به ويكون ذكر لسان.

وثانيها: التسبيح ليس من معاني الذكر في لغة العرب، وإنما ذكر الله يكون بأمور منها قول: لا إله إلا الله، واستغفر الله، والحمد لله، وسبحانه، والله ربي، ويا حي يا قيوم.

وهذه الأمور تكون ذكرًا لله باللسان، ولا تكون بالقلب إلا إذا قُرن بها النسيان كما في قوله تعالى: *واذكُر رَّبَّكَ إذا نَسيت*.. والمسلم يؤمر أن يذكر ربه بألفاظ مخصوصة ـ وإن كان ذاكرًا لربه بقلبه ـ كأن يقول في سجوده: سبحان الله.

وثالثها: الأصل في الأمر بذكر الله إطلاقًا، أو بألفاظ مخصوصة: النطقُ باللسان إضافة إلى ذكر القلب حتى يقوم دليل على أن المراد أحدهما دون الآخر.

ورابعها: قوله رحمه الله: «لا يُفهم من الأمر بالتسبيح غير تسبيح القلب دون اللسان»: إنما هو حمل لأوامر الشرع على أقل المعاني، فيكون تخصيصًا بلا حجة.. وحينئذ فكل ذكر لله من تهليل وتسبيح وتحميد واستغفار ودعاء يجزئ فيه القلب

دون اللسان ـ لغير عذر ـ حتى يقوم دليل على النطق باللسان.. وهذا عكس للأصل الشرعي المقتضي للعموم.

وخامسها: ذكْرُ كلمة «اسم» لم تعط دليلاً جديدًا بأن المراد النطق باللسان دون القلب؛ لأنك تَذكر الله وتسبحه باسمه في قلبك.. فإذا كان الأصل كما قال ابن قيم الجوزية رحمه الله ـ وهو التسبيح بالقلب فقط ـ فأين هو الدليل على أن تسبيح الله بذكر اسمه يكون بذكر اسمه باللسان إضافة إلى القلب؟!

وإنما ذكر الاسم للأمر الذي أسلفته، وهو أنه السبيل إلى تسبيح الرب.

وسادسها: أن الأصل تسبيح الله باللسان والقلب معًا حتى يقوم مانع من خرس أو ألم، أو يقوم دليل على كفاية الإضمار في القلب.

وسابعها: في تفريق ابن قيم الجوزية بين ذكر القلب وذكر اللسان إحالة إلى ما يستحيل تصوره في حق الله سبحانه، وذلك أننا لا نعلم بالتفصيل عن ربنا إلا ما كان خبرًا منه سبحانه عن نفسه بذكره أسماءه وصفاته وأفعاله، فلا نعلم المسمى ولا نذكره إلا بذكر اسم من أسمائه.. بخلاف المخلوق كآلة مصنوعة رأيتها ولا أعرف اسمها، أو نسيت اسمها فإنني أتصورها حسبما في ذهني من الإحساس بها مستغنيًا عن الاسم.

وثامنها: ليس الفارق بين الاسم والمسمَّى أن محل الأول اللسان، ومحل الثاني القلب.. بل الفارق أن المسمى من دون تعبير عنه بلفظ أو إشارة لا وجود له إلا في القلب .. أما الاسم الدال على المسمى فهو قابل للإضمار بالقلب، وللنطق باللسان.

إذن الاسم والمسمى معًا قابلان للإضمار في القلب.

الوقفة الرابعة عشرة: كلام شيخ الإسلام ابن تيمية لا يدل على ما ذهب إليه ابن قيم الجوزية رحمهما الله من كون التسبيح لا يكون إلا بالقلب.. وإنما يدل على بعض ما ذكره ابن قيم الجوزية، وهو أن المطلوب تسبيح الله بالنطق باسمه مضافًا إليه التسبيح، وهذا الفهم ضرورة لما أسلفته من براهين، وهو أن تسبيح الله من طريق تنزيه أسمائه، وأن الأصل في كل ذكر لله النطق حتى يقوم مانع طبيعي كعجز لساني، أو مانع شرعي يخص الذكر بالقلب.

الوقفة الخامسة عشرة: ذكر شيخ الإسلام أمرًا بدهيًا بإيجاز بلا استدلال.. فليس هناك علم غائب أحضره في ذلك الكلام الموجز، وليس هناك دقائق فكر مستعصية أحضرها وذللها في ذلك الكلام الموجز.. على أن شيخ الإسلام هو من يفرحك بالعلم والفكر.. وإنما أعني تلك الجملة التي أوردها تلميذه ابن قيم الجوزية، وإذن فلا معنى لقوله: «وهذه الفائدة تساوي رحلة.. ولكن لمن يعرف قدرها!!؟

الهوامش:

1ـ قال أبو عبدالرحمن: إذا لم يكن في الكلام سقط فالفعل «يُجَوِّز» بتشديد الواو المكسورة.
2 ـ بدائع الفوائد 21/1، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد.
3 ـ تفسير ابن كثير 591/1ـ 592، دار ابن كثير.
4 ـ بدائع الفوائد 21/1 بتصرف واختصار غير مخلين بالمعنى المراد.. وإنما قصدت بذينك تسهيل العلم وتفهيمه.
5 ـ انظر بدائع الفوائد 21/1 ـ 22.
6 ـ قال أبو عبدالرحمن: أخشى أن يكون في الكلام سقط، فإن كان تامًا فالكلام مختل؛ لأن ما قبل قوله: «وكذا» هو نفسه ما بعد «وكذا»، وكلا الجملتين عن التسبيح باسم الرب.. وإنما يستقيم لو قال: «اذكر ناطقًا باسم ربك، وكذا سبح».
7 ـ بدائع الفوائد 22/1.

روّاد الأدب في بلادنا كـثـير. ولست بمدَّعٍ أنني عرفتهم جميعًا. ولكن الأقطاب منهم، كان لي مع بعضهم لقاء. كما أتاح لي عملي بالصحافة الاقتراب كثيراً من بعضهم الآخر. وعن هؤلاء وأولئك، يسعدني أن أكتب لـ «مجلة الفيصل» بعض ما عرفته عنهم، أو تعلمته منهم.

مُحَمَّد سُرُور الصَّبَّان

ظاهرة نادرة!

2



عبدالله عمر خياط

الآمال الكبيرة هي مطمح النفوس المتوثبة، ذات الهمم العالية، وإني لأحسب، بل أكاد أجزم، أن آمال أصحاب النفوس المتطلعة لا يمكن أن يردّها الله بالخيبة.

ونحن عندما نسترجع سيرة معالي الشيخ محمد سرور الصبان الذي بدأ العمل في وظيفة صغيرة بالبلدية، ثم استطاع بكفاءته، وعلو همته، وثقة ولاة الأمر به، أن يتقلد أعلى المناصب الرسمية، وفي عالم الأدب قدم بداية، خدمة يسيرة، إلا أنه بمرور الزمن وتتابع الدعم والعطاء الذي كان يقدمه لرجال الأدب، وناشئته، تبوأ مركز الريادة فأصبح شيخاً للأدباء؛ ورمزاً للأعلام في دنيا الفكر والعطاء، وذلك ما يؤيد صحة القول: «إن الأمل لا يخيب صاحبه».

كتب الصبان في آخر صفحات كتاب «أدب الحجاز» الذي جمع مادته من نتاج أدباء الحجاز وشعرائه، وأصدره من مكة المكرمة في 20 رمضان سنة 1344هـ ترجمة حياته بقلمه على النحو التالي:

«أنا محمد سرور الصبان. ولدت في أواخر سنة 1316هجرية في إحدى مدن الحجاز، ـ وليس في مكة بالطبع وإنما في القنفذة وكان والدي يعمل تاجراً بها ـ، وتعلمت القراءة والكتابة والتجويد والحساب ـ فقط لاغير ـ في جدة ومكة. في المدارس التي كانت موجودة في ذلك الحين، وتركتها إلى الحياة العملية من غير أن أتمم دروسي. ولم أكن في حياتي سعيداً قط. بل على العكس كنت معذبًا. ولا أزال متألمًا».

ثم يذكر صفاته لأنه لم يوافق على نشر صورته.. فيقول:

«أما صورتي التي طلب مني أحدهم أن تكون في أول صحيفة من هذا الكتاب ـ ولم أوافق ـ فهي من قبيل قول القائل:

«سماعُك بالمُعَيْديّ خيرٌ من أن تراه».

لون أسود فاحم، يضاف إليه طول القامة، كأنك أمام أحد العمالقة. وبقية الوصف أشفق على القارئ من إيراده، ويكفيه أن الكتاب يُقرأ من عنوانه».

.. وفي كتاب «وحي الصحراء» الذي أصدره الأديبان محمد سعيد عبدالمقصود وعبدالله بلخير في العقد الخامس من القرن الرابع عشر الهجري، وجمعا فيه نتاج الأدباء والشعراء، جاءت ترجمة الأستاذ محمد سرور صبان بالنص التالي، الذي نثبته هنا لما فيه من إيضاحات لم يوردها الصبان فيما كتب بقلمه:

«ولد بالقنفذة في ذي القعدة عام 1316هـ. وانتقلت أسرته إلى جدة عام 1320هـ وفيها تلقى علومه الأدبية. ولما نشبت الحرب العثمانية الإيطالية تحولت أسرته إلى مكة، فالتحق بمدرسة الخياط. ثم انصرف إلى الاشتغال بمحل والده التجاري. وفي عام 1336هـ عين كاتب يومية بإدارة بلدية مكة. ثم رُقي إلى وظيفة محاسب فرئيس كتّاب. ولما شكلت حكومة جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود المعظم البلدية عام 1443هـ عُيِّن بنفس الوظيفة، ثم انتُخب عضواً فسكرتيراً للمجلس الأهلي، ثم عين معاونًا لأمين العاصمة.

وفي عام 1347هـ بدأ الاشتغال بالأعمال التجارية، حتى عيّن رئيساً لقسم التحريرات بوزارة المالية، ثم مديراً لإدارتها.

ويكشف الأستاذ الكبير محمد علي مغربي ـ رحمه الله ـ في مؤلفه «أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة» عما تبقى من سيرة الشيخ محمد سرور الصبان فيقول بعد البدايات المذكورة آنفًا:

«وعندما انتقل الملك عبدالعزيز إلى الحجاز بعد بيعته ملكًا على الحجاز وسلطانًا على نجد، استقر جلالته وكامل الحكومة في مكة المكرمة ـ العاصمة الإسلامية ـ، وأُسندت أعمال عديدة إلى الشيخ محمد سرور الصبان، ومنها تأسيس العديد من الشركات. وأسند إليه معالي الشيخ عبدالله السليمان، وزير المالية آنذاك، منصب مدير عام وزارة المالية، وكانت وزارة المالية إذْ ذاك هي كل الوزارات تقريبًا ـ عدا الخارجية التي كانت برئاسة نائب جلالة الملك في الحجاز صاحب السمو الملكي الأمير فيصل رحمه الله ـ وتوطدت صلة الصبان بنائب الملك في الحجاز. وتولى الصبان خلال ذلك العديد من المناصب.

وللشيخ محمد سرور مآثر أدبية كبرى ينفرد بها حين يُكتب التاريخ الأدبي للحجاز. فقد كان أول من أصدر كتاب «أدب الحجاز» في الشعر، وكتاب «المعرض» في النثر. وكان أول صوت يُسمع خارج المملكة في محافل الأدباء هو صوت محمد سرور الصبان. وذلك في الأعوام 1344هـ حتى توفاه الله ـ يرحمه الله ـ.

وكان للصبان ـ رحمه الله ـ السبق في شراء جريدة «بريد الحجاز» التي كانت تصدر في جدة في أواخر العهد الهاشمي. وكان أول من أصدرها المرحوم الشيخ محمد صالح نصيف. وفي مطلع عام 1350هـ أصدر الصبان جريدة «صوت الحجاز» التي تعدّ أول جريدة وطنية في المملكة بعد جريدة أم القرى، وتحولت فيما بعد إلى جريدة البلاد».

ويضيف الأستاذ المغربي إلى ذلك:

«لقد عملت إلى جانبه تسع سنوات رأيت فيها العجيب من إحسانه، وحلمه. وكثيراً ما أنقذ تجارة منهارة، أو قضى دين كريم. كثيراً ما أقال العثرات، وكان يعطي عطاء مَنْ لا يخشى فقراً، فقد جبله الله على الكرم والسخاء.

وأستطيع أن أضيف إلى صفحات الشيخ محمد سرور الصبان ـ يرحمه الله ـ أنه كان كثير الحياء، كاتمًا لأسرار الناس. وظل على حالته الوظيفية تلك إلى أن تولى الملك سعود ـ يرحمه الله ـ عرش البلاد خلفًا لجلالة الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ، فَعيَّنه الملك سعود وزيراً للمالية بعد استقالة الشيخ عبدالله السليمان الحمدان.

وكانت تلك أول وزارة رسمية يرأسها ولي العهد فيصل ـ رحمه الله. ثم بعد عام عصفت الأحوال الاقتصادية بالبلاد، فخطط الملك فيصل يرحمه الله، حتى أنقذ البلاد من التضخم. وكان الشيخ محمد


محمد سرور الصبان

سرور الصبان وقتذاك في أوروبا للعلاج. وأقيل من الوزارة.. وظل في مصر فترة طويلة حتى استدعاه الملك فيصل بن عبدالعزيز وأسند إليه الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في يوم 1381/12/14هـ.

وكان للصبان علاقات واسعة بالكثير من رجالات العالم الإسلامي ساعدت على ترسيخ قواعد الرابطة وامتداد تأثيرها للعالم أجمع.

وللتاريخ، فإن كلاً من معالي الشيخ محمد سرور الصبان ومعالي الشيخ صالح قزاز كانا يعملان في الرابطة دون مقابل.

وفي يوم 1391/12/2هـ توفي الشاعر الكبير والأديب في دولة مصر، وحُمل إلى وطنه وصُلّي عليه بالمسجد الحرام يوم 1391/12/3هـ ودفن بمقابر المعلاة بمكة المكرمة بعد أن شيعه الأمراء والأعيان والجموع الشعبية الكثيرة التي كانت تدين له بالحب والولاء».

أعماله الأدبية

قلت في مستهل حديثي إن الأعمال لا تقاس بكثرتها، وإنما بما يتبقى منها مما ينفع الناس. وأضيف هنا: إن عطاء الأفذاذ من الرجال لا يقاس بالملموس من الأعمال الأدبية فقط، وإنما هناك عطاء يتمثل فيما يضطلع به أولئك الرجال من اهتمام بالفكر، وشحذ للهمم، ومساندة وتشجيع للأنداد.

ومحمد سرور الصبان هو رائد العمل الخلاق، وصاحب الدعم غير المحدود لأهل الأدب ورجال الفكر من أنداده ولمن جاء بعدهم من الأجيال المساهمة في خلق نهضة أدبية، تشهد بذلك مواقفه الكريمة من كل أبناء جيله من الأدباء، ومنتداه (صالونه) المفتوح لاستقبالهم، وإحسانه لمن يستحق ذلك منهم، وقيامه بتجميع نتاجهم وطبعه على حسابه.

وقد جاء كتاب «أدب الحجاز» الذي أصدره محمد سرور الصبان في 20 رمضان 1344هـ أول دليل


محمد عمر توفيق

على ذلك، إذ جمع فيه نتاج ناشئة الأدب يومذاك ـ وهو من بينهم ـ حيث وضع على غلاف الكتاب هذا التعريف الذي يقول: «أدب الحجاز» أو «صفحة فكرية من أدب الناشئة الحجازية شعراً ونثراً».. وقال في مستهل مقدمته:

«أقدم بين يدي القارئ صفحة فكرية وجيزة من شعر الشبيبة الحجازية ونثرها لهذا العهد. ولأول مرة في التاريخ الأدبي لهذه البلاد بعد فترة طويلة وقرون كثيرة، قضى بها سوء الطالع لهذه الأمة، ولهذا الوطن، أن يكون علم الأدب فيها غريبا، والأديب مبتذلاً طريداً».

وبعد أن يكشف العنت الذي كان يلقاه الأدب في العهود السابقة التي كانت تضيق ذرعًا بكل رأي حر أو فكر مستنير، يعود الأستاذ الصبان في نهاية المقدمة فيوضح الغاية من إصداره «أدب الحجاز» فيقول: «إنني

أصدر هذه المجموعة الشعرية والنثرية في عمل شبيبة اليوم وأنا شاعر بما فيها من قصور، وأنا شاعر أن قيمتها الأدبية ربما لا تساوي شيئًا في سوق الأدب، بل ربما تكون محل سخرية من البعض كما تكون محل عطف وتشجيع من آخرين.

كل ذلك اعتلج في نفسي، وكان سبب إقدام وإحجام طويلين مني؛ ولكني اعتزمت أخيراً إصدار هذه المجموعة كما يراها القارئ، وبما فيها من قصور، وبما فيها من عُجَر وبُجَر، أو نفائس ودرر. وليس لي، عَلِمَ الله، من باعث إلى ذلك إلا الغاية التي أرمي إليها، وإنّما الأعمال بالنيات.

ولو لم يكن من وراء عملي هذا إلا إعلام الناس في هذا البلد وفي خارجه، أن هنا شبيبة تحب العلم، وتنظر بغيرة نزيهة وحسرة وحزن عميق إلى ما يتمتع به شبان بقية البلاد العربية من البسطة في العلم، والحصول على ما تتعطش إليه نفوسهم من مناهله العذبة، وهم


محمد علي مغربي

محرومون مُطَارَدون مضروب على أيديهم، محول بينهم وبين طلبتهم وغايتهم بسد منيع لا تستطيع حيلتهم أن تصل بهم إلى ما يريدون وما يؤملون. وإلا الإبلاغ بأن هنا شبيبة تريد، ولا يمنعها من إرادتها شيء، أن تأخذ حقها وحظها ومكانتها في الوجود ككل أمة تشعر بكرامتها، وتشعر بقوميتها، وتحتفظ بمقدراتها ومفاخرها وإرثها القومي بين الأمم، وإلا أن أدل بصفة عملية على وجود حياة (ولو كانت كحياة الطفل في أول استهلاله وشعوره بالحياة) في هذا البلد. وفي هذا بشرى وغبطة للمخلصين كلّفاني تشجيعًا على العمل والإقدام عليه».

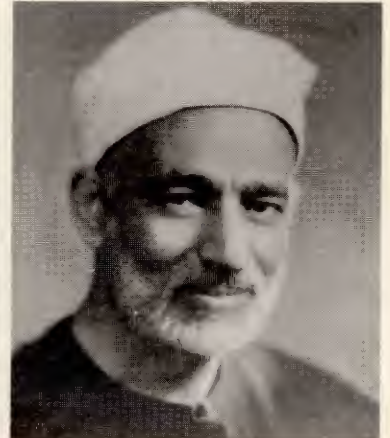
وقد احتوى كتاب «أدب الحجاز» على نتاج الطبقة الأولى من الأدباء والشعراء المعاصرين لحركة البعث الأدبي في الحجاز.

.. وفي عام 1345هـ تولى الشيخ محمد سرور

الصبان ترتيب وجمع آراء مجموعة من الشبان في اللغة العربية مشاركة للمناقشات العلمية التي كانت دائرة بين أنصار اللغة وأعدائها خارج الحجاز، وأصدرها في كتاب عنوانه «المعرض»، وعلى صدر صفحاته الأولى كتب سطوراً تحت عنوان «كلمة لابد منها» قال فيها:

«كنت قد أعددت هذا الكتيب عام 1342هـ ثم عدلت عنه لأسباب كثيرة، أهمها: الشذوذ المستولي على أفكار كبار رجالنا ووقوفهم حجر عثرة في طريق رقينا.

والآن وقد آن الأوان أن نروض تلك الأدمغة المتحجرة، ونستأصل الشذوذ من جذوره، ونزيل العقبة من طريقنا، عرضنا على القراء هذا النموذج الصغير ولنا فيهم من الآمال ما يشجعنا على المثابرة في سبيل التقدم الصحيح الذي رائدنا فيه الإخلاص لقوميتنا ولبلادنا. وسنصل إن شاء الله تعالى إلى الغاية التي يريدها لنا كل محب ومخلص، ونظهر بالمظهر اللائق بنا بين الأمم بعون الله».


الشيخ حسنين مخلوف


محمد سعيد عبد المقصود

وفي العام نفسه (1345هـ) تولى طبع كتاب «خواطر مصرحة» للأستاذ محمد حسن عواد؛ وهو مجموعة مقالات في الأدب واللغة والاجتماع والنقد، وكتب له مقدمة تنم عن أغراضه من إصدار الكتاب إذ قال فيها: «لقد طلع الفجر فاستيقظنا، ونادانا الواجب فلبينا، وبدأنا نُسمع صوتنا لمن أنكرنا، وصرنا نكتب ونشعر.

نكتب لنعلم كيف نكتب، ونشعر لنعلم كيف نشعر. وإنّا، كما قال ولي الدين، لسنا متجاوزين حداً من حدودنا، وما فينا من يطمح طرفه إلى فائدة خاصة ينالها، إن نحن إلا أبناء وطن نريد صلاحه. نسعى لنقيم العدل فننزع إلى مكارم الأخلاق».

ويقول الأستاذ عبدالله عريف في كتابه «رجل وعمل»:

«لقد أصدر هذه الكتب الثلاثة في الفترة التي كان يشغل فيها وظيفة معاون أمين العاصمة كما جاء في كتاب «وحي الصحراء»، وهي المدة التي تنتهي بعام 1345هـ».

ومعنى هذا أنه، على بساطة المركز الذي كان يحتله، وقلة المال الذي كان بين يديه، أصدر تلك المؤلفات. ومع أنه لم يصدر عنه بعد ذلك غير عدد يسير من الكتب التراثية، إلا أنه كان وراء كل عمل أدبي، وداعم كلٍّ إصدار قام بتأليفه أديب أو شاعر. وهذا ما يؤكد قول الأستاذ محمد حسين زيدان في ملحق البلاد عام 1392هـ: «محمد سرور لم يصنع الأدب وإنما نشره وبهذا كان خيراً من صانعيه».

ويقول الأستاذ محمد علي مغربي في كتابه «أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة» بعد حديثه عن الكتب الثلاثة: أدب الحجاز والمعرض وخواطر مصرحة:

«وللشيخ محمد سرور الصبان إلى جانب هذه المآثر الأدبية الأولى مآثر كبيرة، فقد طبع ونشر على نفقته كتباً كثيرة جليلة، منها كتاب «تفسير معاني كلمات القرآن» للشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية، وكتاب «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» للفاسي، وكتاب «الصِّحَاح» للجوهري بتحقيق الأستاذين أحمد عبد الغفور عطار وعبدالسلام هارون، وكتاب «جواهر العقود ومدارج السائلين وشذرات البلاتين»، وكتاب «الإنصاف في الفقه» وهو في أحد عشر مجلداً، وديوان شاعر العرب الكبير فؤاد الخطيب، وغيرها من الكتب المفيدة الجليلة. وكانت هذه الكتب تُطبع وتُوَزَّع على نفقته دون مقابل».

وأنا، وإن كنت لا أعرف مقدار ما كلفه إصدار هذه الكتب على وجه الدقّة، أذكر أن الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار - وهو أحد اللذين قاما بتحقيق كتاب «تهذيب الصحاح» - تحدث إلى معالي الأستاذ محمد عمر توفيق - رحمه الله - يوم كان مديراً لمكتب جريدة البلاد بمكة المكرمة بحضور كل من الأستاذ عبدالله الجفري وأحمد كثيري - رحمه الله - وكاتب هذه السطور، عن المبلغ الذي تسلمه من الشيخ محمد سرور الصبان لصرفه على تحقيق وطبع الكتاب.. وقال إنه «ثلاثمئة ألف جنيه مصري كدفعة أولى، وكان الجنيه المصري يومها بسبعة ريالات». وقد دفع الشيخ الصبان هذا المبلغ، وربما ضعفه، لإتمام مشروع كتاب «تهذيب الصحيح» لإيمانه بأهميته. وهو ما يكشف عنه في التصدير الذي كتبه بقلمه، وفيه يقول بعد حديث طويل عن كتب التراث وأهمية العناية باللغة العربية التي هي الرباط الأساسي لوحدة العرب:

«كان في خزانة كتبي مخطوطة أعجبني أسلوب مؤلفها في الشرح والإيجاز، وقد نص مؤلفها أنه اختصر «الصِّحاح» للجوهري.. وقال: إنه لم يغفل منه إلا العُشر وجعله في حجم العشر. وبمعارضتي بعض مواده بالصِّحاح وجدت ما قال صحيحاً.

وعنَّ لي أن أشارك الذين يخدمون العلم بما أستطيع، فأنشر هذا المخطوط نشراً علمياً، وهو جدير بالنشر لأنه معجم دقيق العبارة واضحها، ومع إيجازه وصغر حجمه فإنه يحوي من الصِّحاح أكثره، ولأنه مختصر يفيد بقية طلاب العلم والعربية ممن لا قدرة له على مراجعة المعاجم الكبيرة لبعدها عن متناوله، ولأنه تراث علمي تجب العناية به والمحافظة عليه.

وكنت أود أن أنشره تحت إشرافي وحاولت ذلك، ولكن لدي من الأعمال ما شغلني عنه. وخفت أن يطول حبس الكتاب في خزانتي فوكلت أمر تحقيقه ونشره إلى الأستاذ المحقق أحمد عبدالغفور عطار الذي رأى - وأنا معه - أن هذا العمل لا يبلغ كماله المنشود إلا إذا ظفر بعناية العلامة الجليل الأستاذ المحقق عبدالسلام محمد هارون الأستاذ بجامعة فؤاد الأول - جامعة القاهرة -».

ثم يختم التصدير بقوله:

«وأنا إذ أقدم إلى القارئ العربي هذا المعجم المختصر الدقيق «تهذيب الصحاح» لمحمود بن أحمد الزنجاني؛ فإنني أقدمه وأنا أعلم أنني أقوم ببعض ما وجب له علي، وما نشرت هذا المعجم إلا رغبة في خدمة لغة القرآن مؤملاً أن يوفقني الله إلى نشر كتب أخرى مما تحتوي مكتباتنا في المملكة العربية السعودية من نفائس المخطوطات ونوادرها».

وقد صدق الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله وعده؛ فأصدر بالفعل، كما أسلفنا، العديد من كتب التراث الغالية التكاليف، البالغة الأهمية.

وإلى عدد قادم لنختم الحديث، إن شاء الله، بما كان للشيخ محمد سرور الصبان من آثار، وما كتبه الأعلام عن تلك الآثار.

جماليات النص الشعري للأطفال

أحمد فضل شبلول

قمت مؤخرًا بقراءة خمسٍ وعشرين مجموعة شعرية مكتوبة للأطفال، لاثنين وعشرين شاعرًا عربيًا، قدَّموا ما يقرب من خمسمئة وخمسة وعشرين نصًا شعريًا لأحبائنا الصغار.

ومن خلال هذه القراءة، نستطيع أن نخرج بنتائج وظواهر وملاحظات عامة، عن النص الشعري الذي يُكتب حاليًا للأطفال. بعض هذه النتائج والظواهر والملاحظات يرقى إلى مستوى الجماليات التي يجب توافرها في كل نص شعري يُكتب للطفل، حيث ترقى (الجمالية) إلى مرتبة القاعدة العامة، أو ترقى إلى ما يمكن تسميته بعمود النص الشعري للأطفال، إن صح التعبير. وبعضها الآخر يجب التنبيه عليه لعدم تكراره، واستبعاده، من النصوص الجديدة التي سيكتبها شعراؤنا مستقبلاً بمشيئة الله؛ لأنها تبعد النص من الهدف الأساسي المكتوب من أجله، وهو الطفل العربي المعاصر بكل ما يحمله من قيم وأحاسيس ومشاعر يجب تنميتها واستثمارها بما يحقق له طفولةً سعيدةً حقًا، ومستقبلاً مشرقًا.

وبعامة، فإننا نستطيع أن نجمل هذه النتائج والظواهر والملاحظات فيما يلي:

* إن معظم النصوص المكتوبة للأطفال في هذه المجموعات تمور بالحركة والحيوية والنشاط، وكأنها أطفال تجري وتلعب وتقفز وتروح وتجيء أمامنا، وقد انعكس هذا على الصورة الشعرية التي يرسمها الشاعر؛ فنرى الشمس تمشي فوق الشباك، ونرى الصغير يقوم من نومه ويرتب أشياءه ويعد حقيبته في نشاط وحيوية، وفي «عيد الأم» يجري الطفل ليقبّل أمه (فنفرح يا أحبائي ونجري كي نُقبِّلها)، وفي حديقة الحيوان يكون اللعب والمرح والقفز والغناء، حتى «الفارس المغرور» في دورانه يعبر عن الحركة والنشاط على الرغم من خوفه من السبع والقرد والليل، و... هكذا.

* تسهم القصائد الحوارية، التي قرأناها في بعض المجموعات، في إغناء المعرفة لدى الطفل المستقبِل لها، فضلاً عن إمكانية تمثيلها أو القيام بإلقائها مع مجموعة من زملائه وأصدقائه سواء في المدرسة أو خارجها، وهي بعامة تصلح لمرحلة الطفولة المتأخرة (9 - 12 سنة) وما بعدها.

إنها تعوِّد الطفل - من خلال ما تقدمه من حواريات - السلوكَ والتفكيرَ الجماعيين، والإنصات إلى آراء الآخرين، وتحفزه إلى التفكير والرد بطريقة مناسبة تنمي فيه استقلال الشخصية واحترام ذوات الآخرين الذين يتحدثون معه، بالإضافة إلى اكتساب معلومات جديدة.

* رأينا عددًا من الشعراء يتحدثون عن عالم الصداقة في بعض نصوصهم للأطفال، وترجع محاولة ترسيخ الصداقة والصحبة بين الأطفال، إلى أن الطفل في سن معينة يكون راغبًا في الخروج عن خط الأسرة، ويتكون لديه خيال الاستقلال عنها، كما أنه يحاول أن يوسِّع من علاقاته وانتماءاته، ويتهيأ لأخذ دوره في الحياة، ومن هنا فإنه يحفل بعالم الصداقة والأصدقاء.

* تؤدي الأم والمدرسة أهم الأدوار في صياغة ثقافة الطفل وقدراته الذهنية والعاطفية، وتتدخلان في توجيهها وتشكيلها بقدر كبير، لذا فقد اهتم عدد كبير من الشعراء بهذين القطبين المؤثرين، وكتبوا عنهما الكثير من النصوص الشعرية.

* تمثل الطبيعة عنصرًا مهمًا في شعر الأطفال، ويحرص جميع الشعراء الذين يكتبون للأطفال على أن ينهلوا من هذا العالم الثر، وتوجد مجموعات شعرية كاملة اتخذت من الطبيعة خلفية لها أو مسرحًا أو عالمًا محببًا للطفل.

* على الرغم من سمو بعض الموضوعات التي تحدث عنها بعض الشعراء وجديتها، فإنها قد تفتقر إلى الحسِّ الطفولي، والمرح الطفولي، والبهجة، والحركة الوثّابة، والبسمة العذبة، والضحكة الطفولية الصافية، وكأنه لامكان للمرح والفرح والضحك والركض وراء الأشياء الجميلة والمحببة لروح الطفولة البريئة، مثل الفراشات والعصافير والألوان، في عالم الطفل المسلم.

* من الملاحظ على بعض النصوص التي قرأناها، أنها لم تُكتب للأطفال، وإنما كتبها الشاعر لنفسه، مثل قصيدة «في بيت الله الحرام» في مجموعة أناشيد الطفل المسلم، وتدلنا على ذلك لغة النص وصوره.

ومن الملاحظ أيضًا أن بعض النصوص الأخرى كُتبت عن الأطفال وليس لهم. وهناك بطبيعة الحال فرق كبير بين الكتابة للأطفال، والكتابة عنهم، وعلى الرغم من ذلك جاء غلاف ديوان «رياحين الجنة» ليضعنا أمام إشكالية جديدة في المصطلح، وهو شعر في الطفولة والأطفال. إذن نحن بهذا نكون أمام اتجاهات ثلاثة في كتابة الكبار الموجهة للأطفال شعرًا وهي: الكتابة للأطفال، والكتابة عن الأطفال، والكتابة في الأطفال.

وحقيقة الأمر أنني لا أفهم معنى الاصطلاح الأخير، فإما أن تكون الكتابة للأطفال، أو عن الأطفال.

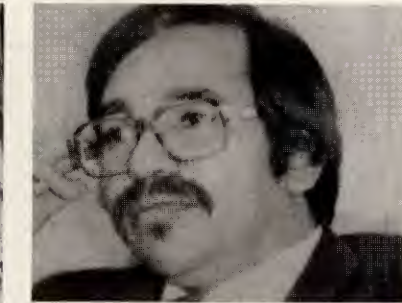
* من خلال الأناشيد التي قرأناها، لا نميل إلى تصنيف الشاعر محمود أبو الوفا ضمن كوكبة الشعراء الذين كتبوا شعرًا للأطفال، لكونه لم يقصد إلى هذا قصدًا، وإن كان «أجهد نفسه» في محاولة ذلك، ولكونه لم يضع برنامجًا شعريًا لهذا الغرض من ناحية، ولكون الموضوعات التي كتب فيها لم تُحدِّد لها سن معينة، الأمر الذي يوقع الشاعر في ازدواجية الكتابة للفئتين معًا (الكبار والصغار) من ناحية أخرى.

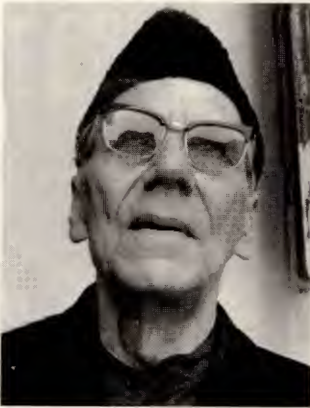
* تأتي نصوص عدد من الشعراء الذين قرأنا أعمالهم، مواكبة لروح العصر الذي نعيش فيه ولمفرداته التي تسللت إلى حياتنا، وقد شاركت مثل هذه النصوص في صياغة جديدة لقاموس الأطفال الشعري، ولألفاظ الحضارة بعامة.

والشاعر المعاصر الناجح، في رأينا، هو الشاعر الذي يربط هذه المفردات الجديدة التي تتحدث عن روح العصر، والاختراعات والاكتشافات الجديدة، ومحاولة سبر أغوار الكون والفضاء، بالمفردات الإيمانية أو التي تشع إيمانًا بطريقة منسجمة وغير مفتعلة، لأنها تصدر عن رؤية شاعر مسلم يربط بين التقدم البشري واختراعات الإنسان واكتشافاته وتقدمه العلمي والتقني، وإيمانه بوحدانية الخالق وربوبيته وعبودية المخلوق، بل إن الإنسان المؤمن تزداد درجة عبوديته، ومن ثم إيمانه، كلما اكتشف سرًا من أسرار الكون، أو توصل إلى اكتشاف واختراع جديد، وإذا انعكس هذا على روح النص الشعري المكتوب للأطفال، فإنه بلا شك يحقق نجاحًا باهرًا.

* إن شعر الأطفال المعاصر متَّهم بالبعد من الحقائق العلمية، والمنجزات والاختراعات (الإلكترونية) التي يراها الأطفال يوميًا ويتعاملون معها؛ بل يحبونها، ويحبون أن يشاهدوها ويلمسوها ويجلسوا إليها ويتحدثوا بلغتها، وبخاصة الكمبيوتر (أو الحاسوب أو الحاسب الآلي) هذا الجهاز الذي أصبح يشد انتباه الأطفال ويجذبهم أكثر من الكبار، بل أكثر من اللعب الأخرى التي قد نوفرها لهم.


د. إبرهيم بن محمد أبو عباة


علي الشرقاوي


محمود أبو الوفا

لقد صار لطفل أواخر القرن العشرين، وبداية القرن الحادي والعشرين ألعابه الخاصة التي تختلف عن ألعاب طفل منتصف هذا القرن، وعلى الشعراء الذين يكتبون للأطفال أن يعوا ويدركوا هذه الخصوصية، وهذا التطور في ألعاب الأطفال، وبخاصة الألعاب الشعبية. وأعتقد أن هذه الخصوصية أو هذا التطور وعاه وأدركه بعض القصاصين الذين يكتبون للأطفال، وبخاصة من يكتب منهم القصص التعليمية العلمية، أو القصص التي تتمتع بالخيال العلمي للصغار.

* يعد التوظيف الشعري للحديث للنبوي الشريف، خطوة متقدمة وهادفة على طريق النص الشعري المكتوب للأطفال، ومازالت الطريق مفتوحة أمام شعرائنا لإقامة علاقات أدبية وشعرية جديدة، واستثمار طاقات أوسع وأرحب من تلك التي شاهدناها وقرأناها في عدد ليس قليلاً من الدواوين والمجموعات الشعرية المختلفة المكتوبة لأحبائنا الصغار.

ولئن كان مؤلفا «أغاريد الأطفال» استثمرا أو قاما بتوظيف الحديث النبوي الشريف في المجموعة الأولى من ديوانهما، فإن المجال مفتوح أمام شعراء آخرين لاستثمار الكلمة القرآنية، والنسج حولها قصائد وأناشيد إسلامية للأطفال. ومن الممكن لشعرائنا الذين يكتبون للصغار استثمار حياة أبطال المسلمين وعلمائهم أيضًا، من طريق القصة الشعرية البسيطة، أو من طريق الحوار البسيط بين شخصيتين أو طفلين يتحدثان عن البطل، أو عن العالم وآثاره ومؤلفاته، والإضافات العلمية التي أضافها لعصره وللعلم الذي تخصص فيه، وما إلى ذلك. إن المجالات كثيرة ومتنوعة أمام شعرائنا ليقدموا الكثير والكثير لأحبائنا الصغار الذين لا يحتاجون إلى الحكايات على ألسنة الطيور والحيوانات، أو إلى أغاني الطبيعة والقصائد المستوحاة منها فحسب، ولكن قد يحتاج طفل نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين الذي أصبحت ألعاب (الكمبيوتر) أو الألعاب الإلكترونية من أهم معالم حياته، قد يحتاج إلى شعر يتناسب مع هذه الحياة الجديدة.

* من أهم الأساليب التي اعتمد عليها بعض الشعراء، والمناسبة لسن الطفولة، أسلوب التكرار، سواء تكرار المعنى أو تكرار اللفظ. إن التكرار من شأنه المشاركة في تأكيد المعنى الذي يتحدث به الطفل، كما يسهم في إغناء الموسيقى بتكرار الأصوات كما هي، ولكن يجب عدم التوسع في استخدام التكرار حتى لا يفقد أهميته، كما يجب استخدامه عند الضرورة الفنية الملحة، حتى يكون إيجابيًا ومؤثرًا.

* قد يكون من السهل على الطفل حفظ بيت الشعر أو الجملة الشعرية، ولكن سيكون من الصعب عليه فهم معناها ومغزاها، أو ما ترمي إليه، إذا امتلأت بالألفاظ الصعبة على الفهم، أو الصعبة في النطق، أو الصور المركبة. لذا يلجأ بعض الشعراء إلى الشروح والتعليقات على عدد كبير من المفردات الشعرية بهوامش الصفحات، ولكن هذا يشي بعدم قدرة الشاعر على التقاط المفردة السهلة البسيطة المعبرة عن المعنى الذي يود إيصاله إلى قارئه. وقد رأينا أن عدد الكلمات المشروحة أو المبيَّنة أو الموضحة معناها، يصل أحيانًا إلى ست كلمات في الصفحة الواحدة، وقد يعني هذا أن الشاعر لم يكن متأكدًا من وصول معنى الكلمة الشعرية التي استخدمها في السياق الشعري المعين إلى الأطفال الذين يكتب لهم، لذا فقد قام بالشرح والتفسير، وحبَّذا لو يستخدم الشاعر الذي يكتب للأطفال الكلمة الشعرية السهلة النطق ذات الدلالة الواضحة بدلاً من الاعتماد على الشرح والتفسير.

* من المآخذ الفنية على بعض النصوص طول السطر الشعري بطريقة لا تتناسب مع الشعر الموجه للأطفال الذي من المفروض أن يكون سريع الإيقاع، ذا جمل قصيرة وتقفية دائمة حتى وإن كانت متنوعة، لذا فإن معظم الشعراء الذين يكتبون شعرًا للأطفال يستخدمون مجزوءات البحور وأحيانًا مشطوراتها في الشكل التقليدي، أما في الشعر التفعيلي، فعادة تكون السطور قصيرة جدًا وذات تقفية متنوعة. وفي الوقت نفسه ينبغي استئصال أي زوائد شعرية على فكرة القصيدة، فضلاً عن ضرورة التقاط المعنى ذي الدلالة الواضحة المفهومة الشائعة والصحيحة في الوقت نفسه، حتى لا نترك الصغير عُرضة لاختلاط المفاهيم وتعدد الدلالات.

* بالنسبة للزوائد الشعرية، فقد لاحظنا وجودها في بعض النصوص، وقد تختلف هذه الزوائد من نص إلى آخر، فأحيانًا نجد أبياتًا تقول المعنى نفسه الذي قاله الشاعر في أبيات سابقة في النص نفسه، أو أبياتًا تقوم بشرح ما قد سبق فهمه أو الإشارة إليه خلال السياق العام للنص، أو وجود أبيات هي عبارة عن مقدمة لما

سيقوله الشاعر بعد ذلك في النص، ومن الأفضل في هذه الحالات حذف الأبيات التي لا تقدم جديداً، أو لا تفيد في بناء النص، أو تفترض عدم الفهم في الطفل أو القارئ أو مُستَقْبِل العمل بعامة.

* على الشاعر الذي يكتب للأطفال أن يتخلص من بعض الصور الشعرية المركبة التي من الصعب على الصغير أن يفهمها بسهولة، أو يدرك ما وراءها من معان ودلالات مثل (المسافات أوشكت أن تطيرا)، و(الشاطئ بالسر يبوح)، و(من رشّ على الشاطئ سحراً)، و(يعود النبع إلى البحر كالحلم الرائع كالسحر)، و(نقول للأشواق طيري) إلخ.

إن مثل هذه الصور تربك استقبال الطفل للنص الشعري أكثر مما تفيده أو تضيف إليه، هي بلا شك صور شعرية جميلة ورائعة وذات دلالات تصويرية تشي بقدرة الشاعر الفنية، ولكن لابد من مراعاة السن التي يكتب الشاعر لها، إننا نقبل مثل هذه الصور والتراكيب الجمالية في قصائد موجهة إلى الكبار الذين تمرسوا بقراءة الشعر، وامتلكوا الخبرة التذوقية، وقطعوا فيها شوطاً لابأس به، ولكنْ أنْ تُوَجَّه مثل هذه الصور والتراكيب إلى أطفال في سن العاشرة، أو الثانية عشرة، أو حتى الخامسة عشرة، فأعتقد أنها ستكون عصيةً على الفهم والإدراك، بل التذوق والإحساس، كما أنه ليس من السهل شرحها وتفكيكها إلى عناصرها الأولى، لأن ذهنية الصغير لن تدرك في هذه الحالة ما ترمي إليه من جمال أو إيحاء يتخفّى وراءها. لذا على الشاعر أن يبتعد من تلك الصور التي بها قدر من التجريد، وينزع إلى رسم الصورة البسيطة المعبّرة والجميلة في الوقت نفسه. أيضاً عليه الابتعاد من المعاني المجردة التي قد يصعب على الطفل فهمها، مثل: العدالة، والقهر، والضياع، والمطلق، والحنين، والذكريات... إلخ.

* إن الشعر التعليمي الموجه إلى الأطفال، إذا خرج عن مقوماته الأساسية كشعر، تحول إلى مجرد نظم لا حياة فيه ولا روح، لذا فإنه في هذا النوع من الشعر يجب ألا يلجأ الشاعر إلى تقرير الحقائق والأفكار، وإنما إلى تصوير هذه الحقائق وتلك الأفكار، أو تحويلها إلى لوحات فنية شعرية، وهذا يتوقف على براعته بوصفه شاعراً لجمهور معيّن من القُرّاء.

* إن النصوص التي يقدمها الشاعر للأطفال، يجب أن تحمل المعلومة والقيمة الإسلامية المشعّة، بالإضافة إلى القيمة الفنية والجمالية، ويجب أن تكون هناك حدود لا يتنازل عنها الشاعر، من أهمها: الموسيقى، وسهولة الألفاظ أو خفتها.

* إن وجود الألوان في النص الشعري للأطفال يضفي شيئاً من البهجة والتفاؤل على عالم القصيدة، فضلاً عن أن الألوان تنمي حاسة البصر عند الطفل، وبخاصة الألوان الرئيسية مثل: الأحمر، والأصفر، والأزرق.

* يجب أن يُراعى في وضع الأناشيد المكتوبة للأطفال، سهولة اللفظ، وخفته بما يتناسب مع عقلية الطفل، ويتمشى مع مداركه، ليسهل عليه حفظ النشيد وترديده واستيعابه، فالنشيد يعد عامل بناء وتوجيه ومصدراً للثروة اللغوية التي يحتاج إليها الطفل، كما أنه في الوقت نفسه ميدان للترفيه والتسلية.

* يجب على الشاعر الذي يكتب للأطفال أن يبتعد من التخصيص أو الحالات الخاصة، ويلجأ إلى التعميم، فلا يرسم صورة خاصة للأب مثلاً، ولا يكتب عن حالة معينة تخص طفلاً بعينه.

* يستطيع الشاعر من خلال قصائده أن يعوّض الأطفال - وبخاصة أطفال المدينة - عن الطبيعة التي قد يفتقدونها، ومن ثم فهو يطلعهم على عالم شعري جميل وجديد عليهم، وهو يسهم في تثقيفهم وتعليمهم وإعلامهم بأشياء جميلة موجودة في عالمنا المعاصر تضاف إلى رصيدهم الحياتي من طريق الصورة الشعرية، والإيقاع الجميل.

* على الشاعر الذي يكتب للأطفال أن يقدم المعلومة الصحيحة في إطارها الفني المناسب، ذلك أن الطفل إذا اكتسب معلومة خاطئة فمن الصعب أن نغيرها له أو نعدلها أو نصححها، وفي الوقت نفسه إذا اكتشف أو اقتنع بخطأ المعلومة المقدمة له فسرعان ما يفقد الثقة في معظم ما يُقَدَّم له من معلومات في الكتاب - أو البرنامج الشعري - نفسه، مما يُفْقِد العمل الفني عنصراً مهماً من عناصره التربوية والتعليمية، ألا وهو عنصر الثقة.

* ربما لا يستجيب الطفل لأفعال الأمر المباشرة، لأنه عنيد بطبعه، ويلزم عند التعامل معه نوع من المرونة والذكاء كي يستجيب للنصح والإرشاد، أما أفعال الأمر المباشرة فقد تأتي بنتيجة عكسية، لذا فإن النص الذي يحتوي على كم كبير من هذه الأفعال يعد غير مناسب لمرحلة الطفولة.

* يرسم الشاعرُ الذي يكتب للأطفال عادة صورة جميلة ومتفائلة لبلاده وللناس وللأرض وللوطن، وهو شيء مطلوب للأطفال من أجل زرع روح الثقة والتفاؤل والتعاون والمحبة والصداقة والأمل في نفوسهم. إننا لا نستطيع أن نقول إن الشاعر هنا يكذب أو يجمّل الواقع، أو يعطي صورة غير واقعية لوطنه ولبلاده وناسه، ذلك أن لأدب الأطفال ولشعر الأطفال وظائفه وخصائصه الإدراكية واللغوية والنفسية، وجمالياته التي إذا وعاها الشاعر، فإنه يحقق الكثير من النجاحات الأدبية والتربوية.

* إذا كان بعض النقاد يطالبون بوحدة الموضوع في قصائد الكبار، فإنه من الأجدى تطبيق هذه الوحدة على قصائد الصغار، وذلك حتى لا يتشتت ذهن الطفل في انتقاله بين أكثر من موضوع في النص الواحد.

* فيما يتعلق بالجوانب الموسيقية:

أ - بلغ عدد النصوص العمودية التي قرأناها قرابة 350 نصاً بنسبة 66٪ من إجمالي النصوص التي وصل عددها إلى ما يقرب من 525 نصاً، في حين بلغ عدد النصوص التفعيلية قرابة 175 نصاً بنسبة 33٪ تقريباً من إجمالي النصوص، أي إن عدد القصائد العمودية جاء ضعفي عدد القصائد التفعيلية.

ب - شكّلت مجزوءات البحور الخليلية ومشطوراتها قرابة 215 نصاً بنسبة61٪ من إجمالي النصوص العمودية.

ولاشك أن المجزوءات والمشطورات، فضلاً عن التفعيلات السريعة الإيقاع مثل تفعيلات الخبب، تسهم إسهاماً فعّالاً في استمتاع الطفل بموسيقى النصوص وتساعده على سرعة حفظها وترديدها، وبذلك يتحقق هدف مهم من أهداف الكتابة للأطفال، هو غرس الموسيقى في نفس الطفل، وهو هدف جمالي إبداعي يساعد على حسن استيعاب النص، ويغني الطفل وثقافته، ويدرب أذنه على الاستخدام الحسن لحاسة السمع عنده.

ج - على الرغم من عدم انتشار استعمال بحر المجتث كثيراً في الشعر المعاصر بعامة، فإننا لاحظنا استخدام بعض الشعراء له في الشعر

الشاعر المعاصر الناجح هو الشاعر الذي يربط المفردات الجديدة التي تتحدث عن روح العصر والمخترعات الحديثة بالمفردات الإيمانية بطريقة منسجمة وغير مفتعلة

التوظيف الشعري للكلمة القرآنية والحديث الشريف خطوة متقدمة وهادفة على طريق النص الشعري المكتوب للأطفال، والطريق مفتوحة أمام الشعراء لإقامة علاقات شعرية جديدة

المكتوب للأطفال، فكون هذا البحر لا يأتي إلا مجزوءًا، شجّع عددًا من الشعراء على استخدامه في الكتابة للأطفال.

د ـ شكّل مجزوء الرجز قرابة 115 نصًا بنسبة أكثر من 50٪ من إجمالي المجزوءات والمشطورات.

وقد لاحظنا أن هناك نصوصًا من مجزوء الرجز اعتمدت في كل أجزائها على التفعيلة المخبونة (مُتَفْعِلُنْ = حذف الثاني الساكن من مستفعلن)، ولاشك أن استخدام التفعيلة المخبونةَ في الرجز من شأنه زيادة سرعة الإيقاع وحدّته عن التفعيلة الأصلية أو الأساسية (مستفعلن)، لأنه من طريق الخبن سنقوم بحذف صوت ساكن (= السين) مما يوفر مساحة زمنية كان يستغرقها هذا الصوت، وهو الأمر الذي يتواءم في النهاية مع حركة الطفل السريعة، وإيقاعه المتواتر وعدم ركونه إلى حالة معينة؛ فهو دائم التجدد، دائم الحركة، دائم الانطلاق، دائم النشاط. وهذا يفسّر لنا استخدام معظم الشعراء الذين يكتبون للطفل لتفعيلات الرجز والخبب، على وجه التحديد.

هـ ـ جاءت أغلب النصوص المكتوبة من الشعر التفعيلي، من تفعيلات الخبب (فعلن فعْلن فاعل)، بل إن هناك أعمالاً كاملة، جاءت من تفعيلات هذا البحر مثل مغناة (أوبريت) الوسام، ومذكرات فيل مغرور، في حين شكلت هذه التفعيلات نسبة 81٪ من المجموعات الأربع لعلي الشرقاوي، يليها تفعيلتا الرجز (مستفعلن ومتفعلن)، ثم تفعيلتا الوافر (مفاعَلَتُن مفاعلتن).

ولاشك أن اعتماد الكثير من الشعراء على تفعيلات الخبب بشكل أساسي يرجع إلى سرعة إيقاع تلك التفعيلات بطريقة تتناسب مع السن التي يكتب لها الشاعر، وتوثبها وحركتها الدائبة التي لا تعرف الكلل ولا الملل.

ويبدو أن مفهوم روح العصر الذي تحدثنا عنه من قبل، قد انعكس على الجانب الموسيقي أو الإيقاعي عند بعض الشعراء، فوجدنا أن السطوة الكبرى للأوزان، كانت لتفعيلات هذا البحر السريعة الإيقاع، الأمر الذي يؤكد أن للخبب وتفعيلاته الهيمنة الكبرى على معظم نصوص الشعراء بعامة في نهاية القرن العشرين، وبدايات القرن الحادي والعشرين.

غير أنه يجب الحرص في أثناء استخدام هذه التفعيلات، ذلك أن تفعيلات الخبب ـ على وجه التحديد ـ إذا لم يتمكن الشاعر من السيطرة عليها، فإنها تسحبه إلى عالم من الثرثرة اللفظية، وإلى دوّامة التعبير النثري.

و ـ على الرغم من قلة استخدام البحر الطويل في مجال النص المكتوب للأطفال، فإن هذا البحر يتناسب بطبيعته مع الحكاية الشعرية؛ لطول أجزائه، ولوفرة كلامه، وقد استخدمه بعض الشعراء في هذا المجال بالفعل.

ز ـ أخيرًا فإنه يجب تقديم نصوص للأطفال المبتدئين في مراحل رياض الأطفال أو المدارس الابتدائية تعتمد أسلوب الأغنية الخفيفة في البداية وتتدرج إلى الأنشودة البسيطة، حتى يتمكن الأطفال في هذه المراحل من تعرّف الإيقاع الموسيقي للشعر، وأوزان الشعر الخفيفة، ويصبح لديهم تهيئة لمعرفة الفروق بين الشعر والنثر وخصائص كل نوع.

* يجب تشجيع وجود الرسوم الملوّنة المعبّرة والمصاحبة لكل نص شعري على حدة، ووظيفة هذه الرسوم تكمن في إكمال شرح النص وتحبيبه للطفل، وتقريب المعنى الذهني والوجداني إليه أكثر. ومن دون هذا العنصر يفقد العمل بعض قيمه الفنية. وعلى كل حال ليس هذا من وظيفة الشاعر، ولكنه من صميم عمل الناشر للشعر المكتوب للأطفال، ولكن هذا لا يمنع من أن يقدم الشاعر مرئياته في هذا الخصوص.

* الحكم على نجاح الشعر المكتوب للأطفال:

* إن نجاح شعر الأطفال وجودته يمكن الحكم عليهما من خلال ربط تجربة الشاعر وخبراته بتجربة الصغار وخبراتهم، وذلك ضمن قالب شعري يثير عواطفهم وخيالاتهم، ويخاطب أفكارهم وقدراتهم العقلية والانفعالية والنفسية، وهذا لا يتأتى لشاعر الأطفال إلا بعد معايشة الأطفال والاطلاع على واقعهم والاختلاط بعالمهم الخاص بهم.

المصادر والمراجع:

- أجمل ما غني الأطفال، مصطفى عكرمة، دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1407هـ/1987م.
- أساسيات في أدب الأطفال، محمود شاكر سعيد، الرياض، دار المعراج الدولية للنشر، 1414هـ/1993م.
- الأصابع، علي الشرقاوي، البحرين، المنامة: دار المسيرة للطباعة والنشر، ط1، 1991م.
- أطفالنا في عيون الشعراء، أحمد سويلم، القاهرة: دار المعارف، سلسلة اقرأ، ط2، 1987م.
- أغاريد الأطفال، محيي الدين سليمة وموفق سليمة، دمشق: دار الفكر، ط2، 1407هـ/1987م.
- أغاريد الرافعي، جمع وتقديم مصطفى نعمان البدري، العراق: وزارة الثقافة والإعلام، 1979م.
- أغاني العصافير، علي الشرقاوي، البحرين، المطبعة الحكومية لوزارة الإعلام، (د. ت).
- أناشيد إسلامية، علي عبدالمحسن جبر، القاهرة: دار الصحوة للنشر، 1413هـ/1992م.
- أناشيد الطفل المسلم، أحمد محمد الصديق، دار الضياء للنشر والتوزيع (د.م) 1408هـ/1988م.
- أناشيد محمود أبو الوفا الدينية للأطفال، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1407هـ/1987م.
- أوبريت الوسام، إبراهيم شعراوي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.
- تغريد البلابل، يحيى الحاج يحيى، الأردن، عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، 1993م.
- دراسات في أناشيد الأطفال وأغانيهم، عبدالفتاح أبو معال، الأردن، عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، 1406هـ/1986م.
- ديوان السنهوتي للأطفال، جمع وتبويب وتقديم أحمد زلط، الزقازيق: 1992م.
- ديوان علال الفاسي، جمع وتحقيق عبدالعلي الودغيري، المغرب: مؤسسة علال الفاسي.
- رواد أدب الطفل العربي، أحمد زلط، الزقازيق: دار الأرقم، 1993م.
- رياحين الجنة، عمر بهاء الدين الأميري، الأردن، عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، 1990م.
- شجرة الأطفال، علي الشرقاوي، البحرين، المطبعة الحكومية لوزارة الإعلام، (د. ت).
- شدو الطفولة، إبراهيم أبو عباة، الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر، 1407هـ.
- ضحكة القمر، أحمد زرزور، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م.
- غرد ياشبل الإسلام، محمود مفلح، الأردن، عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، 1412هـ/1991م.
- الفارس المغرور، أحمد الحوتي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- قصائد الربيع، علي الشرقاوي، (د. ن) ط1، 1989م.
- قصائد من حديقة الحيوانات، عبدالعليم القباني، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م.
- كتابة الشعر في المدارس، أريك جي بولتون، ت: ياسين طه حافظ، بغداد: وزارة الثقافة والفنون، سلسلة الموسوعة الصغيرة(21).
- محفوظات للأطفال، محيي الدين خريف، تونس: الدار العربية للكتاب، 1992م.
- مذكرات فيل مغرور، حسين علي محمد، عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، 1993م.
- مطلع الفجر، بهاء الدين عبدالموجود، القاهرة: شركة سفير، 1992م.
- من أصحابي، فؤاد بدوي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م.
- نسعى إلى مستقبل، جمال عمرو، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- النص الأدبي للأطفال ـ أهدافه ومصادره وسماته، سعد أبو الرضا، عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، 1993م.

إدارة الصراع

وإحداث التغيير التربوي في المنظمات التعليمية

دراسة تحليلية

2

د. رمضان أحمد عيد

وتتولى المنظمات التعليمية مسؤولية إعادة صياغة أهدافها، وتغيير المحتوى التعليمي والتربوي، وطرائق أو أساليب التقويم، وذلك وصولاً لإعداد الجماعات (الكوادر) البشرية التي تملك أسباب مواجهة التغيير، وقيادته وتوجيهه إلى حل مشكلاتها ذات الطبيعة البيئية من حيث تشابكها وتقاطعها مع باقي قطاعات المجتمع، كما يمتد الأمر إلى ارتباط التعليم في مجتمع ما بما يحدث من تطورات أو تغييرات تعليمية في العالم ككل، ويشير إلى ذلك ما حدده تقرير اليونسكو عام 1991م عن التحديات التربوية التي تواجه التعليم في العالم، ومن أهم هذه التحديات(1):

1- ارتفاع بدايات القراءة والكتابةRising Litereacy Thresholds، ويعني ذلك تغييرًا في مفهوم القدرة على القراءة والكتابة، وتوظيفها لاكتساب المهارات والقدرات التي تمكن الفرد من المشاركة بفاعلية في مجتمعه.

2- حدود للمشاركة Limits to Participation، ويشير التقرير في هذا الصدد، إلى أن مشاركة النظم التعليمية الرسمية عاجزة عن استيعاب جميع من هم في سن التعليم، فهناك 130 مليون شاب بين سن 6-11 في العالم خارج المؤسسات التعليمية، لذلك فإن إسهام التعليم غير النظامي في تحقيق المشاركة الكاملة في التعليم، يظهر في كثير من دول العالم من خلال المنظمات التطوعية، وغير الحكومية لإتاحة الفرصة لتعليم وظيفي يخدم الأغراض الخاصة لمجموعات عمرية مختلفة.

3- البنية التعليمية-Educational Structure، يثار الجدل حول بقاء البنية التعليمية، والتساؤل عن مدى استجابتها لزيادة الضغط على مواصلة التعليم، وتنمية المحتوى التعليمي في ظل بيئة متغيرة تتأثر بالأبعاد الثقافية والاقتصادية والاجتماعية خارج النظم التعليمية الرسمية.

وتطرح هذه التحديات التربوية تساؤلاً مؤداه: ما الصيغة التعليمية التي يمكن لها أن تتعامل أو تتكيف مع القرن الحادي والعشرين؟

والإجابة عن هذا التساؤل صعبة، وتحتاج - بداية - إلى مفاهيم مغايرة ومختلفة للعملية التعليمية نفسها، وقيم أو اتجاهات جديدة نحو مفهوم المستقبل، وإمكانية وضع مخططات (سيناريوهات) توضح توجهات التغيير الذي يأتي به هذا المستقبل ليرتبط المخرج التعليمي بالتنمية الشاملة، والمشاركة في أحداثها.

ويرتبط مفهوم المشاركة في التنمية وأحداثها، بمفهوم التخطيط للمستقبل من حيث إنه واقع نعيشه ونتعامل معه، وإن علينا «أن نكف، كتربويين وكمخططين، عن النظر إلى المستقبل بوصفه مسألة تأملية أو تكهنية، وأن نبدأ في التفكير والتخطيط للمستقبل حتى نتجنب الأزمات التي ستمر بالنظام التعليمي، ولكيلا نجد أنفسنا مضطرين فجأة لإحداث تغييرات لا مفر منها في النظام التعليمي ومن دون سابق تخطيط»(2).

مما سبق، يمكن القول: إن الصيغة التعليمية للقرن الحادي والعشرين تتطلب التحول من التوقع Expecting إلى الحاجة Requiring، وهو ما يؤكد: «أن الناتج التربوي لأي منظمة تعليمية لا يعني ارتباط التلميذ أو الطالب بما حدث، ولا يعني أيضًا المؤهلات التي حصل عليها، وإنما يعني القيم التي تزود بها الطلاب لحياتهم في ضوء حاجات محددة، أو من خلال عملية التعليم التي مر بها الطلاب»(3).

ويرتبط مفهوم الحاجة السابق، بمسؤولية المنظمات التعليمية عن التعريف بما يمكن لخريجيها أن يعملوا، وما الوظائف - تحديداً - التي سيلحقون بها في عالم العمل.

وهو ما يفسر أهمية استباق المنظمات التعليمية للتغيير وقيادته من خلال دراسات

وبحوث التطوير التنظيمي، وفهم أبعاد أو عناصر الصراعات التي تظهر في عالم اليوم.

ولا تتمكن المنظمات التعليمية من مواجهة التحديات التربوية المعاصرة، من جانب، والتعامل مع روح التغيير المتسارع والمتلاحق في عالم اليوم، من جانب آخر، إلا من خلال تحديدها أو تعرّفها المتغيرات العالمية المعاصرة، التي تحدد ملامح أغراض المنظمات التعليمية في القرن الحادي والعشرين، ومن أهم هذه المتغيرات ما يلي(4):

1- الفجوة بين الشمال والجنوب North-South Gap، على الرغم من أن الدراسات والتقارير الرسمية لمعظم دول العالم، تشير إلى «أن الكل يعيش في عصر صياغة المجتمع العالمي»، فإن الفجوة بين الشمال والجنوب تظهر بوصفها حقيقة مهمة أو واقعًا لا يمكن تفاديه، فمتوسط دخل الفرد سنويًا في الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا مثلاً 20000 دولار عام 1991م، في حين أن هناك بليون فرد دخلهم السنوي في العام نفسه 375 دولارًا. كما أن الزيادة السكانية في العالم تشير إلى أن سكان العالم سيبلغون 6 بلايين نسمة عام 2000م، وأن 92٪ من هذه الزيادة السكانية ستكون في الدول النامية.

2- عصر المعلومات Information Age، يمكن طرح تأثيرات عصر المعلومات من خلال وجهتي نظر، وجهة النظر الأولى تهتم بشبكات الاتصال والمعلومات التي تربط بين الثقافات المعاصرة، ووجهة النظر الثانية تهتم بالفرص والوسائل التي يمكن أن تساعد في تحقيق الفردية، والأغراض الاجتماعية والتربوية. فالمنظمات التعليمية مطالبة - بحكم وجهتي النظر معا - أن تتعامل مع انتشار الوسائط المعلوماتية، وأنْ تغيّر من المحتوى التعليمي بما يتفق مع المهارات أو القدرات المطلوبة في ظل احتياجات العمل بتقانة (تكنولوجيا) الاتصالات، ومستويات المعرفة الجديدة لعصر المعلومات.

3- البيئة ودعم التنميةEnvironment and Sustionable Development، ويظهر هذا المتغير بكونه المحيط أو السياق الذي يعيش فيه الإنسان، وذلك من حيث إن التحولات التي أحدثتها الثورة العلمية الجديدة في البيئة لا توازَن بالتغييرات التي أحدثها كوبرنيكس، أو نيوتن، أو أينشتاين.

ومن ثم فهناك خطط منظمة (استراتيجية) لتدعيم التنمية تقود إلى رؤية جديدة للعالم، كما أن هناك عدة تحذيرات اتفق عليها تتعلق بالموضوعات التالية:

أ - أن استثمار أو الطبيعة استغلالها - وفق حقوق الإنسان - لا يمكن أن يتم دون قيود.

ب - أن إعادة بناء عملية التنمية، يتطلب التأكيد أنها تتعدَّى نطاق الحدود القومية.

جـ - أن التعايش مع أو الحفاظ على مفهوم الإنسانية، يتطلب وسائل للحد من الزيادة السكانية.

د - أن تكون هناك مراقبة دولية على الأغراض التقانية، وعلى التقانيين أنفسهم، مع بحث كيفية منع ظهور الاستخدام غير الإنساني للتقنية.

ويترتب على العرض السابق للتحديات التربوية، والمتغيرات العالمية المعاصرة، في محاولة البحث عن صيغة تعليمية للقرن الحادي والعشرين، أنه يمكن القول إننا بصدد ثورة تعليمية جديدة، ثورة لا تحقق اكتساب معارف ومعلومات، أو الحصول على شهادات ومؤهلات، أو حتى اكتساب المهارات اللازمة للتعامل مع الحاضر ومعاصرته، بل هي ثورة تحقق للفرد - الذات - القدرة على التكيف مع التغيير المستمر، تغرس فيه إرادة التغيير الواعي، تمكنه من ضبطه والتحكم فيه، يقوده ويوجهه نحو المستقبل الأفضل، نحو المشاركة بفاعلية في إحداث التنمية الشاملة التي هي نتاج حقيقي للتغيير، أو هي الغرض الأساسيّ منه، تنمية شاملة بمعنى أنها تقصد نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والتقنية كافة.

إن الثورة التعليمية الجديدة تبتغي تغيير البنية الإدارية الحالية للتعليم بسبب ظهور عجزها عن مواجهة معدلات التغيير المتلاحقة، وسوف تكون البنية الإدارية، أو التنظيمات الجديدة للتعليم أكثر مرونة، لا تتقيد بأماكن محددة للفصول الدراسية، أو أزمنة محدودة، أو حتى مجموعات عمرية متجانسة للطلاب، فهي كلها أشكال قالبية (أي لها قالب أو تكوين واحد) لا تسهم في اكتساب القدرة على التكيف والاستجابة للتغيير، وكذلك تعدد الأدوار، وهي كلها نواتج أو عناصر لواقع نعيشه بالفعل، وهو واقع «مجتمع المعلوماتية».

ثالثًا: استخدامات أساليب عمل إدارة الصراع في التنظيمات التعليمية

من العرض السابق لإدارة الصراع وأساليب العمل بها، والتغييرات التربوية في المنظمات التعليمية، توصلت الدراسة إلى عدة نتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

1- إن الصراع غالبًا ما يوفر منفذًا للتوترات الحبيسة الناشئة من تعارض أو اختلاف الدوافع والحاجات في ممارسات السلوك الإنساني في التنظيم.

2- إن الصراع صيغة للاتصال، وذلك من حيث إن التعامل معه ينتج قنوات جديدة للاتصال بين أطراف الصراع لم تكن موجودة من قبل.

3- إن الصراع يستحث الأفراد، ويزودهم بطاقة للعمل، حتى لو كانت بعض ممارسات أطراف الصراع غير بناءة، فهي تجعلهم - على الأقل - يتوجهون للعمل.

4- إن الصراع يمكن - واقعيًا - أن يكون خبرة تعليمية، وذلك من خلال أن أطراف الصراع يصبحون أكثر قدرة على فهم الآخرين، والمشكلات التي يواجهونها.

5- إن أساليب إدارة الصراع ليست نموذجًا مثاليًا يُحتذَى لأي موقف يواجهه التنظيم الإداري، بل هي تختلف وفق الموقف نفسه، والأهداف المرجوة، وتكوينات أطراف الصراع المختلفة والمتنوعة.

6- إن أساليب إدارة الصراع تقوم أساسًا على مفهوم «إرادة التغيير البناء والمنتج»، الذي يستلهم قدرات الأفراد والجماعات على الإبداع والابتكار.

7- إن المنظمات التعليمية - بوصفها منظومات فرعية لنظام أكبر هو المجتمع - لا تستطيع أن تحيا بمعزل عن المتغيرات المحلية والإقليمية والعالمية، التي تشكل أبعاد أو عناصر العمل التربوي فيها.

8- إن الصيغة التعليمية للقرن الحادي والعشرين، هي ثورة تعليمية جديدة، تتطلب

نحن بصدد ثورة تعليمية جديدة، ثورة لا تحقق اكتساب معارف ومعلومات، أو الحصول على شهادات؛ وإنما تحقق للفرد القدرة على التكيف مع التغيير المستمر

إدارة الصراع

وإحداث التغيير التربوي في المنظمات التعليمية

دراسة تحليلية 2

فكرًا مغايرًا ومختلفًا يحقق الانتقال من مجتمع الصناعة إلى مجتمع المعلومات.

وبناء على النتائج السابقة، يمكن تناول استخدامات أساليب عمل إدارة الصراع في المنظمات التعليمية من خلال عدة منطلقات أساسية تتمثل فيما يلي:

1- إن المنظمات التعليمية - في مجتمع المعلومات - عليها أن تتيح الفرصة كاملة لكل الأطراف المعنية بالعمل التعليمي والتربوي للمشاركة في صياغة الأهداف التربوية المجتمعية، والتحول من محتوى ثابت نسبيًا إلى محتوى معرفي يتعامل مع متغيرات العصر.

2- إن المنظمات التعليمية تلتحم مباشرة بقضايا المجتمع وآماله وطموحاته نحو التغيير المنشود، ثم هي أيضًا تتأثر بالتغيرات العالمية، وتسعى إلى مواكبتها.

3- إن المنظمات التعليمية تعتمد، بصفة خاصة، على المهمات الفنية والاستشارية لبحوث التطوير التنظيمي ودراسات البحث التربوي من أجل إيجاد صيغة ملائمة للعصر.

4- إن المنظمات التعليمية هي تنظيمات رسمية وشعبية في آن واحد، فهي منظمة رسمية تتبع السلطة الرسمية للدولة، ثم هي أيضًا منظمة تطوعية شعبية، يمارس فيها الأفراد علاقات إنسانية تبتغي تحقيق أغراضهم الخاصة.

وفي ضوء ما سبق، يمكن اقتراح أهم مجالات استخدام أساليب عمل إدارة الصراع في المنظمات التعليمية فيما يلي:

المجال الأول: التنفيذيون والاستشاريون

بوصفه من أهم مجالات حدوث الصراع في المنظمات التعليمية، ولسنا هنا في محاولة رصد الواقع الفعلي للصدام الذي يمكن أن يحدث بين صاحب سلطة اتّخاذ القرار (التنفيذي) وبين صاحب سلطة المعرفة (الاستشاري)، وإنما نهتم بتأكيد أن سلطة المعرفة أو ما يعرف (بالسلطة الفنية)، أصبحت واقعًا ملموسًا في ظل تحولات السلطة المعاصرة.

ومن البدهي أن تتعامل إدارة الصراع مع هذا المفهوم الجديد للسلطة، وأن يكون هناك أساليب عمل تسهم في إغناء الفكر التربوي وقيادته للتغيير من خلال مفاهيم التشاركية والتكامل والاعتماد المتبادل.

وتجدر الإشارة إلى أن العمل التربوي في المنظمات التعليمية يتعامل مع موضوع أساسي هو «المعرفة» بكل أشكالها وصورها النظرية والعملية، والعلمية والفنية (التكنولوجية)، ومن ثم فإن هناك ضرورة ملحة لأن تكون هناك - باستمرار - فرَق عمل أو برامج تدريبية للمستويات التنفيذية للتعليم كافة لإكسابهم المعارف والمعلومات الإدارية، وتوصيف وتحليل الوظائف وأساليب الإنجاز لكل وظيفة، مما يمكن رجل الإدارة (التنفيذي) من التعامل مع متغيّرات مفهوم سلطة المعرفة.

المجال الثاني: التنظيمات الرسمية والتنظيمات الشعبية

وهو مجال ترتبط فيه المنظمة بمفهوم الرقابة - بوصفه مجموعة من العمليات والأساليب التي يتم بمقتضاها التحقق من أن الأداء يتم

المنظمات التعليمية عليها أن تتيح الفرصة كاملة لكل الأطراف المعنية بالعمل التعليمي والتربوي للمشاركة في صياغة الأهداف التربوية المجتمعية

على النحو الذي حددته الأهداف والمعايير الموضوعة - وكذلك بالتنظيم الرسمي للرقابة، والتنظيم الشعبي لها.

وغالبًا ما يحدث الصراع بين المنظمة التعليمية والتنظيمات الرقابية سواء الرسمية أو الشعبية، من جانب، أو يحدث الصراع بين التنظيمات الرسمية والتنظيمات الشعبية في الرقابة على العمل التربوي داخل المنظمات التعليمية، من جانب آخر. غير أن مفهوم «الرقابة الذاتية» يمكن أن يكون عاملاً مساعدًا وفعالاً في إدارة الصراع بين هذين التنظيمين، وذلك بتأكيد مفهوم الرقابة الذاتية، والاستعانة بتفويض سلطات اتخاذ القرار لتصحيح انحرافات الأداء وفق مقتضيات العمل التنفيذي بالمنظمات التعليمية والإمكانات المتاحة دون اللجوء إلى مستويات أعلى وخارجية.

ويمكن في هذا المجال استخدام أساليب عملٍ لإدارة الصراع متنوعة ومختلفة وفق طبيعة كل موقف على حده، ومثال ذلك استخدام «التسوية» لحل الصراع، أو تنظيم طرق الاتصال، وتوفير تدفق المعلومات بين الأطراف كافة من خلال الاجتماعات الدورية، واللجان المشتركة.

المجال الثالث: رجل الإدارة والمعلم

وهو مجال لظهور الصراع بين الأفراد. وقد يبدو ذلك صحيحًا لأول وهلة، كما أنه يمكن أن يكون شكلاً من أشكال الصراع التنظيمي بين أدوار متعارضة أو مختلفة، ولشرح ذلك، يتطلب الأمر النظر أو الانتباه إلى أدوار ومهام رجل الإدارة (سواء التعليمية أو المدرسية).

فرجل الإدارة التعليمية - وبصفة خاصة على مستوى المحليات - يتعامل مع العاملين بالمنظمة التعليمية على أنه ممثل للسلطة التنفيذية الرسمية، كما أن برامج تدريبه غالبًا ما تأخذ المنظور السياسي وتتغافل عن المنظور التربوي، أما رجل الإدارة المدرسية (الناظر والمدير)، فتعدد الاختصاصات والمسؤوليات المنوطة به تجعله يتعامل مع العاملين بالإدارة المدرسية منفصلاً عن المنظور التوجيهي أو الإشرافي، وتظل علاقاته متسمة بالعمل الإداري داخل المدرسة.

ونتيجة لما سبق، ينشأ الصراع بين رجل الإدارة والعاملين بالمنظمة التعليمية لاختلاف وجهات نظرهم، وتعارض الأدوار والمهمات، غير أن طبيعة العصر، تفرض تأكيد مفهوم الفردية، واستقلالية العاملين بالمنظمة التعليمية في ممارسة عملهم لحثهم على الإبداع أو الابتكار.

ومن ثم فإن أسلوب إدارة الصراع، الذي يُعنى بتأكيد الاهتمامات لا الوظائف يمكن استخدامه بهذا الصدد لتعرف اهتمامات الأفراد - سواء رجل الإدارة أو المعلم - دون الالتفات إلى مواقعهم أو وظائفهم التي ينتمون إليها داخل المنظمة التعليمية.

الهوامش:

1- UNESCO, World Education Report 1991, United Nations, Paris, 1991, pp. 45,48,55.

2- ضياء الدين زاهر، علم المستقبل في التربية، مفاهيمه وتقنياته، دار المريخ للطباعة والنشر، القاهرة 1991م ص20.

3- Joslyn Owen,Managing Education, the Purpose and practice of Good Management in Schools, Longman Group Uk limited, New York, 1992, p.23.

4- UNESCO, Education and Learning for the twenty-First Century, Spector of Education, 1992, pp. 3-5.

فصحاء ولا ندري!

د. إبراهيم القرشي عثمان

يسألك كثير من طلاب الجامعة أو غيرهم عن بعض الألفاظ المُوغلة في الاستخدام العامِّي أهي عربية فصيحة؟ وقد اجتمع عندي منها عشرات، بل مئات، من ذلك: عيُّوا، والمعزَّب والمعزِّبة، وانْحَاشْ، وأشْوَى، وشَرْوَاكَ الطِّيبْ، والعزَال والقَشّ (في قولهم: فلان أخَذَ عزَاله وقَشّه)، وفلان مُبَلِّط ومريِّش، وأموره ماشَّة، وتَفَرْعَن، والتَّطْنِيز والغَشْمَرَة، وما شُفْتُه منْ جُمْعَة، ويا أمِّي ارحميني، وعلى رأسي وعيني، وجواز السَّفر، وأحْ، وحتى ألفاظ الأطفال مثل بَابَا.. هذه كلها ألفاظ عربية لها نصيب من الفصاحة سأشرحها لفظًا لفظًا. والناس لا يستخدمون لفظًا ويصير دارجًا على ألسنتهم إلا وله صلة بلغتهم، أو أنّه يرجع إلى أصل من أصولها، تدلُّهم على ذلك الفطرة والثِّقة بما حفظوه وتوارثوه. ويعرف ذلك بمراجعة أصول اللغة كالمعاجم وغيرها. غير أن الاعتساف والتكلف والجهل أمور تقود إلى نتائجَ مضحكة. قال لي بعض المُتحمِّسين للغة العربية مرة: وجدت كلمتين معروفتين في عصرنا ويَدَّعي الناس أنهما أجنبيَّتان مع أنهما ضاربتان في القِدَم. قلت: وما هما؟ قال: الأولى في قول الشاعر:

أتَانِي أنَّهُمْ مَزِقُونَ عِرْضِي
جِحَاشُ (الكِرْمِلَيْنِ) لَهَا فَدِيدُ

أليس «الكرملين» هو قصرُ الحُكم في روسيا؟ فضحكت وقلت: وما الكلمة الثانية؟ فقال: هي في قول الشاعر:

إذَا شَرِبَ المُرِضَّةَ قال (أوكي)
عَلَى ما في سِقَائِكَ قَدْ رَوِينَا

أليست هذه أوكي .O.K بمعنى حسنًا المستخدمة الآن؟

قلت: أخي الكريم ليست الكلمتان كما تفضلت، إنما «الكِرْمِلَيْن» مُثَنَّى كِرْمِلْ، بكسر الكاف والميم وسكون الراء، وهو موضع قديم في بلاد العرب تشرب منه هذه الجحَاشُ والحُمُر الوَحْشيَّة، وضبطُها ولفظُها مخالفٌ لما ذَكَرْتَ. أما «أوكي»، فهو فعل أمر بمعنى اقْفلي السِّقَاءَ أو الزِّقَّ أو القِرْبَةَ بالوِكَاء وهو السِّدَادة. فرأيت الإحباط على وجهه فقلت له: لكني أعطيك بكلمتَيْكَ كلمتين لا يشكُّ أحدٌ في أنهما دخيلتان أجنبيتان ولكنهما من صميم العربية وفصيحها، فانفَرَجَتْ أسَارِيرُهُ وقال: هات، قلت: أتعرف «الرَّبَلَة» المستخدمة في ميكانيكا السيارات؟ قال: نعم، هي قطعة من المطّاط تمنع الاحتكاك أو تُشَدُّ بها بعضُ أجزاء السيارة كالشُّكمان أو العادم، وهي كلمة أجنبية لعلها من كلمة Rubber الإنجليزية. قلت: بل هي كلمة عربية مَحْضَةٌ، قال الشاعر:

يَنِشُّ الماءُ في الرَّبَلاتِ منها
نَشِيشَ الرَّضْفِ في اللَّبَنِ الوَغِيرِ

يصف فرسًا سال منها العَرَقُ كأنه لَبَنٌ رميت فيه بحجارة ساخنة.

وقال آخر:

كأنَّ مَجَامِعَ الرَّبَلاتِ منها
فِئَامٌ يَنْهَضُونَ إلى فِئَامِ

والشاهد في البيتين كلمة «الرَّبَلات» جمع رَبَلَة، قال ابن دريد والأصمعي: الرَّبَلَةُ: كلُّ لَحْمَة غليظة. ولكل إنسان رَبَلَتَان، وهما: في البهائم ما حول الضَّرْع إلى الأفخاذ وفي المرأة ما حول بُضْعِهَا من باطن الفخذ. أليس هذا وصف الرَّبلة ووظيفتها؟

أما الكلمة الأخرى فكلمة «دَبَّل» بمعنى ضاعف، التي نظنها من Double الإنجليزية وما هي كذلك. و«التَّدْبيل» في كلام العرب هو جَمْعُ الشيء بعضه على بعض مثل الكُتلة ودَبَلَ اللُّقمة ودبَّلَهَا إذا جمعها وعظَّمَها. وكان مُزَرِّدُ بن ضرار (ت:10هـ) (أخو الشَّمَّاخ بن ضرار الشاعر) جشعًا، وكانت أمه تُؤثِرُ عيالَهَا عليه، وذلك يغيظُه، فانتهز فرصة غَيْبَتِهَا وعَمَدَ إلى صاعَيْ دقيق، وصاع من تمر، وصاع من سَمْن فجمعها وجعل يأكل ويقول:

ولَمَّا غَدَتْ أُمِّي تَمِيرُ بَنَاتِها
أغَرْتُ علَى العِكْمِ الذي كان يُمْنَعُ
لَبَكْتُ بِصَاعَيْ حِنْطَة صَاعَ عَجْوَة
إلَى صاعِ سَمْنٍ فَوْقَهُ يَتَرَيَّعُ
و(دَبَّلْتُ) أمثالَ الأثافِي كأنها
رُؤوسُ نِقَاد قُطِّعَتْ يومَ تُجْمَعُ
وقلتُ لبطنِي أبْشِرِ اليومَ أنَّهُ
حِمَى أُمِّنَا مِمَّا تَحُوزُ وتَرْفَعُ
فإن كنتُ مَصْفُورًا فهذَا دواؤُه
وإن كنتُ غَرْثَانًا فذا يومَ أشْبَعُ

والشاهد قوله دَبَّلْتُ أي جمعت لقمًا في حجم الحجارة التي توضع فوقها القدور للطبخ، أو أنها في حجم رؤوس الأغنام الصغيرة، فهذه لقمٌ (مدبّلة) حقًا.

ولما رأيت سروره بهذا الكشف الذي سيضمُّهُ إلى حصيلته قلت له: هذه بتلك، ولكن أنا وأنت وغيرنا مكلَّفون بشاهد أو أصل لكلمتين أعْيَانِي أمرُهما هما «قو» في قول بعضهم: «يَلاَّ قُو» بمعنى هَيَّا أو «مَشينا» و«إشْلَونَكْ» بمعنى كيف حالك؟ أنا أعرف المقصود بهما وأجيدُ استخدامَهُما، ولكني أريد تفكيكَ بِنْيَتِهِمَا وردَّهما إلى أصلهما مع الاستشهاد.

أما عَيَّ فلان بمعنى عَجَزَ أو رفض فَلَفْظَةٌ فصيحة قديمة جاهلية جاءت في شعر النابغة:

وَقَفْتُ فيها أُصَيْلانًا أُسَائِلُها
عَيَّتْ جَوَابًا وما بالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ

وقال عَبِيدُ بن الأبرص وهو جاهليٌّ أيضًا:

عَيُّوا بأمرِهِـمُ كمـا
عَيَّتْ ببيضَتِها الحَمَامَهْ

واستعمالها يدور حول العجز والرفض والحَيْرَة، وأبيات المُعَايَاة هي الألغاز وفيها تعجيز، والعَيَا: المرض وهو ضَرْبٌ من العجز أيضًا. فقل «عَيُّوا» ولا تُبَالِ.

ومن الشائع في العامية أيضًا المعزِّب والمعزِّبة - بالزاي - وهما عربيتان فصيحتان. يقال لامرأة الرجل «مُعَزِّبَتُه»، وليس لفلان امرأة تُعَزِّبُهُ - بالزاي - أي تُبْعِدُ بعزوبته، يعني تهتم به وتُغنيه عن الأخريات وتبعده عن الحاجة إلى غيرها. وأصل العُزُوبة البُعْد، وعَزَبَ عن الناس إذا بَعُدَ: *وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ*. **يونس**:61. أي لا يخفى ولا يبعد عن علمه. فيكون المُعَزِّبُ هوالذي يُذْهِبُ عُزُوبَةَ الناس أي يُمَوِّلُهُم ويقوم بأمرهم ويقضي حاجاتهم، فَيُبْعِدُ عنهم الحاجة، ومن قرأ القُرآن أربعين ليلةً فقد «عَزَّبَ» أي أبعد العهد بأوله أو أبعد عن نفسه الشر وتقدم على الناس. ويقال للمرأة والرجل العَزَبُ، والعَزَبُ هو المنفرد، قال الشاعر:

يا مَنْ يَدُلُّ عَزَبًا على عَزَب

وقد يقال للمرأة العَزَبَة - بالهاء - وفي الحديث: العزوبةُ شرٌّ (ولا يقال العُزُوبِيَّة).

أما المُعَذِّبة - بالذال - من العذاب فلا صلةَ لها بالمعنى المراد هنا، وإن كان التعذيب هو من اختصاص المرأة الذي لا تُنافَسُ فيه، تعذيبُ الأحباب والأزواج وكل مذكَّر. إذن المعزِّبة - بالزاي - هي التي ترحم وتهتم وتقوم بأمر زوجها وبيتها، ولكن كثيرًا ما تنقلب الزاي ذالاً بقُدرة قادر. وكل معزِّبة يمكن قلب الزاي فيها ذالاً ولا ينعكس، إلا من رَحِم ربُّك.

والمعزِّبة التي نعنيها ليست من العذاب إطلاقًا حتى التي قال عنها الشاعر:

مُعَزِّبتي عِنْدَ القَفَا بعَمُودِهَا
يكونُ نَكيري أنْ أقُولَ ذَرِيني

فهذه هي المعزِّبة التي انقلبت زايُها ذالاً، فهي ترفع له عصًا كالعمود إن قال في شيء لا. وله الويل والنكير إذا قال ارحميني.

ومن فصيح العامية قولهم: «فلان انْحَاشْ» وهي بمعنى فَرَّ أو نَفَرَ من الشيء، قال ذو الرُّمَّة (وهو شاعر أموي ت:113هـ):

وبيضاءَ لا تَنْحَاشُ منَّا، وأُمُّهَا
إذا ما رَأَتْنَا زِيْلَ منّا زَوِيلُهَا

أراد بالبيضاء: بيضة النعامة، وأمها هي النعامة، فالبيضة لا تَنْحَاشُ أي لا تفرُّ ولا تَنْفِرُ، ولكن أمها بالطبع تفر وتجفل وتنحاش. وفلان مَا يَنْحَاشُ من فلان أي ما يَكْتَرِثُ له. كل ذلك فصيح صحيح.

أما «أَشْوَى» الشائعة في العامية فهي التي يقولها بعضهم إذا أَفْلَتَ من شيء لا يريده كأنْ تقول له: «فلان قابَلَك؟ فيقول: لا، فتقول: أَشْوَى، يعني: أَحْسَنَ أو أهون أو أيسر أو زين أنه ما صار». قال ثَعْلَبُ هو من قولهم: رَمَاهُ فَأَشْوَاهُ، إذا لم يُصِبْ مَقْتَلَهُ. قال جرير:

وَلَيْسَتْ لسيفي في العظام بقيَّةٌ
وللسَّيفُ أَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيَا

يعني أن سيفه أهون وأخفُّ ضررًا من لسانه، ولسانه هو الذي ينبغي أن يُحذر.

وذكر أبو إسحاق الزجاجي (ت:340هـ) أن معاوية وابن الزبير كانا يتسايران فأبصرا راكبًا، فقال معاوية: هو فلان. وقال ابن الزبير: هو فلان، فلما ظهر لهم كان الذي قاله ابن الزبير، فقال معاوية: يا أبا بكر ما أَحْسَنَ هذه الحدَّة مع الكِبَر! فقال ابن الزبير: بَرِّكْ ياأميرَ المؤمنين (أي قل تبارك اللّه أو باركَ اللّهُ عليك ونحوها مما يُقَال لدَفْع العَيْن)، فسكت معاوية متعمدًا، فقال له ابن الزبير مرة ثانية: بَرِّكْ، فسكت معاوية وضحك. فقال ابن الزبير: ما أَحْسَنَ هذه الثنايا وإطْرَاءَ هذا الوجه مع طول العمر وكثرة الهموم! فقال معاوية: بَرِّكْ، فسكت ابن الزبير ومعاوية يقولها ثلاثًا وابن الزبير ساكت. ثم افترقا فاشتكى ابن الزبير عينيه حتى أشرَفَ على ذَهَابِهِمَا، وسقطت ثنايا معاوية. فالتقيا الحَوْلَ الثاني فقال معاوية لعبداللّه: يا أبا بكر أنا أَشْوَى منك.

بعض الكلمات الفصيحة أصابتها العامة بشيء من الحذف والتبديل، وهناك ألفاظ يظن الناس أنها حديثة، إلا أنها قديمة معروفة!

والشاهد قول معاوية: أَنَا أَشْوَى مِنْكَ، أي أقلّ ضررًا منك في الإصابة بالعين، وهو المعنى المستخدم في العامية.

ومن فصيح العامية قولهم: «رَجَّالاً شَرْوَاكْ» فيردُّ عليه: «شَرْوَاكْ الطِّيِّب». والشَّرْوَى: المِثْلُ والمَثِيلُ، ومنه حديث عليٍّ رضي اللّه عنه: ادفعوا شَرْوَاهَا من الغنم أي مِثْلَهَا. قالوا: وكان شُرَيحُ القاضي (ت:78هـ) يُضَمِّنُ القَصَّار شَرْوَاهُ (والقصَّار الذي يَدُقُّ الثِّياب ويُحوِّرُها)، أي يأخذ منه مثل الثوب الذي أخذه وأهلكه. وقال ياقوت الحموي في مدح كتابه «معجم الأدباء» (38/1): فَمَنَعَهُمْ مَنْعِي عَلَى احتذائه وتَصْنيف شَرْوَاهُ في استوائه. يعني لَمَّا مَنَعَهُم إعارةَ كتابه حاولوا تصنيف مثله.

فهذا رَجَّالاً شَرْوَاكْ يعني: هذا رجلٌ مِثْلُك.

وبعض الكلمات فصيحة أصابتها العامَّة بشيء من الحَذْف والتَّبديل مثل «العزَال» في قولهم: فلان أخذ عزَالَه وراح. والعزَالَ يريدون به المتاع أو «العفش». وأصلُه العَزْزَالُ - براء بعد العين - ولكن العامة حذفت منه الراء تخفيفاً فيقولون «عزَال»، وفلان «عَزَّل»، إذا أخذ باقي متاعه. والقَشّ والعزال بمعنى واحد، إلا أن القشَّ يُطلق على المتاع الذي لا قيمة له، كأنه كُناسة أو قمامة. وأصل القَشّ التجميع.

ومن الشايع في وصف الظروف المالية قولنا: «فلان مُرَيَّش وفلان مُبَلَّط» وهما في قمة الفصاحة. أما تَرَيَّشَ الرجل وارتَاشَ فمعناها أصاب خيرًا وحَسُنَتْ حاله. والرِّيش في قوله تعالى: *يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا*. **الأعراف**:26. هو الخصْبُ والمال والأثاث واللِّباس الحَسَنُ الفاخر. ومنه الحديث: أنّ رَجُلاً رَاشَهُ اللّهُ مالاً أي: أعطاه.

قال جرير في مدح عبدالملك بن مروان:

سأشكُرُ إن رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيشِي
وأنْبَتَّ القَوَادِمَ من جَنَاحِي

وقال الآخر:

والرَّائشُونَ وليس يُعْرَفُ رائشٌ
والقائلُونَ هَلُمَّ للأضْيَافِ

فالرائش هو صاحب المال ومُعْطيه لغيره كرمًا. وإذا افتقر الإنسان قالوا: نُتِفَ رِيشُهُ، ومنه قول رؤبة بن العجاج:

إليكَ أشكُو شِدَّةَ المَعِيشِ
ومَرَّ أعْوَامٍ نَتَفْنَ رِيشِي

وإذا أفلس أيضًا قالوا: «مبلّط وعلى البلاط»، وأصل البلاط الأرض المستوية الملساء.

قال الشاعر:

قَالَتْ أَرَاهُ مُبَلَّطًا لا شَيْءَ لَهُ

والإبلاطُ من أَدْوَاء النِّساء، ألم يقلْ الشاعر:

وإنْ تسألوني بالنِّساء فإنّني
خبيرٌ بأدْواء النساء طبيبُ
إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلَّ مالُه
فليس لهُ في وُدّهنَّ نصيبُ

قال الكسائي: أَبْلَطَ الرَّجُلُ فهو مُبْلَطٌ: إذا افتقَرَ. وقال أبو الهيثم: أبلَطَ إذا أَفْلَسَ فَلَزِقَ بالبَلَاط، وهو الأرض. وقال اللحياني: أَبْلَطَهُمُ اللّصُّ إبلاطًا: أي لم يترك لهم شيئًا. فالمُبْلَطُ والمُبلَّطُ والتَّبْليطُ كلّها تدُور حول العدم والفقر. وعلى ذلك فالبَلَاطُ والتَّبْليطُ في مصطلحات المعمار والبناء عربية فصيحة أيضًا.

وقريب من ذلك أيضًا قولُنا: «فلان أُمُورُه ماشّة»، أو «حالُه مَاشي»، إذا كان حَسَنَ الحالِ اقتصاديًا، وهي فصيحة مُسْتَخْدَمَة. قال السراج الورّاق (ت:695هـ):

كَمْ يُرِيدُ الخَبَّازُ يرفعُ رِطْلِي
وأُرَجِّي بالنَّصْبِ مَشْيَ أُمُورِي

وقال بعض مؤرخي المدينة النبوية المنورة في حديثه عن قاضي الحرمين عبدالقادر الحسيني الفاسي (ت:863هـ): «ثم أضيف إليه في سنة 855هـ قضاء المدينة النبوية ومَشَى حالُه». فمَشْيُ الحالِ ومَشْيُ الأمور يراد به تحسُّن الأوضاع الاقتصادية.

أما كلمة «تَفَرْعَنَ» بمعنى تطاولَ وتَجَبَّرَ، فقديمة أيضًا وردت في شعر أبي تمام (ت:231هـ) في قوله:

جَلَيْتَ والموتُ مُبْدٍ حُرَّ صَفْحَته
وَقَدْ تَفَرْعَنَ فَي أفْعَالِه الأجَلُ

وهو مُشْتَقٌّ من اسم فرْعَون. قال الزمخشري (ت:528هـ): تَفَرْعَنَ فلانٌ وفيه فَرْعَنَةٌ أي تطاول. وتَفَرْعَنَ النَّبَاتُ إذَا طَالَ وقَوِيَ، قال: وقيل الفرْعَونُ التِّمْسَاحُ بلغة القبْط.

ومن الألفاظ الخليجية «الطَّنْز» في قولهم: «لا تَطْنُزْ علينا»، و«الغَشْمَرَة» وهما أيضًا مستخدمان عند العرب. ففي اللسان: الطَّنْزُ: السُّخْرية. وفي نوادر الأعراب: هؤلاء قوم مَطْنَزَةٌ: إذا كانوا لا خير فيهم. والطَّانِزُ هو الساخرُ، قال الشاعر:

وَقال الطانِزُونَ لهُ فقيهٌ
فَصعَّدَ حاجِبَيْهِ به وَتَاهَا
وَأَطْرَقَ للمَسَائِلِ أيْ بأنّي
وَلاَ يَدْرِي لَعَمْرُكَ مَا طَحَاهَا

ولا تَتَغَشْمَرْ أي لا تمزح، والغَشْمَرَة أن يركب الإنسان رأسه بالحق وبالباطل لا يبالي.

أما قولهم: «ما شُفْتُه من جُمْعَة» أي ما رأيته منذ جمعة فأسلوب عربي فصيح. يقول المؤرخون: كان إسلام عمر وحمزة رضي الله عنهما في جُمعة من العام الخامس للبعثة. ومعلوم أن إسلام عمر كان بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام. فدلّ هذا على أن الجمعة أُسبوعٌ في كلامهم، وهو كثير. قال الشاعر:

والإلْفُ لا يَصْبِرُ عن إلْفه
أكْثَرَ من يومٍ وَيَوْمَيْنِ
وَقَدْ صَبَرْنَا عَنْكُمُ جُمْعَةً
ما هكذا فعْلُ المُحِبِّيْنِ

وروى ابن عبد ربه في العقد الفريد أنه كان في زمن الخليفة المهدي العباسي رجل صوفيّ، وكان عاقلاً وعالمًا ورعًا فتَحَمَّقَ - أي ادَّعَى الحماقة - ليَجِدَ السَّبيلَ إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فَكَانَ يركب قَصَبَةً - يجعلها كالحصان كما يفعل الأطفال - في كل جمعة يومين: الاثنين والخميس، فإذا ركب في هذين اليومين فليس لمُعَلِّم على صِبْيَانه حُكْمٌ ولا طَاعةٌ. فقولُه «كلّ جُمْعَة» يعني كل أسبوع.

ومن ذلك قول القائل إذا طُلِبَ منه شيءٌ: «على رأسي وعيني». أو إذا شَدَّدْتَ على أحد في شيء تقول: «مافينا يا أُمّي ارحميني» وهما أسلوبان عربيان وَرَدَا في شعر قديم. والشاهد على الأول قول الشاعر:

شَفَّفْتُ به رَشِيقَ القَدِّ أَلْمَى
يُعَذِّبُنِي بِهِجْرَانٍ وَبَيْنِ
وقالَ احملْ مَشيبًا مَعْ سُهَادٍ
فَقُلْتُ لَهُ: عَلى رأسي وعَيْني

وهي من أساليب الانصياع والطاعة، وانظر هنا إلى المقابلة اللطيفة بين المشيب والرأس، والسُّهاد والعين؛ لأنه إنَّما يحملُ المشيبَ في رأسه والسُّهادَ في عينيه.

وشاهد الأسلوب الآخر ما يُنسب لمجنون ليلى وهو قوله:

وليلَى ما كفَاها الهَجْرُ حتَّى
أَبَاحَتْ في الهَوَى عِرْضِي ودِيني
فقلتُ لَهَا ارحَمِي ضَعْفِي فقالتْ:
وَهَلْ في الحُبِّ ياأُمّي ارْحَميني

وهناك ألفاظ شائعة نحسبها ظهرت مع كثرة الأسفار في زمان الترحال هذا مثل كلمة الجواز (جواز السفر)، ولكنها قديمة معروفة قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان، فقد ذكرها الخليل بن أحمد (ت:170هـ) في كتاب العين، فقال: الجَوَازُ: صَكُّ المُسَافِر. ويبدو أنهم كانوا يكتبون فيه اسم صاحبه وأوصافه والمعلومات التي نعرفها، فقد حكى الثَّعالبي (ت:429هـ) في «ثمار القُلوب» أنَّ أبا منصور العبدوني الكاتب قال: تَنَجَّزْتُ (أي طَلَبْتُ) جوازًا لرجل قبيح الخِلْقَة، خَشِنَ الصُّورة غايةً في الدَّمامة والسَّماجة فَلَم يَقْدِرْ الكاتب على تَمْلِيَته، فكتب: يأتيك بهذا الجواز آيةٌ منْ آيات الله وَنُذُره قَدَعْهُ يَذْهَبْ إلى نارِ الله وَسَقَرَ. فدلَّ هذا على أنَّ الجواز بصفته المعروفة اليوم قديم مستخدم، تنقصه الصّورة الشّمسيّة.

وحتى عبارات النساء والأطفال المُبْتَذَلَة لشيوعها وكثرة تداولها لها من الفصاحة نصيب. فكلمة «أحْ» التي يتلفظ بها المُوْجَعُونَ من اشتداد الحَرِّ، والحُزْن، والعطش، والغَيْظ، وغيرها، أو لَسْعِ النار مثلاً، النار الحسِّيَّة المعروفة، أو نار الحب وآلامه، هي أيضًا فصيحة قديمة، جاءت في شعر المُؤَمَّل ابن أُمَيْل (ت:190هـ) في قوله:

يَا أحِ من نارِ الهوَى إنّما
يَعْرِفُ حَرَّ الحُبِّ مَنْ جَرَّبَا
أصْبَحْتُ للحُبِّ أسيرًا فَقَدْ
صَعَّدَنِي الحُبُّ وقَدْ صَوَّبَا
لاَ شَكَّ أنِّي مَيِّتٌ حَسْرَةً
إنْ لَمْ أزُرْ قَبْلَ غَدٍ زَيْنَبَا

ومن عبارات الأطفال كلمة «بَابَا» فلا تَحْسَبَنَّهَا أجنبيةً، بل هي عربية خالصة؛ فقد جاء في لسان العرب: بَأْبَأَ الصَّبيُّ أباهُ، إذا قال له «بَابَا». قال ابنُ جنّي: سألت أبا علي الفارسيّ فقلت له: بَأْبَأْتُ الصَّبيَّ بَأْبَأَةً إذا قلت له «بَابَا».

وحتى كلمة «يَا بَا» - بالياء في الأولى - هي في الأصل «يا أَبَا»، ثم خُفِّفَتْ الهمزة وحُذفت فقيل: «يَا بَا»؛ أنشد ثعلبُ في كتاب الفصيح وابن منظور في لسان العرب أيضًا:

فقلتُ لَهُ يَابَا جَعَادَةَ إنْ تَمُتْ
تَمُتْ سَيِّئَ الأعْمَالِ لاَ تُتَقَبَّلُ

أراد «يا أَبَا جعادة» فَطَرَحَ الهَمْزَة.

وهكذا يطول الأمر، ولو تَتَبَّعْنَا ذلك ضاقَ بنا القرّاءُ، وإنما تكفينا اللَّمْحَةُ الدَّالَّةُ، وللناس في ذلك تآليف إذا وقف القارئُ عليها وجد فيها كثيرًا من الفوائد واللّطائف.

إيمان جمعة

دراسة التاريخ أنقذت روحها

ولدت سونيا يانسون عام 1960م، لأبوين هولنديين نصرانيين اسمًا فقط؛ إذ إنهما - أي الوالدين - لم يكونا يؤمنان بعقيدة، بل على العكس كانت الوالدة تهاجم الأديان، وترفضها، ولطالما حدثت صغيرتها سونيا عن قناعتها بعدم جدوى اعتناق المرء لدين. فالعقيدة الوحيدة التي كانت تؤمن بها تلك الأم هي أن الإنسان وُجد ليعيش حياته كما يشاء، ويفعل بحياته ما يشاء.

جو غير ديني

وسط هذه الأسرة غير الملتزمة نمت الصغيرة سونيا وترعرعت، وحين كبرت بعض الشيء بدأت بإحساس داخلي تتشكك فيما لقنتها إياه والدتها، إذ أحست برغبة لا تدري سرها تدفعها إلى الشعور بأهمية أن تعتقد شيئًا، فلا قيمة يمكن أن يحس بها إنسان إذا لم يؤمن بشيء يجعل لحياته سببًا، أو تعطيها سببًا تحيا به، لذا فإنها عمدت عندما بلغت العاشرة من عمرها إلى قراءة التوراة - أو العهد القديم كما يطلق عليه النصارى - لعلها تجد في قراءتها لها مبتغاها، ألا وهو الإيمان بشيء. لكنها لم تجد ما تبحث عنه في التوراة. فطالعت الإنجيل أو العهد الجديد، فلم يكن حالها معه بأحسن من حالها مع التوراة، وبخاصة أنها بدأت تطالع في الصحف وكتب التاريخ ما فعله ويفعله النصارى في بلدان العالم الثالث باسم المسيح، والمسيح عليه السلام من أعمالهم براء.

دراسة التاريخ والإنسانيات

وكان انضمامها إلى نادي التاريخ وهي في المدرسة الثانوية بداية تعرُّفها إلى الإسلام، إذ أتاحت لها دراسة التاريخ وعلم الإنسانيات أن تطلع على ديانات أخرى غير اليهودية والنصرانية مثل البوذية والهندوسية وغيرها من ديانات الشرق الأقصى. فلم تقتنع بها، إذ وجدتها عبارة عن تهويمات فلسفية قد تصلح في بعض جوانبها لسلوكيات الإنسان، لكنها لا تصلح لأن يعتقد بها أو يؤمن بها كل ذي بصيرة.

التعرف إلى الإسلام

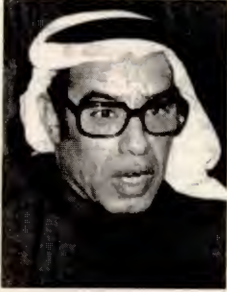
وقتها كانت معلوماتها عن الإسلام مشوهة، إذ إن ما يُنشر أو يقال عن الإسلام في وسائل الإعلام الغربية المختلفة أو كتب القسيسين والمستشرقين لا يُعبِّر عن حقيقته أو جوهره النقي، لهذا كان الإسلام آخر الديانات التي قرأت عنها، حيث كانت تدرس كتابًا عن الديانات ومنها الإسلام، فقام المدرس بشرح كل ما جاء في الكتاب من ديانات، عدا الشريعة الإسلامية، التي لم يتطرق إليها، وتجاهلها تمامًا، مما جعلها تقرأ الكتاب بنفسها لتتعرف إلى الإسلام من خلاله. فكانت الخطوة الأولى نحو معرفة حقيقة الإسلام، إذ أتيح لها - للمرة الأولى - أن تعرف أركانه الخمسة، وشيئًا من تاريخه. على أن تأثرها كان أكبر حين اطلعت في مدرسة أمناء المكتبات على كتاب في تاريخ العلوم، ومن خلال هذا الكتاب عرفت فضل المسلمين على أوربا والعالم، وأدركت أن حضارة أوربا بتقدمها التقني الحاصل اليوم إنما تدين بالفضل لعلماء المسلمين من أمثال ابن سينا والرازي وابن رشد وجابر بن حيان وابن خلدون، وغيرهم من العلماء المسلمين الذين أناروا للغرب طريق المعرفة، وكانت مؤلفاتهم الزاد الذي نهل منه علماء النصارى، حين بدأت أوربا تفيق من سباتها وعصورها المظلمة عابرة إلى عصر النهضة، فلولا مؤلفات هؤلاء العلماء المسلمين الجهابذة لما كان هذا التقدم وذاك التطور الذي تحياه أوربا والغرب بعامة اليوم.

بين عقليتين

وقادتها رغبتها في المزيد من معرفة الإسلام إلى التعرف إلى أصدقاء مسلمين، من جنوب أفريقيا، وتساءلت بينها وبين نفسها عمّا دفع هؤلاء إلى اعتناق الإسلام مع أنهم في عقليتهم وتفكيرهم أوربيون، إلا أن أسلوب حياتهم، وترابطهم الاجتماعي كانا الإجابة على تساؤلها. إذ انبهرت بنظام حياة المسلمين، وترابطهم، وكون المسلم يبادر دائمًا إلى مساعدة أخيه المحتاج، ويعدّ ذلك واجبًا مقدسًا، بعكس الإنسان الغربي الذي يرى أن مساعدة الآخرين من مهام الدولة.

ولعلها إرادة الله التي شاءت أن تتصادق سونيا مع مسلمين من جنوب أفريقيا، إذ إن هؤلاء بحكم طول معيشتهم واحتكاكهم الدائم بالأوربيين والغربيين كانوا الأقدر على فهم الصعوبات النفسية التي تواجه الإنسان الغربي حين يقبل على تعلم الإسلام أو مجرد الاستفسار عنه، فكانوا يراعون ذلك حين يجيبون عما يعن لها من أسئلة، ولا يضيقون ذرعًا أن أسرفت في السؤال أو تمادت في الاستفسار.

دور للمسنين



سعد البواردي

فكرة

إنشاء دور للمسنِّين قد تبدو غريبة وطارئة بالنسبة لمجتمع ميسور كمجتمعنا. قد يستنكرها بعض الناس، وقد ينظر إليها من اضطرته ظروفه الماسة إلى اللجوء إليها لأسباب انشغال عنه، أو إهمال له، أو مضايقة مقصودة، أو عدم ارتياح ذاتي.. قد ينظر إليها على هذه الأسباب المسوِّغة بشيء من الاستخفاف كما لو كانت شيئًا معيبًا يمسّ سمعة المُسنِّ نفسه، ويزري بدوره سمعة أُسرته.

وإخال عن قناعة تمليها الضرورة أنه لا ضير في الأخذ بفكرة إنشاء هذه الدُّور على أن تتبناها الدولة بوصفها مطلبًا اجتماعيًا، أو القطاع الخاص بإشراف من الدولة؛ شريطة أن تتوافر لها كل مقومات الخدمة وعناصر الرعاية والعناية الصحية لروادها، ممن يقضون مراحل متقدمة من العمر، ربما لا تكون مهيأة ومتوافرة لهم حيث يعيشون، بعد أن ضاقوا أو ضاقت بهم وسائط عيشهم لأسباب وعوامل يصعب تجاوزها، وتحملها، أو إحصاؤها.

صحيح أن مجتمعنا في مجمله مجتمع متماسك تحوطه روح الترابط والبر، إلا أن هذا لا ينفي احتمالات وجود بعض الظروف القاسية التي قد يكتوي بنارها طاعن في السن أو طاعنة في السن جارت عليهما الأيام. ومن أجل حالات قائمة، أو احتمالات قادمة يظل طرح فكرة دور للمسنين أمرًا طبيعيًا، إن لم يكن ضروريًا، بعيدًا من تصورات القصور أو التقصير، وبعيدًا من الاستخفاف والاستنكاف غير المسوّغين.

إن دُور المسنين لا تختلف في وظيفتها ورسالتها عن دُور الأيتام. إن فريقًا من الآباء والأمهات بمنزلة أيتام كبار حتى وهم داخل دائرة أُسرهم؛ وقد تخلَّتْ، أو انشغلتْ عنهم، أو أنها أشعرتهم بالضيق جراء عزلة قاتلة، ووحدة مملة لا وجود لها في دور المسنين حيث ينْشدون.

إن بعض المسنين ممن بلغوا من العمر عتيًا يأنسون إلى الراحة في جو يسوده التماثل، ويحكمه التكافل بعيدًا من مؤثرات الصخب والتوتُّرات التي تضاعف وتثقل من حمل متاعبهم الجسمية والنفسية. ولسوف تأتي خياراتهم - حين يُخيَّرونَ - لصالح إنشاء مثل هذه الدور التي تُبقي على ما تبقّى لديهم من بقايا عمرٍ هم فيه أحوج ما يكونون إلى السكينة والراحة والطمأنينة.

إشهار إسلامها

بين تلكم الأحداث التقت سونيا شابًا مصريًا مسلمًا يعيش في هولندا يدعى محمد جمعه، وجدت فيه الإنسان الذي تبحث عنه، وما لبثا أن تزوجا. وحين لمس زوجها رغبتها في المزيد من معرفة الإسلام أشار عليها بقراءة ترجمة لمعاني القرآن الكريم، لعلها تجد في تلك الترجمة ما يعينها على اتخاذ القرار الذي تأمله. وبالفعل أفادتها تلك الترجمة كثيرًا، ولم يطل بها الأمر حتى اقتنعت بضرورة إشهار إسلامها.

ولم يحل عام 1985م، إلا وكانت سونيا ابنة الخامسة والعشرين عامًا قد أشهرت إسلامها وتسمت باسم «إيمان جمعة»؛ غير عابئة بردود الفعل التي واجهتها من الأهل والأصدقاء، والتي تباينت واختلفت؛ ففيما رأت والدتها في قرارها إشهار إسلامها أمرًا بالغ الصعوبة، تَقَبَّل أخوها القرار بروح طيبة، وأبدت شقيقتها عدم مبالاتها مؤكدة أنه أمر لا يعنيها، أما عمها فقطع صلته بها وتبرأ منها، وكذلك فعل أصدقاؤها وصديقاتها الذين حاولوا في البداية إثناءها عن قرارها باعتناق الإسلام، وحين عجزوا قاطعوها.

وتعيش إيمان جمعة حاليًا في هولندا. وقد عمدت بعد أن فقدت صديقاتها إلى التعرف إلى أخواتها المسلمات وبناء علاقات اجتماعية معهن، وتبدلت حياتها كليا؛ إذ بدأت تشعر - للمرة الأولى - براحة البال، ونظمت العبادات الإسلامية من صلاة وصيام حياتها، وأدركت المعنى الحقيقي للحرية؛ ألا وهو التحرر من كل فعل يغضب الله عز وجل، وكل عادة سيئة قد تتحكم في مصير الإنسان، فأدركت أن ما عاشته قبل إسلامها لم يكن حرية، وإنما عزلة، لأن الحرية التي يدعو إليها الإسلام ويبشر بها هي حرية الإنسان بمعناها الاجتماعي الواسع، الذي يجعل المسلم عضوًا في أسرة كبيرة تتحاب في الله، ويحرص كل منهم على أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

توزيع التركة وصحة حديث

إذا توفي شخص فكيف تتم عملية توزيع التركة؟ وهل صح حديث «لا وصية لوارث»؟

محمود بن ردهان العمري
الأردن.

كنتُ قد بَيَّنْتُ شيئًا من هذا من قبل، ولا بأس بالنظر في الجواب من جديد عسى أن تعم الفائدة به إن شاء الله تعالى، فأقول:

إذا توفي شخص ما فيقوم الورثة بما يلي:

- حصر التركة كلها من عقار ومال ونحوهما.
- حصر الورثة كلهم.
- حصر الديون التي للمتوفى، والتي عليه.
- إثبات الوصية لغير الوارث إن كان قد أوصى لأحد، أو أوصى بثلث ماله أو ربعه لشيء معين لا معصية لله تعالى فيه.
- ثم يتم بعد ذلك توزيع التركة على الورثة كما جاء في سورة النساء وما صَحَّت به السُّنَّة ما لم يُنْسَخ أو يُقَيَّد.

أما حديث: «لا وصية لوارث» فصحيح، وهو عمدة في باب الوصايا كما نص عليه علماء الأثر الصحيح.

ومعنى الحديث: أن المتوفى لو أوصى لأحد الورثة بوصية من ماله بعد وفاته فإنه لا يُنظر إليها لأن الوارث يأخذ نصيبه من التركة، والوصية له مع حقه زيادة على النص فلا تجوز، ولأنه ظلم لبقية الورثة، ولهذا أبطل الشارع حكم هذه الوصية.

أقوال لا تجوز

ما حكم قول القائل: «يا رحمة الله ارحميني»؟

سعيد م.م.أ
أبها، السعودية.

الأصل في الدعاء والتوسل أن يكونا على ما ورد بنص صحيح. ولما كان الدعاء أصلاً مهمًا في حياة المسلم؛ فلا يجوز للمسلم أن يدعو بشيء إلا عن علم وفهم سليمين من المعارض.

فقول القائل: «يارحمة الله ارحميني»، و«يا جود الله جُدْ عليّ» ونحوهما لا يجوز؛ لأنه دعاء مفرد للصفة، ولم يرد أن أحدًا قال مثل هذا الدعاء ولم يُنقل إلينا. لكن على المسلم أن يدعو فيقول: يا رحمن ارحمني، ياجواد جد علي، يا غفور اغفر لي، ونحو ذلك مما يتقدم فيه الاسم على الصفة، أو مما اتصل به ضمير يعني الاسم بدلالة الحس والمعنى كقول الداعي: برحمتك استغيث.. الخ.

أرض مُتَنازَع عليها

ما حكم الأرض المملوكة بصك شرعي وعليها نزاع بين الورثة، كيف تُزكَّى؟

عبدالله بكر بن حمد
قطر.

الأصل في هذا أن النزاع على الثابت ثابتٌ لا يتغير، فتُزَكّي الأرض كلما حال عليها الحول، ويشترك في زكاتها أهل النزاع ماداموا لم يستقروا على شيء ولم يتضح لمن تكون الأرض.

زكاة الذهب وإبداله

ما مقدار زكاة الذهب؟ وهل يجوز إبدال ذهب جديد بذهب قديم وأخذ زيادة؟

م. م. م.
العليا، الرياض.

إذا حال الحول على الذهب وبلغ نصابًا فتكون زكاته أحد عشر مثقالاً.

أما استبدال الذهب الجديد بذهب قديم وأخذ زيادة على هذا الاستبدال نظرًا لقدم الذهب فهذه الزيادة باطلة، والمخرج من هذا هو: بيع الذهب القديم وشراء الذهب الجديد بقيمته لكن دون اتفاق سابق على هذا، والله أعلم.

الشفعة والجهالة

هل الشُّفْعَة تبطل بالجهالة؟

صالح. م. ن.
البكيرية، القصيم.

الشُّفْعَة بإسكان الفاء مأخوذة من الشفع وهو الزوج، فإذا شفع الشفيع على مبيع فإنه بسبب الشفعة يضم المبيع إلى ملكه لأنه أحق به من غيره لكن بِعِوَض مالي صحيح. والشفعة يجب أن تكون على الفور من حين علم الشريك بمجرد البيع.

وإذا ثبتت جهالة الشريك بعد البيع بمدة طويلة، ولحقه ضرر بالغ من هذا ثبت بما لا يدع مجالاً للشك؛ فإن الضرر يُزال بقدره لما صح من حديث «لا ضرر ولا إضرار»، والله أعلم.

عروة الصعاليك والمرأة

د. نوره صالح الشملان

قامت حياة الصعاليك على الغزو والمغامرة، وإنكار الذات، والتضحية في سبيل الهدف. وحياة كهذه تتعرض للموت كلَّ يوم لا بد أن يكون للمرأة موقف منها.

هل كانت امرأة الصعلوك راضية عن مغامراته وغزواته؟ هل هي صابرة على فراقه، متقبلة للمخاطر تقاسمه إياها كما تقاسمه الزاد والماء؟ هل امرأة الصعلوك تشاركه في أفكاره، أم إنها متأففة من عمله تدعوه دائمًا إلى السكينة والهدوء، وتغريه بالحياة المستقرة البعيدة من الأخطار؟

بالعودة إلى شعر عروة نجد أن المرأة تحتل مكانًا بارزًا فيه؛ فهي هاجس الشاعر في حربه وسلمه، يستمع إلى ندائها ويحاورها ويقنعها بسلامة مسلكه، إنه يجيب توسلاتها بالقول:

ذريني أطوِّفْ في البِلاد لعلَّني
أُخلّيك أو أُغْنيك عن سوءِ محضري
فإن فاز سهمٌ للمنيّة لم أكن
جَزُوعًا وهل عن ذاك من مُتأخَر
وإن فاز سهمي كَفَّكُم عن مقاعدٍ
لكم خلف أدبار البيوت ومنظرِ(1).

ويفعل الكثير من أجل أن يظهر أمام المرأة بالمظهر اللائق من الأخلاق العالية والإيثار ونكران الذات والكرم، ويُشْهِدُ على أعماله المحتاجين الذين يُهْرَعون إلى بيته عند الحاجة ويجعلهم شهوده أمام المرأة التي أحبها:

سَلِي الطارقَ المعترَّ يا أمَّ مالك
إذا ما أتاني بين قِدْرِي ومَجْزَرِي
أيُسفِر وجهي أنه أول القِرى
وأبذل معروفي له دون منكري(2).

وتبذل المرأة كل أسلحتها لصدِّه عن الغزو ومحاولة إبقائه بجانبها، فتارة بالكلام الطيب المؤثر كما في قوله:

تقول سليمى: لو أقمت لسرنا
ولم تدر أني للمقام أُطوِّف(3).

وتارة بالنظرة الآسرة:

تقول ألا أقْصِر عن الغزو واشتكى
لها القولَ طرفٌ أحور العين دامعُ(4).

وبين أم مالك وسليمى وغيرهن ممن يحاولن إغراء الشاعر بالبقاء إلى جانبهن والإقلاع عن المخاطرة، تبرز تماضر تلك المرأة الشجاعة التي تتقاسم مع الشاعر حب المغامرة ونبذ التكاسل، فما إن تراه قد ركن إلى الراحة حتى تثور عليه وتغريه بالغزو، فتتحدث بمنطق الصعلوك لا بمنطق امرأته. يقول عروة:

قالت تماضر إذْ رأت مالي خَوَى
وجفا الأقارب فالفؤادُ قريحُ
مالي رأيتك في النَّدي منكَّسًا
وَصِبًا كأنك في النَّديِّ نطيحُ
خاطِر بنفسك كي تصيب غنيمةً
إن القعود مع العِيال قبيحُ(5).

وعروة الذي لا يستمع إلى كلام المرأة عندما تنصحه بالركون إلى الراحة، يتمثلها أمامه فيتذكرها ويدعو لديارها بالسقيا:

سقى سلمى وأينَ ديارُ سلمى
إذا حلَّت مبادرة السرير(6).

إن خوف الصعلوك على امرأته، ورغبته في حمايتها يجعلانه يخاطر بنفسه من أجلها ليحقق لها الحياة التي تغنيها عن الآخرين.

وإذا بحثنا عن أسباب تصعلك عروة وجدنا أن المرأة وراء ذلك، فقد كان أبوه من فرسان عبس وأحد أبطال حرب داحس والغبراء، أما أمه فقد كانت من قبيلة نَهْد من قضاعة، ويبدو أنه كان ينظر إليه نظرة دونية بسبب وضاعة نسب أمه، يعزز ذلك قوله:

وما بي من عارٍ إخالُ علمته
سوى أن أخوالي إذا نُسِبُوا: نَهْدُ

ويبدو أن ذلك هو الذي دفعه إلى الثورة على الأغنياء والانضمام إلى الصعاليك؛ إذا علمنا أن الصعاليك هم مجموعة من أبناء الحبشيات الذين نبذهم آباؤهم ولم يلحقوهم بهم لعار ولادتهم مثل: السُّلَيك بن السّلكة وتأبَّط شرًّا والشّنْفَرى، أو من الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم لأسباب أخلاقية لا علاقة لها بالنسب. وعروة لم يكن من هؤلاء ولا من هؤلاء فهو لم يُخلع من قبيلة، ولم تنكره تلك القبيلة، ولكن يبدو أن ما لاحظه من النظرة المحتقرة لأمه من قبل أهل أبيه جعلته يخرج عنهم، ويجد عند الصعاليك المبتغى، ومن هنا فقد كان عروة زعيمًا للصعاليك. يقول الدكتور شوقي ضيف عن عروة: «.. فهو لا يغزو للغزو والنهب والسلب كالشَّنفَرى وتأبَّط شرًا، بل يغزو ليعين الهُلاّك والفقراء والمرضى والمستضعفين، وكان يختار لغارته من عُرِفُوا بالشّحِّ والبخل، وممن لا يمدون يد العون للمحتاج...»(7).

الهوامش:

1-6- ديوان عروة، ص36، 44، 51، 48، 24، 31.
7- العصر الجاهلي لشوقي ضيف، ص384.

البريد الثقافي

هذا الباب يتلقى تساؤلات القراء واستفساراتهم عن القضايا الثقافية الملحة ـ وبخاصة التي تتعدد حولها الآراء ووجهات النظر ـ ليتولى الإجابة عنها اختصاصيون، بهدف الوصول إلى رؤية واضحة لها، وتحقيق تقارب ومفهوم مشترك عنها، من أجل ترسيخ قيم الموضوعية في الحوار الثقافي.

VIA AIR MAIL
PAR AVION

ـ بين جَلْد الذات وتمجيدها يتسرب المستقبل من بين يدي الإنسان العربي.. فما وسائل إعادة النظرة الموضوعية للعقل العربي لكي يرى واقعه المعيش على حقيقته، وليدرك حقيقة نفسه والآخرين ؟

إبراهيم حسن عبدالحليم
أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.



يقتضي المنهج العلمي أن نحدد المعنيّ بـ«جلد الذات» وماذا نعني بـ«تمجيد الذات» قبل أن نناقش موقف الأمة العربية من كليهما. ولذلك، سوف نتفق على أن جلد الذات يعني: المبالغة في لوم الذات وفي تعذيبها، وأن تمجيد الذات يعني: المبالغة في مدحها وفي التغني بأمجادها.

واللوم والمدح ظاهرتان إيجابيتان في السلوك الإنساني ما لم يكن فيهما مبالغة تخرجهما عن إطارهما الصحيح. فالنفس اللوامة على فعل الشر ضرورية لحسن استقامة سلوك الإنسان. والمدح ـ وهو نوع من التمجيد المقبول ـ ضروري لدعم العمل الصالح، وتكوين حوافز لدى أصحابه.

ولكن المبالغة في كل من اللوم والتمجيد تُخرج كلا منهما عن إطاره الصحيح، فتجعل اللوم من أسباب الإحباط وتجعل التمجيد من أسباب الغفلة.

وهذه المبالغة من المشكلات المعاصرة للأمة العربية. إذ نجد فئة من بين أبنائها يدفعهم الحرص على تقدمها إلى المبالغة في تضخيم عيوبها والتقليل من شأن إنجازاتها لأنهم يطمحون في طفرات من التقدم ـ هي في حقيقتها فوق طاقة الأمة، ومع ذلك فهم محبطون لأن آمالهم لم تتحقق.

ونجد فئة ثانية صرعهم الانبهار الحضاري بالأمم المتقدمة فأصيبوا بالإحباط وطفقوا يحقرون أمتهم وبني جلدتهم. ومن ثم فهم ينظرون بمنظار أسود لكل ما يدور على الساحة. فلا أمل، من وجهة نظرهم، في أن تلحق الأمة بركب الأمم المتقدمة؛ وقد يصل بهم الحال إلى الاعتقاد أن أمتهم سقط متاع بين أمم الأرض.

وهناك فئة ثالثة يحسبون أنفسهم في غابر التاريخ، ويرفضون التقدم المعاصر بوصفه يحمل بين طياته الفساد والانحلال. ومن الطبيعي ـ وهم على هذا الحال ـ أن يختاروا من حقب التاريخ أنصعها ليتغنوا بها. هؤلاء يعيشون خارج حدود الزمان المعاصر مغيبين عن واقعه وواقع الأمة.

وهناك فئة رابعة لم تجد في الواقع المعاصر للأمة ما يروي ظمأهم إلى الإحساس بالمشاركة في صنع الحياة. فهم بعيدون من اتخاذ القرارات التي تحدد مصيرهم ومستقبلهم؛ ويرون أمتهم أيضا بعيدة من ركب التقدم. فإن حاربت فبأسلحة من صنع غيرها، وإن احتاجت إلى تقانة دقت أبواب الآخرين للحصول عليها، وإن اتخذت قرارات عالمية مهمة لا تشارك في صنعها. هؤلاء ـ مع وعيهم بزمانهم ومكانهم وحرصهم على تقدم أمتهم ـ آثروا الانسحاب إلى الماضي يجترون من أمجاده ما يقنعهم بالوجود، ويقيم لهم حجة بالحضور على ساحة الأحداث في الأمة.

لذلك، لابد من إعادة صياغة العقل العربي ـ بعد أن تراكمت عليه الشوائب، وران عليه الوهن، وشبه للآخرين عجزه ـ ليس فقط لكي يرى واقعه على حقيقته ويرى الآخرين على حقيقتهم، ولكن لكي يتحرر من إساره، وينطلق إلى آفاق الإبداع والابتكار، ومن ثم يتدافع مع الآخرين إلى موقع الريادة.

وأتصور أن هذه الصياغة ينبغي أن تقوم على ثلاث ركائز أساسية:

الأولى: العمل على إيقاظ الفرد واستنفار دوافعه نحو الإسهام في صنع الحياة في الأمة، وإعداده لذلك.

الثانية: تجميع طاقات الأمة وإطلاقها من إسارها، وتوجيهها نحو الإسهام مع سائر الأمم في صنع المستقبل.

الثالثة: أن يتم ما سبق على أسس علمية انطلاقًا من القدرات الواقعية للأمة، وتوظيفها وفق مقتضيات العصر.

ولتحقيق ما سبق ينبغي أن تتوافر عدة عوامل، أهمها:

أتصور أن العامل الأول لإعادة صياغة العقل العربي هو تحريره، بمعنى أن تُتاح للإنسان العربي حرية التفكير والتعبير والعمل في إطار العقيدة والشريعة والقانون، ودون خوف. فالعقول الخائفة والنفوس المرتعدة لا يمكن أن تبدع. وهذا يحتاج إلى إجراء إصلاحات في النظم السياسية ونظم العمل بالعالم العربي بما يحقق ذلك.

العامل الثاني: التخلص من وصمة الأمية. فالأمية من الأسباب الرئيسة في تخلف الأمة، ومن العوامل التي تعوق إحرازها مكانًا متقدمًا في ميدان السباق المحموم نحو التقدم، إضافة إلى أنها تحد من قدرة الإنسان على التفكير ومواجهة المواقف ومتابعة الأحداث في عالم تسارعت فيه الخطى بشكل غير مسبوق. ومع هذا، فإن المعلومات تفيد أن بلدان العالم العربي من أعلى بلدان العالم في نسبة الأمية.

لذلك، فإن من أهم عوامل صياغة العقل العربي وتأهيله للاستبصار في شؤون العصر، أن تنفض الأمة عن كاهلها هذه الأمية وفق مفهومها المعاصر، الذي خرج عن نطاق الأمية الأبجدية والأمية الوظيفية اللذين كانا بالأمس، وأصبح لها مفاهيم أخرى مثل: الأمية التقنية والأمية الفضائية والأمية المعلوماتية والأمية البيئية، والبقية تأتي. وإنجاز هذا يحتاج إلى تخطيط علمي ومتابعة مستمرة، واستخدام تقنيات متقدمة، وثورة في الإدارة والتطبيق تواكب متطلبات التطور المعاصر.

العامل الثالث: إصلاح التعليم. وما أعنيه هنا ليس تعديل المقررات الدراسية فقط، ولكن تطوير كل من نظم القبول ونظم التقويم ونظم الإرشاد التعليمي والتوجيه التربوي، والمناهج الدراسية والإشراف المهني والإدارة المدرسية والإدارة التربوية، وعلاقة الأسرة بالمدرسة وعلاقة المجتمع بالمدرسة. نريد تعليما يغرس في المتعلمين قيم الحرية في ظل القوانين، ويتيح لهم فرص التجريب والتطبيق، تعليما يستنبت في أرضنا ويستفيد من غيرنا فيما يناسب قيمنا ويحقق أهدافنا. تعليما يقود إلى إنتاج التقانة وليس نقلها واستيعابها فقط، تعليما يشارك في توجيهه الجميع: رجال التعليم، والأسرة وقيادات المجتمع ومؤسساته الإنتاجية والخدمية. تعليما يكوّن علماء الغد، ويعد قادة المستقبل.

العامل الرابع: العناية بالبحث العلمي. فإضافة إلى أن البحث العلمي من أهم مرتكزات الانطلاق بالأمة نحو التقدم، فإنه يساعد على الحراك الاجتماعي داخل مجتمعاتها بما يبعث في أبنائها الحيوية والتطلع إلى مستقبل أفضل، ويدربهم على الأحكام الموضوعية فيما يواجهون من قضايا.

وهذا يتطلب التركيز على تربية الباحثين في مؤسسات التعليم وفي مراكز البحث العلمي، وفي المؤسسات الإنتاجية والخدمية، وإتاحة الفرص لتطبيق إبداعاتهم في المجتمع؛ فإن هذا يشجعهم على مزيد من الإبداع، كما يتيح الفرص لاستثمار إنتاجهم في تقدم الأمة.

ويتطلب أيضا إنشاء شبكة من مراكز البحث النوعية وفق حاجة مجتمعات الأمة، وبناء على خريطة شبكية لما يحتاج إليه كل مجتمع من المجتمعات من بحوث، إضافة إلى حاجة الأمة ـ على وجه العموم ـ منها، على أن تتكامل هذه المراكز في وظائفها وأن تعتمد على مراكز معلومات متطورة تتصل بمثيلاتها في الداخل والخارج، وأن تتوافر لها الميزانيات الكافية لأداء مهماتها باقتدار

العامل الخامس: إصلاح مؤسسة الأسرة لتقوم بدورها التربوي المنشود. فالأسرة من أهم المؤثرات في قيم الطفل ونظرته للحياة وتقديره للأمور، إذ فيها يتشرب هذا كله في سنيه الأولى. ولذلك عُني الإسلام عناية كبيرة بتكوين الأسرة فجعل أساسها الأول الدين والخلق ضمانا لطهارة النطفة ونقاء الوعاء، وحدد لكل عضو فيها حقوقه وواجباته بما يجعلها محضنًا خصبًا لتربية أجيال صالحة.

وعلى الرغم من هذا، أعجزت الأمية أو الوظيفة أو التجارة أو الأسفار الوالدين عن أداء رسالتهما السامية نحو تربية الأبناء، وتركا مهماتهما التربوية إما للخدم وإما لغير أحد. ولذلك ملك زمامَ الأولاد الخدمُ والأصدقاءُ والأقرانُ، وجميع هؤلاء ـ مع حسن الظن ـ لا يمكن بحال أن يؤدوا الدور التربوي المنشود؛ بل يُخشى من عاقبة توليهم أمرًا ليسوا أهلا له.

لذلك، فإن صياغة العقل العربي تحتاج إلى أسرة قادرة على توفير مناخ مناسب لتنشئة الأبناء تنشئة صحيحة،

قادرة على التعاون مع مؤسسات المجتمع الأخرى من أجل تحقيق ذلك.

العامل السادس: إصلاح الإعلام العربي ودرء خطر الإعلام الأجنبي. فالإعلام يبث على مدار ساعات اليوم، ويصل إلى غرف النوم دون حسيب أو رقيب، ويبهر الأنظار ويشد الأسماع بتقانات الاستقطاب والإغراء. لذلك، فإنه شديد التأثير في المتلقي بعامة والشباب بخاصة.

ولكن إذا نظرنا إلى الإعلام العربي نجده ـ في معظمه ـ مقلدا للإعلام الأجنبي ناقلاً عنه. ومن ثم أصبح وسيلة من وسائل غرس الإحباط في الأمة، وتلويث ثقافتها. لذلك، ينبغي توجيه الإعلام العربي بما يجعله وسيلة بناء للعقول والأخلاق وليس لهدمهما.

العامل السابع: تضامن الأمة. ولا يتحقق هذا التضامن من دون تحقيق عدة أمور أهمها: الإرادة السياسية لأولي الأمر في الأقطار العربية لتحقيق هذا التضامن والإخلاص له، والمحافظة عليه. والثاني أن يُعدّ له إعدادا جيدا، وتُهيأ له الأمة. والثالث أن يُنفّذ على أسس سليمة نابعة من الدين الحنيف. والرابع أن يستفاد من تجارب الأمة السابقة وتجارب الآخرين في التخطيط له وتنفيذه.

هذا التضامن يجمع طاقات الأمة، وهي عظيمة. ويُوَحّد قوتها وهي كبيرة. فتصبح كيانا يواكب الكيانات الكبيرة التي تكونت من حولها، ويكون لها أثرها في السياسة العالمية. وهذا يساعد على خلاص العقل العربي من الشعور بالضعف، ويسهم في تقوية شعور أبناء الأمة بالانتماء إليها والاعتزاز بها. ومن ثم العمل على الانطلاق بها إلى مكان الريادة.

العامل الثامن: إيجاد القدوة في السلوك. فإن هذا يعطي أبناء الأمة مُثُلاً يحتذونها في العمل الصالح والجهاد في سبيل رفعة الأمة والتعاون مع مختلف عناصر الأمة في سبيل تحقيق ذلك.

وأهم من ينبغي أن يكون قدوة، هم أولو الأمر ومن يولونهم، والمسؤولون في مختلف مؤسسات المجتمع، مثل المؤسسات التربوية والإعلامية والإنتاجية والخدمية.

فوجود القدوة في مختلف مواقع العمل في المجتمع، يقدم أدلة حية لأبناء الأمة على القيم السلوكية الرفيعة ويضخ الأمل في عروقهم، ويشيع الطمأنينة في نفوسهم، ويحرر العقول من إسار الخوف والتوجس، فتنطلق في الإبداع والابتكار.

العامل التاسع: مواكبة علماء الدين لحاجة الأمة إلى الفتاوى التي تقيم حياتهم المعاصرة وتنورهم على هدي من دينهم الحنيف، وأن يلتقوا ـ فيما يفتون ـ على كلمة سواء. فطبيعة العصر الذي نعيشه سرعة التغير وكثرة المستحدثات. والمسلمون بعامة وأبناء الأمة العربية بخاصة في حاجة إلى هدي دينهم فيما يستجد في حياتهم، مثل نقل الأعضاء والتبرع بها، والاستنساخ، ومعاملة غير المسلمين في ديار الإسلام. مثل هذه الأمور وغيرها مما يستجد في حياة المسلمين لا يتابعها علماء الإسلام بالفتيا التي ترشد أبناء الأمة في الوقت المناسب. وحين يفتون تختلف فتاواهم من قطر لآخر، الأمر الذي ينشأ عنه تفرق أبناء الأمة وإحباط شبابها، وبخاصة أنه لا يرى في البلدان الغازية ثقافتها مثل هذه الخلافات، ويتكون عنده استعداد لتقبل هذه الثقافات بديلاً عن ثقافته العاجزة عن مواكبة العصر، وتزداد الفجوة بين أبناء الأمة وشبابها، وهذا بلاء كبير.

العامل العاشر: الأخذ بالتخطيط والموضوعية والعدل في شؤون الحياة. ويقتضي المنهج العلمي أن تكون لتنمية كل دولة وكل قطاع من قطاعاتها خطط قصيرة الأجل وأخرى طويلة الأمد. خطط علمية مبنية على دراسات وبحوث تستشرف الحاجات المستقبلة للدولة ولكل قطاع فيها، ولا تتغير هذه الخطط بتغير المسؤولين، وتكون ملزمة للجميع، ومعروفة لدى أبناء الأمة، بل تكون هدفا لهم، يقبلون عليه ويسهمون في تحقيقه ويتفهمون ما يواجهه من مشكلات.

ويقتضي المنهج العلمي الموضوعية في اتخاذ القرارات، فلا يفوز بالمناصب أهل الثقة عند أولي الأمر والمسؤولين، حتى وإن كانوا غير مؤهلين، على حساب أهل العلم والخبرة الذين لا يجيدون فن التقرب للحكام.

هذا الأسلوب يجمع أبناء الأمة حول مشروعات تنميتها، ويجسد آمالهم المستقبلة التي يتطلعون إلى تحقيقها، فيتوجهون بكلهم نحو بلوغها.

كثيرة هي العوامل التي تعمل على إيقاظ العقل العربي من سباته، وتجنبه الضياع بين صفحات الماضي، وتجعله يدع التغني بأمجاده إلى الإسهام في نهضة الأمة، كما تجنبه المبالغة في لوم الأمة وجلد الذات باستنفار الطاقات في العمل على دفع الأمة في ميدان السباق. ولكنني تخيرت عشرة منها فقط لعلها تكون أهمها. والله أعلم

د. محمود أحمد شوق



مازلت

أذكر من عهد الشباب المبكر بيتًا شعريًا، لا أتذكر الآن هل هو للرصافي أو للزهاوي، يقول:

زَلّت حديثًا أمّةٌ
أبدًا تُفاخر بالقدَم

وهذا البيت في رأيي يلخص هذه القضية التي نحن بصددها تلخيصاً رائعًا.

فما زلنا حتى هذه اللحظة نعيش مرحلة جلد الذات أو تمجيدها. ويتمثل جلد الذات في أمور كثيرة، من أهمها في نظري ما يلي:

1ـ التقليل من قيمة العقل العربي أو المُنتَج العربي ثقافيًا كان أو غيره في مقابلة نظيره الأجنبي. وقد ذكر الشاعر السعودي د. غازي القصيبي في كتابه «العصفورية» نماذج كثيرة لذلك، من بينها على سبيل التمثيل، رفعنا من قيمة عالم النفس الأوربي فرويد وإضفاء أهمية قصوى على نظرياته، على حين نقلل أو حتى لا ننتبه إلى عالم عربي مثل ابن سيرين كان له نظرات صائبة في تفسير الأحلام. ومن ذلك أيضًا النظر إلى الإنتاج الروائي الأوربي بعين الدهشة والانبهار في مقابل غض النظر عن أعمال روائية عربية قديمة مثل سيرة الأميرة ذات الهمة، وعنترة بن شداد، والسيرة الهلالية، وسيف بن ذي يزن، وألف ليلة وليلة. وأضيف إلى ما ذكره الدكتور القصيبي نظرة بعض شعرائنا الرومانسيين إلى الشعر العربي القديم، وأنه يفتقر إلى العاطفة المتأججة، والحس الرومانسي...إلخ، وهذا كلام ذكره الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي في كتابه «الخيال الشعري عند العرب».

ولكننا ينبغي أن نشير الآن إلى أنه خلال العقود الأخيرة حدث تحول كبير في هذا الشأن، وصدرت أبحاث كثيرة وكتب تعطي العرب حقهم في الريادة والاكتشاف. فالجيل الذي يكتب القصة والرواية الآن، على سبيل المثال، صارت نظرته إلى التراث العربي في هذا الجنس الأدبي المهم مختلفة تمامًا عن نظرة الأجيال السابقة. فقد كان توفيق الحكيم، مثلاً، يرى أن العرب القدامى لم يبدعوا في هذا المجال، وأن علينا، لكي نبدع فيه أعمالاً مهمة، أن نستأنس بالرواية الأوربية. الآن أيّ روائي عربي يدرك أن لدينا كنوزًا مخبوءة، انتبه إليها الغرب قبل أن ننتبه نحن إليها. وهذه الكنوز لا تقتصر على الرواية والقصة؛ بل تتعدى ذلك إلى شتى فنون المعرفة والسرد وغيرها. ومازلت أذكر أحد الشعراء العرب الكبار يردد في حوار لي معه: إن كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني كنز من كنوز الإبداع الإنساني لم نكتشفه بعد كما ينبغي.

ومن العجيب أن هذه الحركة التصحيحية في أصول الثقافة العربية واكبتها أو سبقتها حركة مشابهة في كل أنحاء العالم. ومن دراستي للأدب الإسباني والثقافة الإسبانية أعرف أن الباحثين والكتاب الإسبان منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى الآن يعملون على تصحيح الكثير من المفهومات المغلوطة عن الثقافة العربية.

فبعد أن كان علماء القرون السابقة يرون أن أصول الشعر الغنائي الأوربي ـ على سبيل المثال ـ تعود إلى الشعر الجليقي ـ البرتغالي والشعر البروفنسالي، أصبحنا الآن نجد الأبحاث الكثيرة التي تؤكد أن أصول الشعر المذكور تعود إلى الموشحات والأزجال الأندلسية، ولعل أبرز من كتبوا في ذلك هو المستعرب الإسباني الراحل إميليو جارثيا جوميث، والذي كان للمختارات الشعرية التي ترجمها من الشعر الأندلسي إلى الإسبانية دور كبير في تعريف كبار شعراء إسبانيا بالشعر العربي واهتمامهم به، إلى الدرجة التي جعلت شاعراً مثل خوان رامون خمينيث (الحاصل على جائزة نوبل في الآداب عام 1956م) يقول في كتاب له (على شكل حوار): إن أصول الرمزية الإسبانية تعود إلى الشعر العربي الأندلسي، ومن ثم فإنني لست في حاجة إلى أن أتأثر بالرمزية الفرنسية. ولاشك أن هذه الأمثلة التي ذكرناها تدخل ضمن النظرة الموضوعية التي ينبغي أن تسود في تعاملنا مع القيم الفاعلة في ثقافتنا قديمة كانت أو حديثة. وهذه النظرة تتوسل إلى النتائج المرجوّة بالتزام شروط البحث، وعدم المبالغة ومراعاة التقدم الكبير الذي حدث في المناهج والنظريات. وبذلك يكون العقل العربي مؤهلاً لتناول المسائل والقضايا وطرحها بطرق موضوعية تتجنب الشطط والإغراق في التفاؤل.

2ـ وهذا الشطط هو الوجه الآخر، الذي يتمثل في تمجيد الذات إلى الحد الذي يتصور معه المرء أنه ليس بحاجة إلى الآخرين، في زمن أصبحنا نعيش فيه داخل قرية كونية واحدة. ومن هذا المنطلق تبرز مصطلحات الغزو الثقافي، والاكتفاء، والرهبة التي نحس بها تجاه الآخر، ولا نجد مخرجًا من ذلك إلا بالالتفاف على أنفسنا، وكأننا نحميها من أي نسمة باردة تهب عليها من الخارج. وما أكثر الكتب التي تنطبق عليها هذه النظرة المتقوقعة، المبالغة في تقدير ما لدينا.

ولا شك أن الخروج من مأزق الانكفاء على الذات لن يتم إلا بالخروج إلى النور، ومتابعة ما يجري في العالم بعين فاحصة، والتفاعل الخلاق مع معطيات الثقافة العالمية من دون خوف أو رهبة. وهذا ما تفعله كوكبة كبيرة من مثقفينا. ومن ثم فإني أحس بالتفاؤل إزاء المستقبل العربي، على الرغم من المعوقات الكثيرة؛ لأن المستقبل في خاتمة المطاف هو جماع العناصر الفاعلة في مسيرة الإنسان نحو الأهداف المبتغاة، والوعي بهذه الأهداف، والقيم التي تمثلها حاضرا ومستقبلاً. وإذا كان كتابنا في العالم العربي قد ارتقوا ببعض الأجناس الأدبية، وبعض المنتَج الثقافي إلى قمة الإبداع العالمي، فلا شك أن هذا كله يبشر بالخروج من المأزق أو المآزق الكثيرة التي مازالت تترصدنا، كما يبشر بمستقبل مختلف كل الاختلاف عن الواقع الذي نعيش فيه. إن الجدال الدائر حاليا في مجال الفكر في شتى أنحاء العالم العربي يدل على صحوة فكرية وعقلية، ويدل على أن ثمة تجاوزًا مهمًا للطروحات التي قالت بها أجيال سابقة، وهذا التجاوز ـ في حد ذاته ـ دليل صحة، وسوف تكون له آثاره الإيجابية في مستقبل الأيام إن شاء الله.

د. حامد حامد أبو أحمد

الأدب المقارن العربي

د. عبده يونس عبّود

لماذا نكتب اليوم عن الأدب المقارن العربيّ؟ هل من جديد حقيقيّ في هذا المجال، مما يستدعي أن نعرضه؟ أم انتهى هذا العلم وطُويت صفحته، مما يوجب أن ننعيه ونؤبنه؟ أم تراجع إلى درجة تستدعي أن نجذب الانتباه إليه وندعو إلى وقف انهياره؟ وماذا يمكن أن يقول المرء في مقالة كهذه أكثر من عموميّات وبدهيّات؟

ركود بعد اندفاع

من الملاحظ أنّ الدراسات الأدبية المقارنة في الوطن العربيّ قد شهدت، إبان الأعوام العشرة الأخيرة، ركودًا شديدًا على الصعيدين الإنتاجي والتنظيميّ. فمن الناحية الإنتاجية لم يحقق الأدب المقارن العربي، بعد مرحلة الاندفاع التي عاشها في أوائل الثمانينيات وأواسطها، النقلة النوعية المرتقبة، لا نظريًا ولا تطبيقيًا. وقد اقتصر ما أنجزه المقارنون العرب على إعادة إصدار كتبهم القديمة في طبعات موسّعة وبعناوين جديدة(1)، وعلى تأليف أبحاث متفرقة صدرت في هذه الدورية أو تلك، وعلى ترجمة المؤلفات النظرية التي يُفترض أن تكون قد تُرجمت إلى العربية قبل وقت طويل(2). أما على الصعيد التنظيمي فقد استمرّت أزمة «الرابطة العربية للأدب المقارن»، تلك الأزمة المتمثلة في ربط الأمانة العامة بالمقر الدائم، وفي عجزها عن أن توفق بين طابعها القوميّ والواقع القطريّ للعالم العربيّ. لقد كان آخر مؤتمر عقدته الرابطة في عام 1989م، أي قبل أكثر من سبعة أعوام، ولم تنشأ جمعيات قطرية للأدب المقارن إلاّ في بلد عربي واحد هو مصر، ولم تتمكن الرابطة من تحقيق أيٍّ من طموحاتها العلمية وعلى رأسها إصدار مجلة عربية للدراسات الأدبية المقارنة. وباختصار فإن حركة الأدب المقارن تبدو في أواخر التسعينيات واهنة كأنها في النزع الأخير. لماذا يا ترى؟ ألقلة عدد المقارنين في الجامعات العربية؟ لا نظن ذلك، فعددهم اليوم أكبر مما كان عليه في أي وقت مضى. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن كلية الآداب في جامعة حمص، وهي أصغر الجامعات السورية وأحدثها، تضم في صفوف هيئتها التدريسية سبعة متخصصين بالأدب المقارن(3). ومن المؤكد أن هذه الجامعة لا تشكل حالة استثنائية. فأساتذة الأدب المقارن أصبحوا موجودين بأعداد وفيرة في الجامعات العربية كلّها. ولذلك لا يمكن إرجاع ما يشهده الأدب المقارن العربي من ركود إلى قلة عدد المقارنين. فهل يرجع ذلك الركود إلى أنّ هذا النوع من الدراسات الأدبية قد أفلس، ولم يعد لديه ما يقدّمه للأدب العربي والثقافة العربية؟ هل فقد الأدب المقارن أهميته المعرفية والعلمية، وفقد بذلك جدواه، ولم نعد بحاجة إليه؟

الحاجة إلى الأدب المقارن

إنّ جوابنا عن تساؤلات كهذه هو أن عكس ذلك هو الصحيح. فالثقافة العربية لم تكن في يوم من الأيام أحوج إلى الأدب المقارن ودراساته ومقارباته من حاجتها إليه في هذه الأيام. لماذا؟

إن أبسط تعريف للأدب المقارن هو أنه ذلك النوع من الدراسات الأدبية الذي يتجاوز في تناول الظواهر الأدبية الحدود اللغوية والقومية والثقافية للآداب. وهذا التجاوز أو تلك الإطلالة على ما وراء الحدود القومية للآداب قد أمست في أيامنا هذه أمرًا لا غنى عنه لدارسي الأدب. فالآداب قد أصبحت متداخلة ومتشابكة بصورة لا مثيل لها في تاريخ البشرية، مما جعل من دراسة الظواهر الأدبية داخل الحدود القومية للآداب وبمعزل عن الامتدادات والتفاعلات الخارجية أمرًا غير ممكن. هل يستطيع أحد أن يدرس الشعر العربي المعاصر دون أن يأخذ تفاعلاته الفنية والفكرية مع الآداب الأجنبية في الحسبان؟(4)، وإذا كانت تلك حال الشعر العربي، وهي مسألة لا تقلل من أهميته وإنجازاته، فما بالك بأدب الرواية والقصة والمسرحية؟! إنها تنطوي على تأثر متعدد الأشكال بالآداب الأجنبية، وهذا لا يضيرها أيضًا، بل يدل على حيويتها. فنحن نعيشُ في زمن غدا فيه الاكتفاء الذاتي للآداب ضربًا من الوهم. لقد مدّت الترجمة وتعلّم اللغات الأجنبية

لقد مدَّت الترجمة وتعلم اللغات الأجنبية ودراسة الآداب الأجنبية جسوراً بين الآداب لا سبيل إلى تجاهلها. لذا فإن المنهج المقارن هو المنهج الأصح لدراسة الأدب اليوم

.. إلى أين؟

ودراسة الآداب الأجنبية والاطلاع عليها جسوراً بين الآداب لا سبل إلى نسفها ولا إلى تجاهلها. وما دام الأمر كذلك فإن المنهج المقارن هو المنهج الأصحّ لدراسة الأدب في عالم اليوم. وهذا لا ينطبق على اتجاه مقارنيّ بعينه، بل ينطبق على الاتجاهات المقارنة كلّها، بدءاً بالمدرسة التاريخية المعروفة بالمدرسة الفرنسية وانتهاء بالمدرسة التناصيّة، مروراً بالمدرسة النقدية أو الأمريكية وبالمدرسة المادية الجدلية أو الماركسية.

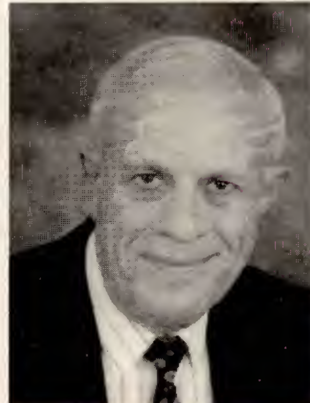
فإذا نظرنا إلى الأدب المقارن بوصفه العلم الذي يدرس «العلاقات الروحيّة الدولية» على حدّ تعبير المقارن الفرنسي غويار(5)، فإنّ لنا مصلحة ثقافية كبيرة في أن نعرف ما يستقبله أدبنا من مؤثرات أدبية وفكرية أجنبية، وما يرسله إلى الآداب الأجنبية من مؤثرات أدبية وفكرية. إنّ مصلحتنا الثقافية تقتضي أن تكون علاقاتنا الأدبية مع العالم الخارجي علاقات متوازنة، بعيدة من الانعزالية والتبعية. فاستقبال الآداب الأجنبية من قِبَلنا يعرّفنا تلك الآداب وشعوبها، وهذا كسب ثقافي كبير لنا. كذلك فإن استقبال أدبنا العربي في العالم من خلال الترجمة إلى اللغات الأجنبية يعرّف الأمم الأجنبية ثقافتنا ومجتمعنا وقضايانا ويبرز الوجه الحضاري لأمتنا(6). وهذا أمر بالغ الأهمية. فأعداء الأمة العربية حريصون كل الحرص على إخفاء منجزاتها الحضارية والتعتيم على ثقافتها، وهم يسعون لتقديم العرب للعالم في صورة شعب همجي ليس له حضارة. وعندما يتعرّف العالم الخارجيّ أدبنا مترجماً إلى اللغات الأجنبية، يصبح أكثر تفهماً لقضايانا وتعاطفاً معنا. إننا نعيش في عصر تحققت فيه نبوءة غوته المتعلقة بالأدب العالمي(7). فهذا العصر هو عصر: عولمة الثقافة. وفي هذا العصر تقدم كلّ أمة نفسها للعالم عبر أفضل ما لديها من إنجازات ثقافية. وعلى تلك الخلفية تحوّل التبادل الأدبي إلى شكل مهم من أشكال التعارف بين الشعوب. وإذا نظرنا إلى الأدب المقارن بوصفه علم العلاقات الأدبية الدولية نرى أن هذا العلم يستطيع أن يقدم لنا الشيء الكثير، وأن يساعدنا في صياغة علاقات أدبية متوازنة، تأخذ من الآداب الأجنبية أفضل ما فيها وأجمله، وتقدم للعالم الخارجي أجمل ما في أدبنا من أعمال وأفضلها. لقد تحوّل التبادل الأدبي إلى مقوّم رئيس من مقوّمات حوار الثقافات. والأدب المقارن يساعدنا في أن نشارك في ذلك الحوار بنجاح.

وإذا أخذنا الأدب المقارن بمفهومه النقدي الذي يُعرف بالمدرسة الأمريكية، ذلك المفهوم الذي يدرس الأدب المقارن بموجبه الظواهر الأدبية في جوهرها الجماليّ بصورة تتجاوز الحدود اللغوية والقومية للآداب من جهة، ويقارن الأدب بالفنون ومجالات الوعي الإنساني الأخرى من جهة ثانية، فإن استخدام هذا المنهج المقارن في دراسة الأدب العربي هو أمر عظيم الفائدة. فالعديد من ظواهر الأدب العربي لا يُفهم بصورة سليمة إلا إذا استخدم المرء ذلك المنهج. هل يمكن أن تُفهم أجناس رئيسة في الأدب العربي، كالمسرحية والرواية والقصة القصيرة والأقصوصة ما لم تؤخذ أبعادها الخارجية والعالمية في الحسبان؟وهل يمكن أن تُفهم المدارس والاتجاهات الأدبية، الفنيّة والفكرية، في الأدب العربي الحديث بمعزل عن تلك الأبعاد؟ من يستطيع أن يفهم الرومانسية في الأدب العربي الحديث بمعزل عن تأثرها بالرومانسية في الآداب الأوربية؟! ألم يتفاعل الأدب العربي، قديمه وحديثه، مع الاتجاهات الفكرية الأجنبية، بدءاً بتفاعله مع الفلسفة اليونانية القديمة والحكم الهندية والفارسية، وانتهاء بتفاعله مع الفلسفتين الأوربيتين الحديثتين: الوجودية والماركسية؟(8).

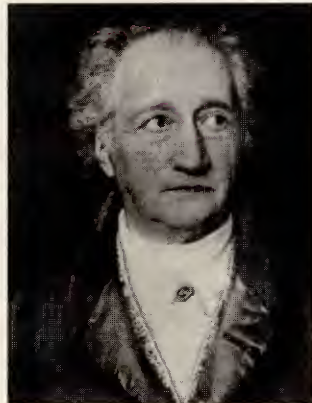
وماذا عن علاقة الأدب العربي بالفنون التشكيلية وبالموسيقى والغناء؟ أليس من المثير معرفيّاً أن تُدرس تلك العلاقة وأن يُظهر الباحثون أوجه التشابه والاختلاف بين تطوّر تلك الفنون وتطوّر الأدب العربي؟ وماذا عن عالميّة الأدب العربي؟ إن مفهوم «الأدب العالمي» هو أحد المفاهيم الرئيسة في الأدب المقارن، ونحن معنيّون بأن يتجاوز الأدب العربي حدود المحلية، وأن يُعترف به



د. إحسان عباس



د. حسام الخطيب



يوهان فولفجانج فون جوته

بوصفه أحد الآداب الكبرى في العالم. وهذا لا يمكن أن يتمّ ما لم يُترجم أفضل أعماله إلى اللغات الأجنبية ويُقدَّم نقديًا بصورة مناسبة، ويستقبله المتلقون في العالم على نطاق واسع. أما العلم الذي يرصد مدى نجاح الأدب العربي في بلوغ العالمية إنتاجًا وترجمة وتوسيطًا واستقبالاً فهو الأدب المقارن، الذي يمكن أن يكون دليل الأدب العربي إلى العالمية.

وهناك اتجاه رئيس آخر في الأدب المقارن يرى فيه علمًا يدرس التشابهات (التيبولوجية) أو النمطية بين الآداب. فالتشابه بين أدب قومي وأدب قوميّ آخر، أو مجموعة من الآداب القومية الأخرى لا يرجع إلى عامل التأثير والتأثر فقط، بل هناك من التشابه بين الآداب ما ليس له بالضرورة علاقة بذلك العامل. إنها التشابهات التي أطلق عليها المقارن الروسي الشهير فيكتور جيرمونسكي VICTOR ZIRMUNSKY تسمية التشابهات التيبولوجية أو النمطيّة(9). ودراسة هذه التشابهات بين الأدب العربي والآداب الأخرى، قريبة كانت كالأدبين الفارسي والتركي، أم نائية كآداب الصين واليابان وفيتنام والفلبين وأمريكا الجنوبية، يمكن أن تساعدنا كثيراً في فهم كثير من جوانب أدبنا، كخصوصية الأجناس الأدبية فيه، أو خصوصية التيارات والمدارس الأدبية وتوقيت ظهورها. إن دراسة التشابهات (التيبولوجية) تُظهر لنا ما هو عام ومُشترك بين أدبنا والآداب الأخرى، وما هو قومي وخاص بذلك الأدب. وهذا مكسب معرفيّ كبير لنا.

وفي الأعوام الأخيرة ازدهر في الدراسات المقارنة ذلك النوع من الدراسات الذي يتخذ من نظرية التناصّ أساسًا له. وشيئًا فشيئًا يحل هذا النوع من الدراسات محل دراسات التأثير والتأثير التي يقدم نفسه بديلاً لها. إن دراسة علاقات التناصّ بين أعمال من الأدب العربيّ وأعمال من الآداب والثقافات الأجنبية هي مكمّل جيّد لدراسات التلقي الإبداعي. فهذا يؤدي بالضرورة إلى ظواهر تناصّ بين الأدب العربي والآداب الأجنبية. إن الدراسات المقارنة التي تستند إلى نظريتي التناص والتلقي الإبداعي المنتج كفيلة بتصحيح النظرة إلى علاقة أدبنا بالآداب الأجنبية، وبأن تضع حدًا لكلّ ذلك الجدال حول السرقات الأدبية، وحول خضوع الأدب العربي الحديث لمؤثرات أجنبية أفقدته أصالته. فالنصّ الأدبي العظيم، المتطور فنيًا وفكريًا، هو بالضرورة نصّ ينطوي على درجة عالية من التناصّ والتأثر والتلقي الإبداعي. لقد وضعت نظرية التناصّ ودراساتها مسألة الأصالة في سياقها الصحيح، وأظهرت أن النصوص الأدبية متشابكة ومترابطة فيما بينها بصورة لا تنفصم، وأنه ما من نصّ إلا ويحمل في طياته علاقات وثيقة مع عدد كبير من النصوص الأخرى، وكلما كانت درجة التناصّ أعلى كان العمل الأدبي أعظم وأكمل(10). إن دراسة علاقات التناصّ بين أعمال من الأدب العربي والآداب والثقافات الأجنبية هو أمر ينطوي على فائدة معرفية كبرى. وهذه الدراسة لا تقلل من أهمية الإنجازات الفنية والفكرية التي حققها الأدب العربي الحديث، بل تضع حدًا لمحاولات الانتقاص من تلك الإنجازات عبر الكشف عن مؤثرات أجنبية فيه. فليس العيب أن يتضمن الأدب العربي الحديث مؤثرات كهذه، بل العيب كلّ العيب هو أن يخلو من تلك المؤثرات. فهي دليل على أن الأدب العربي الحديث أدب حيّ، يتفاعل مع الآداب والثقافات الأجنبية مستقبلاً ومرسلاً.

قضايا مستجدّة

إلاّ أن الأدب المقارن ليس مطالبًا بأن يسهم في فهم الأدب العربي وعلاقاته وامتداداته الفكرية والفنية الخارجية فحسب، بل هو مطالب أيضًا بأن يسهم في تقديم إجابات عن القضايا والأسئلة الثقافية الرئيسة للمجتمع العربي في هذه المرحلة من تطوّره. فكل علم من العلوم الإنسانية لا يسهم في تقديم تلك الإجابات يصبح علمًا هامشيًا، ويكون مصيره الزوال. وفي مقدمة القضايا التي ينبغي للأدب المقارن أن يسهم في معالجتها قضية حوار الثقافات. إن قسمًا كبيراً من ذلك الحوار الذي بات أكثر إلحاحًا مما كان في أيّ وقت مضى يمكن أن يتم من خلال التبادل الأدبي ترجمة وتوسيطًا نقديًا. وإذا كان حوار الثقافات يعني، من بين ما يعنيه، أن يتعرّف أهل كل ثقافة ثقافةَ الشعب الآخر بصورة أفضل، وأن تزال حالات سوء الفهم والتحاملات والصور الشوهاء والأحكام المسبقة والأحقاد التاريخية والمعاصرة؛ فإن باستطاعة الأدب المقارن أن يؤدي دوراً كبيراً على هذا الصعيد. فهو يساعد في تسهيل التبادل الأدبي وتفعيله، وفي التقريب بين الشعوب وإبراز العناصر المشتركة بينها، وذلك من خلال مقارنة آدابها وثقافاتها، بعضها ببعض. وهذا دور ثقافي حيوي في زمن تصاعدت فيه حدّة الصراعات الثقافية في العالم، مما حمل بعض المنظّرين على الاعتقاد بأن «حرب الثقافات» ستحلّ محلّ حرب المذهبيات (الأيديولوجيات) وصراع الطبقات(11). إنّ التبادل الأدبي والثقافي هو خير وسيلة لإحلال حوار الثقافات وتعايشها محل الصراع والتناحر الثقافيين، وإحلال التسامح الثقافي محل التعصّب الثقافي.

والعصر الحالي لم يعد عصر الثقافة المقروءة بالدرجة الأولى، بل عصر الثقافة المسموعة والمرئية و(المحوسبة). ومن أبرز سمات الثقافة في هذه المرحلة بروز تلك الأنواع والأشكال الثقافية المرتبطة بالبث التلفازي والفيديو والحاسوب. لقد كان لتعاظم الدور الثقافي للتلفاز والفيديو والحاسوب تأثير كبير في تلقي الأدب، تمثّل في تراجع استقبال الأعمال الأدبية المكتوبة من جهة، وصعود أشكال من الإنتاج الثقافي، وعلى رأسها: «الدراما التلفازية» من جهة أخرى. ترى هل يتجاوب الأدب المقارن مع تلك التطورات الثقافية الهائلة، فيواكبها ويتعامل معها بصورة إيجابية، ويتناول نتاجاتها وموادها وأشكالها بالدرس

حوار الثقافات يأتي في مقدمة القضايا التي ينبغي للأدب المقارن أن يعالجها؛ لأنه يساعد في تسهيل التبادل الأدبي، وفي التقريب بين الشعوب وإبراز العناصر المشتركة بينها

الأدب المقارن العربي.. إلى أين

المقارن؟ أم يتجاهلها، ويعتصم في برجه العاجيّ ويتصرّف كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال؟ في الحالة الأولى هناك من يتخوّف من أن يتحوّل الأدب المقارن إلى نقد تلفازي مقارن أو إلى نقد ثقافي مقارن. إن اعتراضات واحتمالات كهذه لا يجوز أن تخيف المقارنين. فالمهم في الأمر هو أن يواكب الأدب المقارن ما تشهده الساحة الأدبية والثقافية من تطورات، وأن يقارن نتاجات أدبية وثقافية معاصرة تنتمي إلى مجتمعات وثقافات ولغات مختلفة، وأن يسهم في تطوير الثقافة العربية. وليس خافيًا على أحد أن الانتقال من الأدب المقروء والثقافة المقروءة إلى الأدب والثقافة المسموعين - المرئيين يحمل في طياته أخطارًا كبيرة، وفي مقدّمتها خطر سيطرة الثقافة التافهة المعلبة التي تبث قيمًا غير إنسانية تُنشر بوساطة أساليب الإثارة المنحطة، كالعنف والجنس. وهذا خطر كبير يحدق بالبشرية، وهو يقتضي أن يكون الأدب المقارن انتقاديًا، يكشف ما يُمارس عبر وسائل الاتصال الجماهيري من تزييف للوعي الإنساني وتلاعب به ويفضحه. إلاّ أن تلك الوسائل تنطوي أيضًا على فرصة إيصال المادة الأدبية والثقافية الجيّدة إلى جمهور واسع من المتلقين، لذا فمن الخطأ الدعوة إلى مقاطعة تلك الوسائل وتجاهلها ورفض كلّ ما تنقله. فليس هناك ما هو أخطر على الثقافة الجيّدة من التقوقع والنخبوية والابتعاد من الجماهير. ومن الضروري أن ينتبه الأدب المقارن إلى مخاطر تلك النزعة.

ولئن كان العالم المعاصر يخطو بسرعة مذهلة نحو «عولمة الثقافة»، فإن تلك العولمة العشوائية تفرز في مناطق كثيرة نزعات انعزالية وأصولية لها تعبيرات فكرية وأدبية وثقافية متشابهة، على ما بينها من اختلاف. إنّ باستطاعة الأدب المقارن أن يقدم لنا الشيء الكثير، وذلك بدراسة النتاجات الأدبية والثقافية لتلك النزعات دراسة مقارنة، تُظهر ما هو مشترك بينها.

والشيء نفسه يمكن أن يقال فيما يتعلق بقضايا رئيسة معاصرة، كقضية الغربة وفقدان الشعور بالطمأنينة في الوطن وبين الأهل. فالغربة ظاهرة عالمية لها تعبيرات أدبية وثقافية لا حصر لها في آداب وثقافات كثيرة، وبوسع الأدب المقارن أن يقدم لنا الشيء الكثير، إذا قام بدراسة تلك النتاجات الأدبية والثقافية دراسة مقارنة. ومن القضايا الرئيسة لهذا العصر قضية الحركات والأنظمة الشمولية التي تنتهك حقوق الإنسان، وحرياته الشعبية (الديمقراطية) الأساسية، وترتكب جرائم الإبادة الجماعية، وجرائم ضدّ الإنسانيه، وهذه ظاهرة عالمية تشكل خطرًا على الإنسانية والحضارة. ومن الخطأ الاعتقاد أنّ هذه الظاهرة قد اختفت من العالم باندحار النازية والفاشية وبسقوط الشيوعية الستالينية. والدراسة المقارنة للظاهرة المذكورة وتجلياتها الفكرية والأدبية والثقافية يمكن أن تساعد على فهمها والتصدي لها. وقضية المرأة وما تتعرض له من تمييز وظلم وقمع وتضليل هي بدورها موضوع عالمي ذو تعبيرات أدبية وثقافية كثيرة من الضروري أن تُدرس دراسة مقارنة. وما قلناه عن هذه القضية يمكن أن يقال عن قضايا كثيرة أخرى كموضوع الشبيبة، والهوية الوطنية في زمن العولمة، وغير ذلك من القضايا الثقافية والاجتماعية الراهنة في مجتمعنا العربي ومجتمعات كثيرة أخرى. إنها قضايا جوهرية يستطيع الأدب المقارن أن يقدم مساهمة كبيرة في فهمها والتعامل معها. وعندما يقوم الأدب المقارن بذلك فإنه يقاوم التهميش، ويضع نفسه في صلب المعركة الثقافية المعاصرة التي يخوضها مجتمعنا على مشارف القرن الحادي والعشرين.

سبل التجديد

إلاّ أن قيام الأدب المقارن بذلك الدور يتطلب منه:

1- أن يراجع أسسه وأدواته النظرية وأن يطوّرها باستمرار، وأن يستوعب لهذا الغرض كلّ ما يستجد في العلوم الإنسانية وعلوم الثقافة من مناهج واتجاهات وفكر ونتائج، خصوصًا في علوم المجتمع وعلم النفس وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا) والفلسفة وعلوم اللغة وغير ذلك من العلوم. فهذا التفاعل هو الضمانة الحقيقية لئلا يتخلف الأدب المقارن نظريًا وألاّ يصاب بالجمود.

2- ألا يقع الأدب المقارن في شرك النخبوية الأكاديمية، التي تحصره في برج عاجيّ، وتمنعه من التعامل مع القضايا الثقافية الساخنة، وتحكم عليه بالتهميش.

3- أن يحافظ المقارنون على منابر ومؤسسات التواصل العلمي الاختصاصي العائدة إليهم، وأن يطوّروها ويُفَعِّلوها. وأبرزها الكونفدرالية الدولية للأدب المقارن Ailc والرابطة العربية القطرية للأدب المقارن، وما تصدره تلك المؤسسات من دوريات ومنشورات.

إنّ هذه الأمور تضمن أن يتمكن الأدب المقارن من أن يؤدي الدور الثقافي المعوّل عليه، وهو دور لا نبالغ إذا قلنا إن الثقافة العربية المعاصرة باتت في أمسّ الحاجة إليه. ترى ألا يسوّغ ذلك أن نجدد الدعوة إلى الأدب المقارن؟

الهوامش والإحالات:

1- هذا ما فعله المقارنان المعروفان الدكتور حسام الخطيب والدكتور عزالدين المناصرة. فقد أعاد الأول طباعة كتابه: الأدب المقارن (جامعة دمشق، 1982م)، ووضع له عنوانًا جديدًا هو: آفاق الأدب المقارن عربيًا وعالميًا (دمشق: دار الفكر، 1992م)، أما الثاني فقد أصدر طبعة جديدة معدّلة من كتابه: مقدّمة في نظرية المقارنة (عمّان: دار الكرمل، 1988م) بعنوان جديد هو: المثاقفة والنقد المقارن (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات 1996م).

2- إن أحدث تلك الترجمات هو كتاب المقارنين الفرنسيين بيير برونيل وكلود بيشوا وأندريه ميشيل روسو: ما الأدب المقارن؟ ترجمة د. غسان السيد، دمشق: منشورات علاء الدين، 1996م.

3- راجع دليل جامعة البعث، حمص 1995م.

4- راجع بهذا الشأن: فخري صالح (تحرير): المؤثرات الأجنبية في الشعر العربي المعاصر، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 1995م.

5- ماريوس فرانسوا غويار: الأدب المقارن. ترجمة هنري زغيب، بيروت، منشورات عويدات 1988م، مقدمة الكتاب.

6- حول دور الترجمة الأدبية في تشكيل صورة العرب في العالم، راجع كتابنا: هجرة النصوص، دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي، دمشق: منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، 1995م، ص55-87.

7- حول مفهوم «الأدب العالمي» عند غوته وفي الأدب المقارن، راجع كتابنا: الأدب المقارن، مدخل ودراسات تطبيقية، ص235-248.

8- راجع بهذا الخصوص: إحسان عباس: ملامح يونانية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط2، 1993؛ عيسى العاكوب: تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي، دمشق، دار طلاس، 1989م، حسام الخطيب: سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية، دمشق، المكتب العربي، 1980م.

9- راجع: فيكتور جيرمونسكي: التيارات الأدبية بوصفها ظاهرة دولية. ترجمة غسان مرتضى، في: الآداب الأجنبية، ع83، صيف 1995م، ص137-174.

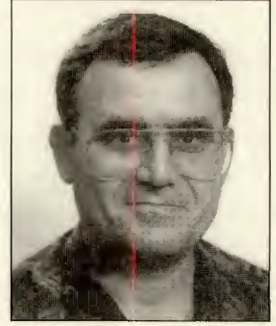
10- راجع بهذا الخصوص: شربل داغر: التناصّ سبيلاً إلى دراسة النصّ الشعري، في: السفير الثقافي، 1996/12/13م.

11- إنّ أبرز هؤلاء المنظّرين هو الأمريكي صموئيل هانتغتون: الإسلام والغرب، آفاق الصدام. ترجمة مجدي شرشر. القاهرة، مكتبة مدبولي، 1995م.

الغذامي وتثوير اللغة



قراءة في كتاب «المرأة واللغة»
2



د. بشير العيسوي

وعلى أن الغذّامي قد أصاب في كثير من مداخلاته؛ إلا أنه خلط أموراً بعضها ببعض خلطاً بيّناً، ومن تلك الأمور:

ـ موقفه من الصراع الأزلي بين الرجل والمرأة في الحياة العامة وليس في التناص أو الكتابة. وهو يتخذ مسرحية «أنتيجون» لسوفوكليس (496-406 ق.م) مدخلاً لتتويج الذكورة والتعالي على الأنوثة في المجتمع اليوناني. فماذا يقول الغذّامي عن دور الليدي مكبث في مسرحية «مكبث» التي كانت هي صاحبة الكلمة العليا، وهي التي حددت بأوامرها إلى مكبث مسار المسرحية كاملة. وبفضل الطموحات التي لا تنتهي لليدي مكبث تَشكّل الخطاب في تلك المسرحية على أنه خطاب نسائي محض خطه شكسبير ـ طبعاً ـ وأصبحت الليدي مكبث المضرب مثل على المرأة الطموح التي بها رغبة متقدة لا تنطفئ للوصول إلى المناصب العلى.

ـ أستغرب كثيراً أن تكون علاقتنا بأبنائنا «علاقة ذهنية» عبر «علاقة لغوية» حينما ينجب الرجل منا أي عدد من الأبناء. وهذا تسطيح للعلاقات الأسرية وتفريغ لها من محتواها الذي نحترمه جميعاً ونقدسه. ولا أدري كيف نقل الغذّامي هذه الفقرة من دوروثي دينز شتاين دون أن يعلق عليها. فالمرأة تحمل وتضع مولودها لأن تركيبها العضوي (الفسيولوجي) خُصِّصَ لذلك، وتكيّف معه. وهذا إسهامها ـ بأمر الله سبحانه وتعالى ـ في بقاء الجنس البشري. ألا يُعدّ اهتمام الرجل بزوجته الحامل وقلقه عليها مشاركة تتعدى العلامة واللفظ والعلاقة الذهنية؟ إذا كان الغرب يقبل أن تكون علاقته بأبنائه علاقة ذهنية فذلك شأنه. وحتى في الغرب نفسه لا ينطبق ذلك بالضرورة على المجتمعات كلها، ولا يتبناه المفكرون جميعهم. لذا فإننا لا نوافق الغذّامي حين يقول نقلاً عن دوروثي: «ولذا سعى الرجل إلى أن ينسب الأطفال إليه ويربطهم باسمه، بلغته وعلامته، وبذا يقيم علاقة ذهنية مع النسل ويمدد أواصره مع الحياة عبر هذه العلامة اللغوية، كما أنه يحقق لنفسه خلوداً عبر هذه التسمية»(27).

ـ لا أظن الغذّامي متبنياً وجهة نظر العقاد في المرأة، لكنه ينقلها ويظل يشير إليها، وكأن من كتبوا عن المرأة قد اندثرت مؤلفاتهم ولم يبق منها سوى ما كتب العقاد. وبداية، كلنا يعلم أن العقاد لم يتزوج في حياته، ومن ثم يظل كلامه عن المرأة مجروحاً ناقصاً وعارياً من الصحة. فهو حين يتكلم عن جسدها يتكلم ونار الرغبة تأكل جسمه، وحين يتكلم عن الإنجاب والأبناء يتكلم وهو يفتقد التجربة الفعلية في احتضان الأبناء ورعايتهم. لذا فإن حكمه على المرأة أنها «خُلقت جميلة لسبب واحد هو أن تسعد بها عيون الرجال، كما تسعد بالنظر إلى الفاكهة»(28) هو حكم ناقص ويدخل في إطار السفه. وإذا كان كل حظ العقاد من المرأة أن يتلمظ رؤيتها، فإن حظ الآخرين أنهم عرفوها شريكة حياة، وأمّاً للأولاد، ومجاهدة في سبيل حياة أفضل وغد أسعد.

ـ مرة أخرى، ينقل الغذّامي رأياً ولا يعلّق عليه تأييداً أو رفضاً، وفي ذلك كثير من المهارة في إجبار القارئ على تكوين رأيه بنفسه دون تدخل من المؤلف. وهو هنا ينقل رأي جون بيرجر عن صورة المرأة في القرن العشرين على أنها بضاعة جسدية(29). وتلك البضاعة رسمها المذكر ليشتريها مذكر آخر. ولكن ماذا نقول في كتابات أنايس نِنْ (1892-1978م) التي تجاوزت في قصصها العارية أبشع صور البضاعة الجسدية التي رسمها كُتّاب محترفون في العري والفُحش مثل هنري ميللر (1891-1980م) رفيق دربها. لقد كانت أنايس نِنْ في صراع مع كل من حولها لتقدم المرأة في قصصها على أنها سلعة ذكورية، فكانت أبشع من الرجل وأفضح منه وأكثر قدرة على ذلك. وإذا كنا قد اتفقنا مع الغذّامي على أن الأصل في اللغة هو التذكير، إذن لا غرابة أن تكون أنايس نن رجلاً حينما تكتب نصاً.

ـ الاستشهاد باغتصاب جثث النساء من قِبَل جنود الجيش الأمريكي، وكذا عرض أفلام داعرة عليهم قبل ساعة من بدء المعارك مع العدو(30) يدخل في باب أدب الشواذ سلوكياً وعاطفياً، ولا يصح أن نعتد به. ويدرك الجميع ما يعانيه الجيش الأمريكي والبنتاجون من هذه الأنماط السلوكية الشاذة.

ـ يدخل ضمن ثقافة الشواذ، أيضاً، حكاية عازف الجاز بيلي تبتون الذي عاش ومات وتبنّى ثلاثة أولاد ذكور، واكتُشف أنه أنثى فقط عند وفاته(31).

هذه القصة، أيّاً كان مغزاها أو القصد من إيرادها، لن تقدم أو تؤخر في وضع اللغة العربية ذكورة أو أنوثة، ولن تقدم نصاً أنثوياً خالصاً بأيّ حال من الأحوال. وهي تدور على محور أساسي اتفقنا عليه منذ البداية وهو أن الأصل في اللغة التذكير. ومن ثم كانت محاولة هذه العازفة الشاذة أن تترجّل.

ـ كلام فرويد عن المرأة وعن الجنس(32)، وحتى عن التحليل النفسي أصبح تقليدياً وبالياً، وهناك من الغربيين من يرفضه، ومنهم من يتهمه بإفساد المجتمع



د. عبدالله الغذامي

الغربي بنظرياته الشاذة، فلماذا نردد آراءه اليوم وكأنها لم تُنتقد البتة، أو كأنها مسلَّمات لا تصل إليها يد الشك والريب.

- من أغرب الفقرات التي استوقفتني في كتاب الغَذَّامي الفقرة التالية، وهو ينقلها عن باروز وإيرنرايش: «من عادات الأكل وآدابه في أوربا أن يختص الرجال بأكل اللحم الصافي ليقوّي فحولتهم، وليس للنساء إلا الفضلات ونفايات الطعام مثل العظم والمصران يشتركن به مع الخدم والعبيد، فالنساء لا يحتجن إلى القوة والتغذية المقوية»(33). هذا الكلام ينقصه الكثير من الإيضاح كي يصدقه عاقل. أي أوربا تلك التي يتحدث عنها هذان المؤلفان المبجلان؟ أهي أوربا ما قبل التاريخ؟ أهي أوربا القرون الوسطى؟ أهي أوربا القرن الثامن عشر؟ أهي أوربا القرن العشرين؟ أم هي أوربا ثاتشر وميجور وشيراك وكول على أعتاب القرن الحادي والعشرين؟ إن الابتسار واضح في هذه الفقرة، وغرضه التعميم اعتماداً على جهل بعض القراء بأحوال أوربا، أو اعتماداً على اسمي هذين المؤلفين الأوربيين، فهما شاهدان من أهلها على أهلها. لقد عانت المرأة الأوربية معاناة كبيرة أسوأ مما عانته المرأة العربية، وظُلمت إبّان الثورة الصناعية، وهي تُظلم وتُساء معاملتها من رؤسائها، وتُغتصب جهاراً نهاراً، لكن أكل «العظم والمصران» - على حد علمي - ليس في أوربا أيامنا هذه.

ويبدو من النص أنه يتحدث عن أوربا غير التي نعرفها اليوم؛ لأن التي نعرفها اليوم ليس فيها «عبيد». قد يكون فيها «خدم»، لكن استئجارهم واستخدامهم غالي التكلفة وتنظمه عقود وضوابط رادعة.

- مرة أخرى يستشهد الغَذَّامي برأي العقاد في المرأة، فالعقاد الذي رأيناه منذ قليل يصف المرأة أنها خلقت جميلة فقط لينظر إليها الرجال كما ينظرون إلى الفاكهة، ها هو ذا ينقلب رأساً على عقب فيراها ذميمة قبيحة جرياً وراء مجنون القوة وفيلسوف «السوبرمان» شوبنهور (1788- 1860م). ويضيف إلى ذلك تفضيله جمال الرجل على جمال المرأة، «ويقيس ذلك على عطل الإناث وروعة منظر الذكور في كثير من المخلوقات»(34). وإذا كان العقاد مطعوناً في شهادته عن المرأة، فإن إيراد كلام حول الموضوع نفسه للشيخ علي الطنطاوي قد يعني، في جانب منه، إعطاء مصداقية لكلام العقاد وشيخه شوبنهور. وعندما قابل الشيخ الطنطاوي بين الذكور والإناث من الحيوانات والبشر لم يكن قصده خبيثاً كذلك الذي قصده العقاد أو شوبنهور، وإنما كان قصده كسر حدة غرور بعض النساء بأنفسهن وذلك في أثناء رده - في برنامجه المشهور «نور وهداية» على التلفاز السعودي - على رسالة أحد المستمعين. إن مجاورة النصين تشير من بعيد إلى اتفاق الطنطاوي ومصادقته ضمناً على ما يقول كل من العقاد وشوبنهور. إلا أن استشهاد الغَذَّامي بالمعري على المرأة(35) يُعدّ استشهاداً غير موفق، لأن المعري - حاله حال العقاد - سيعطي شهادة مجروحة، علاوة على ذلك فإن المعري يسخر في شهادته من قاعدة فقهية حول منع كشف النساء الأجنبيات على الصبي الذي عمره عشر سنوات أو أكثر.

- الشهادات الثلاث التي تنقلها فاطمة الزهراء أزرويل عن نساء مغربيات يخرجن للشارع أول مرة(36) هي شهادات في تخلف المرأة العربية. ولست أرى أيه علاقة لها بالنص الأنثوي في مواجهة النص الفحل الذكوري. إلا إذا كان الغَذَّامي يريد أن يتجه إلى الكتابة عن الأوضاع الاجتماعية للمرأة في بدايات القرن العشرين. وقد سبق أن أوضحنا أن حالة التخلف التي تعيشها المرأة العربية اليوم مفروضة عليها منذ قرون مضت، ولو استمرت حالة المرأة العربية على ما كانت عليه - وكما أوضحنا استشهاداً بالشيخ الغزالي عن النساء في القرن السادس الهجري - لكنّا اليوم سادة الأمم، ولأراح الغَذَّامي نفسه من عناء البحث عن نص أنثوي. وفي حالة المغربيات الثلاث يفترض أن يتعلمن القراءة والكتابة أولاً، لأنه لا يُطلب من جاهلات أن يكتبن نصاً مؤنثاً أو مذكراً.

- صفحة 150 من كتاب الغَذَّامي بكاملها توضع تحت كلمة واحدة هي «عيب» - ولا أستطيع أن أنقل منها أي فقرة هنا -. صحيح أن رواد صالون مي زيادة من الرجال الذين يذكرهم الغَذَّامي كانوا معجبين بها، لكن لا تجوز المبالغة في هذا الإعجاب. فلهؤلاء الرجال باع طويل في إثراء ثقافة الأمة - بما فيهم العقاد الذي أختلف معه حول رأيه في المرأة -، والمداومة على القول إنهم فقط كانوا يشببون بمي زيادة وجسدها، فهذا أمر يخرج بالبحث العلمي عن نطاقه. وهذه الفقرة من الكتاب «تأنيث المكان» سبق نشرها في مجلة «العربي» الكويتية(37). وحين قرأتها انزعجت من تناول الغَذَّامي لصالون مي زيادة بهذه الصورة. وتصورت أن الغَذَّامي عبّر عن رأيه بهذا الشكل في مقالة في مجلة ومضى الجميع إلى حال سبيلهم. ولكن إعادة نشرها في كتاب «المرأة واللغة» صدمني ثانية. ففحول الكتابة في عصرهم: صبري والرافعي والعقاد وشكري في صالون مي «يتغذون عشقاً، لا حبّاً، وهم هناك يبحثون عن شيء غير الثقافة وغير العقل»(38).

- صحيح أن دي. إتش. لورانس (1885-1930م) قد كتب ما أراد بحرية بالغة، لأنه رجل كما يقول الغَذَّامي مؤيداً أليسا أوستريايكار. ولكن هل علم ما فعل القضاء الإنجليزي بقصة عشيق الليدي تشاترلي Lady Chatterley's Lover التي ظهرت سنة 1928م؟ لقد مُنعت بأمر قضائي، ثم سُمح بنسخة معدلة منها أن تظهر سنة 1960م(39). كذلك صودرت نسخ عوليس Ulysses لجيمس جويس (1882-1941م) أكثر من مرة، وكذلك قصص هنري ميللر (1891-1980م). لذا فإنه من غير الصحيح أنه كان متروكاً لهؤلاء الكتّاب - حتى مع ذكوريتهم وفحولتهم اللغوية - أن يكتبوا ما يشاؤون دون رادع ودون رقيب أخلاقي عام. الرقابة هناك ليست وظيفة. إنها إحساس عام بالحرص على المصلحة العامة، نجدها لدى الصغير والكبير، لدى المرأة والرجل على حد سواء.

- ما يقتطفه الغَذَّامي من خيرالدين نعمان بن أبي الثناء في كتابه «الإصابة في منع النساء من الكتابة» يصور حالة التخلف التي وصلت إليها نظرة الأمة العربية للمرأة - في حقبة سابقة - فمن مرحلة أستاذات الحديث في جوامع بغداد والقاهرة إلى «الإصابة في منع النساء من الكتابة» هوة سحيقة. لذا فإن خيرالدين بن أبي الثناء - في نظري - مجرد مختلّ عاطفياً، وما قدمه لنا يعد خطلاً وتخريفاً لا يمكن القبول به. يقول خيرالدين: «أما تعليم النساء القراءة والكتابة فأعوذ بالله، إذ لا أرى شيئاً أضر منه بهن، فإنهن لما كنّ مجبولات على الغدر، كان حصولهن على هذه الملكة من أعظم وسائل الشر والفساد، وأما الكتابة فأول ما تقدر على تأليف الكلام بها، فإنه يكون رسالة إلى زيد ورقعة إلى عمرو، وبيتاً من الشعر إلى عزب، وشيئاً آخر إلى رجل آخر، فمثل النساء والكتب والكتابة، كمثل شرير سفيه تهدي إليه سيفاً، أو سكّير تعطيه زجاجة خمر، فاللبيب من الرجال من ترك زوجته في حالة من الجهل والعمى فهو أصلح لهن وأنفع»(40).

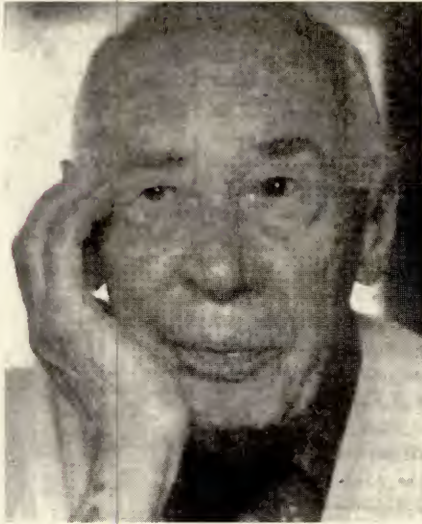
وكتاب الغَذَّامي يرمي إلى تثوير سلوك المرأة لا تثوير لغتها فقط. وهو يتخذ من تثوير السلوك مقدمة طبيعية لأن تقوم ثورة لغوية أنثوية. وفي ذلك يستشهد بباحثة البادية التي تقول: «إذا أمَرَنا الرجل أن نحتجب احتجبنا، وإذا صاح الآن يطلب سفورنا أسفرنا، وإذا أراد

تعليمنا تعلمنا، فهل هو حسن النية في كل ما يطلب منا ولأجلنا، أم هو يريد بنا شرًا..»(41). إن جميع من يرجع إليهم الغَذّامي - تقريبًا - شواذ في نظرتهم إلى الجنس الآخر. وكما أسلفنا فإن نظرة العقاد والمعري وفرويد آراء مجروحة. وها نحن أولاء نرى باحثة البادية وقد أصابها الاكتئاب وانتهى بها الأمر إلى الجنون! فماذا عساها أن تقول عن الرجال، وقد كان زوجها واحدًا منهم، وبسببه جُنّت وفقدت صوابها؟ والدليل على ذهاب عقل باحثة البادية أنها تخلط بين ما يقول الرجل وما يقول الشرع. فالحجاب والسفور أمران مصدرهما الفقه الإسلامي وليس الرجل المسلم فقط. وتستمر موجة التثوير هذه عند تناول حالة ميّ زيادة التي ينصحها أصدقاؤها بأن تبتعد من العلم، حيث إنه «ضد الأنوثة والجمال»(42). وهذه نصيحة خاطئة ولابد أنها أتت من أحد الشواذ أو المختلين عاطفيًا. وتصل موجة التثوير ذروتها في حالة هدى بركات التي ترى أن «شخصية الرجل تقدم لها حقلاً أكثر اتساعًا وتعقيدًا مما تقدمه شخصية المرأة»(43). المطلوب إذن هو تبديل غير كامل للأدوار؛ فالمرأة تصبح رجلاً، لكن الرجل يظل رجلاً. وتلك هي الفوضى بعينها اجتماعيًا ولغويًا. ويعد الغَذّامي مجلة الكاتب اللندنية بوقًا معبّرًا عن «استرجال المرأة وتعميق دور المرأة في تذكير اللغة»(44)، وإن تسترت تلك الدعوة للتثوير تحت شعارات «أنسنة اللغة»، أو «الأدب النسائي»، أو «الكتابة الإنسانية». إلا أن الغَذّامي يدرك تمامًا أن كل تلك المحاولات لتثوير لغة الأنثى هي محاولات خاسرة وصبيانية في معظمها، لذا نراه في خلاصته للفصل الثاني، يقدم زبدة مداخلاته مركزًا على أن اللغة الأنثوية والنص النسوي لن يتحققا بمحاولات الاسترجال، ولكن من خلال نص إبداعي تصنعه الأنثى، يحمل سماتها وبصماتها. يقول الغَذّامي: «إن طريق المرأة إلى موقع لغوي لن يكون إلا عبر المحاولة الواعية نحو تأسيس قيمة إبداعية للأنوثة تضارع الفحولة وتنافسها، وتكون عبر كتابة تحمل سمات الأنثوية وتقدمها في النص اللغوي لا على أنها (استرجال)، وإنما بوصفها قيمة إبداعية تجعل (الأنوثة) مصطلحًا إبداعيًا مثلما هو مصطلح (الفحولة)..»(45).

ولذا نجده يفرح كثيرًا بـ «ألف ليلة وليلة» ويحتفل بها لأنها حققت تصوره في أن تكون للمرأة لغتها بالوصف الأكاديمي الذي اقتطفناه للتو، وهو يرى أن شهرزاد مثلت تحولاً نوعيًا في الكتابة دون أن تكون هناك ثورة. ويعلن الغَذّامي انتصار ثورة/ تحول شهرزاد بقوله: «ومن ثم صار للمرأة لغة، وقد كانت من قبل خرساء بكماء تواجه موتها بصمت واستسلام»(46). ولقد كانت شهرزاد انتصارًا لغويًا أنثويًا بكل المقاييس التي يضعها الغَذّامي، وكذا بمقاييس اللغة التي تختلف عن لغة الرجل (الفحل)، إلا أن ذلك الفصل كان واحدًا في حدوثه، وكان وحيدًا في زمانه. ولم يأت بعد شهرزاد أيّ انتصار ثان أو ثالث. ولعلنا لا نثقل كاهل القارئ بالقول: إن الظرف الذي أوجد شهرزاد كان ظرف رقيّ حضاري ونضج ثقافيّ لم يتكرر في الأرض العربية إلى اليوم. لم يكن الانتصار للغة المرأة وثقافتها فقط - كما ظهرتا على لسان تودد وشهرزاد - ميزة ذلك العصر. لكن الانتصارات كانت تتوالى في كل مجالات الفكر والثقافة والفلسفة والعلوم والآداب والتأليف والترجمة والنشر التي نتمنى أن يعود ولو أقل القليل منها.

وعلى الترابط الشديد بين فصول كتاب الغَذّامي، وعلى وجود الوحدة العضوية لكل فصل على حدة، وللكتاب ككل، إلا أننا نجده يقع في تناقض مع نفسه ومع أحكامه التي يكون قد سعد بها وفرح لتوه. وقد نقول إن هذا ليس تناقضًا وإنما هو حكم مبعثه عدم الرضا عن التطور اللغوي الذي يتطلع إليه الغَذّامي ويطمح. ومثال ذلك ما يلي:

1- مثلت «تودد» انتصارًا لغويًا أنثويًا احتفل به الغَذّامي، حيث يقول: «وكما أن الحكاية اتخذت شخصية الجارية قناعًا ترتديه وتورية تتوسل بها إلى توظيف فعلها المجازي، فإنها - أيضًا - تتضمن مرافعة ثقافية من أجل تطهير التصور الاجتماعي عن (الجواري)، وهو تصور سلبي يجعل الجارية جسدًا إمتاعيًا خُلق لإمتاع الرجال، وصُمم اجتماعيًا من أجل هذه الغاية»(47). بعد ذلك نجده يصدر حكمًا ختاميًا على «تودد» وإسهامها اللغوي. وهذا الحكم ينقض جميع ما سبق قوله حولها: «ولم يظهر في فعلها كله - على الرغم من الحس الطاغي بالتحدي - أي تحد إبداعي يمكن أن يُنسب إلى لغة المرأة وإبداعاتها، أو يوصف بأنه خروج على الثقافة الذكورية ولغة الفحل»(48). ويستمر هذا التناقض أو النقض ليقول إن تودد ظهرت في الحكاية على أنها «رأس مال استثماري لسيدها... وهذا يعني أن ثقافة المرأة ليست لها ولكنها لما تزل لسيدها أي للرجل»(49). إلا أنه يعود مرة أخرى إلى حكمه الأول حول الإسهام اللغوي للجارية تودد، فيبدي إعجابه به ورضاه التام عنه. فبعد مباراة تودد مع لاعب النرد الذي خرج - بعد هزيمته - يرطن بالإفرنجية وتخلى عن العربية، يقول الغَذّامي معلقًا: «وهذا يمثل استلابًا لأخطر ما في الفحولة وهو اللغة، حيث أصيبت الرجولة في الصميم وفقدت لغتها وأصبحت عاجزة، فهي فحولة مخصية، إذ تم استئصال عضوها الأهم وهو سلطان التعبير والاتصال ولسان التحدي»(50).



هنري ميللر

2- وإذا كان الغَذّامي قد انقلب على تودد وشهرزاد، فإنه على إعجابه بإنجاز مهرجان القيس اللغوي، ينقلب على إنجاز المرأة في هذا المهرجان أيضًا حيث يقول: «اصطنعت مدينتها وابتكرت حلمها ولكنها عمرت كل ذلك بثقافة الرجل، ولم تبتكر لغتها الخاصة، ولم تنتج ثقافتها الخاصة، مما يعني - عمليًا - أن المرأة تعيد إنتاج لغة الرجل، وهي بهذا تقوّي حكومة الرجال على الثقافة، وعلى المرأة ذاتها»(51).

3- وإذا كان الغَذّامي غير راض عن تجارب النص الأنثوي عند شهرزاد وتودد، وأثبت إخفاقه عند ميّ زيادة وملك حفني ناصف، وكذلك إخفاقه في مهرجان القيس، فإنه يرى أن قصة واحدة لأحلام مستغانمي قد حلت هذه المشكلة العضال، وها هو ذا يشيد باكتشافه لهذا الحل الشامل الجامع المانع: «هي اللغة حين تسترد أنوثتها فتُحدث في عالم الرجل نوعًا من الخراب الجميل... تحتاج اللغة إلى امرأة تناضل من أجل أنوثة النص، وأنوثة قلم الكاتبة، لكي ترد اللغة إلى أصلها الأول وتسعى حقًا إلى تأنيث المؤنث. وهذه هي رسالة رواية (ذاكرة الجسد) وهي وعيها النصوصي الصريح والمعلن»(52). وفي ثمرة فرحته بنص أحلام مستغانمي يعلن الغَذّامي النصر على النص الذكوري ونهاية امبراطورية الرجل، فيقول: «سيتهاوى الرجل من علياء فحولته ومن أبوته للغة إلى حضيض الواقع التاريخي الذي فاجأته فبتر يده وكشف له عن أبوة مزورة، فأسقط امبراطوريته اللغوية، وحوله إلى رجل من ورق، وأخرجه من أسطورته؛ لأن المرأة حينما كتبت عنه فإنها فعلت ذلك لكي تنتهي منه ومن فحولته المزوّرة»(53). ويختم ذلك البيان المظفر بقوله: «وتسنى للأنثى أن تكون فاعلة

الغذامي وتثوير اللغة

قراءة في كتاب «المرأة واللغة»

2



الشيخ علي الطنطاوي

في اللغة، وأن تكون ذاتًا نصوصية تؤلف وتصنع وتكتب وتبادل الرجل لغة بلغة وانكتابية بانكتابية»(54). ولست أظن قصة واحدة تفعل هذا كله في لغة عمرها آلاف السنين. وإذا كان الغَذَّامي قد أثبت يقينًا أن اللغة العربية ذكورية، وأن ذاكرتها - وهذا هو الأهم - هي ذاكرة الفحل/ الرجل، فإننا نتعجب أن تقوم قصة واحدة لأحلام مستغانمي بقلب كل تلك الموازين رأسًا على عقب. وعليه فلو كتبت مستغانمي قصة أخرى بالفرنسية فإنها ستقلب موازين اللغة الفرنسية التي هي ذكورية أيضًا، ولو كتبت مستغانمي بالإنجليزية فهي ستقلب موازين اللغة الإنجليزية، وهكذا دواليك. وليسمح لي الأستاذ الدكتور الغَذَّامي أن أقول له إنه يقع - بهذا - في الخطأ الذي أخذه على رواد صالون ميّ زيادة نفسه من أنهم «تملَّقوا عقلها وثقافتها»(55). فالغَذَّامي يتملق عقل مستغانمي وثقافتها، ويصل بها إلى عنان السماء في انتصار لغوي بسيط، لكنه لا يصل أبدًا إلى حد تثوير اللغة العربية بهذا الشكل.

4- وعلى الرغم من ذلك الفرح المنقطع النظير بأحلام مستغانمي فإنه سرعان ما ينقلب عليها بشكل قطعي، مع أنها توصلت إلى الحل الذي أخفقت فيه جميع الكاتبات الأخريات. ويضع مستغانمي في مكان واحد مع تودد التي لم تتمكن من كسر طوق الفحولة/ الرجولة المفروض على اللغة. وهذا يمثل انتكاسه للنص المؤنث وتناقضًا خطيرًا في حكم الغَذَّامي على أحلام مستغانمي. يقول الغَذَّامي: «ولكنها مثل (تودد) حينما امتلكت حريتها وخلاصها راحت تقرر الخضوع لنداء ذاكرة الجسد، وتسلم نفسها لولي أمرها يفعل بها ما يشاء، وتختار العبودية والعودة إلى الطاعة والانصياع. وينتهي بذلك النص نهاية مذكرة»(56).

ويتبنى الغَذَّامي في تناوله موضوع المرأة واللغة مذهبًا نقديًا، كان قد تعداه إلى مذاهب أخرى في كتابات سابقة لهذا الكتاب. وهي أكثر حداثة ومعاصرة. وهو هنا يتبنى النظرية البنوية، وخصوصًا وجهة نظر ليفي شتراوس التي تُبنى على «منطق المجسدات»، حيث «يرمي إلى استقصاء منطق خاص مبسط من الظواهر التي يبدو أنها منفصلة؛ فالتعارض رابطة مثل التماثل، والتناقض رابطة لأنه يعني نفي النقيض، فالجهل والعلم مرتبطان بالنفي (تناقض)، والأبيض والأسود مترابطان بالتقابل (التضاد) وهكذا. ومن ثم كان «منطق المجسدات» وثيق الصلة بعلم العلامات أو السميوطيقا»(57). وبذا يعود الغَذَّامي - نقديًا - إلى الستينيات وإلى فرديناند دي سوسير (1857-1913م) الذي كان له أثر بارز في مدرسة شتراوس. ومثال ذلك:

أ - عند تناوله الإسهام اللغوي للجارية تودد، فإنه يؤطره في ثنائية ضدية على النحو التالي: «ثقافة جسد في مقابل ثقافة العقل.. وهي ثقافة جارية في مقابل ثقافة السيدة، وهي ثقافة كتاب في مقابل ثقافة الإبداع»(58).

ب - في موضع آخر يتناول تودد في الإطار البنوي نفسه وهو الثنائية الضدية: «هو يبيعها وهي تشتريه. هو يرخصها وهي تغليه. هو يفرط بها، وهي تتمسك به. هو يطلقها وهي تعود إليه. هو يجهل قدرها وهي تعلي من قدره»(59).

ج - وتتكرر الثنائية نفسها عند تناوله مهرجان القيس فيقول: «تبدع المرأة نفسها كرجل، وتكتب المرأة ذاتها كرجل، وتخترع لغتها ولكن حسب معجم الذكور»(60). وأخرى في الصفحة التالية، حيث يقول: «وهنا يتأسس صراع ما بين خيال المرأة وحلمها من جهة وما بين الحقيقة والواقع من جهة ثانية، ونتيجته هي أن ظهور الرجل يعني إلغاء المرأة»(61).

4- يتم توظيف الثنائية نفسها عند تناوله لغة أحلام مستغانمي فيقول: «إنها لغة بوجهين، دال ومدلول، محكي ومكتوب، شعري وسردي، وهي أحلام المؤلفة وأحلام البطلة. هي المحرم والمقدس»(62). ويستطرد في الثنائية نفسها في تناوله إنجاز مستغانمي، حيث يقول: «تدخل في لعبة لا يعلم الرجل منها من القط ومَن الفأر. وتلعب أشرس أنواع السخرية والمفارقة، حين تجعل الفحل يشتمها حينًا ويتمسكن إليها حينًا. يكرهها حينًا ويحبها حينًا. يكون أبًا حينًا ومزورًا حينًا. يكون شهيدًا وخائنًا، حيوانًا وإنسانًا، طاهرًا ومدنسًا»(63).

وكتاب «المرأة واللغة» لا يخصص فصلاً للخاتمة أو الخلاصة، إلا أن كل فصل له خاتمته/ خلاصته التي تأتي في نهاية ذلك الفصل. وإلى ذلك فإن الكتاب يخلص إلى أن مؤلفه يائس من تثوير اللغة، ويؤكد سيادة الفحل الجاهلي حتى في أيامنا هذه(64). ويتكرر اليأس نفسه من مسعى التثوير، لأن ذلك يستدعي تأنيث الذاكرة، وهذا يتطلب آلافًا من السنين فيها الكثير من الجهد اللغوي الدؤوب حتى يتحقق ذلك(65) وهو في تناوله تجربة منيرة الغدير يخلص إلى استحالة تأنيث الذاكرة رغم تفجيرها(66).

وكما قلنا في مقدمة هذه الدراسة، فإن «المرأة واللغة» محاولة جادة للبحث عن نص أنثوي يجب أن تستمر. ويجب ألاّ يكون يأس الغَذَّامي - ظاهريًا - هنا أو هناك باعثًا على القنوط أو التقاعس عن البحث. وإذا كان الغَذَّامي ينهي دراسته بأمل أن يستمر في البحث عن النص الأنثوي في الشعر، فإن هذا التوجه وجد صداه في اللغة الإنجليزية. فقد جمعت سيرا ميلز في كتابها «اللغة والمؤنث» (1995م) أعمال مؤتمر خصص أعماله لمناقشة اللغة والمؤنث/ اللغة والمرأة. وضم في جنباته خمس عشرة ورقة بحث تدور كلها حول سمات اللغة الأنثوية في النصوص الإنجليزية(67). ولا دخل لها بإنتاج الرجل الأدبي. وإذا كانت «ألف ليلة وليلة» مجهولة المؤلف، فإن جميع أوراق سيرا ميلز تتناول نصوصًا كتبتها نساء. لذا فإن الغَذَّامي في كتاب «المرأة واللغة» يعدّ عالميًا في تناوله هذا الموضوع. ذلك أنه يتجاوب مع قضايا على درجة كبيرة من الحيوية خارج حدود العربية. وهذا أمر متوقع من باحث وكاتب مبدع مثل الأستاذ الدكتور عبدالله الغَذَّامي.

الهوامش:

27-36- الغذامي، المرأة واللغة، ص29، 29، 30، 34، 125، 36، 37، 40، 42، 133، 134.

37- عدد 435 شباط/ فبراير 1995م.

38- المرأة واللغة، ص155.

39- George Samsin, The Concise Camridge History of English Literature (Cambridge University Press, 3 rd edn, 1975), p.875.

40-56- المرأة واللغة، ص ص111-112، 45، 47، 49، 50، 55، 71، 100، 104، 105، 109، 124، 183، 190، 191، 155، 206.

57- د. محمد عناني، «المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم إنجليزي عربي» (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، سلسلة أدبيات، 1996م)، ص102.

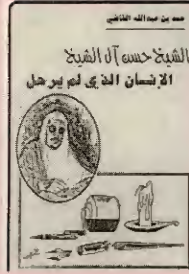
58-66- المرأة واللغة، ص95، 108، 121، 122، 196، 199، 203، 207، 221.

67-Sara Mills, ed., Language and Gender: Interdisciplinary Perspectives (Penguin, 1995).

ترجمت عنوان الكتاب «اللغة والمؤنث» مع علمي أن كل كلمة gender تعني الجنسين المذكر والمؤنث، إلا أن جميع الأوراق التي في هذا الكتاب تدور حول المرأة الكاتبة، أي الكتابة المؤنثة، لذا وجدت أن ترجمة عنوان الكتاب «اللغة والمؤنث» أوفق من «اللغة والجنس»، ففي العنوان الأخير الكثير من ظلال المعاني التي تثير شكوك بعضهم فيما نحن بصدده.

العنوان: الشيخ حسن آل الشيخ: الإنسان الذي لم يرحل.
المؤلف: حمد بن عبدالله القاضي.
الناشر: المؤلف نفسه، ط1، 1418هـ، 128ص.


حمد القاضي



غلاف الكتاب

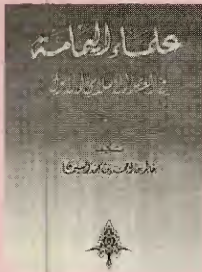
هذا الكتاب مما قد يُصَنَّف في نطاق الإخوانيات، التي تكشف وقائع العلاقات الشخصية، ومستوياتها، ودرجة حرارتها، وتوضح ما هو غير معلوم للقارئ العادي من طبائع وخصال مَيَّزت شخصيات عامة. وهي أمور لا يمكن تعرُّفها - في أحيان كثيرة - بغير الاحتكاك المباشر والتعامل اللصيق. وهذا ما يشير إليه حمد القاضي، عندما يضيف إلى مكارم الأخلاق والخصال الحميدة التي اتسم بها الشيخ حسن آل الشيخ - رحمه الله، ما لمسه هو من قريب - من خلال الصلة الوثيقة للشيخ حسن بالمجلة العربية، التي يرأس تحريرها حمد القاضي - من صفات أخرى جليلة تحلَّى بها، ونبل وسعة صدر في ممارساته وأداء واجباته الرسمية والاجتماعية.

والكتاب، كما يصفه المؤلف «تعبير عن الوفاء»، وهو وإن يك قد خصص بعض الصفحات للحديث عن العلاقة الشخصية بينه وبين الفقيد؛ إلا أن الوفاء ورد الجميل يتجاوزان ما له صلة بالذات إلى ما هو عام.. فالوفاء لرجل من رجالات الوطن «قضى حياته في خدمة عقيدته الإسلامية وقيادته وبلده وأبناء وطنه». ومما يجلي هذا البعد العام والحميم في شخصية الفقيد، وأورده المؤلف في كتابه تلك الكلمات البليغة المؤثرة التي نعى بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - يحفظه الله - الشيخ حسن (1407/5/17هـ)، فقد جاء في تعزيته: «لقد وجدته من خيرة الرجال الذين خدموا دينهم ووطنهم على أحسن وجه، وإنني إذ أعزيكم في وفاته فإنما أعزي نفسي فيه».

لقد عكس الكتاب بمضمونه وأقسامه الخمسة العنوان الذي أوجز فيه المؤلف سيرة الشيخ حسن «الإنسان الذي لم يرحل». فموضوع القسم الأول هو: الراحل إنسانًا، وتضمن عناوين عديدة: «سيرة ذاتية، رحيل الشيخ، حياته والأهداف النبيلة، بعض شيمه، رجل الخير والوفاء، ذلك هو السر، الشيخ ومواقف لا تُنسى». وموضوع القسم الثاني: الراحل مسؤولاً، ويشتمل على عناوين: «الراحل ومسيرة التعليم، الشيخ حسن وخدمة تاريخنا، الراحل والمجلة العربية، الشيخ والعمل الإسلامي». والقسم الثالث: الراحل كاتبًا، وجاء تحت هذا العنوان: «مؤلفاته، ثقافته، الراحل وهمّ الكتابة». وتضمن القسم الرابع: «نماذج من عطاءات الفقيد». أما القسم الخامس الذي جاء بعنوان «دموع على الفقيد»؛ فقد اشتمل على كلمات مؤثرة قيلت في الشيخ - يرحمه الله. كما تضمن الكتاب بعض صور الفقيد في مراحل مختلفة من حياته، إضافة إلى نماذج من رسائل كتبها في مناسبات مختلفة.

ومما جاء متوافقًا مع موضوع الكتاب، والهدف الذي أُعِدَّ من أجله (الوفاء)، أن المؤلف خصص ريع الكتاب لصالح حساب الأيتام المسلمين في هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

العنوان: علماء اليمامة في العصر الإسلامي الأول.
المؤلف: خالد بن أحمد بن محمّد السليمان.
الناشر: دار طيبة، الرياض، ط1، 1416هـ، 241ص.



غلاف الكتاب

الكتاب يتحدث عن سيرة علماء اليمامة في العصر الإسلامي الأول، وقد ضم بين دفتيه أربعة وأربعين ومئة عالم أتت أسماؤهم مرتبة من الألف إلى الياء. أما منهج الباحث فيه فقد استهله بمقدمة ذكر فيها أن منطقة اليمامة لم تجد العناية الكاملة من المؤرخين والعلماء والدارسين، وكانت الشهرة العظيمة لمكة المكرمة والمدينة المنورة في العلم والفقه والدراسات الإسلامية.

وقد حاق هذا الإهمال بأعلام اليمامة ومُحَدِّثيها وفقهائها وأدبائها؛ لذا جاء هذا الكتاب ليُبرهن أن هذه المنطقة حافلة بالعلم ودراسة الحديث والفقه وعلوم الرواية والإسناد، وأنها تُضاهي حواضر الثقافة والفكر في العالم الإسلامي. وقد أبدى تقديرًا واضحًا لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني لذكره الكثير من التراجم والحقائق والمعلومات عن علماء اليمامة من الصحابة والتابعين في كتابه «تهذيب

التهذيب». وكذلك فقد عدّ كتاب الإمام الفسوي يعقوب بن سفيان «المعرفة والتاريخ» مصدرًا أساسيًا للحياة العلمية والثقافية في اليمامة. ثم سار المؤلف في كتابه هذا عارضًا سيرة العلماء الأربعة والأربعين والمئة ذاكرًا جهودهم ورواياتهم، ومَن رووا عنهم. وفي بعض الأحيان يقف على مؤلفاتهم ويعرض ميادينها والعلوم التي تناولتها. وكثيرًا ما يسوق تضمينًا لأقوالهم عن أنفسهم وعن الآخرين، وربما يذكر كذلك ما قاله العلماء الآخرون عنهم. وقد تبيّن للباحث أن معظم جهود هؤلاء العلماء هي في علم الحديث الشريف وفي روايته.

ولكن الملاحظ على منهج هذا الكتاب الذي يتحدّث عن علماء اليمامة أنه قد أغفل سنوات ميلاد ووفاة هؤلاء العلماء، وكذلك كانت مؤلفاتهم وجهودهم غائبة ولم يركز عليها ولم يولها اهتمامًا، وهذا منهجٌ يحتاج إلى نظر من المؤلف. كذلك لم يذكر آثارهم الأخرى في اللغة والأدب وغيرها، ولم يتوخ الدقة في ترتيب الأسماء وفق الترتيب الهجائي المطَّرد؛ فقد اختل ترتيبُ الحروف في الزاي حيثُ أورده قبل الرّاء، ثم جاءت الطاء والفاء والقاف وأعقبها بالسين ثُمَّ الضاد والعين. وهذا أمرٌ لا يحتاج إلى كبير عناء، وفي ترتيبه على النّسق المعلوم وجهٌ حسنٌ.

أما الكتاب في جملته فإنه حافل بسيرة هؤلاء العلماء، ويعين الناظر فيه على الإلمام بدقيق جهودهم وسيرتهم، ولغته سهلة، ومراجعه التي استقى منها مراجع طيّبة جليلة.



غلاف الكتاب

العنوان: قصيدة وشاعر: قصيدة الصحابي عبدالله بن سَبْرة الجرشي التي رثى بها يده.
المؤلف: د. محمود عبدالله أبو الخير.
الناشر: نادي أبها الأدبي، ط1، 99ص.

الكتاب

دراسة فنية ونقدية لحياة شاعر صحابي مجاهد فارس، ضنّت المصادر التاريخية بأخبار مفصّلة عن حياته، ولم تَجُدْ إلا بنزر يسير منها. والقصيدة موضوع الدراسة هي القصيدة العينية التي رثى بها الشاعر عبدالله بن سَبْرة يده المقطوعة، أو المقطوع جزءًا منها في مبارزة جرت بينه وبين أرطبون الروم ـ الذي كان ـ بدوره ـ فارسًا شجاعًا مقدامًا ـ سنة خمس عشرة للهجرة بعد فتح المقدس، وقد اختلفا ضربتين خرّ على إثرهما الأرطبون صريعًا مضرجًا بدمائه مقتولاً.

يقع الكتاب في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. وقد أوضح المؤلف في المقدمة أن في الأدب العربي نصوصًا متميزة متفردة جديرة بأن يقف الباحثون عندها وقفات متأنية متبصرة.

وقد عقد الفصل الأول للحديث عن حياة الشاعر، فألقى أضواء عليها، وتناول صفاته محاولاً إبراز أهم الملامح الشخصية للشاعر من خلقية ونفسية وفنية. وتحدث عن شعره، وذكر أن كثيرًا منه فُقِدَ مع ما فُقد من الشعر العربي. وأشار بصفة خاصة إلى ضياع كثير من شعر الفتوح الإسلامية.

أما الفصل الثاني فقد أفاض القول فيه على القصيدة العينية، فتناول أولاً مصادرها ومظانّها. كما أشار إلى أن الأدباء المعاصرين اهتموا بهذه القصيدة. وتحدث عمّا قيل حول نسبة القصيدة إلى الجرشي. ثم تناول جوّ القصيدة المكاني والزماني، وساق نص القصيدة كاملة محققة ذاكرًا الخلاف في الروايات في حواشي الكتاب.

وأضاء في الفصل الثالث الأبعاد الفكرية للقصيدة، فذكر أنها تتيح لقارئها وقتًا حافلاً بالمتعة الروحية والفكرية، وتهيّئ له التحليق في آفاق الفن الشعري العابق بأريج الإيمان. ثم أدار القول على ما فيها من توثب الروح المعنوية، وتناول ما فيها من روح الإنصاف بوصفها سمة من سمات الفرسان منذ الجاهلية، كما أشار إلى البعد الواقعي للقصيدة. وختم هذا الفصل بالوصف الدقيق للمبارزة، وسلط الضوء على نهايتها، وساق الشواهد على ذلك.

وفي الفصل الرابع أشار إلى التجربة الشعرية، التي أوضح فيها مظاهر الوحدة الموضوعية والنفسية للقصيدة، ومعالم روحها القصصية المتجسدة في السرد ورسم الشخصيات والحوار. ثم سلط الأضواء على الجانب التصويري فيها. وعرّج على ما تكتنزه القصيدة من ظواهر لغوية وأسلوبية، وتوقف عند الإطار الموسيقي لها، مبرزًا أهمية الوزن والقافية والمدود والقوافي الداخلية.

وفي الخاتمة جذب الأنظار إلى شعر الفتوح الإسلامية بوصفه شعرًا جديرًا بالجمع والتحقيق والدرس العلمي المستوعب الشامل، لتصحيح الأحكام الأدبية والنقدية التي شاعت لدى كثير من الدارسين حول شعر صدر الإسلام التي تصفه بالضعف حينًا والقلّة أحيانًا.

رحلة كتابة ترسو على ضفاف المسرح



صلاح عبدالسيد

سأحاول الرجوع في الزمان كثيرًا.. ربما لأكثر من نصف قرن؛ لأطل على تلك الحياة. حياتي في ذلك الزمن البعيد، حيث ولدت في قرية الحوراني - مركز فارسكور - محافظة دمياط في 1939/6/2م إبان الحرب العالمية الثانية لأب يعمل في مدرسة القرية الإلزامية، ولأمٍّ حفظت القرآن في كتّاب القرية. كنت الابن الثالث - توفي الابن الثاني صغيرًا - لهذه الأسرة التي أنجبت سبعة من الذرية: ثلاثة ذكور أنا أكبرهم، وأربع إناث. ولأن أبي كان مدرسًا في مدرسة القرية الإلزامية، فقد دخلت إليها مبكرًا، وقبل سنة الإلزام بعام. لم أدخل إليها بصفة رسمية؛ بل كنت أتلقى العلم بها، وساعة توزيع الطعام أنصرف.

بعد المدرسة الإلزامية انتقلت إلى المدرسة الابتدائية بالمركز (فارسكور)؛ حيث كنت أركب كل صباح قطارًا متهالكًا إلى المدرسة، وأعود به آخر النهار. ثم انتقلت إلى المدرسة الثانوية بالمركز نفسه، وبعدها كان المجيء إلى القاهرة.

فبعد أن حصلت على الثانوية العامة (القسم الأدبي) من مدرسة فارسكور الثانوية سنة 1958م، تقدمت بأوراقي إلى كلية التجارة جامعة القاهرة. ولأن موهبتي الأدبية كانت قد تفجرت خلال دراستي الثانوية - تفجرت فيَّ ملكة الشعر - فقد تعثَّرتُ طويلاً في دراستي بكلية التجارة.. ذلك أنني اكتشفت دنيا أخرى في القاهرة. اكتشفت دار الكتب (الموجودة بباب الخلق)، كما اكتشفت مسارح القاهرة، وأصبح همي أن أذهب إلى دار الكتب في الصباح؛ أقرأ وأفتش عن دواوين الشعر، وأنسخها. ذلك أنني لم أكن أقدر في ذلك الوقت على شراء أغلب دواوين الشعر. وفي المساء أتجول في مسارح القاهرة؛ أختار المسرح الملائم لي. وكثيرًا ما عدت إلى حجرتي التي أقيم فيها ماشيًا آخر الليل لأنني لم أكن أملك ما يسدّ أجر السيارة.

وفي دار الكتب عرفت العديد من الشعراء: المتنبي، وشوقي، وحافظ، والبارودي، وإيليا أبو ماضي، وميخائيل نعيمه، وجبران، ونازك الملائكة، وعبدالرحمن الشرقاوي، وفدوى طوقان، وصلاح عبدالصبور، وأحمد عبدالمعطي حجازي... وغيرهم.

كوكبة من الشعراء همْتُ بهم وحفظت أشعارهم.. وكتبت في ذلك التاريخ أشعاري أنا الآخر.

كتبت الشعر بنوعيه الفصيح والعامي. ومازال لديّ إلى الآن ديوان بالعامية المصرية باسم «حبّة كلام» كتب له المقدمة الفنان الشعبي الراحل زكريا الحجاوي يتوقع لي فيه مستقبلاً شعريًا عريضًا (هذا الديوان لم يطبع).

وفي غمرة هذه الحمَّى الشعرية نسيت دراستي في كلية التجارة. ذلك أن المواد الدراسية مثل المحاسبة والرياضيات والتكاليف كانت مواد جافة لا تروق لشاعر. وهكذا تعثرت في دراستي بكلية التجارة مدة طالت إلى تسع سنوات.

لكن أبي من ورائي كان يحاول بكل قوته دفعي للانتهاء من دراستي بكلية التجارة والحصول على البكالوريوس، إلى أن تمكن بالصبر والمثابرة والإيمان من دفعي إلى الشاطئ الآخر، فحصلت على بكالوريوس التجارة شعبة إدارة الأعمال سنة 1966م.

كانت بطولة من أبي أن يثابر على دفعي دون كلل أو ملل، ودون أن يوبخني أو يجرح كبريائي أو يجعلني أحس بالإحباط.

وعندما تخرجت في كلية التجارة كان همي أن أعمل بالقاهرة؛ حيث دار الكتب والمسارح. وكان أول تعيين لي في مكتب الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية في عابدين، وقد ظللت بهذا المكتب من أكتوبر/ تشرين الأول 1966م إلى سنة 1974م، وبعدها انتقلت للعمل بإدارة الآداب بوزارة الثقافة ومازلت أعمل بها إلى الآن.

بعد تخرجي في كلية التجارة وعملي بالقاهرة، انفسح المجال أمامي للاستزادة من مناهل الثقافة المتنوعة وإن ظللت أكتب الشعر وأحلم في تلك المرحلة.

ثم جاءت هزيمة يونيو/ حزيران 1967م.. هكذا فجأة وبلا مقدمات، فأطاحت بكل الأشياء الراسخة وبكل القيم الثابتة.

كنت وجيلي في عنان السماء حين جاءت هزيمة 1967م لتسقطنا من عل، وتمرغ

رؤوسنا في التراب..

كان الجرح مؤلمًا وكبيرًا، وكان داميًا..

لم نكن نصدق..

وظللت في ذهول مدة عام..

انقلب كل شيء رأسا على عقب.

لقد تغيرت الحياة، وكان لابد أن أتغير أنا الآخر؛ فوجدتني أترك كتابة الشعر، لأكتب القصة القصيرة.

وكانت أول قصة كتبتها عن غياب الحرية عام 1968م وكان اسمها «الشيء الذي يأتي متأخرا جدا»، وذهبت بها إلى مجلة «صباح الخير» لنشرها، لكن الرقيب في تلك الآونة رفضها، ثم كتبت قصتي الثانية «الشيخة صابرين» لكن الرقيب رفضها أيضًا (نشرتُ القصتين بعد ذلك بسنوات طويلة: الأولى بمجلة المنتدى بدولة الإمارات العربية المتحدة، والثانية بمجلة العربي الكويتية).

ثم تتابعت قصصي القصيرة فنشرت في الجمهورية، والأخبار، والأهرام، كما نشرت في المجلات المصرية: آخر ساعة، والثقافة، والقصة، وإبداع، والكاتب، والنصر، والزهور، وروز اليوسف، وصباح الخير، والثقافة الجديدة.

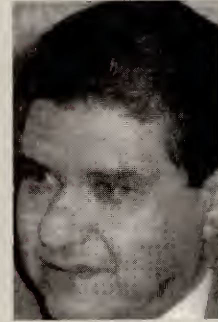
كما نشرت قصصًا في الجرائد العربية: الوطن وعُمان العُمانيتين، والرياض والجزيرة السعوديتين، والراية القطرية..

ونشرت أيضًا قصصًا في المجلات العربية: الدوحة القطرية، وأسرتي والعربي الكويتيتين، والشرق السعودية، والبيان الكويتية، والمنتدى بدولة الإمارات العربية المتحدة.

كما أذيعت قصصي بالبرنامج العام والبرنامج الثاني بإذاعة مصر، كما أذيعت أيضا بالقسم العربي بالإذاعة البريطانية.. ونشرت في مجلة هنا لندن.



أحمد عبد المعطي حجازي



رجاء النقاش



محمود سامي البارودي

ثم انتقلت من كتابة القصة القصيرة إلى كتابة الرواية، فكتبت أول رواية لي سنة 1969مبعنوان «البُصاق» وفازت بالجائزة الثانية من نادي القصة بالقاهرة، وأشاد بها النقاد الذين قرؤوها في ذلك الحين. وبعدها كتبت روايتي الثانية «و.. سقط وجهي» وقد فازت بالجائزة الثالثة من نادي القصة سنة 1971م، ثم كتبت روايتي الثالثة باسم «اصحِ يا نائم» وقد فازت بالجائزة الأولى والميدالية الذهبية من نادي القصة عام 1973م.

ثم كتبت روايتي الرابعة «السادة» سنة 1989م، وهذه الروايات الأربع لم تنشر إلى الآن، وإن كنت بصدد نشر الروايتين الأخيرتين.

ومن الرواية انتقلت إلى كتابة المسرحية..

فكتبت أول مسرحية لي سنة 1972م وكانت باسم «قول يارب» لتفوز بالجائزة الأولى من الثقافة الجماهيرية.. ولتعرض بعد ذلك على مسرح الثقافة الجماهيرية بالزقازيق سنة 1974م (عرضتها فرقة الإسماعيلية المهجَّرة بالزقازيق بعد هزيمة 67 على مسرح الثقافة الجماهيرية بالزقازيق).

وتوالت المسرحيات تباعًا..

مسرحية «مخزن الكُهْنة»، ثم مسرحية قصيرة عن حرب أكتوبر/تشرين الأول 1973م اسمها «كفر الشراقوة» حصلت على جائزة المجلس الأعلى للفنون والآداب 1974م..

ثم مسرحية «الجرح يغني» حصلت - كذلك - على جائزة المجلس الأعلى للفنون والآداب عام 1975م..

ثم كانت مسرحية «الأرشيفجي» التي حصلت على جائزة نادي المسرح المصري، وعُرضت بعد ذلك على مسرح الطليعة المصري. وقد لاقت أيامها قبولاً حسنًا من النقاد والجمهور.

ثم كانت مسرحية «العرائس» التي كتبتها عام 1982م لتفوز بالجائزة الثانية على مستوى الوطن العربي في المسابقة التي أجرتها وزارة الإعلام الكويتية، ثم عُرضت بعد ذلك سنة 1985م على المسرح الحديث بالقاهرة، وقد صورها التلفاز المصري وعرضها في العام نفسه.

بعدها كتبت مسرحية «الوطاويط»، وقد عُرضت في العام 1992م على مسرح بلقاس الذي يتبع الثقافة الجماهيرية.. ثم نصل إلى المسرحية الأخيرة: «يا آل عَبْس»..

وهذه المسرحية أود التوقف أمامها؛ ذلك أنها تُعدّ بالنسبة لي محطة مهمة في تاريخ كتابتي للمسرح، فلقد ظللت أحلم بكتابتها أعوامًا طوالاً، واستغرقني العمل بها سنوات خمس، أخفقت في خلالها، لكنني بالصبر والمثابرة استطعت أن أحقق حلمي بكتابتها. والمسرحية تستند إلى التراث، إلى سيرة عنترة بن شداد.. وهي تستلهمها بشكل عصري،

إحدى رواياتي كانت مغامرة من حيث الشكل والمضمون، لكنها مغامرة ناجحة استطعت من خلالها أن أغير «إطاري» الكتابي

صلاح عبد السيد

رحلة كتابة

ترسو على ضفاف المسرح

لا يقلد أحدًا ممن كتبوا عن عنترة. وعنترة في مسرحيتي هو المثقف الفارس الذي هوى إلى درك العبودية..

ما الذي دفعه إلى أن يهوي إلى درك العبودية؟

ما دوره في هذه المسألة؟

وهل كانت هذه الردة على الرغم منه أم إنه شارك فيها؟

وما دور مجتمعه في هذه الردة؟ ثم ما دور حكام هذا المجتمع في هذه الردّة؟ ثم في النهاية، نعرض لكيفية الخروج من كهف العبودية.. إلى قمة الفروسية والحرية.

لقد كانت مرحلة السبعينيات وما بعدها دافعا لي إلى كتابة هذه المسرحية. فلقد كان موقف المثقفين العرب أمام عيني، موقفًا لا يتناسب مع الأحداث الكبرى التي حدثت في تلك المرحلة.

لم تكن هناك مصداقية لهم.

فكيف نستعيد - بوصفنا مثقفين عربًا - مصداقيتنا وقدرتنا على الفعل؟ كيف نتخلص من هذه الازدواجية اللعينة التي شوهت مواقفنا وجعلتها تضطرب؟

كيف نتخلص من فرديتنا ونرجسيتنا وقشورنا الزائفة؟ والغريب أنني كتبت هذه المسرحية قبل حرب الخليج، وتوقعت فيها كل ما حدث..

ولقد ظلت مرحلة السبعينيات وما بعدها، وما صاحبها من انفتاح اقتصادي غير مدروس؛ ومن أخطاء جسيمة لهذا الانفتاح، وكذلك ما حدث من تغيُّر اجتماعي حاد في طبقات المجتمع، ظلت هذه المرحلة موحية لي بأعمال جديدة، فكتبت روايتي «السادة» عن السادة الجدد في هذا المجتمع، وكيف تَسيَّدوا نتيجة للغش والتزوير والتدليس. ويهمني هنا أن أتوقف أمام هذه الرواية التي أعدّها هي الأخرى محطة مهمة بالنسبة لي. فلقد كان همي في أثناء كتابة هذه الرواية التي استغرقت عامين أن أخرج من جلدي، وأن أحطم «إطاري» الكتابي، وأن أطل برأسي خارج السقف.

ولقد كانت هذه الرواية مغامرة من حيث الشكل والمضمون، مغامرة ناجحة نقلتني إلى الضفة الأخرى، وقد اعترف بذلك كتابة الناقد الأستاذ رجاء النقاش في مقاله عن الرواية المخطوطة في مجلة الكفاح العربي التي تصدر في لبنان.

ثم كتبت بعد ذلك ثلاث مسرحيات قصيرة للأطفال باللغة العربية البسيطة، ثم انتقلت إلى كتابة سيناريو وحوار بعض قصصي، فكتبت خمس تمثيليات تلفازية ومسلسلاً واحدًا..

تلك هي رحلتي مع الكتابة بإيجاز شديد. وقد يجد القارئ لهذه الصفحات أنني انتقلت كثيرا من الشعر إلى القصة القصيرة والرواية والمسرحية وأدب الأطفال وحتى كتابة الحوار للتمثيليات.

وقد يجد القارئ العزيز في ذلك بعض التشتت وعدم التركيز، لكنني أقول إنني لا أجد ذلك كذلك.

إنني أترك نفسي على سجيتها، لا أتعمد أن أحبسها في شكل معين، ثم إنني اكتشفت - خلال ممارستي لكل فروع الكتابة - أن الفنون كلها متشابكة بعضها مع بعض، وأنها تستفيد بعضها من بعض، وأنه لا يوجد فن بمعزل عن الآخر.

ففي كتابتي للمسرحية استفدت من الشعر والقصة والرواية والسيناريو والموسيقى..

وفي كتابتي للقصة القصيرة استفدت من المسرح والشعر والسيناريو والموسيقى..

وفي بقية الفنون كانت هذه الاستفادة نفسها.

على الكاتب أن يترك نفسه للتجربة؛ لا يصطنعها ولا يدعيها، وقد استفدت من جميع الفنون الإبداعية التي مارستها

إن المهم أن يترك الكاتب نفسه للتجربة؛ لا يصطنعها ولايدّعيها. لكنني أريد أن أتوقف قليلاً أمام القصة القصيرة؛ لأن تجربتي معها طويلة.. طويلة.. وقد أثمرت هذه التجربة عن خمس مجموعات قصصية هي: الجثّة 1981م، غربة 1986م، صراع 1988م، العصفور 1990م، إنه ينبشق (تحت الطبع الآن)، وهذه المجموعات كلها صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب..

أقول إن تجربتي مع القصة القصيرة كانت تجربة عريضة حاولت فيها منذ البداية أن أكوّن نفسي وألا أقلد أحدا، وأزعم أنني نجحت في ذلك. فلقد حاولت أن أمزج في قصصي بين الفصحى والعامية بشكل فني، كما حاولت الاستفادة من ممارستي للشعر في كتابة القصة القصيرة، فكتبت عددًا كبيرا من القصص القصيرة جدا التي تأخذ شكل القصيدة، والتي سميتها القصة القصيدة، وهي قصة موقعة، لها موسيقى كالشعر تمامًا، لكنها ليست موسيقى الشعر، تعتمد على الإيقاع وجرس الكلمات وتكرارها وتقطيعها، ثم تغيرت هذه القصة، أو قل إنها كانت مرحلة وانتهت. فبعد كتابتي للمسرحية، آثرت المسرحية على القصة القصيرة، فأصبح عندي ما يعرف بالقصة الدرامية؛ تلك التي لا تهتم بالشكل الخارجي والإيقاع والجرس بقدر اهتمامها بالمضمون، بالفعل، بالصراع الدرامي. كان ذلك تأثير المسرح في القصة القصيرة..

وإذا سألني القارئ الكريم إلى أين بعد هذه الرحلة الطويلة؟ فإن جوابي - الآن - إنني مقيم على ضفة ذلك النهر الهادر المسمى بالمسرح؛ ذلك الذي يجددني، ويغسلني، ويملؤني بالبهجة والدهشة.. والجنون.

عندما يدور الشهر.. أو يستدير القمر
أنت على موعد دائم مع

الجيل

«الصحافة الشابة لكل الأجيال»

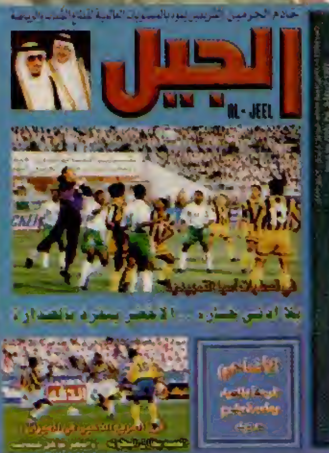


تقرأ فيها باستمرار:

- معالجات عميقة وجادة وشيقة لأحداث الرياضة السعودية والعربية والعالمية.
- لقاء مع نجوم الرياضة في مختلف الألعاب.
- تحقيقات في مختلف المشكلات والقضايا الاجتماعية الشبابية.
- حوارات مع كبار المفكرين والأدباء والفنانين.
- دراسات نقدية لروائع الأدب، ومتابعات لأحداث الفن والثقافة.
- إبداعات الشباب في مختلف الفنون الأدبية.
- كل ما يهم الأسرة من طب وعلوم وتربية واقتصاد.



لكل ذوق.. ونحن نرضي كل الأذواق
مع «الجيل».. أنت تقرأ في كشكول الحياة





زهرتا عباد شمس مقطوفتان إحداهما مقلوبة

زهور فان جوخ

قراءة فريدة في كتاب الطبيعة

كامل يوسف حسين

ولد فنسنت وليم فان جوخ في 30 آذار/ مارس 1853م، ورحل عن عالمنا في 29 تموز/ يوليو 1890م. ولكن الأعوام الثلاثة الأخيرة من عمره، الذي لم يتجاوز سبعة وثلاثين عاماً، هي التي منحته لقب أعظم مصور هولندي بعد رمبرانت (1606-1669م). ففي لوحاته الثمانمئة الزيتية، ورسوماته السبعمئة يبدو كل ما رسمه نابضاً بالحياة المتوهجة، وربما جاء من هنا تأثيره الكبير في فن التصوير الحديث، وبصفة خاصة في أعمال التعبيريين الألمان.



فان جوخ صورة ذاتية

وقد كُتب الكثير عن حياة فان جـــوخ، ولكـن هنـاك جوانب فـي هذه الحياة تظـل جديرة بإلقـاء الضوء عليـهـا، لأنه في غمـار هذا الجهد تتم إنارة جوانب شتى من أعـمـــاله، التـي تظل قـــادرة على استقطاب الاهتمـام عبر كل حواجز الزمـان والمكان والتيـارات والمدارس الفنية.

ومـا نحـاوله هنا هو رصـد تلك الجـوانب التي أهّلتْ فـان جوخ لإنجاز تلك القـراءة في كتاب الـطبيعـة، التي توصف عن جـدارة بأنها فـريدة، بكل المعـايير، وبخـاصـة اهتمـام فان جـوخ الكبير بالزهور.

ويمكن، بأوسع المعـاني، تقـسـيم حيـاة فان جـوخ العملية إلى مـرحلتين شـامـلتين، تمتـد أولاهمـا من 1873-1885م، وفي خــلالهـا صـارع فـان جـوخ العديد من المصـاعب النفـسيـة والمزاجية، وسعى إلى الإمـسـاك بناصية الوسائل الحقيقية الكفيلة بتحقيق تعبيره عن ذاته، وكانت مرحلة حافلة بجهود التــعلم عـلى أيدي فـنانين آخـــرين، وبضـروب الإخفاق، وبالـتغيـرات في التوجهات الفنية.

أما المرحلة الثانية فتمتد من 1886 إلى 1890م وكان قوامها الدأب الفني والتطور الســريع والتـحقق، ولم يُقَـدَّر لهـــا الانقطاع، إلا بفـعل سلـسلة من الأزمات النفـسية امـتدت من 1989م وحتى نهاية عمر الفنان.

وهكذا، فإن المسـار العملي لحياة فان جـوخ كان قـصيراً جـدًا، ولم يزد على السـنوات العـشـر المـمـتـدة بين 1880و 1890م. وفـي خـــــلال السنوات الأربع الأولى من هذا المسار، وبينما كان فان جوخ يكتسب الاقتدار المتعلق بـتملك ناصيـة أدواته الفنيـة، وقف نفسـه كليـة على الرسـومـات واللوحاتْ الفـنية. وفي 1881م انتقل إلى حيـث كـان أبوه يعـمـل في اتبين بهـولندا، وبدأ في العمل من الطبـيعـة مباشرة.

لكن العمل مـن الطبيعـة وحده لم يكن كافيًا، وسرعان ما أدرك فان جوخ مدى صـعوبة تعليـمه لنفسه المزيد من القـدرات الفـنيـة، فـانتـقل في أواخـر 1881م إلى لاهاي حـيث عــمل مع مصور الطبيـعة الهولندي أنطون موف، وتردد إلى المتـاحف ولـقـاءات الفنانين، ووسع نطاق خبـرته الفنيـة ليمـتـد في صيف 1882م إلى اللوحـات الزيتيـة. وانتـقل به الحنين إلى أن يكون وحـيـداً مع الطبــيـعـــة إلى شـمـال هـولندا في 1883م. وازداد فنه جـرأة واقـتـداراً في العـــامين 1884و 1885م، ومـــضى يصـــور ثلاثة أنواع من الموضــوعـات: الطبيعـة الصامتـة، والمشاهد الطبيعـية، والشخوص، وكلهـا تداخلت في حَياة الفـلاحين والصعـوبات التي يعـانيـهـا الريف.

بين ربيع 1886 وشباط/ فبراير من عـام 1888م عـرف الفنـان في باريس قدرًا هائلاً من التـغير الفني، واكـتسب أسلوبه الخـاص في الـعـمل بالفـرشـاة،


لوحة مزهرية مع ورود وفاوانيا

وأصبحت ألوانه أكثر توهجًا، ورؤيته أقل تقليدية.

وتبدأ المرحلة الأولى العظيمة في حياة فان جوخ مع وصوله إلى آرل في شباط/ فبراير 1888م، وتمتد على مدار الشهور الاثنى عشر التي تلت ذلك، فقد كافح لاحترام مظاهر الطبيعة، وفي الوقت نفسه نقل واقعية مشاعره حيال هذه المظاهر التي يصورها. وكان مفهومه التصويري هنا انطباعيًا في أحد جوانبه، ورمزيًا في الجانب الآخر. وجمع أسلوبه بين الحساب الدقيق والعفوية والغريزية في الوقت نفسه، حيث كان يعمل بسرعة وزخم، عاقداً العزم على الإمساك بناصية التأثير أو الحالة المزاجية، بينما هما يتملكانه،

زهور فان جوخ..
قراءة فريدة في كتاب الطبيعة

ويسيطران عليه. وشملت موضوعاته في آرل أشجار الفاكهة المزهرة، ومشاهد المدينة، وما يحيط بالفنان، والصور الذاتية، وصور رولان ساعي البريد، وعائلته وأصدقاء آخرين، والمشاهد داخل الدار وخارجها، وسلسلة من لوحات عباد الشمس، والليل المرقش بالنجوم.

في نهاية نيسان/ أبريل 1889م تملك فان جوخ خوف هائل من فقدان القدرة على العمل، فطلب نقله إلى مصح في سان ريمي دي بروفانس حيث أمضى اثنى عشر شهرًا تعرض خلالها لهجمات حالات من الكآبة واليأس، وأيضًا مراحل من الهدوء والسكينة. ومفتاح هذه المرحلة هو الخوف من فقدان الصلة بالواقع مع حالة من الحزن الغامر. وفي هذه المرحلة تراجع وهج ألوان الصيف الماضي، غير أن فان جوخ طوَّر أسلوبًا يقوم على أساس الأشكال الديناميكية والاستخدام القوي للخطوط، وتميزت أفضل لوحات مرحلة سان ريمي بأنها أكثر جرأة وخيالاً من مرحلة آرل.

وقد أنهى فان جوخ هذه المرحلة بالرحيل إلى باريس في آيار/ مايو 1890م، وغادرها بعد أربعة أيام ليقيم مع الطبيب بول فردينان جاشيه في أوفرسير أوار. وفي ضوء الشمال الفرنسي تبنى فان جوخ درجات لونية تجمع بين الشحوب والجدة، وتميزت ضربات فرشاته بسعة النطاق، وبمزيد من القوة التعبيرية، واتصفت رؤيته للطبيعة بالمزيد من الغنائية. لكن هذه المرحلة كانت قصيرة جدًا، حيث أطلق الفنان النار على نفسه، ورحل عن عالمنا بعد يومين، وبالتحديد في 29 تموز/ يوليو 1890م.

ولكن ما الملامح التي يمكننا من خلال هذا كله رصدها في قراءة فان جوخ لكتاب الطبيعة؟

من المؤكد أن هذه الملامح عديدة، ومن أبرزها ما يلي:

• شكلت الزهور موضوعًا أثيرًا لدى فان جوخ، إلى حد تظل معه لوحاته، التي صور فيها زهور عبّاد الشمس في آرل، صوره الأكثر رواجًا وإلهامًا، حيث تبدو دوائر متوهجة مشعة بالطاقة والفرح.

وقد تحدث هو نفسه عن هذا الارتباط الخاص بهذه الزهرة، التي تجسد ألوانها الغنية الطابع العام



لوحة سوسنات



«فان جوخ يصور زهور عباد الشمس» لوحة بريشة جوجان

للجنوب الفرنسي، فقال إن «ذلك اللون الأصفر الفوسفوري يملأ المدى حيثما أشرقت الشمس». وكانت لوحاته الرائعة تلك رمزًا لامتنانه للسعادة والصفاء، اللذين وجدهما في آرل. وبالنسبة لصديقه بول جوجان (1848-1903م) كانت هذه الزهور إلهامًا حقيقيًا، حيث قال عن زهرة عباد الشمس: «تلك هي الزهرة بمعناها المطلق».

* على الرغم من الوفرة الهائلة للزهور، إلا إنها كانت جانبًا واحدًا من جوانب عشق فان جوخ للطبيعة بكل مظاهرها، وحالاتها، وفصولها. فالأرض، والسماء، والهواء، والشمس، والنجوم، والجبال، والحقول، والأشجار، وسنابل القمح، وأشواك الطرق الفرعية المتربة، والعشب، وحيوانات المزارع، والطيور، والأعشاب، والفراشات، والخنافس، كلها كانت بالنسبة له جزءًا من الجمال الداخلي للخلق، الذي احتل الإنسان مكانًا محوريًا فيه.

* هذا العشق الغامر لطبيعة، عند فان جوخ، يضرب جذوره في رؤية محددة قوامها أن الحضارة الحقة هي الحياة التي تعاش في تناسق مع الطبيعة. وقد كتب فان جوخ في رسالة بعث بها إلى أبويه يقول: «أرى أن المزارع البسيط الذي يعمل، ويعمل بذكاء هو الإنسان المتحضر.. وفي المدينة لا يجد المرء إلا أناسا قلائل في مثل هذا النبل.. وبشكل عام فالفرصة أكبر في العثور على إنسان عاقل في الريف، على نحو يتجاوز الفرصة المتاحة في المدينة».

* فَهْمُ الفن، عند فان جوخ، يرتبط بحب جارف للطبيعة، وقد كان هو الذي كتب يقول: «حافظ على حبك للطبيعة، فتلك هي الطريقة الصحيحة في فهم الفن بشكل متزايد. والمصورون يتفهمون الطبيعة، ويحبونها، ويعلموننا رؤيتها». وقد كانت رؤيته للمشهد الطبيعي شعرية في جوهرها، ولوّنتها بقوة قراءاته لجون كيتس (1795-1821م) وغيره من الشعراء الرومانسيين، وارتقى بها حِسٌّ بالجمال يندرج في صميم كل تجربة في الحياة، أو الفن، أو الأدب على حدّ سواء..

* هناك جانب في غاية الأهمية في رؤية فان جوخ للطبيعة، يدور حول مفهوم الصراع معها، ففي العديد من رسائله يتحدث عن الطبيعة بوصفها خصماً، وهو لا يتردد في القول: «إن الطبيعة تبدأ بمقاومة الفنان، ولكن من يحملها على محمل الجد لا يسمح لهذه المقاومة بإبعاده من مسيرته، وإنما الأمر على العكس، فهذا دافع أكبر للكفاح من أجل الفوز، وفي جوهر الأمر يصل الفنان والطبيعة في نهاية المطاف إلى التوافق. حقّاً إن الطبيعة غير قابلة للمس، ومع ذلك فإن على المرء الإمساك بها، وبيد قوية، وبعد أن يجالد الفنان الطبيعة ويتصارع معها، فإنها في بعض الأحيان تصبح أكثر رقة وعطاء».

* لا يقل عن ذلك أهمية أن هدف فان جوخ، فيما يتعلق بأمور الرسم واللون، هو تجنب الواقعية بمعنى الحقيقة الحرفية؛ وليس مؤدى ذلك أن نظرته إلى الطبيعة كانت في تعارض مع أفكاره عن فن التصوير، وإنما جوهر الأمر أن على الفنان أن ينسق عناصر رائعته الفنية. وقد كتب يقول: «إنني أدرس الطبيعة، لا لأتجنب فعل أشياء تتصف بالحماقة، ولكن كي أظل معقولاً، ذلك أنني لا أكترث كثيراً بما إذا كانت ألواني هي بالضبط تلك الماثلة في الطبيعة، مادامت تبدو جميلة على قماش لوحاتي، جميلة على نحو ما تبدو في الطبيعة».

* أخيراً يجب أن نتذكر أن فان جوخ هو الذي تحدث عن (سيمفونية) الألوان الرائعة التي تتميز بالبساطة والعمق غير المتناهي، كالطبيعة نفسها، ومن الواضح أنه عندما تحدث عن ذلك كان ذهنه منصرفاً إلى قيم لونية تجريدية ورمزية، وهو ما يبدو جليّاً في استحضاره للمشاعر التي يثيرها كل فصل من فصول العام الأربعة.

ولكن في هذا الإطار، ما الذي قدمه لنا فان جوخ في تصوير الزهور حقّاً؟

من الواضح أن الإجابة عن هذا السؤال تقتضي مجالاً أكثر رحابة بكثير مما هو متاح هنا، فلنكتف إذن بالإشارة إلى أبرز ما تركه لنا فان جوخ في هذا المجال.

زهرة عباد الشمس هي - كما كتب الفنان نفسه يقول لأخيه «ثيو» في رسالة تعود إلى كانون الثاني/ يناير1889م - زهرة فان جوخ بامتياز. وخلافاً للاعتقاد السائد فإن علاقته بهذه الزهرة لا تعود إلى مرحلة آرل، وإنما بدأت في باريس في العام 1887م، حيث بدأت بالتناغم البسيط القائم على اللونين الأزرق والأصفر في لوحته «زهرتا عباد شمس مقطوفتان إحداهما مقلوبة»، وعاد إلى دراسة تأثير الأرضية الحمراء وضربات الفرشاة المتوهجة. وفي آرل ينطلق الفنان ليقطع



عباد الشمس.. زهرة فان جوخ بامتياز

زهور فان جوخ..
قراءة فريدة في كتاب الطبيعة

الشـــوط كـــامـــلاً مع هذه الزهرة، وبخاصة في لوحته «مزهرية مع أربع عشرة زهرة عباد شمس».

وتشكل زهور السوسن مصدراً من مصادر البهاء اللوني الساطع عند فان جوخ، وتبدو لنا عبر لوحات عديدة، سواء في صورتها البرية أو في المزهريات. وهي تبدو مؤثرة إلى حد لا نهاية له في مرحلة سان ريمي. ويميل بعض النقاد، مع ذلك، إلى الاعتقاد بأن السوسنات قد اجتذبت فان جوخ بسبب تأثره بها في لوحات الطباعة بالرسوم اليابانية، بأكثر مما تأثر بها من جراء ما توحي به من خيال (درامي).

وتطرح الورود لغزًا حقيقيًا بالنسبة لنا، حين نتأمل زهور فان جوخ، فهي تعكس غيابًا مدهشًا في لوحاته، وعلى سبيل المثال في مرحلة بروفانس المبكرة، على الرغم من أنها كانت موضوعًا أليفًا في لوحات معاصريه، بينما لم تكن السوسنات ـ وهي كثيرة عنده ـ شائعة في لوحات معاصرية. غير أنه عاد ليقدّم الورود لنا في مرحلة سان ريمي، ومرحلة أوفرسير أوار، حيث الوفرة الهائلة للورود.

وتشكل زهور الخشخاش بما تقدمه من وهج لوني، في جمعها للأحمر والأخضر والأزرق، بديلاً جيدًا عن الشخوص، التي لم يكن بمقدور فان جوخ تصويرها في باريس، لعجزه المالي عن دفع أجور من يقفون أمامه لرسمهم.

والزهور في الحقول والبساتين شائعة في لوحات فان جوخ، كالفروع المزهرة، حيث يبدو الأفق مزهرًا، وضربات الفرشاة الجريئة وسيلة مباشرة لاستحضار كل هذا البهاء اللوني الذي بقي لنا حتى اليوم.



لوحة شجرة كمثرى مزهرة

المصادر والمراجع:

1- جولات للكاتب في العديد من المتاحف والمعارض في عدد من العواصم الأوربية.

2- BUMPUS, JUDITH - VAN GOGH'S FLOWERS - PHAIDAS - LONDON - 1955.

3-WERTEN BAKER, LAEL - THE WORLD OF VAN GOGH - TIME - LIFE INTERNATIONAL - LONDON - 1978.

4- THE NEW ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA - BENTAN - CHICAGO - 1985.



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألّفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

أخبار الظراف والمتماجنين

تأليف: أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، ابن الجوزي

508- 597هـ = 1114- 1201م

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - فيما نقله عنه ابن رجب الحنبلي في «الذّيل على طبقات الحنابلة» -: «كان الشيخ أبو الفرج (يعني ابن الجوزي) كثير التصنيف والتأليف، وله مصنَّفات في أمور كثيرة، حتى عَدَدْتُها فرأيتها أكثر من ألف مصنَّف، ورأيت بعد ذلك ما لم أره».

ونحن إذا نظرنا في مؤلفات هذا العالم الكبير، نجده ألَّف في كل فن؛ فله في علوم القرآن، وعلوم الحديث، والتاريخ، والأدب، والفقه، والمواعظ، إلى غير ذلك. وقد قام الأستاذ عبدالحميد العلوجي - رحمه الله - بحصر تراث ابن الجوزي، ودوّنه في كتاب بعنوان «مؤلفات ابن الجوزي»، ذكر فيه أسماء مؤلفاته، ومَنْ ذكرها منَ المتقدمين، وأماكن وجود نسخها الخطية، وما هو مطبوع منها.

ونقدِّم هنا لكتابٍ منْ كتب ابن الجوزي الطَّريفة - وما أكثرها - وهو «أخبار الظراف والمتماجنين»، وقد طُبع هذا الكتاب طبعات عدَّة.

يبدأ ابن الجوزي - يرحمه الله - كتابه بقوله: «.. فلمَّا كانت النفس تَملُّ من الجدِّ، لم يكن بأسٌ بإطلاقها في مزح ترتاحُ به. كان الزهري يقولُ: هاتوا منْ أشعاركم، هاتوا منْ طُرَفكم، أفيضوا ما يخفُّ عليكم، وتأنس به طباعُكم.

وعن بكر بن عبدالله المزني، قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمازحون ويتباذخون (أي: يترامون) بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق، كانوا الرجال».

والمؤلف يقدّم هذا بين يدي الكتاب، ليبيِّن أنه لابد للنفس منْ ساعة راحة واستجمام حتى لا تملَّ، وكأنِّي به يقول: «روِّحُوا قلوبكم ساعةً بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلَّت عَمِيَتْ».

ثم يبيِّن بعد ذلك معنى الظَّرْف والمجون، فيقول: «الظَّرف: يكون في صَباحة الوجه، ورشاقة القدِّ، ونظافة الجسم والثوب، وبلاغة اللسان، وعذوبة المنطق، وطيب الرائحة، والتقزّز منَ الأقذار والأفعال المستهجنة. ويكون في خفَّة الحركة، وقوَّة الذهن، وملاحظة الفكاهة والمزاح، ويكون في الكرم والجود والعفو، وغير ذلك منَ الخصال اللطيفة. وكأنَّ الظريف مأخوذ من الظَّرْف الذي هو الوعاءُ، فكأنه وعاءٌ لكلِّ لطيف».

أما المجون، فيُعَرِّفه بأنه صرفُ اللَّفظ عن حقيقته إلى معنى آخر، وذلك يدلُّ على قوة الفطنة.

وقد قسم - رحمه الله - الكتاب إلى ثلاثة أبواب: الأول فيما ذُكر عن الرجال، وقسَّمه إلى خمسة أقسام: ما يُروى عَن الأنبياء عليهم السلام، وما يُروى عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما يُروى عن العلماء والحكماء، وما يُروى عن العرب (الأعراب)، وما يُروى عن العوام. والباب الثاني فيما ذُكر عن النساء، والباب الثالث فيما ذُكر عن الصبيان.

ونورد هنا مختارات مما أورده ابن الجوزي في كتابه، وإن كانَ كلُّه مختارًا، فمن ذلك:

- دخل المنصور قصرًا، فوجد في جداره مكتوبًا:

وما ليَ لا أبكي بعين حزينة
وقد قُرِّبتْ للظاعنين حُمُول

وتحته مكتوب «إيه إيه». فقال المنصور: أي شيء «إيه إيه»؟! فقال له الربيع بن يونس: يا أمير المؤمنين، إنَّه لمَّا كتب البيت، أحبَّ أن يُخبرَ أنه يبكي. فقال المنصور: قاتله اللهُ ما أظرفه.

- وكان المطَّلب بن محمد على قضاء مكة، وقد كان عنده امرأة وقد مات عنها أربعة أزواج، فمرض مرضَ الموت، فجلست عند رأسه تبكي، وقالت: إلى مَنْ توصي بي؟ قال: إلى السادس الشَّقي.

- قال عليّ بن عاصم: دخلتُ على أبي حنيفة وعنده حجَّام يأخذُ منْ شعره، فقال للحجام: تتبَّعْ مواضع البياض. قال الحجام: إنه يكثُر، قال: فتتبَّعْ مواضع السَّواد لعلَّه يكثُر.

- قال سُليمان الأعمش لابنه: اذهب فاشترِ لي حبلاً، يكون طوله ثلاثين ذراعًا، فقال: يا أبت، في عرض كم؟ قال: في عرض مصيبتي فيك.

- قال أبو العباس محمد بن إسحاق الشاهد: سألت الزُّبير بن بكَّار، فقلت: منذ كم زوجتُك معك؟ فقال: لا تسألني! ليس يَردُ القيامة أكثر كباشًا منها، ضحَّيت عنها بسبعين كبشًا.

- قال أعرابي: قيل لكذَّاب: تذكر أنك صدقت قطُّ؟ فقال: لولا أنِّي أخاف أن أصدقَ، لقلت: نعم!.

- ومن نوادر الأعراب: أن أحدهم اشترى غلامًا، فقيل له: إنه يبول في الفراش، فقال: إن وجد فراشًا، فليَبُل فيه.

- قال ثُمامة بن أشرس (وكان من رؤوس المعتزلة): دخلتُ إلى صديق أعوده، وتركتُ حماري على الباب، ولم يكن معي غلام يحفظه، ثم خرجت وإذا فوقه صبي، فقلت: أركبتَ حماري بغير إذني؟ قال: خفتُ أن يَذهبَ، فحفظته لك. قلت: لو ذهب كان أحبَّ إليّ منْ بقائه. قال: إن كان هذا رأيك فيه، فاعمل على أنَّه قد ذهب وهَبْهُ لي واربح شكري. فلم أدرِ ما أقول.

- وللذين يشكون من ثقلاء الظل، يذكر لهم ابن الجوزي أنَّ عامرًا الشّعبي قيل له: هل تمرضُ الرُّوح؟ قال: نعم، من ظلِّ الثقلاء. قال بعض أصحابه: فمررت به يومًا وهو بين ثقيلين، فقلت: كيف الروح؟ قال: في النَّزع!.

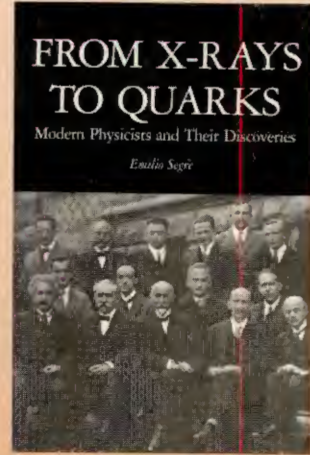
نافذة على ثقافة العالم

من الأشعة السينية إلى الكواركات

الفيزيائيون الحديثون واكتشافاتهم

1

ينطوي هذا الكتاب القيّم لمؤلفه الفيزيائي الأمريكي ذي الأصل الإيطالي إميليو سيجر Emilio Segré على مجموعة واسعة من المعلومات والحقائق التاريخية التي تندرج في حقل تأريخ العلم الحديث في القرن العشرين. وبدلاً من اعتماد نواصي التأريخ الزمني الدقيق للأحداث العلمية المهمة التي يتعرض لها الكتاب وتوثيقها وفقًا لمنهجيات العرض التاريخي السائدة، آثر المؤلف انتهاج أسلوب الجمع بين الحديث عن السير الذاتية للعلماء واكتشافاتهم.



تأليف:
إميليو سيجر
عرض وتقديم:
عدنان عضيمة

وهو يعترف في مقدمة الكتاب بأن منهجيته هذه قلما تبناها رواة الأحداث العلمية ومؤرخوها. ومع هذا كله فإن للفيزيائيين المتخصصين، والطلاب، وعامة المثقفين، غايات كثيرة وفوائد كبيرة يمكن أن يدركوها من مطالعة هذا الكتاب لكونه يقدم مادة غزيرة وشروحًا مسهبة من شأنها أن تغني معارفهم جميعًا حول العلم والعلماء وأخبار الاكتشافات العلمية، وتجعلهم على دراية بالملامح العامة لتاريخ العلم في العصر الحديث. وهو عصر تفجّرت في بدايته الثورة العلمية الثانية التي كانت تمثل المقدمة المهمة والأرضية الثرية لانطلاق الثورة الثالثة التي نعيش أحداثها اليوم. وأما الثورة العلمية الأولى فهي التي تمتد بين القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، وكان من روّادها المشاهير جاليليو ونيوتن وهويجنز وكبلر. وللمؤلف نفسه كتابٌ آخر يغطي أخبار هذه المرحلة بعنوان «من الأجسام الساقطة إلى الموجات الإشعاعية: الفيزيائيون التقليديون واكتشافاتهم». وكنت عرضت لكتاب آخر في هذا الصدد على صفحات «الفيصل» بعنوان «من الكواركات إلى الكون» لمؤلفَيْه ليون ليديرمان ودافيد شرام، ينطوي على تغطية تأريخية للأحداث العلمية التي سُجِّلت في السنوات الممتدة من نهاية الفترة التي يؤرخ لها الكتاب الذي نحن بصدده، وحتى





محمد عبدالسلام (الصورة اليمني) وستيفن فاينبرغ: فازا بجائزة نوبل للفيزياء مناصفة عام 1979م نظير اكتشافاتهما المنفصلة لخصائص القوى الأصلية

السنوات الأخيرة. وهكذا نرى كيف أن رواة تاريخ العلوم الحديثة يقسمون فتراته إلى مراحل تنحصر كل منها بين حدثين علميين بارزين. وتجدر الإشارة إلى أن المكتبة العربية لم تعد تخلو من الكتب التي تؤرخ لهذه الثورات العلمية وفق مناهج وأساليب متعددة، أذكر منها - على سبيل المثال لا الحصر - كتاب «قصة الفيزياء» لمؤلفَيْه لويد متز وجيفرسون ويفر، والذي قام بترجمته الدكتور طاهر تربدار ووائل الأتاسي، والصادر ضمن «سلسلة الثقافة المميزة» عن المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا في دمشق عام 1994م، وهو يعد استعراضًا شاملاً لأهم أحداث الثورتين العلميتين الأولى والثانية.

ويشغل مؤلف الكتاب إميليو سيجر الآن منصب أستاذ كرسي الفيزياء في جامعة كاليفورنيا في بركلي، ويحمل شهادة دكتوراه الفلسفة في الفيزياء من جامعة روما. فاز بجائزة نوبل في الفيزياء نظير اكتشافه لمضاد البروتون (لم يرد في مضمون الكتاب تاريخ فوزه بالجائزة ولا تاريخ ميلاده). وركز سيجر بحوثه العلمية في حقلي الفيزياء النووية والدقائق المادية. وبين عامي 1943 و1946م عمل رئيسًا لفرقة بحث في مختبر لوس آلاموس للعلوم، وتُرجِم العديد من مؤلفاته العلمية ونُشِر عبر العالم.

صدر الكتاب عن شركة فريمن المحدودة في نيويورك وأوكسفورد، وتوالت طبعاته مرات عدة، ويقع في 339 صفحة من القطع المتوسط مقسمة إلى توطئة وأربعة عشر فصلاً وعشرة ملاحق، تعرض الكاتب فيها بالشرح والتحليل الرياضي لعشرة قوانين فيزيائية شهيرة، وختم كتابه بفهرستين لأسماء الأعلام ولأسماء رؤوس مواضيع الاكتشافات. ولعل من أكثر الصعوبات تعقيداً في وضع مواد مثل هذا الكتاب هي تداخل الاختراعات والاكتشافات، وتعدد الباحثين العاملين في إنجاز كل منها، وقصر الفترة الزمنية التي تمت فيها، مما يخلق أمام الكاتب صعوبات كبيرة في أثناء سعيه لتقسيم مواد الكتاب إلى فترات متباينة. وعلى سبيل المثال، كان عام 1932م من أكثر أعوام الحضارة الحديثة تميّزًا بالاكتشافات الجديدة، حتى إن المؤلف أفرد له الفصل التاسع جاعلاً عنوانه: «عام 1932م المدهش: اكتشاف النيوترون والبوزيترون والديوتيريوم وأشياء أخرى». وفضل المؤلف حل مشكلة تبويب فصول كتابه الأربعة عشر بتخصيص كل منها لشرح إنجازات واحد أو مجموعة من العلماء المشاهير دفعة واحدة، مع أخذ عامل التسلسل الزمني في الطرح بالحسبان بقدر ما تسمح به الظروف. ونقرأ من عناوين فصوله: «بيكريل وعائلة كوري واكتشاف النشاط الإشعاعي»، «رذرفورد في العالم الجديد: تحوّل العناصر»، «أينشتاين والأساليب الجديدة للتفكير في الفراغ والزمن والنسبية والكمّات»، «بور والنموذج الذري»، «إنريكو فيرمي والطاقة النووية»، «لورنس ومسرّعات الدقائق». ويجدر التنويه بأهمية الصور النادرة التي أودعها المؤلف كتابه وجهد في جمعها من مراكز علمية شهيرة في أوربا وأمريكا، بالإضافة لما كان يملكه منها نظرًا لمعاصرته ومزاملته للعديد من كبار علماء العصر الذين يتحدث عنهم في كتابه. وسوف نقدم للقارئ من هذه الصور في عرضنا هذا ما يتفق مع أهميتها من جهة، وارتباطها بخلاصة معلومات الكتاب التي نقدمها للقارئ من جهة أخرى. ولا يخفى ما تنطوي عليه هذه الصور من أهمية كبيرة في ترسيخ المعارف التاريخية حول الثورة العلمية الثانية وإغنائها، بوصفها تمثل شواهد لا يرقى إليها الشك عن العلماء الذين عاصر بعضهم بعضًا، وتنافسوا وتعاونوا فيما بينهم على الاستفادة الفعّالة من تبني أسس المنهجية العلمية التجريبية الجديدة التي أشرعت للإنسانية أبواب طريق العلم

الصحيح، وقادت إلى وضع القوانين الأساسية لتفسير الكثير من الظواهر الطبيعية والكونية.

ويتحدث المؤلف عن الدوافع الكامنة وراء اتّباعه لمنهجيته الخاصة في طرح مواضيع الكتاب، فيقول في توطئته: «لقد دلتني خبرتي العملية على أن الكثير من العلماء الشباب يتعطشون للوقوف على السِّيَر الشخصية لكبار العلماء بأكثر من مجرد قراءة أسمائهم مقرونة بالاكتشافات التي أنجزوها، وأنا أطمح لأن يحقق هذا الكتاب رغبتهم ويرضي فضولهم ولو بصفة جزئية». ويتطرق سيجر في أجزاء عديدة من كتابه للعلاقات الشخصية بين العلماء مدققًا في الظروف الاجتماعية والسياسية العامة التي كانت تحيط بكل منهم، وعارضًا لنصوص الرسائل المهمة التي تبادلوها فيما بينهم. ويتحدث المؤلف باقتضاب عن فلسفته الخاصة في منهجية الطرح التي اتبعها، فيرى أنها تخالف تمامًا فلسفة العالمة البولونية الشهيرة ماري كوري حين قالت: «عندما نبحث في شؤون العلم يكون علينا أن نولي اهتمامنا للأشياء لا للأشخاص»، فنراه يتصدى لهذه الفلسفة في مقدمة الكتاب، حيث يقول: «على الرغم من أن الابتكارات العلمية لا تقل عن الإبداعات الفنية سحرًا واجتذابًا لاهتمامات البشر، فإننا نلاحظ أن معظم الأسباب التي تؤدي عادة إلى الشهرة والألمعية في ميادين الأدب والفن يتم إغفالها في أثناء تدريس العلوم. ولعل ذلك يرجع إلى الخاصة التراكمية للعلم. فلو لم يُخلق نيوتن لجاء عالم آخر ليكتشف الجاذبية ويضع قوانينها، ولكن لو لم يُخلق شكسبير لما كانت هناك مسرحية اسمها هاملت. وقد يكمن هنا السبب المقنع الذي يجعلنا أكثر اهتمامًا بدراسة حياة شكسبير من نيوتن. وإنني لأعتقد بأن لعلم الفيزياء أيضًا جانبًا إنسانيًا غنيًا سأعيره الكثير من الاهتمام في كتابي هذا».



ماري كوري في نقاش مع العالم الفيزيائي الشهير ميليكان على هامش مؤتمر فولطا العلمي الذي نظم في روما عام 1931م، ويبدو خلف ميليكان العالم فولر وخلف كوري العالم هايزنبرغ

عالم الفيزيائيين أواخر القرن التاسع عشر

يبدأ المؤلف روايته لأحداث الثورة العلمية الثانية بدءًا من عام 1895م الذي شهد التحوّل الجذري في المفاهيم المتعلقة بتركيب الذرة والمادة. ويذكر أن هذا التحول يخصّ العالم الغربي، وإنجلترا وفرنسا وألمانيا على وجه الخصوص. وكانت هذه الدول العظمى تمر بظروف سياسية واجتماعية متباينة. فإنجلترا كانت في أوج عظمتها تحت حكم الملكة فيكتوريا، وفرنسا في أوج معاناتها من خسارة الحرب الفرنسية - البروسية التي استمرت عامين (1870-1871م)، وعصفت بعظمتها وأساءت لسمعة شعبها؛ ولم يكن يشفع للفرنسيين من سقوط سمعتهم سوى إنجازات عالمهم الشهير لويس باستور، وبعض العلماء الآخرين. وكان باستور يأمل بأن تسترجع فرنسا هيبتها من طريق العلم. وأما ألمانيا فكانت تتجه نحو نظام الديكتاتورية العسكرية المطلقة من خلال حرب داخلية دامت ستين عامًا بين العسكريين والمدنيين، وانتصر فيها العسكريون. وأُقيل بسمارك عام 1890م ليخلفه القيصر ولهلم الثاني (غليوم) (1859-1941م) الذي كان صغيرًا ضعيف الخبرة في شؤون السياسة والإدارة.

وفي عام 1895م لم تكن هناك سيارات، وبعد ذلك بعامين، وفيما كان العالم الإنجليزي أرنست رذرفورد (1871-1937م) يزور معرضًا في لندن كتب إلى أمه رسالة، جاء فيها: «إن الشيء الأساسي الذي أثار انتباهي واستغرابي هو رؤيتي لعربة من دون أحصنة تسير على عجلات بسرعة 12 ميلاً في الساعة، ولكنها تثير الكثير من الضوضاء وتنفث الدخان الكثيف».

وكانت المختبرات الفيزيائية في تلك الفترة تختلف اختلافًا كبيرًا من حيث منهجية العمل والتجهيز عن مختبرات اليوم. وعادة ما كان يشغل المختبرَ أستاذٌ مقيم واحد يساعده فريق صغير من المتدربين. والمشكلة الأساسية التي كانت تعوق تطور العلوم في تلك الفترة تكمن في عدم وجود مصادر دائمة للتيار الكهربائي اللازم لتشغيل الأجهزة وإجراء التجارب؛ ولهذا فإن العلماء كانوا يستخدمون مدّخرات (بطاريات) تتألف الواحدة منها من مجموعة خلايا. وتم ابتكار عدة أنواع من الخلايا بعد أن ابتكر العالم فولطا (1745- 1827م) أول (بيل كهربائي) عام 1800م. وكانت هذه الأبيال والمدّخرات كلها تستند إلى مبدأ واحد، ولكنها تختلف بعضها عن بعض في نوعية مادة الأقطاب والمتحللات الكهربائية التي تنقل الكهرباء بينها.




جوزيف جون تومسون في أثناء إجراء تجاربه لاكتشاف خصائص الإلكترون والنظائر العنصرية

ومثلت وشيعة رومكورف (الوشيعة التحريضية) in-duction coil الابتكار الأكثر أهمية في تلك الفترة، واستُخدمت لإنتاج فرق كمون كهربائي عال وشرارات طويلة الأمد.

واستأثرت البحوث المتعلقة بتحقيق الحيّزات الفارغة من الهواء بجهود العلماء قرابة مئة عام. وكان التقدم في البحوث الذرية مقترنًا بالتطور الحاصل في تقنيات التفريغ. وفي مختبرات عام 1895م كان يتم الحصول على الحيّزات الفارغة بوساطة مضخّات الهواء البدائية، وكان الفيزيائيون يحتاجون إلى هذه الحيزات لإجراء التجارب المهمة المتعلقة بالتفريغ الكهربائي عبر الغازات لتَعَرُّف تركيبها. وسرعان ما قادت هذه التجارب إلى اكتشاف الأشعة السينية X-rays والإلكترون. ويعدّ العالم الإنجليزي السير وليام كروكس (1832-1919م) من بين أشهر العلماء الذين حققوا إنجازات وابتكارات مهمة في تقنية التفريغ.

وحتى نتعرّف أهم إنجازات الفيزيائيين في نهاية القرن التاسع عشر بشيء من التفصيل، فقد يكون من المفيد إلقاء نظرة على واحدة من الصحف الرائدة في مجال نشر البحوث العلمية في ذلك الوقت، والتي كانت تصدر باللغة الألمانية تحت عنوان «حوليّات الفيزياء» Annalen der Physik، ثم تغير عنوانها إلى «حوليات الفيزياء والكيمياء» قبل بداية انتهاج العلماء أسلوب الفصل بين العلمين. فلقد كان من أشهر البحوث التي طرحتها الصحيفة: تسييل الغازات، وقياس الحرارات النوعية للمواد، والموجات الكهرومغناطيسية وبخاصة التطرق للمحاولات الجادة لمحاكاة الظواهر الضوئية في المختبر باستخدام هذه الموجات كالانعكاس والانكسار والحيود ودوران مستوى الاستقطاب. وعلى الرغم من أن البحوث المتعلقة بعلم الديناميكا الحرارية Thermo-dynamics، كان قد مرّ على بدايتها نحو أربعين عامًا إلا أنها لم تكن من العلوم التي استأثرت بالكثير من الاهتمام. ومن العلوم التي أولاها علماء تلك الفترة اهتمامًا خاصًا: علم الكيمياء الفيزيائية، والتفكك الشاردي (الأيوني)، وبداية التصوّر المتعلق بالشوارد في محاليلها، والعلاقة بين علم الديناميكا الحرارية والتوازن الكيماوي. ولم يكن أحد من علماء



ولهلم كونراد رونتجن: التقطت هذه الصورة له عام 1895م عقب اكتشافه للأشعة السينية مباشرة، وتبدو في الصورة اليسرى عظام كف زوجته وهي من أولى الصور التي سجلها بأشعته الواعدة

من الأشعة السينية إلى الكواركات

الفيزيائيون الحديثون واكتشافاتهم



ذلك الوقت قد تصوّر نموذجًا للذرة، لأن تصور الذرة وفق المفهوم الذي نعرفه اليوم، كان بعيدًا من مداركهم.


موراي جيل مان: من أبرز علماء الدقائق دون الذرية المعاصرين، ويرجع إليه الفضل في تسمية «الكواركات»

وليس هناك ثمة شك في أن الكيميائيين كانوا قد وضعوا «فرضية ذرية» في تلك الفترة، إلا أن معظمهم كان يحجم عن الاقتناع بها. وبالمقابل، فلقد كان من الواضح أنه منذ تمكن العلماء من كتابة المعادلات الكيماوية وإخضاعها لقانون آفوجادرو (1776- 1856م) وقوانين مايكل فاراداي (1791- 1867م) في التحلل الكهربائي بدؤوا بالاقتناع بوجود الذرات. وحتى مع بداية عام 1905م بقي الشك حول هذه المفاهيم واسع الانتشار. وكان عدد كبير من العلماء مازالوا يرفضون النظرية الدقائقية للمادة، في الوقت الذي رأى فيه آخرون عدم وجود فائدة ترجى من الفرضية الذرية في الكيمياء الذرية وعدوّها بعيدة جدًا من المنطق والواقع. ويذكر المؤلف مثالاً عن هذا الموقف، حيث كتب السير بنيامين كولينز برودي (1817- 1880م) تقارير وكتبًا محاولاً فيها الدلالة على أن تصوّر الذرات ليس أمرًا ضروريًا لتطور علم الكيمياء، وابتدع علمًا جديدًا استغنى فيه عن الفرضية الذرية برمتها أسماهُ «الكيمياء المثالية» ideal chemistry، وأشار في أحد تقاريره إلى أنه أصيب بالدهشة والاستغراب عندما استخدمت «العصي» و«الكرات» sticks and balls لتمثيل النماذج الجزيئية في الكيمياء العضوية، وعَدّ ذلك ضربًا من العبث وخروجًا بعلم الكيمياء عن الواقع المبسط.

وكان من بين أكثر الفيزيائيين شكًّا بالفرضية الذرية إرنست ماخ Ernest Mach (1838-1916م) الذي كان أيضًا من علماء النفس المشاهير. ففي كتاب أصدره عام 1906م تحت عنوان «تحليل الأحاسيس» تحدث عن «التصور الواهم للذرات والجزيئات في الفيزياء والكيمياء»، ولم يغير موقفه هذا إلا عندما اكتُشفت دقائق ألفا (البروتونات) فيما بعد.

وأما سبب هذا الشك في صحة الفرضية الذرية - كما يرى المؤلف - فيكمن في عدم قدرة الإنسان على «رؤية» الذرة مما أفقده الأمل في إدراكها حسيًا. وحتى اليوم لم يتمكن أحد من رؤية الذرة على الرغم من أن دلائل وجودها أصبحت أكثر إقناعًا للبشر من دلائل وجود بعض الأشياء التي رآها بعضهم كالمعجزات والصحون الطائرة!. ويكون علينا أيضًا أن نتذكر أنه على الرغم من معرفتنا الآن بصحة قانون آفوجادرو الشهير - الذي ينص على أن الحجوم المتساوية من الغازات المختلفة التركيب والواقعة تحت شرطين متماثلين من ضغط وحرارة تتضمن العدد نفسه من الجزيئات - والذي صاغه عام 1811م، فإن العلماء لم يتوصلوا إلى التحقق منه عمليًا إلا في عام 1860م عندما تمكنوا من إيجاد «عدد آفوجادرو» الذي يمثل عدد الجزيئات الغازية في الحجم المولي من الغاز (6,023 × 2310 جزيء). ولقد أوحى هذا الاكتشاف لبعض العلماء بأفكار أولى حول بعض القياسات الكمية الذرية كالحجم الذري والكتلة الذرية.

وحتى عند نهاية القرن التاسع عشر، بقي الكثير من مشاهير العلماء في شك من وجود الذرة، ولعل من أشهرهم ماكس بلانك (1858- 1947م) الذي كتب في مجلة Scientific Autobiography تقريرًا قال فيه: «.. وإنني لا أكتفي بانتقاد النظرية الذرية، بل إنني أعلن أنني أكاد أعارضها تمامًا». ولم يقبلها إلا بعد أن أصبحت جزءًا من الحقائق التي اعتمد عليها لاستنباط قانون الإشعاع.


صورة لمجموعة علماء في أثناء حضورهم لاجتماع علمي في كوبنهاغن دعاهم إليه نيلز بور عام 1937م. ويبدو في الصف الأول من اليسار إلى اليمين: نيلز بور، هايزنبرغ، باولي، شتيرن، مايتنر، ليدينبورغ، جاكوبسون. ومن أهم شخصيات الصف الثاني مؤلف الكتاب إميليو سيجر الذي يجلس أقصى يمين الصف الثاني مرتديًا نظارتيه

في ركب الحضارة

نظرات في الترجمة الأدبية

د. فؤاد عبدالمطلب

إن معظم اللغات تستخدم أكثر من كلمة للدلالة على تلك العملية الفنية الغامضة التي تدعى: الترجمة. فاللغة الأندونيسية مثلاً تستخدم الألفاظ Terjemahan و Pertalan وPernjalinan، واللفظ الأخير أتى من جذر كلمة يعني حملت طفلاً أو يبدل المرء ثيابه. وتستخدم اللغة الألمانية كلمة Ubertragen التي تعني النقل أو التفاوض، أو كلمة Ubersezen وتعني العبور أو القفز فوق. كما أن الفرنسية، مثلها مثل الإنجليزية، اشتقت كلمتها عن الترجمة من اللفظة اللاتينية Translatio، وهي ذات معنى أولي يفيد الحمل أو النقل، فهي تستخدم كلمتي Traduction و Version(1)، وتعنيان الترجمة أو النقل من لغة أجنبية إلى اللغة الأم، وهذا ينطبق أيضًا على اللغة الإسبانية التي تستخدم Traduzioire و Transferimento(2).

ولا يخفى على القارئ المدقق استمرار حدوث الصورة اللفظية لكلمة (ترجمة) أو وجود وجه شبه من نوع ما بين الكلمة العربية ومعادلاتها في الإندونيسية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية. ويبقى وجه الشبه المذكور موضوعًا للتقصي يقوم به الباحث اللساني المقارن.

وربما كان من الممتع أن نذكر العلاقة بين الفعل تَرْجَمَ في العربية وما يعادله في اللغات الشرقية التي وجدت في منطقتنا قديمًا كالسريانية وهو تَرْجمْ Tar-ghem ويعني ترجم وفسّر وشرح وخَطب وتكلّم، وفي العبرية تَرْجَمْ Tirghem ويعني ترجم ونقل من لغة إلى أخرى، ونذكر أيضًا أن التَرجُومَ Targhum هو الترجمة الآرامية للتوراة. وما كلمة درغمان Drogman(3) في الفرنسية والإنجليزية أيضًا إلا كلمة ترجمان العربية التي طرأ عليها التعديل كما حدث لكثير من الكلمات التي تدخل بين اللغات. ولقد ورد بخصوص الفعل والاسم في لسان العرب: «يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى، والشخص يسمى التّرجمان وهو الذي يفسر الكلام»، وجاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي: «الترجمان كعنفوان: المفسر، وترجمه وترجم عنه، والفعل يدل على أصالة التاء». وفي هذا الإطار يناقش بعض دارسي اللغات الشرقية أن أساس الفعل كلمة رَجَم كما وردت في العربية والآرامية والأوغاريتية وغيرها، وأن التاء زائدة وسبب زيادتها بحاجة إلى بحث لغوي في تاريخ الكلمة؛ ويؤكدون ندرة ورود كلمة ترجم أو ترجمة بالمعنى المدروس في النصوص العربية القديمة. وجاء في المعجم الوسيط أيضًا: «ترجم الكلام: بينه ووضّحه، وترجم كلام غيره وعنه: نقله من لغة إلى أخرى، وترجم لفلان: ذكر ترجمته، والترجمان: المترجم وجمعه تراجم وتراجمة، وترجمة فلان: سيرته وحياته وجمعها تراجم». وقد جاء في الصحاح في اللغة والعلوم: «ترجم - يقال: قد تَرْجَمَ كلامه، إذا فسّره بلسان آخر. ومنه الترجمان، والجمع التراجم، والترجمة: النقل من لغة إلى أخرى». بيد أن المعاجم العربية لا تقدم تأريخًا عامًا أو مفصلاً لتطور معاني تلك الكلمات ودلالاتها على غرار بعض المعاجم الأجنبية مثل The Shorter Oxford English Dictionary. وقد ورد لكلمة ترجم معنى عام هو فسّر وأبان وأوضح. ولم يستخدم ابن النديم هذه الكلمة (الترجمة) وإنّما استخدم «النقل» فيقول في ص304 من الفهرست (ط. تجدّد): «أسماء النقلة من اللغات إلى اللسان العربي»، وفي 305يقول: «أسماء النَّقَلَة من الفارسي إلى العربي»، «نقلة الهند والنبط». وهو يستخدم الفعل نقل من.. إلى. وانظر حديثه عن عبدالله بن المقفع ص32: «وكان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي...»، ونجده يذكر في ص91 أنّ للمفجّع البصري كتابًا عنوانه «الترجمان في معاني الشعر»، وهو ضائع. وقد توفي المفجّع واسمه محمد بن أحمد بن عبيدالله البصري سنة 320هـ. وفي 197 يذكر «كتاب ترجمة كتاب الفلاحة للروم»، وهو ضائع. ويستخدم كلمة الترجمة بمعنى «العنوان» في ص378 «كتاب

تَرْجَمَتُه..» أي عنوانه. ويقول في 211: «وما تَرْجَمَتُه من كتب الجاحظ: رسالة» أي عنوانه.

ويمكن أن نستخلص هنا أن الفعل ترجم وترجمان وترجمة - بالتاء أو من دونها - فصيحة تمامًا وعربية الأصل، وهي ليست من أصل أجنبي وليست محرفة عن أية كلمة أخرى(4).

وتنقسم الترجمة عمومًا إلى فرعين: الأول، الترجمة الشفهية أو الفورية وهي قديمة قدم العلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بين البشر، وتزداد الحاجة إليها في عصرنا هذا - عصر الاتصالات الدولية - وقد أصبحت اختصاصًا قائمًا بذاته يُدَرَّسُ في الجامعات وله طرائقه وبرامجه الخاصة، وقد كان حظ ترجمة الأدب في هذا الفرع قليلاً. أما الفرع الثاني فهو الترجمة الكتابية وهي أوسع انتشاراً وأكثر ديمومة من حيث كونها وسيلة الاتصال والنقل الحضاري العام بين الأمم، وهي تمتاز بالدقة والتأني والأهمية الثقافية بالمقابلة مع الترجمة الفورية، وقد تحققت الترجمة الأدبية وانتشرت من طريق الكتابة. ويتخصص المترجمون عادة في ثلاثة حقول: العلم والتقانة (التكنولوجيا)، والموضوعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية والحقوقية، والأعمال الفلسفية والفنية واللغوية والأدبية. ويُمنح العاملون في الحقلين الأول والثاني عادة أجوراً أو رواتب ممتازة، أما الحقل الثالث فتجري فيه الترجمة، وبخاصة الأدبية، على نحو مستقل وغير رسمي ودون مردود مادي يُذكر.

وقد اختلفت طرائق الترجمة الأدبية من ثقافة إلى أخرى ومن عصر إلى آخر. ولقد ظل السؤال الرئيس في الترجمة مطروحًا دائمًا: هل ترجمة الأعمال الأدبية ممكنة؟ وهل نترجم حرفيًا أم بتصرف؟

ادعى الكثيرون عبر التاريخ أنه من غير الممكن إطلاقًا وضع أفكار عمل أدبي ما وأحاسيسه وأسلوبه وشكله بلغة أخرى دون أن يفقد ذلك العمل الكثير من ميزاته. وعلى ذلك بقيت الترجمة الأدبية تُمارس في جميع أرجاء العالم، ويضيف المترجمون كل يوم إلى التقاليد الأدبية المحلية المعاصرة عبر الترجمة أعمالاً كُتبت بلغات مختلفة وغالبًا في عصور مختلفة (5). كما استفاد كثير من الناس من التجارب والأحاسيس والمواقف التي تتضمنها الأعمال الأدبية المترجمة، التي أثارت عواطف الأدباء وأثّرت على نحو عميق في أساليبهم الأدبية. لكن المشكلة ظلت قائمة منذ القدم وحتى الآن. فحتى نهايات القرن التاسع عشر فَضَّل عدد كبير من الكتاب نوعًا من الترجمة المتصرفة التي فيها روح النص ومعناه ورسالته ومادته أهم من حروفه وكلماته وشكله وتقنيته. وتتجلى النظرة إلى الترجمة والممارسة القديمة لها التي تعتمد الحرية النسبية في الإضافة والحذف والتقديم والتأخير، وأحيانًا تغيير الشكل والأسلوب على نحو واضح في الترجمات العربية والأجنبية على حد سواء. ففي الأدب الإنجليزي ترجم الشاعر والناقد جون درايدن (1631- 1700م) في القرن الثامن عشر «الإنيادة» التي أعطاها الكثير من موهبته الكلاسيكية المحدثة فحازت إعجاب الكثير من دارسي فيرجيل.

وضمن العصر الأدبي نفسه ترجم الكسندر بوب (1688- 1744م) «الإلياذة» محاولاً شرح هوميروس بأسلوب كلاسيكي محدث منمق، اتبع فيه التقاليد الأدبية السائدة بحيث فقدت شخصيات هوميروس طابعها الإغريقي فأصبحت من شخصيات البلاط الإنجليزي؛ وقال عنه بنتلي، أحد الباحثين في الكلاسيكيات: «إنه لشعر رائع يا سيد بوب، لكن لا تقل إنّه لهوميروس». وقد عاش هذا الشعر وربما كان السبب في ذلك أنه ليس لهوميروس. كما قام إدوارد فيتزجرالد (1809- 1883م) في وقت متأخر بترجمته الشهيرة لرباعيات الخيام الفارسية التي قام فيها بالحذف والاختيار وإعادة ترتيب الرباعيات، فنقل روحها



خليل مطران



فيكتور هوجو

وفلسفتها وأعطاها موهبته الشعرية كلها، فكانت سبب شهرته مترجمًا مبدعًا، وليس شاعرًا، في إنجلترا والعالم كله(6) وينتمي إلى هذه المدرسة الأديب أحمد حسن الزيات (1885- 1968م) الذي أجاز التقديم والتأخير في الترجمة. وقد استخدم الزيات عبارة (الروح) في معرض حديثه عن الترجمة وأسلوبه فيها، فهو ينقل النص الأجنبي نقلاً حرفيًا إلى اللغة العربية على طريقة نظمه في لغته، ثم يعود فيجريه على الأسلوب العربي بالتقديم والتأخير، دون زيادة أو نقصان، ثم يعود ثالثة فيفرغ في النص روح المؤلف وشعوره باللفظ الملائم، والمجاز المطابق، والنسق المنتظم. كما سار خليل مطران (1872- 1949م) في ترجمة بعض مسرحيات شكسبير، عن الفرنسية إلى العربية، على مذهب الغريب والإغراب اللغوي عندما استخدم ألفاظًا قديمة ومعقدة بالنسبة إلى القارئ والسامع العربي، هذا إذا لم نذكر المشاهد في المسرح. وقد قام مطران بحذف عبارات وإسقاط سطور وبتر أحاديث كانت ضرورية للمعنى كما هو ملاحظ في ترجمته لـ «تاجر البندقية». وتبقى ترجمات مطران الشكسبيرية، على ذلك، أفضل الترجمات في العربية(7).

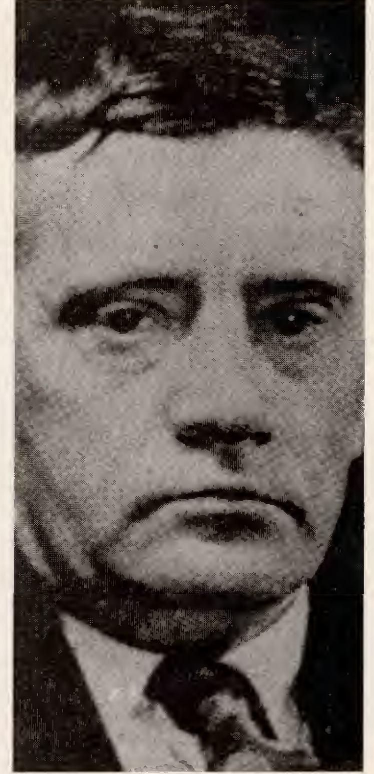
ويشترك مع مطران في استخدام الألفاظ الغريبة والضخمة والعالية حافظ إبراهيم في ترجمته لرواية هوجو «البؤساء» هذا بالإضافة إلى الحذف والتغيير والتلخيص في أحيان كثيرة.

بيد أن هذا الاتجاه لم يمض دون استثناءات، فقد نشر أوغست ويلهلم فون شليجيل (1767- 1845م) نحوًا من سبع عشرة مسرحية مترجمة لشكسبير، اعتمد فيها مبدأ الأمانة في الترجمة، وحاول بطرق مختلفة إعادة إنتاج الأصل دون تصرف، فوضع موهبته كمترجم على نحو مبدع في عمله، فجعل بذلك شكسبير أحد عمالقة الأدب بالألمانية.

كما حاول بنجاح سليمان البستاني (1856- 1925م) في ترجمته الشعرية لإلياذة هوميروس، في أكثر من أحد عشر ألف بيت، أن يكون أمينًا، وعلى أنّه استخدم لغة فخمة فإنه تجنب حوشيّ الكلام وغريب الألفاظ، وحمل في مقدمته للإلياذة على النقلة والمترجمين إلى العربية من المتصرفين والمتسرعين والمحورين وغيرهم.

ومنذ نهايات القرن التاسع عشر طرأت قضايا كثيرة في حقل الترجمة وأساليبها، على بقاء المشكلة الأساسية مطروحة للنقاش. فقد أدت دراسة علم أو حياة الإنسان (الأنثروبولوجيا) الثقافية إلى عدّ اللغة نتاجًا كليًا من الثقافة، وأن الحدود القومية اللغوية لا يمكن تجاهلها، وأن الترجمة عملية شبه مستحيلة، وأن الترجمة وهدفها وطبيعتها والقارئ ودلالة النص وتقنياته وميزاته كلها لم تكن مطروحة بتلك الدقة والتفصيل، وأنه غالبًا ما كان يتم التطابق بين المؤلف والمترجم

والقارئ. لهذا بدأت تبرز الترجمة كعملية إبداعية دقيقة قائمة بذاتها. والحق إن الترجمات لم تُدرس على نحو كاف بوصفها أعمالاً أدبية بحد ذاتها بسبب قيام المترجم الحديث ببذل جهود كبيرة تجاه مادة العمل الأصلي وشكله وإعادة إنتاجه باللغة الجديدة على أفضل وجه ممكن.


نابوكوف

ولقد تشعبت العلاقة بين الترجمة وحقول البحث الأدبي المختلفة، مثل الأدب المقارن والنقد الأدبي ونظرية الأدب وغيرها، هذا إذا لم نتحدث عن العلاقة بين الترجمة وعلوم اللغة المتنوعة. إن الدافع الأساسي للترجمة هو «الحاجة»، ولكن عملية اختيار النص للترجمة، وتنفيذها أيضًا، يقوم على مايمكن أن يدعى بالعلاقة الاصطفائية بين المترجم والنص. وهكذا فإن الترجمات تنتمي إلى دراسة استقبال كاتب أجنبي في أدب محلي، كما تنتمي إلى دراسة الأدب نفسه (8). وتظل الترجمات تقدم أفضل الوسائط بين أعمال كتاب أجانب وكتاب محليين، وكثيرًا مايكون لشكل المادة المترجمة ومضمونها تأثير كبير في الأدب المحلي؛ لأنه بهذه الصيغة يسهل مباشرة استيعابه في التقليد الأدبي المعاصر كما يصبح فعليًا جزءًا منه.

يمكننا بعامة تمييز ثلاث نظرات أو ثلاثة أساليب أو مواقف تجاه النص الأدبي المترجم وبخاصة الشعري:

أولاً: الموقف الذي يرى أن النص في اللغة الأصلية هو الذي يحدد شكل النص ومفرداته وعَرُوضه في اللغة المستقبلة، وبهذا عليه أن يكون حرفيًا أو أمينًا قدر المستطاع. وقد وصل هذا الرأي إلى ذروته من خلال أقوال المترجمين (الحرفيين) من أمثال والتر بنيامين وفلاديمير نابوكوف.

ثانيًا: الموقف الذي يرى أن القيم الأدبية أقل أهمية من محتوى العمل، وأنه في الأحوال كافة لا يمكن تحقيق هذه القيم في الترجمة، وبناءً عليه يمكننا تمامًا ترجمة معاني النصوص الشعرية كما هي أو حتى بنثر عادي.

ثالثًا: الموقف الذي يرى أن الفعالية الأدبية في النص المترجم أساسية، بمعنى أن الشكل والعَروض والمفردات يجب أن تعدل بحيث تلبي مقتضيات اللغة المستقبلة. ويرى هذا الموقف أن الترجمة باختصار يجب أن تتمتع بالفعالية ذاتها في النص الأصلي وتُحْدِث التأثير نفسه في القارئ.

ولم يفرق معظم الدارسين أو المعلقين على الترجمات، سواء في الثقافة العربية أو الإنجليزية، كثيرًا أو قليلاً، وحتى وقت متأخر، بين ترجمة الشعر وترجمة النثر، فقد كانت تطبق عليهما معًا المعايير النظرية نفسها. وبإيجاز شديد يرى الموقف الأول في الترجمة ترجمة لكلمات، ويراها الثاني ترجمة لأفكار ومعلومات، أما الثالث فيجدها ترجمة للروح وللأسلوب. إن علاقة المترجم بالقيم الأدبية الدارجة في اللغة التي يترجم إليها هي التي تحدد موقفه وأسلوبه. ومن الجدير بالذكر أن معظم الكتاب التقليديين وبعض الأكاديميين يفضّلون الأسلوب أو الموقف الأول، ويفضل عدد لا بأس به من الأكاديميين الأسلوب الثاني، بينما يفضل الأسلوب الثالث كل أولئك الذين يتعاملون مع القيم الأدبية الدارجة من المتمرسين ومحترفي الترجمة. ويبقى من الصحيح أن نقول إن الترجمات كانت تتنوع وتتطور عبر العصور وعلى نحو ملحوظ. ونذكر أيضًا أن للأسلوب أو الموقف الثالث جذورًا ضاربة في العمق تاريخيًا وممتدة عالميًا، شرقًا وغربًا. ويمكننا النظر إلى هذه الأفكار من زاوية عملية أكثر منها مثالية أو رومانتيكية تفضي بنا إلى السعي أن تكون النصوص المترجمة نصوصًا معادلة أدبيًا للنصوص الأدبية المتميزة في اللغات الأصلية. ويقول أحد المترجمين الصينيين: «إن الكتابة الجيدة تشجعنا على المضي إلى الأمام، بينما تجرنا الكتابة الرديئة إلى الوراء»(9).

الحواشي:

1- Traduction والفعل Traduire والمُتَرْجِم Traducteur ومؤنثه Traductrice والفعل أقدم الكلمات الفرنسية وكان معناه التمرير Faire Passer عام 1480م وهو من الفعل اللاتيني Traducere. وكان له معنى حقوقي وهو تقديم أحدهم للمحاكمة، وفي عام 1520م صار له معنى النقل من لغة إلى لغة. وصار له معانٍ أخرى بعد ذلك.
أما الاسم Traduction فقد كان له في عام 1530م معنى «التقديم» وأصبح له في القرن الثالث عشر معنى الترجمة من الفعل Traduire المشتق من اللاتيني Traductio.
أما المُتَرْجِم Traducteur فوجد في عام 1540م من الفعل Traduire من اللاتينية Traductor وهو من يقوم بالترجمة. وصار له في عام 1860م معنى تقنيًا يطلق على تنظيمات متنوعة تستخدم لنقل التيار الكهربائي إلى قوة معينة.
أمّا كلمة Version فهي من اللاتينية Versio وقد كان لها في عام 1596م معنى القلب.

2- انظر: موسوعة برنستون الجديدة للشعر والشعراء، تحرير أ. بريمنغروت ف. ف. بروغان، برنستون، نيوجرسي، منشورات جامعة برنستون 1993م، ص1303-1304 (بالإنجليزية).

3- جاء في معجم روبير الصغير: 579 أنّ الكلمة عُرِفت منعزلة في الفرنسية عام 1213م، وعُرِفت في الاستعمال السياقي في عام 1553م، ويشير إلى أنها من أصل إيطالي dragmomanno وهو باليونانية والبيزنطية dragoumanos ومعناه المترجم.
ويشير أيضًا إلى أنها كلمة قديمة لتسمية المترجم، وهي لم تعدْ تُستعمل اليوم، وكانوا يسمّون بها المترجم في بلاد لبنان.
وقد وردت الكلمة في معجم تاج العروس (ترجم) على أنها تسمية المترجم عند الإفرنج والملاحظ أنها تحريف للكلمة العربية ترجمان.
قال المرتضى الزبيدي في «تاج العروس من جواهر القاموس»، ط. دار الفكر، تحقيق علي شيري: 1414هـ - 1994م، المجلد 16 (ترجم) ص73: «.. وقد ترْجمه وترجم عنه إذا فسّر كلامه بلسان آخر، قاله الجوهري. وقيل: نقله من لغة إلى لغة أخرى، والفعل يدلّ على أصالة التاء فيه تعريض على الجوهري حيث ذكره في (رج م)، مع أن أبا حيان قد صرّح بأن وزنه تفعُلان ويؤيده قول ابن قتيبة في أدب الكاتب: إنّ الترجمة تَفْعَلة من الرْجم، ثم وقع الخلاف هل هو من الرجم بالحجارة لأنّ المتكلم رمى به أو من الرْجم بالغيب لأن المترجم يتوصّل لذلك به، فقولان لا تنافي بينهما، وهل هو عربي أو مُعَرّب درغمان فتصرّفوا فيه... قلت: إذا كان مُعرّبًا فموضع ذكره هنا لأنه حينئذ لا يُشتقّ من رجم فتأمل..».

4- من غْريب الصيغ التي وجدناها في الشعر العربي القديم بخصوص كلمة الترجمة قول الأسود بن يعفر، المفضليات، ص418، ق125، ب9:

حتّى تناولَها صَهْباءَ صافيةً
يَرْشُو التّجارَ عليها والتُراجيمَا

وجاء في الحاشية:
التراجيم: خدم من خدم الخمارين. وهذا المعنى ليس في المعجم، وكذلك زيادة الياء في الجمع. ويقال يريد التراجمة، لأن باعة الخمر عجم يحتاجون إلى من يفهم الناس كلامهم. والأسود شاعر جاهلي كان ينادم النعمان بن المنذر.
وانظر بخصوص الترجمة عند العرب القدماء مقالة بعنوان «فن الترجمة في النقد العربي»، محمد خير شيخ موسى، مجلة «علامات» السعودية، ج10- م3- رجب 1414هـ- ديسمبر 1993م، ص197- 225.
وقال الجاحظ في الحيوان (ط. هارون) 75/1: «.. وتُرْجِمت حكم اليونانية..»، واستخدم «الترجمان» و«الترجمة» في غير موضع من الحيوان. وقال في 78/1: «وإذا كان المترجم الذي قد ترجم لا يكْمُل لذلك،..».

5- لمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة والإجابات الممكنة، انظر: هورست فرنز (فن الترجمة)، الأدب المقارن: منهاجه ومنظوره، تحرير ن.ب ستالكت وهورست فرنز، كاربونديل وادوار دزفيل، منشورات جامعة سائرن، الليننوي، 1973م ص98- 103 (بالإنجليزية).

6- حول ميزات هذه الترجمة، انظر المرجع السابق، ص102-103.

7- انظر مناقشة محمد عبدالغني حسن لهذه المترجمات في كتابه: فن الترجمة. الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م، ص53- 62.

8- انظر: جوزيف ت. شو «التداين الأدبي والدراسات الأدبية المقارنة» في الأدب المقارن: منهاجه ومنظوره، المعطيات السابقة، ص880.

9- موسوعة برنستون الجديدة للشعر والشعراء. المعطيات السابقة، ص1304.

قصة قصيدة

سلطان الجَمال

د. محمود جبر الربداوي

قال عبدالله بن طاهر بن الحسين(*):

نحن قـومٌ تُلِيننا الحَـدَقُ النُجـ (م)

ـل(1) على أننا نُلين الحـديدا

طوع أيدي الحِسـان تقـتادنا (م)

العين(2)، ونقـتاد بالطعان الأسُـودا

نملك الصِّيد(3)، ثم تملكنا البيـ (م)

ـضُ المصـونات أعـينًا وخـدودا

تتّـقي سـخطنا الأسـودُ ونخـشى

سخط الخِشف(4) حين يُبدي الصدودا

فـترانا يوم الكريهـة أحـرا

رًا، وفي السِلْم للغـواني عَـبـيـدا

الجمال هبـة يهـبهـا الله لمن شـاء من مخلوقـاته، وتتجلى أكـثر ما تتجلى في الإنسان، وهو صفةٌ من صفات الخالق ولذلك أحبها وحبّب بها عباده، ألم يَرِد في الصحيح من الأثر: «إن الله جميل يحب الجمال»؟

وعندما خلق الله الإنسان، وخلق منه الذكر والأنثى، منح القوة والقدرة للرجل، ومنح الجمال والحسن للمرأة، لكي يتحقق التوازن في الحياة، ويؤدي كل من المخلوقَيْن وظيفته في الحياة الاجتماعية.

وتُحدثنا الكتب السماوية أن أول جريمة قتل حَدَثَت في تاريخ البشرية ترجع جذورها إلى ظاهرة الجمال الأنثوي والرغبة في امتلاكه، وذلك ما كان من ابني آدم: قابيل وهابيل، وأختيهما أقليميا وليوذا(1).

وقوة الرجل وجمال المرأة استأثرتا بالحظ الأوفر من ديوان الشعر العربي؛ فقوة الرجل وشجاعته وصلابته في الحرب والجهاد وتحقيق النصر والظفر أملتْ على الشاعر «فن المديح»، وهو ثلث ديوان الشعر العربي؛ وجمال المرأة وتصويره بالكلمة، وتعبير الشاعر عن وقع هذا الجمال على نفسه وعلى مشاعره أملى على الشاعر «فن الغزل»، وهو يكاد يشغل نصف ديوان الشعر العربي.

ولكي تتحقق معادلة التوازن في الحياة الاجتماعية، التي أشرنا إليها قبل قليل، رأينا الرجل يصلب في مقابلته للرجل وتصدّيه له، ولكنه - ولحكمة أرادها الله - نراه يضعف ويلين في مقابلته للمرأة؛ لأن طبائع الأشياء، ونواميس الحياة الاجتماعية، ومستلزمات الغريزة، كل ذلك يفرض هذا التناغم والاتّساق.

ومما يُروى عن أمير المؤمنين معاوية أنه كان يقول: «النساء يغلبن الكرام من الرجال، ويغلبهنّ اللئام منهم»(2). كما يُروى عن الخليفة العباسي المأمون ما هو أعظم من قول معاوية، على كونه سلطان أهل الأرض، قوله:

عجبًا يهابُ الليثُ حَدَّ سناني
وأهابُ سحْرَ فواتر الأجفانِ
مالي تطاوِعُني البريَّةُ كُلُّها
وأُطيعُهنّ وهنّ في عصيان؟!

ولم يكن اللينَ للمرأة وإطاعتها مقصورًا على عظماء رجال الزمن القديم؛ بل استمر هذا في زمننا الحاضر، فهذا الأمير عبدالقادر الجزائري يسجل في ديوانه إطاعته الكبرى لزوجته ويقول: «كانت ابنة عمي تغضب عليّ، وتواجهني بما أكره وأصبر لها، وفي حقها قلت من قصيدة:3)

أقاسي الحب من قاسي الفؤاد
وأرعاه، ولا يرعى ودادي
(أريد حياتها، وتريد قتلي)
بهجرٍ أو بصدٍّ أو بعاد

وأغتفر العظيمِ لها وتُحصي
عليَّ الذنب في وقت العِداد
وأخضعُ ذلةً فتزيدُ تيهًا
وفي هجري أراها في اشتداد
فما تنفك عني ذات عز
وما أنفكُ في ذلٍّ أنادي
فما في الذل للمحبوب عارٌ
سبيلُ الحب ذلٌ للمراد
رضا المحبوب ليس له عديل
بغير الذلّ ليس بمستفاد
ومن عجبٍ تهابُ الأسدُ بطشي
ويمنعني غزالٌ عن مرادي
وماذا غير أنَّ له جمالاً
تملَّك مهجتي ملك السواد
وسلطان الجمال له اعتزازٌ
على ذي الخيل، والرجُل الجواد

ومادام الأمير عبدالقادر قد ختم قصيدته هذه التي عَنْوَنَها في ديوانه باسم «ابنة العم» بعبارة سلطان الجمال؛ فما أحرانا أن نذكر القصة التي أوردها وهو يحاور - كتابةً - بعض المفكرين الفرنسيين في وجهة نظر الرجل المسلم في المرأة، ووجهة نظر الرجل الغربي فيها، وهي قصة أوردها العماد الأول مصطفى طلاس في مقدمة كتابه «شاعر وقصيدة»، وأوردتها جملة من المصادر، ومؤدى القصة: «أن القائد المشهور عبدالله بن طاهر العلوي الذي ولي الشام سنة 821م، كان قد حاصر إحدى المدن في خراسان، وطال الحصار، واستأذنت حسناء من أهلها في فك الحصار، ثم إنها على الأبواب طلبتْ مقابلة القائد، وأُذن لها، فدخلت عليه محتجبة، وسألته: ألَست القائل:

نحن قوم تذيبنا الأعين النُّجـ (م)
ـل على أننا نذيب الحديدا
طوع أمرِ الحسان، تقتادنا (م)
الغيدُ، ونقتاد في الطعان الأسودا؟!

فقال: بلى، فرفعت عن وجهها الحجاب، وقالت: كيف ترى؟ فقال: وجهٌ - والله - كريم، قالت: فآمرك أن تترك هذه المدينة وأهلها بسلام وترحل عنها وجيشك بألف سلام، قال: ولكنْ لي شرط على المدينة، وآخر عليك: أن تعود المدينة إلى طاعة الخليفة، وأن تصيري أنتِ إلى طاعتي، إن لم يكن عليك لبعلٍ طاعة»(4).

ولو رحنا نتحدث عن الجمال وسلطانه على النفوس لما اتسعت له الصفحتان المخصصتان لهذه الزاوية، ومن طلب المزيد من الحديث عن الجمال ففي كتب التراث أبواب كثيرة لعل من أحسنها وأرصنها ما كتبه ابن قيم الجوزية في الباب التاسع عشر الذي عنوانه «في ذكر فضيلة الجمال، وميل النفوس إليه على كل حال»(5).

أما تناول الشعراء لظاهرة الجمال وسلطانه على النفوس، فما أعرف شاعرًا إلاّ ولَهُ في الجمال صولات وجولات، وإن اختلفوا في التجاوب مع فتنة الجمال سلبًا وإيجابًا، كالمقنع الخراساني، وعمر بهاءالدين الأميري، وعدنان النحوي. وقد عارض الأخيران المقنع في قوله المشهور:

خلقت الجمالَ لنا فتنةً
وقلتَ لنا: يا عبادي اتّقونْ
فأنت جميل تحب الجمال
فكيف عبادُك لا يعشقون؟!

الألفاظ الغريبة:

1- الحَدَق النجل: العيون الواسعة.

2- الحسان، وفي نسخة: الظباء، والعِين، بكسر العَين، مفردها عيناء: الواسعة العين، وتطلق على البقرة الوحشية. ويشبهون النساء الواسعات العيون بالعين، ومنها في القرآن ذِكْرُ: الحور العِين.

3- الصِّيد: جمع أصيد، وهو السيّد الشجاع. وهو من الصَّيَد: رفع الرأس كبرًا، وأصل اللفظة: الصَّيد: داء يصيب الإبل فترفع رؤوسها.

4- الخشف: ولد الغزالة.

5- الكَريهة: الحرب.

(*) قال ابن خلكان في وفيات الأعيان (جـ 3ص 86): وقيل: إن هذه القصيدة لأصرم بن حميد ممدوح أبي تمام.

أما عبدالله بن طاهر بن الحسين فقد كان سيدًا نبيلاً عالي الهمة شهمًا، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه. كان واليًا على الدّيَنَوَر، فلما خرج بابك الخرمي أمره المأمون بالخروج إلى خراسان سنة 213هـ، وجمع له الشام، وكان أبو تمام قد قصد عبدالله من العراق فلما انتهى إلى قُومس، وطالت به الشقة قال:

يقول في (قومس) صحبي، وقد أخَذَتْ

منا السُّرى وخُطا المهرية القُود:
أمطلع الشمس تبغي أنَ تؤم بنا؟

فقلت: كلا، ولكنْ مطلع الجود

فلما أدركه الشتاء في همذان لجأ إلى صديق له هناك وألَّف كتاب «الحماسة»، فلما انحسر الشتاء وصل أبو تمام إلى ممدوحه وأنشده قصيدته البائية البديعية التي منها:

وركب كأطراف الأسنّة عرَّسوا
علَى مثلها، والليل تسطو غياهبه
لأمرٍ عليهم أن تتم صدورُه
وليس عليهم أن تتم عواقبه

وهي - كما وصفها ابن خلكان - من القصائد الطنانة، وكان عبدالله بن طاهر أديبًا ظريفًا، له شعر مليح، ورسائل ظريفة، وذكر من شعره الأبيات الدالية الآنفة الذكر، وذكر له بيتين آخرين، وقال: كان عبدالله أحد الأجواد الأسخياء. له محاورة طريفة مع محلّم الشيباني حول نوح الحمام (ذكرناها في حلقة سابقة)، تولى مناصب قيادية رفيعة في شرقي الخلافة العباسية وفي غربها، ومات بمرو أو بنيسابور سنة 228 وقيل سنة 230هـ، عن عمر أقل من خمسين سنة.

الهوامش:

1- سورة المائدة آية 27- 31؛ وتفسير القرطبي وابن كثير وحاشية الصاوي على الجلالين. ومكائد الشيطان، تأليف طه عبدالله العفيفي ص46- 48.
2- تحفة الزائر، تأليف الأمير محمد عبدالقادر الجزائري 2/ 745.
3- ديوان الأمير عبدالقادر الجزائري 59- 60.
4- شاعر وقصيدة، العماد الأول مصطفى طلاس 31/1، وتحفة الزائر، الأمير محمد بن عبدالقادر الجزائري 2/ 742. ونُسبَ البيتان في «التحفة» لأحد ملوك الفاطميين، وفي رواية التحفة بعض الاختلاف.
5- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن قيم الجوزية ص221.

دائرة المعارف

مصطلحات منهجية

إعداد:
د. عبدالفتاح محمد العيسوي



إحصاء STATISTICS

هو، بوجه عام: حصر طائفة من الوقائع والظواهر وتجميعها على وجه معين. وبوجه خاص: منهج ينصب على جمع نوع ما من الظواهر وتنسيقها على نحو يؤدي إلى علاقة عددية ثابتة، ويعبر عن أسباب مطَّردة تمكن من التكهن بالمستقبل. ومنه الإحصاء الناقص الذي يعمد إلى حذف حال أو أكثر من الأحوال الممكنة في استدلال يقوم على حصرها جميعا، ومنه الاستقراء الذي يعتمد على الحالات الملائمة ويغفل الحالات غير الملائمة، والاستقراء IN-DUCTION هو الحكم الكلي بما يوجد في بعض أجزائه وهو القائم على التعميم، وعليه يعتمد المنهج التجريبي، فهو ينتقل من الواقعة إلى القانون.

استبطان INTROSPECTION

هو منهج تأملي باطني (سيكولوجي) ينصب على ما يجري في عالم الشعور، ومنه الاستبطان التجريبي، ويتلخص في أن يوضع شخص تحت اختبارات معينة ليصف شعوره في أثناء هذه التجربة.



البواقي THE METHOD OF RESIDUES

إحدى طرائق جون ستيوارت ميل، ومؤداها إنه إذا كان لدينا العوامل المحددة التي تسبب حدوث بعض أجزاء الظاهرة المطلوبة دراستها من طريق استقراء سابق لها، فإن الأجزاء المتبقية من الظاهرة نفسها، من الضروري أن تكون ناتجة من العامل أو العوامل المتبقية منها.

وهي طريقة تجريبية يُقصد منها العثور على ظاهرة جديدة كانت مجهولة وتتطلب تفسيراً، أي بحثًا عن السبب في وجودها، وتُستخدم في العلوم التي أحرزت نصيبًا كبيراً من التقدم في الكشف عن القوانين، لأننا إذا استطعنا تفسير طائفة كبيرة من الظواهر، بناء على القوانين التي سبق تقريرها بالطرق الاستقرائية، فإنه يبقى علينا أن نعثر على القوانين التي تفسر الظواهر القليلة الباقية.



تجربة EXPERIMENT

هي بالمعنى العام: خبرة يكتسبها الإنسان عمليًّا أو نظريًّا، وتقابل في الفرنسية EXPERIENCE وبالمعنى الخاص: تعني التدخل في مجرى الظواهر للكشف عن فرض من الفروض أو للتحقق من صحته، لأن التحقيق VERIFICATION يعني التأكد من صحة قول أو واقعة، ويمكن تطبيقه في الدراسات الإنسانية كعلم النفس والاجتماع والسياسة. وفي المنهج التجريبي هو جملة العمليات التي نضع بها فرضا من الفروض موضع الفحص، وينصبّ بوجه عام على حال معينة.

تعريف DEFINITION

يشير هذا المصطلح من الناحية المنهجية إلى جملة الخصائص التي يتواضع عليها العلماء لتحديد حقائق كل علم، وهو بهذا في تطور مستمر، ويزداد وضوحًا ويقينًا بتقدم العلم، فالتعريفات الهندسية أشد وضوحًا وأعظم يقينًا من التعريفات الطبيعية أو التجريبية، فضلاً عن أن التعريف يعين على الفهم ووضوح الأفكار في الذهن، ويُستخدم أيضًا في البرهنة والاستدلال، والمعرَّف ما يتم به التعريف.



جداول بيكون BECON'S TABLES

هي قوائم ثلاث يرى فرنسيس بيكون أنه ينبغي توزيع التجارب والملاحظات بينها، وهي على النحو التالي:

1- قائمة الحضور: وترمي إلى فحص ظاهرة أو صفة بعينها، وإلى البحث عن جميع الأمثلة التي توجد فيها، بشرط أن تكون هذه الأمثلة متنوعة ومختلفة إلى أكبر حد. وقد درس بيكون ظاهرة الحرارة فوضع في قائمة الحضور 27 حالة توجد

فيها الحرارة كأشعة الشمس والصواعق والأجسام الحية والاحتكاك... الخ.

2 ـ قائمة الغياب: وفيها يحصي بيكون الحالات المقابلة للحالات التي ذكرها في قائمة الحضور، أي يحصى الحالات المقابلة التي تغيب أو تختفي فيها الحرارة، ومن هنا رصد بيكون في هذه القائمة 27 حالة مقابلة للـ 27 حالة التي ذكرها في قائمة الحضور ككسوف الشمس وضوء القمر حيث تختفى الحرارة وهكذا.

3 ـ قائمة التدرج: وفيها يتم إحصاء جميع الحالات التي توجد فيها الحرارة بدرجات مختلفة تزيد وتنقص، مع محاولة البحث عن سبب زيادة الحرارة أو سبب نقصها في الحالات التي جمعها وهي 41 حالة.

ولقد انتهى بيكون بعد إحصاء الحالات وترتيبها في قوائمه الثلاث إلى أن الحركة هي عملية الحرارة. ولقد وصل إلى هذه النتيجة بعد أن وجد أنه كلما وُجدت الحركة وجدت الحرارة، وكلما اختفت الحركة اختفت الحرارة، وكلما تغيرت سرعة الحركة، تغيرت نسبة الحرارة، بمعنى أنه كلما تغيرت الحركة سرعة وبطئًا تغيرت درجة الحرارة تغيرًا متوافقًا معها من حيث الزيادة والنقصان.



حتمية DETERMINISM

مبدأ يفيد عموم القوانين الطبيعية وثبوتها، فلا تخلّف ولا مصادفة، ويقوم على مجموعة الشرائط الضرورية لتحديد ظاهرة ما، فكل شيء في الوجود يُرد إلى العلة والمعلول، وعلى هذا المبدأ يعتمد المنهج الاستقرائي في العلوم الطبيعية، وقد يمتد إلى العلوم الإنسانية، إلا أن الحتمية الصارمة التي تحكمت في التفكير العلمي في القرن التاسع عشر قد اهتزت في القرن العشرين.

حذف ELIMINATION

ويُقصد به في مناهج البحث استبعاد الفروض غير الملائمة، أو استبعاد الظروف الفرضية عند تطبيق المنهج التجريبي.



خطأ FAULT

هو مخالفة قاعدة أو نظام كان من الواجب احترامه، ومنه مخالفة القواعد المنطقية والرياضية أو الأخلاقية والجمالية، ويتضمن اللفظ في ذهن من يستعمله ثبوت قيمة للمعيار الذي خولف.



دراسة استطلاعية EXPLORATORY STUDY

تهدف غالبية الدراسات الاستطلاعية إلى تحقيق أحد هذين الهدفين أو كليهما:

أ ـ صياغة مشكلة البحث صياغة دقيقة تمهيدًا لبحثها بحثًا عميقًا.

ب ـ تَعَـرُّف أهم الفروض التي يمكن إخضاعها للبحث العلمي الدقيق لمحاولة التثبت من صحتها أو خطئها في بحوث تالية. وقد يكون للدراسات الاستطلاعية وظائف أخرى منها ما يلي:

1ـ زيادة ألفة الباحث للموقف أو الظاهرة التي يرغب في دراستها في المستقبل دراسة دقيقة ومتعمقة.

2ـ توضيح المفاهيم المستخدمة في البحث وتحديدها تحديدًا واضحًا.

3ـ ترتيب الموضوعات حسب أهميتها ليكون لها السبق في البحث مستقبلاً.

4ـ جمع بيانات عن الإمكانات العملية لإجراء البحث في الميدان الواقعي، أو بعبارة أخرى استطلاع حقيقة الموقف الفعلي الذي تجري فيه الدراسة، ومدى الإمكانات العملية التي تيسر أو تعوق تنفيذ البحث.

5ـ الحصول على قائمة المشكلات التي يراها الإخصائيون والخبراء في ميدان من الميادين الجديرة بالدراسة والبحث. لأن الباحث الاجتماعي قد يجهل عند ابتداء الدراسة الكشفية الكثير عن طبيعة الموضوع الذي يدرسه، ولذلك يستلزم تصميم هذا النوع من الدراسات قدرًا كبيرًا من المرونة والشمول.



ذاتي SUBJECTIVE

هو ما ينتسب إلى الذات، مما يتصل بها أو يخضع لها، فيقال تفكير ذاتي، وإدراك ذاتي، ومنه الأحكام الذاتية والمنهج الذاتي SUBJECTIVE METHOD الذي يقوم على تفسير الظواهر في ضوء المشاعر والميول الداخلية، مقابل المنهج الموضوعي الذي يعتمد على قدرة الباحث على عزل نفسه عن المواقف المندمج فيها، ونظرته إلى الحقائق على أساس ما تبدو عليه في الواقع، بعيدا من ميوله ورغباته واتجاهاته ومعتقداته وتحيزاته وخبراته وانفعالاته الذاتية، تلك التي تسبب الخطأ في اختيار عينة الدراسة وجمع البيانات، وفي عملية تفسير النتائج والحكم عليها، وذلك لتحقيق أكثر التعميمات العامة حيادًا في ضوء المعرفة المتوافرة.



روح علمية SCIENTIFIC MIND

روح تتسم بالدقة والوضوح، ومحاولة تفصيل المسائل وتحليلها وتحري الحقيقة والبحث عنها.



الزعم CLAIMING

هو الظن أو القول بغير دليل، وأكثر ما يقال في ما يُشَكّ فيه أو يُعتَقَد كذبه، ويقال: هذا أمر فيه زعم، أي لا يُوثق به، إذ يزعم فلان أنه كذا، ويزعم الآخر أنه كذا، أي إن الأمر فيه منازعة.

ولابد من الاحتكام إلى التجربة لحسم الأمر.



سبب CAUSE

هو ما يترتب عليه مسبَّب عقلاً أو واقعًا،

فالمقدمات الصادقة سبب صدق النتيجة، وبعض الظواهر الطبيعية سبب ظواهر أخرى، وهذا هو المعنى العلمي السائد اليوم. وهناك ما يُعرف بمبدأ السبب الكافي الذي يقضي بأن يكون لكل شيء سبب يتوقف عليه، وعلى العموم السببية هي علاقة بين السبب والمسبب.

سلسلة SERIES

جملة من الحدود رُتِّبت ترتيبًا تصاعديًا أو تنازليًا على حسب اختلاف سمة أو أكثر من السمات، وهي الصورة الأولى لكل تصنيف، وقد استعملها أوجست كونت للدلالة على مختلف الوقائع الاجتماعية.



شك منهجي DOUBTE

مرحلة أساسية من مراحل منهج البحث في الفلسفة، قوامها تمحيص المعاني والأحكام تمحيصًا تاما بحيث لا يُقبل منها إلا ما ثبت يقينه، ومن أبرز من قال به الغزالي ثم ديكارت، فعلى الباحث أن يحرر نفسه من الأفكار الخاطئة وأن يتروَّى فيما يعرض له، فلا يتسرع في حكمه، ولا يقبل إلا ما ثبت للعقل بداهة.



صنف CLASS

هو ما يقوم عليه منهج التصنيف في علم الاجتماع، فيصنف الأفراد على أساس مستواهم الاجتماعي الواحد بحكم القانون أو العرف ويُسمَّون طبقة، ويُقسم المواطنون عادة بحسب مهنتهم إلى طبقات مثل طبقة الزراع والصناع والتجار... إلخ.



ضرورة NECESSITY

هي ما يتميز به الشيء من وجوب أو امتناع، وهي على أنواع؛ فمنها الضرورة المنطقية التي يقتضيها مبدأ عدم التناقض، والضرورة التجريبية أو الطبيعية، أي ضرورة الأمر الواقع، وهو ما يستحيل عدم حصوله إذا ما توافرت شروطه وظروفه، والضرورة المعنوية وهي النظام المثالي.



طريقة الاختلاف METHOD OF DIF-FERENCE

إحدى الطرائق التي وضعها جون ستيورات ميل لتحقيق الفروض واكتشاف القوانين التي تربط بين الظواهر. وتقوم هذه الطريقة على أساس أنه إذا حدثت ظاهرة ما في وقت ما، ثم توقفت عن الحدوث في وقت ما، وكانت الظروف متشابهة في كلتا الحالتين فيما عدا ظرفًا واحدًا يكون هذا الظرف هو علتها أو جزءًا من علتها.

وطريقة الاختلاف مقابلة طريقة الاتفاق METHOD OF AGREEMENT وترمي إلى إيجاد رابطة بين الوقائع، وبخاصة بين سبب ونتيجة ما، وذلك بملاحظة اقتران ظاهرتين باستمرار. أي وقوعهما معا على اختلاف الظروف المحيطة، ويقول ميل في تحديده لها: «إذا كان هناك ظرف واحد مشترك اتفقت فيه حالتان أو أكثر، للظاهرة قيد البحث، فإن هذا الظرف الوحيد الذي اتفقت فيه الحالات يعد علة الظاهرة أو سببها».

فإذا أوجدنا الظاهرة التي نبحث عنها ولتكن (س) في الحالات الآتية (ص هـ و، ص ل ع، ص ن م)، فإننا نقول إن العنصر المشترك (ص) علة حدوث (س). وعلى أية حال يمكن للباحث أن يجمع بين الطريقتين. يقول ميل: «إذا بحثنا حالتين تظهر في كل منهما ظاهرة خاصة، فوجدنا أنهما تختلفان في كل شيء عدا أمرا واحدا فقط، وحالتين أخريين لا تظهر فيهما الظاهرة، فوجدنا أنهما لا تختلفان في شيء عدا تغيب ذلك الأمر، فإننا نستنتج أن يكون ذلك الأمر الموجود في المثالين الأولين والمتغيب في المثالين الآخرين، هو علة الظاهرة.



ظاهرة PHENOMENON

هي ما يمكن إدراكه أو الشعور به، وما يُعرف من طريق الملاحظة أو المشاهدة أو المعاينة والتجربة. والظواهر طبيعية واجتماعية ونفسية.



علم وصف الظواهر PHENOMENOLOGY

هو الدراسة الوصفية للظواهر على نحو ما تبدو في الزمان والمكان بصرف النظر عما وراءها من حقائق. وهو منهج تحليلي يرمي إلى إدراك الحقائق، ويعتمد على وعي الذات بالموضوع.



غامض OBSCURE

الفكرة الغامضة التي تلتبس بغيرها ولا يسهل على الذهن فهمها، وقد يكون اللفظ غامضًا غموض الفكرة نفسها.



فرض HYPOTHESIS

يعد الفرض مصدر الكشف العلمي وجوهره، وهو ظن أو تخمين أو اقتراح نتقدم به لتفسير واقعة ما، أو إيجاد علاقة ما بين مجموعة من الوقائع، وبهذا المعنى، فإن الفرض يتعلق بالعلاقة بين ظواهر معينة، وتلك الظواهر تنتمي إلى مجموعة من العلوم المترابطة التي تكون أساس المعرفة في إطار النسق العلمي.

وقد يتطور الفرض في أثناء البحث إلى سلسلة من الاقتراحات التي تُفضي إلى مزيد من الأبحاث العلمية وتفسير وقائع جديدة. وللفرض شأن مهم في المنهج التجريبي حيث يتم التحقق منه من طريق الملاحظة أو التجربة.

كما يتضمن الفرض عنصراً نفسيًا (سيكولوجيا) أكثر من كونه منطقيًا، ويختلف

الناس في قدراتهم واستعداداتهم لصياغة الفروض، لأنها تعتمد على تصور الفرد لها، ومعرفته السابقة والسائدة في عصره عن العلم الذي يدرسه والعلوم الأخرى المتصلة به.

والعنصر (السيكولوجي) المتضمَّن في الفرض يشير إلى أن الفرض يأتي من الخيال أو الحدس الذي يتمتع به العالِم.



قاعدة RULE

هي، بوجه عام: قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها، وبوجه خاص: هي صيغة تنظِّم سلوكا وعملاً أو تفكيرًا وبحثًا، ومنه قواعد السلوك، وقواعد المنهج.

فإذا استقرت القاعدة وبلغت درجة من الشمول أصبحت قانونًا. ومعروف في مناهج البحث أن القاعدة أضيق من القانون، والقانون أضيق من النظرية.



كشف DECOUVERTE

إحدى خطوات المنهج العلمي، ويهتدي فيها الذهن إلى فرض أو تفسير علمي.



لزوم IMPLICATION

علاقة منطقية تتلخص في أن فكرة أو قضية تستلزم، تجربة أو عقلاً، فكرة أو قضية أخرى، مثل «الأبوة والبنوة». وما يصدق على الكل يصدق على الجزء.



منهج METHOD

هو، بوجه عام: الوسيلة المحددة التي توصل إلى غاية معينة، ومنه المنهج العلمي، وهو خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها. والمنهج التحليلي ويراد به تقسيم الكل إلى أجزائه ورد الشيء إلى عناصره المكونة له، ومنه الرياضي الذي يُستخدم في البرهنة الرياضية. ومنه الطبيعي ويستعمل في الكيمياء، ومنه المنطقي ويراد به تحليل الألفاظ لمعرفة معانيها بدقة وإزالة ما فيها من لبس.

ويقابله المنهج التركيبي ويراد به بوجه عام: الجمع بين عناصر متفرقة ومحاولة التأليف بينها. وبوجه خاص: هو منهج يقوم على السير من البسيط إلى المركب، ويرمي في العلوم الطبيعية إلى تكوين مادة جديدة من عناصر أو مركبات أبسط منها.

وهناك المنهج التاريخي الذي يعتمد على النصوص والوثائق التي هي مادة التاريخ الأولى ودعامة الحكم القوية، فعلى الباحث أن يتأكد من صحتها، ويفهمها على وجهها الصحيح، ولا يحمّلها أكثر من طاقتها، وبذا يستعيد الماضي ويعرض منه صورًا تطابق الواقع ما أمكن.

والمنهج المقارن: ويقوم على مقابلة الأحداث والآراء بعضها ببعض لكشف ما بينها من وجوه الشبه والاختلاف أو العلاقة، والمقارنة في العلوم الإنسانية بمنزلة الملاحظة والتجربة في العلوم الطبيعية.



نظرية THEORY

هي، بوجه عام: ما يوضح الأشياء والظواهر توضيحًا لا يعول على الواقع، أو هي فرض علمي يربط عدة قوانين بعضها ببعض ويردها إلى مبدأ واحد يمكن أن نستنبط منه حتمًا أحكامًا وقواعد، مثل نظرية الذرة، ونظرية اتفاق الحكمة والشريعة، لأن العقل والوحي من مصدر إلهي واحد هو الله سبحانه وتعالى.

نزعة علمية SCIENTISM

اتجاه يرمي إلى ردّ كل شيء إلى العلم، وعَدّه قيمة حقيقية مطلقة، فهو لا يسلّم إلا بالمنهج والحقائق العلمية، ويتمسك به أنصار العلوم الطبيعية والكيماوية.



وصف DESCRIPTION

يُقصد بالوصف بوجه عام: الصفات الموضحة للشيء والمميزة له، وهو أيضًا مرحلة تمهيدية من مراحل المنهج التجريبي، تسجَّل فيها معطيات المشاهدة أو التجربة، ويُسْتَمَدُّ منها التفسير العلمي. والوصف والتفسير في المنهج التجريبي مرتبطان ارتباطًا وثيقًا.



يقين CERTAINTY

يعني منطقيًا كل معرفة لا تقبل الشك، ومنه حدسيّ كاليقين ببعض الأوليات، أو استدلالي غير مباشر ينتهي إليه المرء بعد البرهنة. ومنه ذاتي يسلم به المرء ولا يستطيع نقله إلى غيره، ومنه الموضوعي الذي يفرض نفسه على العقول كاليقين العلمي.

والعلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلول انكشافًا لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم.

المراجع:

1- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1977م.

2- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983م.

3- محمد عاطف غيث، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1985م.

4- محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دون تاريخ.

5- زيدان عبد الباقي، قواعد البحث الاجتماعي، مطبعة السعادة، القاهرة، 1980م.

6- حسن الشافعي ومحمد السيد الجليند، في المنطق ومناهج البحث، مكتبة الزهراء، القاهرة، دون تاريخ.

قصيدة

سألتني

شعر: حسن أبو أحمد

سألْتني وألْحَفَتْ بالسؤال   عن جميلِ الوصالِ إثر الوصال
عن جِرارٍ ملأْتُهُنَّ رحيقًا   ثم أهرقتُها بوجه المُحال
عن شبابِ الزمانِ كيفَ تسامى   فوق عصفِ الرياحِ والإعوال
وعن البدرِ وشَّحَتْهُ غيومٌ   وهو يمضي على دروب النضال؟
سألْتني وألْحَفَتْ بالسؤال   هل توضأتَ بعد وقع النصال؟
أيُتمُّ الصلاةَ بعدكَ حرٌّ   أم يصيبُ العقامُ عزَّ الرجال؟
ولمَنْ تخلعُ الرداءَ قشيبًا؟   يا لسعيٍ بأقبحِ الأسمال!..
سألْتني عن الصحابة فينا   أينَ أحفادُهم بسوحِ الصيال؟
عن فلسطين كيف صارتْ ملاذًا   للطواغيت بعد طيب الوصال
وعن الشِّعر لم يعدْ مطمئنًا   أثْخَنَتْ شدْوَهُ سياطُ الضلال
حال عن زهوِ خضرةٍ لاصفرارٍ   في يراعِ الغويِّ والدجال
يا مربّي الأجيال ماذا توخّى   من كتابِ الأحلامِ والآمال
قد قرأنا الكتابَ سطرًا فسطرًا   ووعينا المقالَ تلو المقال
وكبرْنا فلا الزمانُ زمانٌ   صوَّحَ الدوحُ بعد بوحِ الظلال
أين تلكَ الغاباتُ كانت عرينًا   ثم أمستْ زريبةً للسخال
لم يعدْ للكنارِ صوتُ الخزامى   لم يعدْ للنشيد سحرُ المعالي
أنتَ يا سيدي ملاكٌ طهورٌ   وبريءٌ براءَةَ الأطفال
قلتُ لا تسألي، سؤالُكِ جرحٌ   كم غرقنا بجرحنا والسؤال
بات يومي على الرمالِ كسيحًا   ومضى الأمسُ حافلاً بالجلال
ليسَ فينا من الرجولة خيطٌ   نحن شلوٌ على نيوب الليالي
كم تلمَّستُ للبراعم عطرًا   لم أدَعْها لعضَّةَ الأغلال
ووهبتُ الطيورَ زهْوَ أغا   ريدي ووردًا معتقًا بسلالي
ورسمتُ الوجودَ لحنًا شهيًا   هامسًا في مسامعِ الأجيال
وتَخذْتُ الحياةَ نهرَ ضياء   فإذا النهرُ مرتعُ الأوحال
سوفَ يأتي على الدياجي نهارٌ   باسمَ الفجر مشرقَ الآصال
يسرجُ الصاهلات جنٌّ تنزّى   لتَغَصَّ الدروبُ بالأبطال
ذاكَ عهدُ النجومِ ياليلُ فاحذر   صحوةَ النجم إذْ يقولُ: نزال
فاطمئنّي إلى البراعم فينا   ذاكَ بستانُنا وتلكَ الدوالي
عشبُنا لم يزلْ طريًا نديًا   مستحمًا بساجمات الكمال
فلتسيري على الصراطِ قويمًا   أنتِ مازلتِ روضةً من جمال

قصة قصيرة

بوسلهام

خالد الرافعي

كانت الطريق تبدو لخدُّوج، وهي عائدة إلى بيتها، طويلة لا تنتهي، من فرط رغبتها في الوصول سريعا. لذا فقد صارت تضرب الحمار الذي تمتطيه بصفة مستمرة، عسى أن يسرع في مشيته.

والحقيقة أنها كانت تودّ، في قرارة نفسها، ألا تعود إلى البيت بهذه السرعة، غير أن انشغالها بما يمكن أن يحصل هناك هو الذي انتزعها من جو الفرح الذي كانت فيه، لتعود إلى «جهنم» حسب تعبيرها.

إنها تعود في هذا الصباح الباكر، والعصافير قد أخذت تتقافز للتو من غصن لآخر، من أبهى عرس شهدته في حياتها؛ وكيف لا وقد تألقت فيه حتى امتازت على كل الحاضرات، لطول مارقصت بين النساء على أنغام الأغاني الشعبية، رقصًا أذهل الجميع، بل إنها لا زالت تتذكر نظرات الحسد والغيرة التي كانت توجهها إليها العديد من النساء، خصوصا منهن طامو، عدوتها اللدود.

وارتسمت بسمة خفيفة على شفتي خدُّوج، واستقامت في جلوسها على ظهر الحمار، كما لو كانت ممتطية صهوة جواد مطهم.

إن ذكريات البارحة، بكل متعتها، لن تفارق خيالها أبدًا، وستظل دائما مصدر فخر واعتزاز بالنسبة لها. وهي متأكدة أن كل النساء اللائي حضرن العرس سيتكلمن طويلا عنها.

وفجأة اختفت البسمة من محيّاها. لقد تذكرت من جديد ابنها بو سلهام. إنها تشعر دائما، عندما تتذكره أو تراه، بإحساس بغيض يضغط على صدرها حتى إنها تكاد تختنق. إن بو سلهام هو أول أولادها الستة، وبقدر ما كان فرحها شديدا بالحمل به، بقدر ما كان حزنها وشعورها بالإحباط قويين، لما علمت بعاهته. إذ إن طول قامته لم يتجاوز قط ماكان عليه وهو في الرابعة من عمره، على الرغم من أنه الآن قد تعدى العاشرة. إن هذا الابن هو السور الذي تحطمت عليه أماني خدوج، إلى درجة أنها صارت تكرهه رغما عنها.

لم تلد بعده إلا البنات، ولقد صارت ترى في أعين كل سكان القرية إما السخرية أو الشفقة، وهما معا يؤلمانها ويؤذيانها إلى درجة لا تُطاق. ولن تنسى أبدا ذلك اليوم الذي تشاجرت فيه مع طامو، فعيَّرتها بابنها أمام الملأ، فعادت إلى بيتها جريا والدموع تنسكب على وجنتيها.

انقبض وجه خدوج لهذه الذكرى، ونسيت تماماً ماكانت فيه من سرور بعرس الأمس. إنها الآن لا تحس بالحزن فقط، بل بالغضب الشديد أيضًا، فبو سلهام قد غادر البيت منذ أسبوعين، ولم يعد حتى الآن. تراه أين يكون؟ هل اختفى إلى الأبد؟ تمنت خدوج أن يكون قد أشفق عليه أحد الأقرباء وأخذه معه. سيزيل ذلك عن حياتها وصمة عار لا تغادرها.

وعاد تدريجيا إلى ذهنها ما ينتظرها من مهام في البيت. تذكرت البقرات والمطبخ والدجاج والحقل... وندَّت عنها آهة طويلة حملتها كل أحاسيس الخيبة التي تملأ نفسها منذ سنوات. إنها لا تشكو الفقر، فالرزق يجري بوفرة بين يديها ويدي زوجها الذي يجوب الأسواق متاجرًا في البهائم والحبوب. لكن أحلام طفولتها ومراهقتها لم تتحقق. شيء ما لاتدري كنهه، تتعطش إليه، لكن لا تعرف أين تجده... وندت عنها آهة أخرى، أطول من سابقتها، فقد بدا لها بيتها من بعيد. لن تجد به أحدا بالتأكيد، فقد تركت بناتها الخمس عند جدتهم وزوجها في ترحاله المعتاد. كان أول ما فعلته حين وصولها أن دخلت المطبخ، فكانت المفاجأة تنتظرها هناك. لقد عاد بو سلهام. انعقد لسانها لحظة من الدهشة، وهي تنظر إلى جسده القصير ووجهه المملوء رعبا، ثم صاحت به، دونما رأفة:

- أين ذهبت كل هذا الوقت، هه؟

نظر إليها الصبي بعينين فزعتين قد بدا فيهما الألم والمعاناة، وأجابها بصوت مضطرب:

- لقد.. لقد ذهبت إلى سيدي إبراهيم...

ضربت الأم صدرها في سخط، وسألته مغتاظة:

- وما الذي ذهب بك إلى هناك؟ قل!

زاد اضطراب الطفل، واغرورقت عيناه بالدموع وهو يقول:

- سمعتك تقولين إن الناس يذهبون هناك للعلاج من الأمراض، فذهبت أسأله، لعله يداويني فأكبر مثل باقي الأطفال..

لو كانت خدوج في ظروف أخرى غير تلك لرقَّت لطفلها ولأشفقت عليه، لكنها تحس برغبة عارمة في إفراغ جام غضبها على



ـ مـا الذي تنتظره؟ تـكلم! أترى مـا الذي فعلته بي؟ اذهب بسرعة إلى جدتك واطلب منها أن تحضـر! وسترى مـا الذي سـأفـعله بك حين أقوم!

خـرج الطفل مسـرعـا من المطبخ لا يلوي على شيء، لتنـفيـذ رغبـة أمـه، وهو يتـمنى لو كانت رجلـه قد كُسـرت بدل رجلها، وفـجأة سمعت أمه صراخه يصل إليها ضعيفا، كما لو كان يصـدر من أعماق الأرض. تذكرت البئر التي حـفـروهـا بسـاحـة المنزل والتي لـم يبنوا حـولها سـورا بعد. لقـد سـقط ابنها هناك! مـا الذي ستفعله؟ عليهـا طبعا أن تسارع إلى نجدة ابنهـا. إنهـا على الرغم من رجلهـا المكسـورة تستـطيع أن تزحف إلى حافـة البئر وتدلـي إليه حبلاً... لكن مهلا! إنها تتمنى منذ مدة طويلة الخلاص منه، من هذا العيب الذي يلازمـهـا وينغص عليها حياتهـا. أليست هذه الفرصة قد سنحت لتحقيق أمنيتـها؟ ثم إنها ليست مذنبة، فابنها هو الذي سقط في البئر لطيشه. أما هي، فـرجلهـا مكسـورة لذا فـهي لا تقـدر على الوقـوف للإسـراع لنجـدته. هل يمكن أن تُلام لموت ولدها؟ طبعا لا!

أي شيء، تريد أن تنتقم من أي شيء تجده في طريقها، وقد وجدت ابنها بو سلهام... لذا فقد صاحت به:

ـ تغيب أسـبوعين كـاملين، وفي الأخر تأتي لتـقول لي: ذهبت إلى سيدي إبراهيم؟ سألقنك اليوم درسا لن تنساه!

وأسـرعـت إلى ركـام الحـطب الموضـوع في ركن المطـبخ، حاولـت أن تجذب عـصاً من بين كـومة الحطب الكـبيرة، فـانزلقت واحدة من أعلى الركام وسقطت على رجلها فكسرتها.

عندمـا رأى بو سلهام مـا جرى أسـرع إلى أمه، فـحمل قطعـة الحطب بكلتـا يديه وأزاحـهـا جانبـا. نسي كل مـا كـان سيناله من عقاب، ولم يعد يهمه سوى رجل أمه المكسورة وصياحها المتواصل. نظر إلى دموع الألم وهي تسـيل على خديها الشـاحبين، فانهـمرت هو الآخر دموعه، غزيرة لا تتوقف.

عندما سكن بـعض الألم عن الأم، نظرت إلى ابنها فـتمنت لو كانت صحيحـة معافاة لتعطيه ما يستحـق من الضرب. أليس بسببه قد كُسرت رجلها؟ لذا فقد صاحت به:

واستمرت خدوج في ترددها، وصدى صراخ ابنها يصل إليها، يضعف شيئا فشيئا، إلى أن تلاشى تماما...

أحست الأم بسكون غـريب حولهـا. حاولت أن تقنع نفسـهـا بأنهـا سعيـدة، وبأن المستـقبل سيـحمل لها الكثيـر من السعـادة. فكرت، هل مات ابنها فعـلا؟ زحفت بصعوبة على يديها وركبتيها إلى حافة البئـر، نظرت إلى قعرها المظلم. سرت قشـعريرة في بدنها. هل غاب ابنهـا إلى الأبد في هذه الظلمة المرعبة؟ ولقـد جرؤت على تركه يموت هنا؟ نادت بصوت مضطرب:

ـ بو سلهام! آبو سلهام!

تردد صدى صوتها في البئر، فعادت تصيح من جديد:

ـ بو سلهام! أين أنت؟ أجبني يا بو سلهام!...

وفي الغد، عندما عـاد زوجها فجرًا من أحد الأسـواق البعيدة، وجدهـا لا تزال على حافـة البئـر، تنظر إلى قعـرها وتصيح بـصوت مبحوح:

ـ بو سلهام! أين أنت يا بو سلهام؟ تعال يا ولدي!.

في إطار رعايته الدائمة للمسلمين:

خادم الحرمين الشريفين

يوجه بإهداء مصاحف

وترجمات لمعاني القرآن الكريم لجهات إسلامية

في إطار رعايته الدائمة للمسلمين، وحرصه على وجود كتاب الله الكريم بين يدي كل مسلم ليقرأه ويحفظه ويتدبر معانيه، وجَّه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ يحفظه الله ـ بإهداء مصاحف وترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى جهات إسلامية متعددة، وتزويد عدد من الجهات الحكومية والأهلية والمؤسسات الإسلامية خارج المملكة بما يزيد على ثلاثين ألف نسخة من المصحف الشريف بمختلف إصداراته، وترجمات معانيه بعدة لغات.

والإصدارات المهداة تم طبعها في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، وقد أُهديت إلى جمعيات ومراكز إسلامية في تايلاند وغانا والبحرين، بالإضافة إلى الندوة العالمية للشباب الإسلامي

المعرض السابع لمراسم الفنون التشكيلية

نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب افتتح وكيل الرئيس العام للشؤون الفنية إبراهيم بن علي العلي في الشهر الماضي المعرض السابع لمراسم الفنون التشكيلية.

وقد ضم هذا المعرض أكثر من أربعمئة عمل فني في التصوير الزيتي والمائي والأكليرك.

وتم توزيع سبعين جائزة مالية وشهادات تقديرية على المشاركين، وبلغت قيمة الجوائز ثمانين ألف ريال، فاز بها أكثر من ستين فنانًا من اثنين وعشرين مرسمًا؛ ومن الجدير بالذكر أن مكاتب الرئاسة العامة لرعاية الشباب والأندية بها أكثر من مئة مرسم في جميع مناطق المملكة.

فاز بالجائزة الأولى في التصوير الزيتي الفنان وليد الطويرقي من مرسم نادي الهلال، وحصل على الجائزة الثانية الفنان منصور المطيري من مرسم نادي مصدة، ونال الجائزة الثالثة الفنان إبراهيم النغيثر من مرسم نادي الدرع بالدوادمي، وحصل على جائزة الرسم الفنان منصور المطيري أيضًا، بينما فاز بجائزة الفنون التطبيقية الفنان أحمد الدحيم من مرسم نادي الدرع بالدوادمي.

وحصل مرسم نادي الدرع بالدوادمي على درع المركز الأول، ونال مرسم مكتب رعاية الشباب بالقطيف درع المركز الثاني، بينما جاء مرسم نادي الهلال بالرياض في المركز الثالث.

جوائز نادي الشرقية ومسابقة لنادي القصة

أعلن نادي المنطقة الشرقية الأدبي أسماء الفائزين في مسابقته الأدبية السادسة في مجالات القصة والشعر والبحوث، وفي الوقت نفسه فتح نادي القصة السعودي التابع للجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض باب تلقي المشاركات

الحركة الثقافية في شهر

- الإعلان عن تأسيس مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة
- الأندية الأدبية في مؤتمرها الثالث عشر تناقش هموم الثقافة والإبداع وحقوق المؤلفين وإيصال صوت الأدب السعودي إلى العالم
- شخصيات سياسية عالمية تشارك في مؤتمر «الإسلام والغرب» المنعقد بالقاهرة
- الاستنساخ: المحور الرئيس في الندوة الفقهية التاسعة المنعقدة بالرباط
- باحثون عرب ومسلمون ومستشرقون يشاركون في مؤتمر كتابة التاريخ الإسلامي
- الرئيس البرتغالي يعلن في افتتاح مؤتمر التراث العربي البرتغالي المشترك أن بلاده تدين لتراث الجزيرة العربية بالكثير



بجدة، وبعض المؤسسات الأهلية بالمملكة، وسفارة دولة الإمارات العربية المتحدة بالرياض، وسفارتي المملكة في جاكرتا ومسقط.

الجدير بالذكر أن طبعات المصحف الصادرة عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف قد عمّت جميع مساجد المملكة، وأصبحت الطبعة الوحيدة المعتمدة لكتاب الله بوصفها أدق الطبعات المتداولة. كذلك فإن المملكة تحرص ـ بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين ـ على وصول مصحف المدينة النبوية إلى كل مسلم، ولاسيما ضيوف الرحمن القادمين إلى المملكة لأداء مناسك الحج والعمرة.

لمسابقته الخامسة للقصة القصيرة لعام 1418هـ.

فاز بجائزة الشعر في مسابقة نادي المنطقة الشرقية كل من: فيصل علي أكرم، ومطلق العتيبي، وحفيظ بن عجب الدوسري، وفي مجال القصة: أسماء الحسين، ومحمد علي الباشا، ومحمد السيدوي، فيما حُجبت جائزة البحوث لقلة المشاركات وضعف مستواها.

واشترط نادي القصة لقبول الترشيحات في مسابقته أن يكون المتقدم سعوديًا، وأن يكون العمل غير منشور وسليمًا من الأخطاء اللغوية والإملائية، وأن تصل المشاركة في موعد غايته نهاية شهر جمادى الأولى المقبل 1418هـ.

الاحتفاء برضوي بمناسبة الجائزة

احتفى مثقفو المملكة وفنانوها وأدباؤها بالفنان التشكيلي د. عبدالحليم رضوي بمناسبة منحه جائزة العلوم والفنون والآداب بإيطاليا لعام 1996م.

تم التكريم في قرية «المرسال» السياحية بدعوة من صاحبها المهندس محمد نور، وحضور نخبة متنوعة من الأدباء والفنانين يأتي في مقدمتهم معالي الدكتور محمد عبده يماني، والفنان طارق عبدالحكيم، والفنان طه صبان وآخرون.

معهد الإدارة وبرامج تدريبية جديدة

ينفذ معهد الإدارة العامة خلال العام التدريبي الجديد 1418هـ/1419هـ (159) برنامجًا تدريبيًا تغطي 16قطاعًا تدريبيًا، وذلك في كل من المركز الرئيسي للمعهد بالرياض، وفروعه بجدة والدمام والفرع النسوي بالرياض. وتتراوح مدة تنفيذ هذه البرامج بين أسبوعين و12أسبوعًا.

ترمي هذه البرامج إلى تنمية مهارات موظفي الأجهزة الحكومية ورفع كفايتهم الإنتاجية من طريق تزويدهم بالمعارف والمهارات والاتجاهات السلوكية والإيجابية التي تؤدي إلى تطوير العمل الإداري، والإسهام في مسيرة التنمية الإدارية.

كتب جديدة

تحليل محتوى أدب الأطفال في ضوء معايير الأدب في التصور الإسلامي، تأليف نعمه عبدالله صويحي، صدر عن مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض.

مصادر التراجم السعودية: دراسة توثيقية وقائمة ببليوجرافية مشروحة، إعداد علي الصوينع.

الإعلام الإسلامي النظري في الميزان، تأليف د. سعيد إسماعيل صيني.

صدر الكتابان السابقان عن مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.

الكشاف التحليلي لمجلات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من 1390-1413هـ، إعداد علي بن شويش، صدر عن عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وشم على جدار الوقت، ديوان شعر للدكتور إبراهيم محمد العواجي، صدر عن نادي الطائف الأدبي.

البعثات الخارجية في 20 عامًا، إعداد محمد صالح سعيد ألطف، صدر عن جامعة أم القرى.

الكويت

«رؤية»

هذا هو اسم أحدث مطبوعة عربية متخصصة تعنى بالاستشارات والتدريب والدراسات في دول مجلس التعاون، صدر عددها الأول مؤخرًا.

«رؤية» يملك امتيازها ويرأس تحريرها د. أيوب خالد الأيوب المناعي، وتنطلق ـ كما أوضح في افتتاحية العدد الأول ـ من خلال رؤية علمية للإسهام في رسم المستقبل الخليجي من خلال طرح الحلول والمقترحات.

اليمن

أول دار إفتاء

أصدر الرئيس علي عبدالله صالح قرارًا بتأسيس أول دار رسمية للافتاء في اليمن،

تأسيس مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة



صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز

أعلن صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة تأسيس مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، وهو مشروع خيري سيتم الإنفاق عليه من الوقف، ويُعدّ الأول من نوعه في العالم الإسلامي الذي يُخَصَّص لدراسات مدينة واحدة.

وقال سموه: إن المركز سيغني جانبًا مهمًا في مسيرة المدينة المنورة التاريخية العظيمة.

ويرمي المركز إلى جمع التراث الحضاري للمدينة المنورة من مصادره المختلفة في اللغة العربية واللغات الأخرى، ومن جميع أوعية المعلومات من كتب وبحوث ودوريات ومخطوطات ووثائق، والعمل على حفظه وتيسير حصول الباحثين عليه بأحدث الوسائل التقنية.

وسينشئ المركز مكتبة متخصصة مزودة بقاعدة معلومات بالحاسب الآلي والصور والكتب والدوريات والنشرات المتعلقة بالمدينة المنورة وتراثها الحضاري.

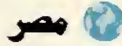
تتكون من هيئة عليا ملحقة برئاسة الجمهورية تضم فضلاً عن المفتي أربعة أعضاء.

يأتي القرار لتنظيم عملية الفتوى في القضايا الاجتماعية والسياسية، ولإيجاد جهة محددة تتولى هذه العملية وفقًا للضوابط والقواعد الشرعية.

معرض لفن الجرافيك

نظمت الحلقة الدولية بصنعاء ـ موخرًا ـ معرضًا لفن الرسم الإيضاحي «الجرافيك»، ضم أعمالاً لفنانين يمن وعرب وأجانب مقيمين في العاصمة اليمنية.

شكّل المعرض بانوراما لتنوع وتعدد خلفيات ومصادر إلهام الفنانين المشاركين الذين من أبرزهم: مظهر نزار، وخالد الدوش، وياسين غالب، ورشاد سليم، ونيللي أورنوفا.



مصر

شخصيات عالية في مؤتمر الإسلام والغرب

يعقد المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مؤتمره العام التاسع تحت شعار «الإسلام والغرب» بمشاركة قرابة أربعمئة مفكر وعالم مسلم ونصراني خلال المدة من 8 إلى 11 ربيع الأول الجاري (13- 16 يوليو 1997م).

يُنتظر أن يشارك في المؤتمر شخصيات نصرانية بارزة، منها ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز، والرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر، والمستشار الألماني السابق هيلموت شميدت، ورئيس الوزراء الفرنسي الأسبق ريمون بار، والقس الأمريكي جيسي جاكسون وآخرون.

محاضرات وندوات

«دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية وصداها في المغرب»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي ببريدة د. حسن عبدالكريم الوراكلي.

«مع وصايا أبي الدرداء»، عنوان محاضرة ألقاها في جامع الأمير عبدالله بن محمد في عتيقة بالرياض الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ.

«المسيرة التعليمية في دول مجلس التعاون الخليجي»، عنوان محاضرة ألقاها في قصر أجا بحائل د. أحمد الربعي.

«العالم العربي والتراث الغربي»، عنوان محاضرة ألقاها في جامعة آل البيت في عمان بالأردن د. جورج صليبا.

«التحليل النفسي»، موضوع محاضرة ألقاها في جامعة القديس يوسف في حي الأشرفية ببيروت د. شوقي عازوري.

«مشروع قناة توشكي ونظام العقود الدولية التي ستبرم مع المستثمرين الأجانب للمشاركة فيه»، موضوع محاضرة ألقاها في معهد القانون الدولي في واشنطن د. محيي الدين العشماوي.

«عصر البيولوجيا: ما بعد الاستنساخ»، موضوع محاضرة ألقاها في إطار ندوة بالاسم نفسه نظمها المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة د. أحمد شوقي.

«مشكلات القومية العربية»، عنوان محاضرة ألقاها في مؤسسة عبدالحميد شومان الثقافية في عمان بالأردن د. عماد عيسى.

«العمارة في العالم العربي.. نظرة نقدية»، عنوان محاضرة ألقاها في فرع الجمعية السعودية لعلوم العمران بالمدينة المنورة د. خالد سيد عصفور.

«الأهداف السلوكية بين العلم والتعليم»، عنوان محاضرة ألقاها في مدرسة الإمام محمد بن عبدالوهاب الابتدائية بمكة المكرمة عبدالله أحمد الزهراني.

«التحديات التي تواجه النظام العربي»، عنوان محاضرة ألقاها في السفارة


الأمير تشارلز

ويناقش المؤتمر ثلاثة محاور رئيسية: العامل التاريخي وعلاقة الإسلام بالغرب، موقف الإسلام من غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية وموقف المجتمعات الغربية من المسلمين بها، وآفاق المستقبل في الحوار بين الإسلام والغرب وسبل دعمه.

أسبوع ثقافي خليجي

يُنتظر أن يستضيف مسرح الهناجر بالقاهرة أسبوعًا ثقافيًا خليجيًا في نهاية شهر جمادى الأولى المقبل، تشارك فيه السعودية والكويت والبحرين.

وتم الاتفاق بين رئيسة مسرح الهناجر د. هدى وصفي، ومدير إدارة المسرح في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت على تفاصيل الأسبوع الذي يشمل إلى جانب العروض المسرحية ندوات ثقافية وأمسيات شعرية.

ثلاث احتفاليات لتكريم أبو حديد وبدوي والقط

أقيمت - مؤخرًا - ثلاث احتفاليات لتكريم رموز للثقافة والأدب والفكر هم: الأديب الراحل محمد فريد أبو حديد، وأستاذ الفلسفة د. عبدالرحمن بدوي، والناقد الشاعر د. عبدالقادر القط.

نظم احتفالية أبو حديد المجلس الأعلى للثقافة بمناسبة مرور ثلاثين عامًا على وفاة ذلك الأديب الإسلامي الذي خدم الثقافة العربية سنوات طويلة، وتناساه الناس، فكانت الاحتفالية مناسبة لرد الاعتبار لذكراه، وإعادة طبع بعض أبرز مؤلفاته. وهو روائي ومترجم وباحث وشاعر ولغوي، أغنى الأدب العربي بمؤلفاته وتراجمه وأبحاثه.

واحتفت الجمعية الفلسفية المصرية بالاشتراك مع الهيئة العامة لقصور الثقافة بالفيلسوف المهاجر د. عبدالرحمن بدوي بمناسبة بلوغه عامه الثمانين.

ويعد د. بدوي أحد الذين أغنوا الفكر والدراسات الفلسفية في العالم العربي في العصر الحديث، وهو مؤسس قسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة عين شمس، وقسم اللغة الفرنسية بالكلية نفسها، وله ما يزيد على مئة وستين كتابًا ما بين تحقيق وتأليف وترجمة، وانقطع في السنوات العشر الأخيرة للتأليف باللغة الفرنسية.

أما احتفالية د. عبدالقادر القط، فقد نظمتها الهيئة العامة لقصور الثقافة في مسقط رأسه بمدينة المنصورة، حيث ناقش المشاركون دوره في الحياة الثقافية، ومنهجه النقدي، وأصدرت الهيئة كتابًا تذكاريًا يتناول مسيرة حياته، وآخر يضم الأبحاث والدراسات التي ألقيت خلال احتفالية تكريمه.

سلاسل جديدة لمكتبة الأسرة

بدأت فعاليات الدورة السابعة لمهرجان القراءة للجميع الذي ترعاه السيدة سوزان حرم الرئيس المصري محمد حسني مبارك.

وتم اختيار قرابة 150عنوانًا لإصدارها ضمن مشروع «مكتبة الأسرة» الذي يواكب المهرجان، ورُصد لهذا الغرض مبلغ ثمانية ملايين جنيه مصري. وتشمل هذه العناوين أربع سلاسل جديدة هي: «المصريات»، و«الأعمال الدينية»، و«كتاب الشباب»، و«روائع الأدب العالمي للناشئين»؛ فضلاً عن السلاسل السابق إصدارها.

ومن جديد السلاسل الجديدة «مصر الفرعونية» لأحمد فخري، و«الأدب القديم» لسليم حسن ضمن سلسلة «مصريات»، و«ضحى الإسلام» لأحمد أمين، و«الأزهر في ألف عام» لحسين فوزي النجار، و«مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام» لمحمد عبدالله عنان ضمن سلسلة «الأعمال الدينية»، و«حكايات من شكسبير»، و«جزيرة الكنز» ضمن سلسلة الأدب العالمي

الأمريكية في الرياض د. أميلي صالحية.

«أصول أهل السنة والجماعة»، عنوان محاضرة ألقاها في مسجد طلال الهاجري بحي الدانة الشمالية بالظهران د. إبراهيم محمد البريكان.

«الطب النفسي: ضرورة أم ترف»، عنوان محاضرة ألقاها في مركز الأمير سلمان الاجتماعي بالرياض د. فهد اليحيا.

«دور الشباب المسلم في العالم الإسلامي»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية علوم الأرض بجامعة الملك عبدالعزيز في جدة د. عبدالله عمر نصيف.

«النساء في البرلمان في شعر أرسطو فانيس»، عنوان محاضرة جماعية ألقاها في المعهد الثقافي الإيطالي بالقاهرة كل من: د. إبراهيم سكر، والشاعر محمد إبراهيم أبو سنة، وقام بترجمة الأشعار لطفي عبدالوهاب.

«آليات الإبداع في العمارة الإسلامية»، عنوان محاضرة ألقاها في ديوان الكوفة بلندن جميل أكبر.

«قراءات في ديوان السيب الأسود ليعقوب السبيعي»، عنوان محاضرة ألقاها في رابطة الأدباء بالكويت د. مختار أبو غالي.

«بشائر البعثة المحمدية»، عنوان محاضرة ألقاها بدار الجوف للعلوم التابعة لمؤسسة الأمير عبدالرحمن السديري الخيرية د. محمد صالح محيي الدين.

«دور المرأة في الحد من تعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية»، عنوان محاضرة ألقتها في قاعة أم المؤمنين عائشة في الرياض د. حصة يوسف العبد الكريم.

«الشيخ عبدالرحمن السعدي: فقيهًا وشاعرًا»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة الثقافي الأدبي د. محمد بن سعد الشويعر.

«التربية الإعلامية والبيئية»، عنوان محاضرة ألقاها في مدرسة التنشئة الوطنية بعين الرمانة في بيروت د. برجيس الجميل.

«خلق الإنسان في القرآن الكريم»، عنوان محاضرة ألقاها في بيت السودان في لندن د. عبدالعال عبدالله عثمان.

«أثر وسائل الإعلام على الدور التربوي للمعلم»، عنوان محاضرة ألقاها في جمعية المعلمين بالشارقة د. أحمد عبدالملك.

مؤتمر الأندية الأدبية الثالث عشر وهموم الثقافة


صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان بن عبد العزيز


صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز

تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان بن عبدالعزيز أمير منطقة تبوك، افتُتحت خلال شهر محرم الماضي اجتماعات المؤتمر الثالث عشر للأندية الأدبية السعودية.

ناقش المؤتمر الذي شارك فيه رؤساء الأندية الأدبية سبل تفعيل النشاطات الثقافية، وما يعترض ذلك من مشكلات، والتعاون بين الأندية الأدبية في نشاطات مشتركة أو خطط مشتركة للنهوض بالحركة الثقافية بالمملكة.

وأقر المؤتمر كلمة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان أمير منطقة تبوك التي ألقاها في الافتتاح بوصفها إحدى وثائق الاجتماع، كما أقروا التوصيات التالية:

أولاً: التوصيات الخاصة بالمحور الأول «توزيع مطبوعات الأندية الأدبية»:

1- تأكيد تجربة الأندية الأدبية في إقامة مراكز بيع خاصة دائمة في مقارها، ويُخَصَّص لها مكان بارز، وتُزَوَّد واجهات العرض بقوائم بأسماء الكتب المعروضة للبيع.

2- أن تزود الأندية بعضها بعضا بعشرين نسخة من كل إصدار، ويكون ذلك على سبيل الإهداء. وللنادي المهدى إليه حرية التصرف فيما يُهدى إليه بالبيع والإهداء، وتزويد مكتبته بها أو ببعضها.

3- لكل ناد الحرية في تزويد ما يراه من الأندية الأدبية بعدد آخر من مطبوعاته من غير العشرين نسخة المهداه لبيعها في مركز البيع الخاص به، وأن تتحاسب الأندية فيما بينها بالطريقة التي تراها مناسبة.

4- تأكيد تجربة الرئاسة العامة لرعاية الشباب حول الاشتراك بمطبوعات الأندية الأدبية في المعارض الخارجية، وتزويد الإدارة العامة للأندية الأدبية بعدد خمسين نسخة من كل إصدار جديد ينشره كل ناد. وهذا من شأنه أن يسهم في نشر الكتاب السعودي خارجيًا.

5- تأكيد اتفاق الأندية الأدبية مع بعض مؤسسات التوزيع أو دور النشر والتوزيع في الداخل والخارج والبيع.

6- فيما يتعلق بحقوق المؤلف والنادي في الطبعة الثانية للكتاب الذي طبعه النادي طبعة أولى فللأندية الأدبية حرية التصرف وفق اللوائح الداخلية المنظمة لهذا الجانب، وأن تفعل ما تراه مناسبًا للطرفين.

7- يلتمس المجتمعون من صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب التوسط لدى وزارة البرق والبريد والهاتف لإعفاء الأندية من أجور إرسالياتها بالبريد، وهذا يسهم في نشر الكتاب السعودي داخل المملكة وخارجها.

8- أن تحث الرئاسة العامة لرعاية الشباب وزارة التعليم العالي ووزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات ووزارة الإعلام على شراء نسبة من مطبوعات الأندية الأدبية إسهامًا منها في نشر الكتاب داخليا وعالميًا.

للناشئين. كما تصدر رواية «القصر المسحور» التي اشترك في تأليفها د. طه حسين وتوفيق الحكيم ضمن الأعمال الإبداعية.

مؤتمر النقد الأدبي

يناقش مؤتمر «النقد الأدبي في منعطف القرن» الذي تنظمه جامعة عين شمس بالتعاون مع الجمعية المصرية للنقد الأدبي عدة موضوعات، منها التعددية الثقافية والتفاعل بين الاتجاهات النقدية، وذلك خلال المدة من 18إلى 22 جمادى الآخرة 1418هـ (20- 24 أكتوبر 1997م).

كما يناقش المؤتمر النظرية الأدبية والمشكلة المعرفية، واستراتيجيات التحول في النقد الأدبي، ومشكلات إنتاج المعنى واستهلاكه، والنص والسياق في عالم متغير، وموضوعات أخرى.

أدباء مصر يتبرعون بجزء من مكتباتهم لفلسطين

بدأ اتحاد كُتَّاب مصر حملة ترمي إلى الإسهام في مواجهة النقص الثقافي الذي سببه الاحتلال الصهيوني لفلسطين، عبر دعوة أدباء مصر ومثقفيها ودور النشر إلى التبرع بالكتب والدوريات لصالح الشعب الفلسطيني في الضفة وغزة.

كما أجرى الاتحاد اتصالات بدور نشر عربية للغرض ذاته، وتبرع بعض أعضاء مجلس الإدارة بجزء من مكتباتهم الخاصة، حيث قدم د. صلاح فضل ألف كتاب، وأعلن عبدالعال الحمامصي عن تقديمه خمسمئة كتاب. وما تزال التبرعات مستمرة

الحركة الثقافية في شهر

9ـ إقامة معرض سنوي للكتاب تُعرض فيه مطبوعات الأندية ضمن فعاليات الاجتماع السنوي للأندية ينظمه النادي المضيف، وتشترك فيه دور النشر والمكتبات القريبة من النادي، بالإضافة للجامعات والكليات.

10ـ تقوم الأندية بالإسهام في الترجمة من اللغة العربية وإليها، بشرط أن تتقيد بالضوابط الآتية:

ـ أن تُسند الترجمة إلى المؤسسات العلمية المتخصصة، وأن تُراعى في الترجمة الدقة في اللغة المترجَم إليها ومدى إسهام الكتب المترجمة في إغناء الفكر والثقافة.

ـ أن تُراعى الحقوق القانونية عند الإقدام على ترجمة الكتاب.

11ـ ترجمة بعض الأبحاث القصيرة، وكذلك بعض المقالات ونشرها في دوريات الأندية كخطوة أولى لتنويع محتويات الدورية.

12ـ يُطرح موضوع الترجمة لمزيد من البحث في اجتماعات الأندية الأدبية الدورية، وتُقدَّم في ذلك أوراق للاجتماع القادم.

13ـ تقدم الأندية الأدبية التي مارست طباعة المترجمات تجربتها للاجتماع القادم لتقويمها والاستفادة منها.

ثانيًا: التوصيات الخاصة بالمحور الثاني «التعاون بين الأندية الأدبية ووسائل الإعلام»:

بناء على ما للوسائل الإعلامية المختلفة ـ المسموعة والمرئية والمقروءة ـ من دور كبير في تقريب المعلومة للإنسان، ولأهمية رسالتها وسرعة انتشارها، فإن الأندية الأدبية بحاجة إلى التعاون مع هذه الوسائل بما يلي:

1ـ مشاركة الإعلام الثقافي في الأندية الأدبية مشاركة فعالة.

2ـ تحاول الأندية الأدبية بطريقتها الخاصة إيجاد آلية للتعاون مع الفضائيات العربية لإيصال صوت الأدب السعودي ونشاط الأندية الأدبية عبرها إلى المشاهدين.

ثالثًا: التوصيات الخاصة بالمحور الثالث «محاور وتوصيات من اجتماعات سابقة»:

1ـ الالتماس من صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز مساعدة الأندية الأدبية التي لا تملك مقرات بأن يكون لها مساعدات مالية تعينها على إنشاء مقراتها، وكذلك تجهيزها.

2ـ أن تقوم الرئاسة العامة لرعاية الشباب بمخاطبة الجهات المختصة لتحديد الأماكن المناسبة لإقامة مقرات دائمة للأندية الأدبية.

3ـ يلتمس المجتمعون من مقام صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب زيادة الدعم المالي للأندية الأدبية حتى تتمكن من تنفيذ نشاطاتها المختلفة بصورة أفضل، وكذلك تعينها على تذليل الصعوبات التي تواجهها.

4ـ أن تُدعى الأندية الأدبية لحضور المهرجانات والمناسبات المختلفة، مثل مهرجان الجنادرية وجائزة الملك فيصل العالمية وغيرها، بتوجيه بطاقات الدعوة للأندية الأدبية، ويتحقق ذلك من خلال مخاطبة الرئاسة العامة لرعاية الشباب للجهات المختصة.

5ـ تأكيد العناية بأدب الطفل فيما يُكتب له، وذلك بأن تُراعى في المكتوب الجوانب النفسية لمراحل الطفولة، وأن تحمل المضامين والقيم الإسلامية فيما يُقَدَّم من نماذج أدبية. وأن تتوافر الصياغة اللغوية والأدبية الجيدة.

6ـ رحب المجتمعون بطلب صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز أمير منطقة حائل تلبية دعوة نادي حائل الأدبي باستضافة الاجتماع الرابع عشر للأندية الأدبية.

7ـ فوض المجتمعون رئيس النادي الأدبي بمنطقة تبوك ورئيس الاجتماع الثالث عشر رفع برقية شكر وتقدير إلى مقام صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب على اهتمامه المباشر والإيجابي المخلص حيال تسهيل كل ما من شأنه إنجاح هذا الاجتماع. كما يلتمس المجتمعون فيها التفضل بالرفع لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ـ أيده الله ـ، وإلى سمو ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني تتضمن الشكر والعرفان بالجميل على ما يلقاه الأدب والأدباء والثقافة والعلم والفكر من تشجيع ورعاية كريمة. ومثلها لصاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان بن عبدالعزيز أمير منطقة تبوك على رعايته للاجتماع الثالث عشر في رحاب نادي تبوك الأدبي. كما يفوض المجتمعون رئيس النادي الأدبي بمنطقة تبوك رفع برقية شكر وتقدير إلى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز نائب الرئيس العام لرعاية الشباب على ما وجدوه من لدن سموه من دعم ومؤازرة للأدب والأدباء والثقافة.

8ـ فوض المجتمعون النادي الأدبي بمنطقة تبوك متابعة توصيات هذا الاجتماع، وتقديم تقرير بنتائج المتابعة إلى الاجتماع الرابع عشر للأندية الأدبية، ويتوجهون بالشكر إلى سعادة الأستاذ عبدالله بن محمد الشهيل المدير العام للأندية الأدبية، وإلى سعادة الأستاذ محمد بن عمر عرفة رئيس النادي الأدبي بمنطقة تبوك رئيس الاجتماع الثالث عشر للأندية على جهودهما في تسيير جلسات الاجتماع، وكذلك لزملائهما في الإدارة العامة للأندية الأدبية، ومجلس إدارة النادي الأدبي بمنطقة تبوك، ويشكرون كل من أسهم معهم في إنجاح هذا الاجتماع على حسن التنظيم وكرم الضيافة.

بالتنسيق مع الاتحاد، الذي أجرى اتصالات بوزارة الثقافة واتحاد الكتاب الفلسطينيين لتأمين وصول الكتب إلى الضفة والقطاع.

كتب جديدة

دور القبائل العربية في صعيد مصر، تأليف د. ممدوح عبدالرحمن الريطي.

الدعاء إلى الله، تأليف د. عبدالمنعم الحفني.

صدر الكتابان السابقان عن مكتبة مدبولي بالقاهرة.

عبدالرحمن بدوي في عيده الثمانين، تأليف مجموعة من الباحثين بإشراف د. أحمد عبدالحليم عطية.

عيون الغرباء، مجموعة قصصية لفتحي غانم.

صدر الكتابان السابقان عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

أبعد من زنجبار، مجموعة شعرية لمحمد الحارثي

من سيعتني بالذباب، مجموعة قصصية لمحمد ناصر عبدالله.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر شرقيات.

التعددية وأزمة بناء الدولة في أفريقيا الإسلامية، تأليف حمدي عبدالرحمن حسن، صدر عن مركز دراسات المستقبل الأفريقي.

النقد الفني، تأليف د. نبيل راغب، صدر عن الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان).

أسـرار العـقل الصـهـيوني، تـأليف د. عبدالوهاب المسيري، صدر عن دار الحسام.

آثار الفكر الاستشـراقي في المجتـمعات الإسلامية، تأليف د. محمد خليفة، صدر عن دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

الفرعون الذي يطارده اليهود بين التوراة والقرآن، تـأليف سعيـد أبو العينين، صدر عن دار أخبار اليوم.

الإلحاد في الغرب، تأليف د. رمسيس عوض، صدر عن دار نشر سينا.

فلسطين

عرب ضمن مثقفي إسرائيل!

اختـارت صحيـفة «يديعوت أحرونوت» الإسـرائيلية الأديب الفلسطيني الراحل إميل حبيبي والشاعر محمود درويش وثلاثة آخرين من عرب فلسطين هم: الطبيب أحمد الطيبي (المستشار السياسي للرئيس عرفات)، والشيخ عبدالله نمر درويش (الزعيم الروحي للحـركة الإسلامية)، ولاعب كرة القدم زاهي رملي (عضو منتخب الكرة الإسرائيلي) ليكونوا ضمن لائحة أبرز مئة شخصية في الثقافة الإسرائيلية!!

وعلق محمود درويش على هذا الاختيار بأنه «بادرة حسنة» حيث يشير إلى «بدء الاعتراف بالواقع الثقافي العربي في إسرائيل».

يُذكر أن اللائحة ضمت أهم قادة الدولة العبرية وشخصياتها، كما عدّت مرتكب مجزرة الحرم الإبراهيمي باروخ جولدشتاين من أبطال الثقافة الإسرائيلية! الغريب أن القائمة خلت من اسم شيمون بيريز وخلفه رئيس الوزراء الحالي بنيامين نتنياهو.

الأردن

اكتشاف ميناء من العصر الحجري النحاسي

عُـثـر في منطقـة الزارة علـى الشـاطئ الشرقي للبحر الميت على ميناء أثري يعود إلى العصر الحجري النحاسي، أو ما يقابل عام 4500 قبل الميلاد.

وتشتهر منطقة الزارة الواقعة في محافظة البلقاء بكثرة آثارها، وبخاصة تلك العائدة إلى العصر الروماني، ومن أهمها عشرات من ينابيع المياه الدافئة التي تؤكد الأبحاث الأثرية أن الحاكم الروماني هيرودتس هو مَنْ أمر بإنشائها.

نهاية مأساوية لأديب معتزل

توفي - مؤخراً - الأديب الأردني المعتزل أديب عباسي إثر إضراب مفتوح عن الطعام استمر أسبوعين احتجاجًا على بناء المستعمرات الإسرائيلية في جبل أبو غنيم بالقدس.

ويُعَدّ عباسي (92عامًا) أول أردني يتخرج في الجامعة الأمريكية في بيروت، وحاز في الثلاثينيات والأربعينيات شهرة واسعة إثر معاركه مع عباس محمود العقاد على صفحات «الهلال» و«المقتطف»؛ فضلاً عن كتاباته المتنوعة في الصحف والمجلات المصرية والمجلات العلمية في الخارج؛ حيث كتب المقالة الأدبية والعلمية والرواية والشعر، ثم توقف فجأة واعتزل النشر عام 1943م، واعتكف في عزلة تامة في قريته الحصن شمالي الأردن حتى مات؛ مخلفًا وراءه 91 مخطوطة باللغتين العربية والإنجليزية.

كتب جديدة

لم يكن كافيًا، ديوان لطارق مكاوي، صدر عن دار الينابيع.

جماعة الإخوان المسلمين في الأردن (1946- 1996م)، تأليف إبراهيم غرايبة، صدر عن مركز الأردن الجديد ودار سندباد للنشر.

لبنان

مؤتمر عن كتابة التاريخ الإسلامي

يشارك باحثون عرب ومسلمون ومستشرقون من مختلف أنحاء العالم في مؤتمر ينظمه مركز الدراسات في الجامعة الإسلامية بلبنان تحت عنوان «كتابة التاريخ الإسلامي: في الإشكالية والمنهج»، وذلك خلال يومي 14، 15 رجب المقبل (14-15نوفمبر 1997م).

رسائل جامعية

«الفتح القريب في شرح مغني اللبيب، تأليف جلال الدين السيوطي.. دراسة وتحقيق»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها مرزوق عطيوي مرزوق المرزوقي.

«مدى التكامل بين مقررات مادة الفقه في المرحلة الثانوية والبرنامج الإذاعي نور على الدرب، وقيمتي التفكير العلمي والوعي الإيجابي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها عبدالله بن عثمان الشايع.

«أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني، ومظاهرها في العصر الحاضر»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها عبداللطيف بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل الشيخ.

«الشيخ ثناء الله الأمرتسري وجهوده الدعوية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها محمد مرتضى بن عايش محمد.

«عوامل النجاح الحرجة في مراكز المعلومات في القطاع الحكومي وقطاع الأعمال في مصر»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التجارة بجامعة حلوان بالقاهرة، تقدمت بها ليلى محمد الفنجري.

«ثراء الدلالات في لغة الأدب عن البلاغيين والنقاد العرب»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في بريدة، تقدم بها حمد بن عبدالعزيز السويلم.

«التثقيف الصحي في لبنان»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة باريس السادسة، تقدم بها إيلي مخايل.

«تقويم مدى استفادة السعودية من الخطط التربوية للمنظمات الدولية والإقليمية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض،

يسعى المؤتمر إلى إعادة تشكيل الوعي التاريخي من خلال التعريف بالحدث التاريخي الإسلامي ومصادره، وبلورة رؤية علمية تأخذ في الحسبان منطق الحدث في التاريخ، ويتم ذلك عبر قراءات للمحاور التالية: مصادر التاريخ الإسلامي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الكتابات العربية الحديثة في التاريخ الإسلامي.

وفاة د. معن زيادة


د. معن محمد زيادة

فقدت الحركة الثقافية العربية مفكرًا وكاتبًا نشطًا بوفاة الدكتور معن محمد زيادة عن عمر ناهز 59 عامًا.

وُلد د. زيادة عام 1938م، وحصل على ليسانس في الفلسفة من جامعة القاهرة عام 1962م، وتابع دراساته العليا في معهد الدراسات الإسلامية بجامعة ماجيل الكندية، حيث نال درجة الدكتوراه من المعهد، وعاد ليمارس التدريس بالجامعة اللبنانية. وإضافة إلى عمله الأكاديمي فقد مارس العمل الصحافي في «المحرر» و«الحرية»، وترأس تحرير مجلة «الفكر العربي» و«الموسوعة الفلسفية العربية»، كما كان عضوًا في أكثر من منتدى فكري وثقافي، وترك مؤلفات ومحققات ومصنفات عدة، منها: «معالم على طريق تحديث الفكر العربي»، «الحركة من الطبيعة إلى ما وراء الطبيعة عند ابن باجة الأندلسي»، «مسائل الخلاف بين البصريين والبغداديين للنيسابوري» و« أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك لخيرالدين التونسي»، ومصنفات أخرى.

كتب جديدة

المعجزة في الاقتصاد: من المدن الفينيقية إلى اليابان، تأليف آلان بيرفيث، ترجمه إلى العربية بسام حجار، وصدر عن دار النهار في بيروت.

مسند معاوية الأطرابلسي، إعداد د. عمر عبدالسلام تدمري، صدر عن داري الإيمان وابن حزم.

المحاسن والأضداد، تأليف عمرو بن بحر الجاحظ، حققه وشرحه د. يوسف فرحات، وصدر عن دار الجيل.

اليوم يرتدي بدلة ملطخة بالأحمر، مجموعة قصصية لعبد الهادي سعدون، صدرت عن الدار المتحدة للطباعة والنشر.

عدو عدوي: لبنان في التصورات الصهيونية المبكرة 1900- 1948م، تأليف لورا زيتراين إيزنبرج، ترجمه إلى العربية فادي حمود، وصدر عن دار شركة رياض الريس للكتب والنشر.

أبيات سكنتها.. وأخرى، مجموعة شعرية لسالم حميش، صدرت عن دار الطليعة.

ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق عزة حسن، صدر عن دار الشرق العربي.

بيم موج: المشهد الثقافي في إيران.. مخاوف وآمال، تأليف د. محمد خاتمي (الرئيس الإيراني المنتخب)، صدر عن دار الجديد.

لماذا الإسلام؟ وكيف؟ تأليف علي عيسى عثمان، صدر عن دار النفائس في بيروت.

سورية

عودة مصر لاتحاد الكتاب العرب وتجميد عضوية فلسطين

قرر المجلس الدائم لاتحاد الكُتَّاب والأدباء العرب خلال اجتماعه الأخير بدمشق عودة اتحاد كُتَّاب مصر إلى مقعده بالاتحاد بعد غياب دام 18عامًا.

واتخذ المجلس قرارًا بتجميد عضوية اتحاد كُتَّاب فلسطين إلى حين النظر في التنازع حول مَنْ يمثل الاتحاد.

كتب جديدة

ما بعد ذهنية التحريم، تأليف صادق جلال العظم، صدر عن دار المدى في دمشق.

تقدم بها إبراهيم بن عبدالعزيز الشدي.

«فاعلية التنسيق بين أعضاء الفريق المتكامل في مسرح الجريمة»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض تقدم بها محمد عبدالله المزيني.

«الدبلوماسية والمراسم السعودية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها عبدالرحمن بن محمد الحمودي.

«فواتح سور القرآن الكريم وخواتمها: أنواعها، دلالاتها، مناسباتها»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، تقدم بها عبدالعزيز بن عبدالله الخضيري.

«الإعداد الشرعي وأثره على المحقق في مجال الإثبات الجنائي، دراسة بمنطقة عسير»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض، تقدم بها سعيد عمير البيشي.

«تحليل سيبويه للجملة الفعلية في ضوء علم اللغة الحديث»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الاسكندرية، تقدم بها محمد ناصر حميد.

«القيم الخلقية بين الفكر اليوناني والفكر الإسلامي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، تقدم بها المهدي أحمد جحيدر.

«الشعر المصري في القرن السادس الهجري»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية اللغة العربية بفرع جامعة الأزهر بأسيوط، تقدم بها فتحي الباز.

«فوائد المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني لأبي عبدالله بن محمد داود الصنهاجي، السفر الأول تحقيق ودراسة»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها عبدالرحيم عبدالسلام بنولسي.

«كشف مشكل الصحيحين للحافظ ابن الجوزي من الورقة 71 إلى نهاية مسند عبدالله بن مسعود»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم فقه السنة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها عارف عبدالعال الشمراني.

قبيلة خزاعة في الجاهلية والإسلام، تأليف عبدالقادر حرفوش، صدر عن دار البشائر.

حماسة القرشي، تأليف عباس بن محمد القرشي، تحقيق خير الدين محمود قبلاوي.

معالم دمشق التاريخية، تأليف أحمد الأيش، ود. قتيبة الشهابي.

صدر الكتابان السابقان عن وزارة الثقافة.

السودان

صحيفة «الفجر»

تأسست - مؤخرًا - صحيفة «الفجر» التي تعد أول صحيفة عربية متخصصة في قضايا القرن الأفريقي والدول المطلة على حوض البحر الأحمر، تنشر مادتها باللغتين الإنجليزية والعربية.

تصدر «الفجر» أسبوعيًا - مؤقتًا - مدة ستة أشهر، تتحول بعدها إلى صحيفة يومية، ويرأس تحريرها يحيى العوضي، ويتولى إدارة التحرير صديق محيس، وتسعى حسب ما يخطط لها أصحابها أن تكون جسرًا بين دول القرن الأفريقي ودول الخليج العربي بخاصة والعالم العربي بعامة.

تونس

وفاة د. محمد فاضل الجمالي


د. محمد فاضل الجمالي

توفي إلى رحمة الله تعالى السياسي والمفكر الأكاديمي العراقي د. محمد فاضل الجمالي في منفاه بتونس عن عمر ناهز 94 عامًا.

وُلد د. الجمالي في الكاظمية ببغداد عام 1903م، ودرس في دار المعلمين ببغداد، ثم في الجامعة الأمريكية في بيروت وتخرج فيها عام 1927م، وبعد أن مارس التعليم بعض الوقت في بلاده أُوفد لنيل الدكتوراه من جامعة كولومبيا في نيويورك. وحصل على الدرجة عام 1932م وعاد إلى بلاده ليعمل في مجال التعليم، ويتقلب في مناصب مختلفة متنقلاً من التعليم إلى الخارجية وزيرًا، ثم رئيسًا للوزراء مرتين 1953، 1954م. وبعد انقلاب عبدالكريم قاسم عام 1958م حُكم عليه بالإعدام، وكاد يُعدم لولا عناية الله التي شاءت أن يتدخل العاهل المغربي الراحل الملك محمد الخامس، فَخُفِّفَ الحكم إلى السجن عشر سنوات، أمضى منها ثلاث سنوات ثم أُفرج عنه عام 1961م، فتوجه إلى تونس بدعوة من رئيسها ومكث بها منذ ذلك الحين وحتى وفاته.

وترك د. الجمالي نحو 30 مؤلفًا آخرها بعنوان: «الأمة العربية إلى أين؟».

ملتقى دولي عن ابن رشد

ينظم مجمع بيت الحكمة والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «الأليكسو» ومنظمة اليونسكو والمعهد العربي الإسباني للثقافة ودار الكتب الوطنية ملتقى دوليًا تمهيديًا للاحتفال بالذكرى المئوية الثامنة لوفاة الفيلسوف العربي ابن رشد.

ويتضمن الملتقى الذي يقام خلال شهر سبتمبر القادم بتونس محاور تتناول تقويم مكانة ابن رشد في تاريخ الفكر الإسلامي، وابن رشد وعصره، وابن رشد شارح أرسطو، وتأثير ابن رشد في الفكر العربي ماضيًا وحاضرًا؛ ويأتي هذا الملتقى في إطار اختيار تونس عاصمة ثقافية إقليمية لعام 1997م.

كتب جديدة

مذكرات الشابي، ط جديدة، صدرت ضمن سلسلة «عناصر» عن دار سيراس للنشر.

لغة الشعر العربي المعاصر من خلال أغاني مهيار الدمشقي لأدونيس، تأليف محمد سعيد برغل، صدر عن منشورات هيليا باك.

الجزائر

ملتقى دولي حول الإنسان في الكتب السماوية

ينظم المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية بوهران ملتقى دوليًا حول «الإنسان في الكتب السماوية»، وذلك خلال المدة من 23 إلى 25 رجب المقبل (23 - 25 نوفمبر 1997م).

يناقش الملتقى تواصل الرسالات حول بناء الإنسان: عقليًا وخلقيًا واجتماعيًا، ورسالة الإنسان، والمجتمع الإنساني والكتب السماوية، وأزمة الإنسان المعاصر (يناقش هذا المحور قضية الاستنساخ البشري).

المغرب

معجم لتفاسير القرآن الكريم

صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) «معجم تفاسير القرآن الكريم» الذي شارك في إعداده أربعة من علماء جامعة القرويين وجامعة محمد بن عبدالله بفاس، هم الدكاترة: عبدالوهاب التازي، ومحمد الكتاني، وفاضل عبد رب النبي، وعبدالقادر زمامة.

ويقع المعجم في 650 صفحة من القطع الكبير، ويعرّف بتسعة وثمانين تفسيرًا من التفاسير المطبوعة من مختلف العصور، مع ترجمة لحياة المفسر ومدرسته الفقهية أو المذهبية وإيراد نماذج من تفسيره.

ويجمع المعجم بين التوثيق الدقيق، والتحليل العلمي لمناهج المفسرين، مما يجعله يقدم لقارئه زادًا من المعرفة الدينية الصحيحة، تفتح أمامه المصادر الأساسية في حقل تفسير القرآن الكريم.

ندوة الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي

استضافت مدينة سلا ندوة تاريخية ثقافية نظمتها جمعية أبي رقراق حول «الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي».

شارك في الندوة بالأبحاث والدراسات

26 مؤرخًا وباحثًا من ست دول عربية وأربع دول أوربيــة، حيث ناقــشــوا ثلاثة مــحــاور رئيسية هي: الجهاد البحري وتحديد المفاهيم والدلالات والمجال، والجهاد البحري والأسس والمقـومـات والغـايات، والجـهـاد البـحـري.. إيجابياته وسلبياته.

وقدمت الندوة وثائق ومـخطوطات حول أهم المدن السـاحلية العربية والإسـلامية التي شهدت معارك تاريخية ضد الغزو الأجنبي.

الندوة الفقهية التاسعة بالرباط تناقش الاستنساخ وقضايا أخرى

تحت رعـاية الملك الحسن الثـاني عُقـدت في الرباط في الشـهـر الماضي أعـمـال الندوة الفقـهية التـاسعة التـي عنوانها «رؤية إسلامية لبعض المشكلات الطبيـة المعاصرة». وضمت هذه الندوة أربعـة محـاور، هي: الاستنسـاخ، والمفطرات، والمواد الإضافية للغذاء، والأدوية والمواد المحولة صناعيًا.

وأشـار الأسـتـاذ عـبـدالهـادي بو طالب مـستـشـار العـاهل المغربي إلى أن هذه الندوة إسهام في معالجة شـؤون المجتمع المعاصر، وأن الاجـتـهـاد الإسـلامي هو وحـده القـادر على إيجاد حلول إسلامية للمشكلات المستعصية، ومن بينهـا بعض المشكلات الطبيـة التي هي محل نظر هذه الندوة.

وتحـدث الدكـتـور مـحـمـد الحـبـيب بن الخــوجـــة عن مـــحـــاور الـندوة، وقـــال: إن الموضوع الأول هـو الاستنساخ، ونظرًا لجدته يتـعين التـعـريف به مـن الجـوانب الـعلمـيـة والطبية، وذكر ما تم من تطبيقاته على الحيوان والنبـــات، ثم مـــا يترتب علـى الاسـتـنـســـاخ البشري مـن آثار اجتماعيـة ونفسية وقـانونية، ومـا يتصـل به من جوانب فـقـهـية. وأضـاف الخوجة أن المحور الثـاني «المفطرات» له أهميته لاتصاله بركن مـن أركان الإسلام، ويقـتـضي بحث الضوابط الفـقـهية للمـفطرات في ضوء المستـجدات الطبـية. أما المحـور الخاص بالمواد الإضافية في الغـذاء فيتعلق بمناقشـة الأضرار الصـحـيـة، والموقف الفـقـهي مـن بعض تلك المواد مثل الكـحـول والدهون الخنزيرية والمواد المختلطة بها من طعـام ودواء ومعاجين الأسنان والصـابون، وكـذلك اســتـخـدام الأنسـولين الخنزيري والإنزيمات الهاضـمة، والصمـامات المتـخـذة للقلب من أصل خنـزيري، وزراعـة الأعـضـاء من أصل خنزيري مـطعم بجينات بشــرية. ويتـعلق المحــورالرابع بالمواد المحــولة صناعيًا بالطرق الكيماوية وغـيرها، وتطعيمها بإدخـال هندسـة الجينات، وأثر ذلك في حلّ الأشياء النجسة وطهارتها بعد دخول العوامل الخارجية، مـثل التسخين والتغيير الفيزيائي أو الكيـمــاوي، أو بعـد التـفـاعــلات المتـعـددة بالإنزيمات وغيرها.

ندوة وفعاليات أخرى بمناسبة السنة الدولية لابن بطوطة

بمناسبـة افتـتاح السنة الدوليـة عن الرحالة العـربي ابن بطوطة الطنجـي، شهـدت مـدينة طنجـة ندوة كبـرى تحت رعاية الملك الحسن الثاني، الذي أمر بأن يحـمل مطار طنجة اسم مطار ابن بطوطة الدولي.

وتضمنت الندوة التي استمرت مدة ثلاثة أيام من 3-5 مـحــرم 1418هـ (9-11 مـايو 1997م) أربع جلســات تـناولت جـــوانب مـختلفة مـن حيـاة ابن بطوطة ومـآثره. وقـد حفلت هذه الجلسات بالمناقشات التي أغنت محاور الندوة.

وألقى الشـاعـر المغـربي مـحـمـد الحلوي قـصـيـدة بهـذه المناسـبـة، إلى جانب ملـحـمـة للشـاعر علي بن عـبـدالـقـادر الصـقلي تقع في أكـثـر من أربعـمـئـة وخـمـسين بيـتًـا بعنوان «رسـالتي»، يتـحـدث فـيـهـا عن ابن بطوطة، وعن مـراحل سـفـره ومشـاعـره وهو يجـوب البلدان، وتم إصدار هذه الملحمة في كتاب.

وأصـدرت وزارة البـريد بهـذه المناسـبـة طابعًـا بريديًا خاصًـا يحـمل فقـرة من الوثيقـة التـاريخيـة التي شاهدهـا ابن بطوطة منقوشـة على خشبة بناصية مـسجد عاصمة المالديف، وهي مـاتزال مــحـفـوظة إلى الآن بـالمتـحف الوطني، وتقول الفـقـرة: «وصل في هذا البلد أبو البركات البربري وأسلم السلطان على يده في شــهـــر ربيع الآخــر سنة ثمـــان وأربعين وخمسمئة».

وقـامت مصلحـة الخريطة بتـقديم خـريطة ملونـة لمســالك ابن بـطوطة ذهابًـا وإيابًا، وتم تنظيم مــعــرض للمـــخطوطات والتـــآليف والمقـالات المتـصلة بابن بطوطة، كـمـا تقـوم الإيسـيـسكو بإعـداد فيلم وثائـقي عن ابن بطوطة.

بريطانيا

دراسة تؤكد: الدين الإسلامي الأسرع انتشارًا

أوضـحت دراســة نشـرتهـا صـحـيـفـة «صنداي تايمز» أن عام 2002م سوف يشهد تفـوق عـدد المسـلمين المتـدينين في بـريطانيـا على عــدد المتــدينين من النـصــارى أتبــاع الكنيسـة الإنجليكيـة (الكنيسـة الرئيسيـة في بريطانيا) بنحو أربعة آلاف شخص.

وتوقعت الدراسة أن يرتفع عـدد المساجد في بريطانيـا خـلال السنوات الثمـاني المقبلة إلى مئة مـسجد؛ مشيرة إلى أن الإسلام يعد أسرع الأديان انتشارًا في العالم.

اكتشاف مخطوطة لوايلد وأصول «أعمدة الحكمة السبعة»


أوسكار وايلد

عثر - مؤخرًا - في لندن عـلى النســخـة الأصليــة لـكـتــاب لورنس العرب «أعمدة الحكمــة الســبـعــة»، ومخطوطة نادرة بخط الروائي الشـــهـــيـــر أوسكار وايلد (1854-1900م).

وكانت نسخـة «أعمدة الحكمة السـبعة» التي عثـر عليهـا قـد فُقـدت من لورنس عـام 1919م في إحـدى محـطات القطار، وتضم 79 صفحة مكتوبة على ورق كربون.

يذكـر أن لورنس (1888- 1935م) قـد مـات إثر حادث مـوتوسيكل، وقيل إنه قُـتل عمدًا.

أما المخطوطة الخاصـة بأوسكار وايلد فهي

عبارة عن استطلاع للرأي شارك فيه الروائي الراحل عام 1877م، حين كان طالبًا في جامعة أوكسفورد، حول صفات الشخصية التي يفضلها.

رابطة للمثقفين والكُتَّاب الليبيين

تأسست - مؤخرًا - في لندن «رابطة المثقفين والكُتَّاب الليبيين» بغرض التعريف بواقع الثقافة والمثقفين في ليبيا.

أسس الرابطة مجموعة من المثقفين الليبيين المقيمين في الخارج، وتحديدًا معظمهم في بريطانيا، وارتأوا من خلال هذه الخطوة - كما أوضح بيان أصدروه - قيام كيان اعتباري يجمع شمل المثقفين الليبيين ويتبنى قضاياهم، ويدافع عنها أمام مختلف الجهات، ويرعى حقوقهم المادية والمعنوية، ويحافظ عليها بالطرق والوسائل الممكنة والمتاحة، فضلاً عن إتاحة الفرصة أمام العطاءات الفكرية والأدبية لمثقفي ليبيا وكُتَّابها داخل بلادهم وخارجها.

وفاة الروائي الشاعر لوري لي

توفي الشاعر والكاتب لوري لي عن عمر ناهز 83 عامًا.

وُلد لي في يونيو 1914م بإحدى قرى مقاطعة جلوسترساير، وبدأ الكتابة في الثلاثينيات الميلادية، حيث كتب الشعر والقصة والرواية. ومن أبرز أعماله روايته «مذاق شراب التفاح» التي صدرت للمرة الأولى عام 1959م.

أحدث الكتب

فعالية النظام المصرفي الأوربي، تأليف فيليب مولينو، ويور التنباس، وإدوارد جاردنر، صدر عن دار نشر جون وايلي.

محمد (صلى الله عليه وسلم): سيرة موجزة، تأليف مارتن فورورد، صدر عن دار نشر وان وورلد.

ما بعد الماركسية والشرق الأوسط، تأليف مجموعة من الباحثين الأوربيين والعرب، تحرير فالح عبدالجبار، صدر بالإنجليزية عن دار الساقي.

خارج الشرق: الانتقال والتقليد في آسيا، تأليف هيروجي كويوتا، صدر عن منشورات نورتن.

البرتغال

مؤتمر التراث العربي البرتغالي المشترك

في لفتة تعبر عن تقديره لإسهامات العرب والمسلمين، قدم الرئيس البرتغالي جورج سمبايو في كلمته الافتتاحية لمؤتمر «التراث العربي البرتغالي المشترك» اعتذارًا رسميًا للعرب عما ارتكبته محاكم التفتيش في القرن السادس عشر الميلادي ضد أجدادهم من مظالم وفظائع.

واعترف الرئيس سمبايو في كلمته أن بلاده تدين لتراث الجزيرة العربية بالكثير مما أسهم به في اللغة البرتغالية والمعمار وأسماء الأماكن والعادات الاجتماعية والأدب والفنون. وأشار الرئيس البرتغالي إلى أن بلاده تود في ظل ارتباطاتها الثقافية والتاريخية تحسين تقاربها مع البلدان العربية في المجالات المختلفة، مؤكدًا أهمية الحوار بين الثقافات والشعوب والحضارات.

يُذكر أن المؤتمر شارك في أعماله خمسة وزراء ثقافة عرب وعشرات من الأدباء والمفكرين العرب والبرتغاليين، وتركز النقاش على آثار التآلف بين العرب والبرتغاليين ومظاهره، وكيفية تنميته.

قبرص

من أحدث الكتب

منهل اللغة الصغير، قاموس تعليمي مدرسي أعده د. جوزيف إلياس، وصدر عن دار منشورات الرمال في نيقوسيا.

خرائط الفحم، الزوال، روايتان للكاتب الليبي سالم الهنداوي، صدرتا عن دار المتوسط في ليماسول.

السويد

قمة عالمية للثقافة العام المقبل

تعكف أجهزة وزارة الثقافة السويدية على الإعداد لمؤتمر قمة ثقافية عالمية تأمل العاصمة ستكهولم أن تستضيفه في نهاية شهر مارس 1998م، أو بداية شهر أبريل 1998م، بمناسبة اختيار ستوكهولم عاصمة ثقافية لأوربا عام 1998م.

وتأمل الوزارة في أن يحضر المؤتمر جميع وزراء الثقافة في البلدان الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة، فضلاً عن ممثلين للهيئات الثقافية التابعة للمنظمة الدولية مثل اليونسكو.

وتسعى القمة إلى إبراز الطابع العالمي الإنساني الشمولي للثقافة، بلا حدود أو تقسيمات قارية، إيمانًا منها بأن للوعي الثقافي دورًا مهمًا ومؤثرًا في تطوير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في العالم.

ندوة للصحافة العربية

ينظم المركز الثقافي العربي في ستكهولم خلال الشهر الجاري ندوة عن «الصحافة العربية هناك» بمشاركة عدد من الإعلاميين والناشرين العرب بالسويد.

ويقام على هامش الندوة معرض يضم نماذج من المطبوعات التي صدرت باللغة العربية، ونتاج دور النشر السويدية التي تهتم بالثقافة العربية مثل المكتبة الشرقية، ودار الحمراء، ودار المنى.

فرنسا

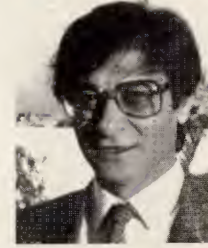
معرض الكتاب الأوربي - العربي

نظم معهد العالم العربي في باريس معرض الكتاب الأوربي العربي الرابع بمشاركة نحو ثلاثمئة ناشر أوربي وعربي.

وإضافة إلى الكتب شمل المعرض وسائل إعلامية متعددة مثل الأسطوانات المدمجة وبرامج المعلومات باللغة العربية، كما عرضت مسرحيات وأفلام سينمائية، وأقيمت حفلات موسيقية، وندوات وأمسيات ثقافية وشعرية وقصصية، ومعارض متخصصة منها «معرض السودان.. مملكات وادي النيل». وأعطيت فلسطين أهمية خاصة حيث حظيت بأكثر من نشاط منه: معرض «فنانون فلسطينيون معاصرون»، و«حركة الترجمة في

فلسطين»، و«صخرة القدس»، و«فلسطين المبدعين»، و«الربيع الثقافي الفلسطيني».

وسام الفنون والآداب لمحمود درويش


محمود درويش

تسلم الشاعر الفلسطيني محمود درويش في حفل أقيم - مؤخراً - في باريس وسام الفنون والآداب الفرنسي من رتبة فارس.

وقام مدير إدارة «الكتاب والقراءة» جان سباستيان دوبيه بتقليد درويش الوسام نيابة عن وزير الثقافة الفرنسي فيليب دوست بلازي.

معرض لأعمال دي ساد

أقيم - مؤخراً - في باريس معرض لبيع أعمال التصوير التي أعدها المركيز دي ساد حين نُفي إلى شارنتون

وتجسد الأعمال المعروضة النظرية السادية التي تمثل فكر الفلاسفة المناوئين للطبيعة في عصر التنوير.

يذكر أن المركيز دي ساد، واسمه الأصلي دونانين ألفونسين، ولد عام 1740م في باريس، وتوفي في منفاه بشارنتون عام 1824م، وإليه تنسب «السادية».

جائزة لكاتب جزائري

مُنح الكاتب الجزائري المقيم في فرنسا أحمد ديش جائزة كور دي لافرانس عن روايته «أرنست».

وحصل أحمد ديش على الجائزة خلال معرض الكتاب السنوي الذي أقيم بمدينة ليموج الفرنسية المشهورة بحب أهلها للقراءة، حيث تبلغ نسبة المسجلين في مكتباتها العامة ما يزيد على ربع عدد سكانها.

أحدث الكتب

مذكرات الغد (مذكرات السياسي ورئيس الوزراء الفرنسي الأسبق جاك شابان دلماس)، صدرت عن دار نشر فلاماريون.

الموسيقى ابتداء من 1945م، تأليف جان ماري فوكيه، صدر عن دار نشر سبريمونت.

القاموس الإعلامي، تأليف فرانسو لوريندو، صدر عن دار نشر بيتر كولين.

العضة، رواية باتريك فيلمان، صدرت عن دار نشر كالمان ليفي.

مخيلات الحرب، الجزائر - فيتنام في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، تأليف بنجامين سطورا، صدر عن دار نشر لاريكفورت.

ألمانيا

جائزة الناشرين ليشار كمال

منح الكاتب التركي يشار كمال جائزة السلام الألمانية التي يقدمها اتحاد الناشرين الألمان، تقديراً لإبداعاته ونشاطاته الاجتماعية والسياسية.

وينتظر أن يتسلم يشار كمال جائزته خلال معرض فرانكفورت الدولي للكتاب الذي يقام سنوياً في أكتوبر من كل عام، ويعد أكبر معرض للكتاب في العالم.

ومن أبرز مؤلفات كمال: «ثلاثية الأناضول»، و«أسطورة آرارات»، و«أغنية ألف ثور».

أحدث الكتب

نذر الخريف، مجموعة قصصية لشمعون بلاص، صدرت عن دار الجمل

الاستمرار، تأليف فولجانج جيرهارد، صدر عن دار نشر فرنتسي - بروكمان في ميونيخ.

الولايات المتحدة الأمريكية

معرض الطبيعة الصامتة

يقام حالياً في متحف الفن الحديث في نيويورك معرض «الطبيعة الصامتة في الفن الحديث».

يضم المعرض 150لوحة لسبعين من مشاهير فناني الطبيعة في القرن العشرين، من أبرزهم بيكاسو، وماتيس. وينتظر أن تنتقل المعروضات إلى لندن للعرض هناك في الخريف المقبل.

جائزة أمباك لماریاس

مُنح الكاتب الإسباني جافيه ماریاس جائزة «أمباك» الدولية في الأدب عن روايته «القلب الأبيض» التي صدرت عن دار نشر زيناج.

ويعد ماریاس ثاني فائز بهذه الجائزة التي تمنحها مؤسسة «أمباك» الأمريكية، وتصل قيمتها إلى 160 ألف دولار.

أحدث الكتب

الثلوج في أغسطس، رواية لبيتر هاميل، صدرت عن دار نشر ليتل براون.

داخل الكواليس، تأليف روبرت جيتس.

اليهود المئة، تأليف مايكل شابيرو.

أسرار عالم البحار، تأليف ويليام بروود.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار نشر سيمون آند شوستر.

زيمبابوي

معرض دولي للكتاب

يقام حاليًا في هراري معرض زيمبابوي الدولي للكتاب بمشاركة عربية محدودة تتمثل في دور نشر مصرية ولبنانية.

يستمر المعرض حتى السادس من شهر ربيع الأول الجاري (10 أغسطس 1995م) وتصاحبه ندوات ومحاضرات ثقافية وفكرية.

بولندا

وفاة الناقد أندريا دراويتس

توفي الكاتب والناقد أندريا دراويتس عن عمر ناهز 65 عامًا.

ويعد دراويتس أحد أبرز المهتمين بالأدب الروسي، حيث ترجم أعمال كبار أدباء روسيا إلى اللغة البولندية، على كونه معارضًا للشيوعية، وهو يجيد إلى جانب الروسية اللغتين الفرنسية والألمانية، وترأس عام 1989م الإذاعة والتلفاز في بلاده في أعقاب انهيار الشيوعية.



الجزيرة تكفيك



المسائية

تثري مساءك

تصدران يوميا عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.



خصائص الاقتصاد الإسلامي

بحث يؤكد تفرد النظام الاقتصادي الإسلامي وعراقته وأصالته. وبذلك يرد الباحث زيد بن محمد الرماني على محاولة بعض من تأثر بالعقلية الأجنبية تقريب الاقتصاد الإسلامي لأحد النظامين الاقتصاديين العالميين: الرأسمالي أو الاشتراكي. وهم يصدرون في أقوالهم هذه عن أحكام غير مؤسسة ليست لها صلة بالإسلام من قريب أو بعيد.

عرض الباحث حججه في ثلاثة مباحث، تناول في المبحث الأول قواعد الاقتصاد الإسلامي: العقيدة، والأخلاق، والثواب والعقاب، والحلال والحرام. وناقش في المبحث الثاني الخصائص الذاتية الأصيلة للنظام الاقتصادي الإسلامي: الجمع بين الثابت والمتطور، والجمع بين المصلحتين العامة والخاصة، والجمع بين المادة والروح، وخاصية الوفرة. وأفرد المبحث الثالث لعرض الخصائص العامة المشتركة للنظام الاقتصادي الإسلامي، التي حصرها في الواقعية، والإنسانية، والشمول، وخاصية الاعتراف ببعض المفاهيم العلمية.

ودعم الباحث حججه بإيراد آراء بعض العلماء الأجانب، من مفكرين ومستشرقين ورجال اقتصاد، الذين أنصفوا الاقتصاد الإسلامي، ومنهم من دعا الغرب إلى الأخذ به لما فيه من مرونة ومواءمة وتوفيق بين المصالح المادية والحاجات الروحية التي عجزت النظم الوضعية عن إشباعها وتحقيقها.

يقع الكتاب في 92 صفحة من القطع الصغير، وهو من إصدارات رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، العدد 175.



التشكيل السوري المعاصر

كتاب توثيقي لجوانب من مسيرة الحركة التشكيلية المعاصرة في سورية، ويتضمن في الوقت نفسه قراءات نقدية عامة في السياق التحليلي لبعض التجارب. ويرمي المؤلف عبدالله أبو راشد من وراء ذلك «تأسيس منهجية علمية موضوعية في علوم النقد الفني التشكيلي».

أورد المؤلف أسماء فنانين تشكيليين ممن لهم الحضور الفني في الساحة المحلية والعربية والعالمية، مستندًا إلى مجموع اللوحات الفنية المنتجة لخمسة عشر فنانًا تناولتهم الدراسة بالنقد، وشملهم الحصر التوثيقي عبر صفحات الكتاب. والفنانون المختارون ينتمون إلى مدارس فنية وفئات عمرية متباينة قصد منها الباحث إيجاد حالة من التواصل الحضاري والإبداعي بين الأجيال الفنية المتعاقبة في مجالات فنون التصوير والنحت، ويشمل الكتاب عرض بطاقات تعريف بالفنانين الذين تناولتهم الدراسة، وملحق للوحات مختارة.

يقع الكتاب في 155 صفحة من القطع الصغير، وقد صدر في دمشق.



الميلاتونين: هل هو الدواء السحري؟

كتاب طبي، يناقش فيه الدكتور حسان شمسي باشا الآراء التي يتم تداولها حول الهرمون الذي تفرزه الغدة الصنوبرية، القابعة في وسط الدماغ، والمسمى «الميلاتونين». فحتى سنوات قليلة كانت وظيفة ذلك الهرمون مجهولة، ولكن في السنوات الأخيرة توصل العلماء إلى أن الميلاتونين موجود عند كل الكائنات الحية بلا استثناء بالتركيب نفسه، وهو ما عدّوه تماثلاً غريبًا ونادر الحدوث في عالم الأحياء، وبخاصة أن هذا الهرمون يفرز وفق نظام دوري محدد، يتبع تعاقب الليل والنهار، فلا يفرز إلا خلال ساعات الليل، ويتوقف نهارًا.

يعرض المؤلف تعريفًا بالميلاتونين، ويجيب عن عدة تساؤلات: ما قصة الضجة التي أثيرت حول هذا الهرمون في السنتين الأخيرتين، ولماذا كثرت الأبحاث العلمية حوله؟ هل يفيد الميلاتونين في علاج الأرق والأعراض التي تصحب السفر الطويل بالطائرة؟ هل يقاوم الجراثيم؟ هل له دور في تأخير الشيخوخة؟ ما الأغذية الغنية بهذا الهرمون؟ وما الأدوية التي تؤثر فيه، وهل استخدام حبوب الميلاتونين مأمون؟

يقع الكتاب في 104 صفحات من القطع المتوسط، وقد صدر عن دارة المنارة للنشر والتوزيع بمكة المكرمة.



الأدب المقارن من منظور الأدب العربي

كتاب يشتمل على رؤية لتصحيح مسيرة الأدب المقارن، والتأصيل له من خلال تاريخ الأدب العربي. ويعقد الدكتور عبدالحميد إبراهيم مقدمة يحاول الانطلاق منها لتأسيس علم أدب مقارن من منظور عربي إسلامي، ثم يورد تطبيقًا تابع فيه تأثير شكل المقامات في الأدب الأوربي.

ويشير المؤلف إلى أن الأدب المقارن «لم ينشأ في جامعات العالم العربي نتيجة لتطور تاريخي وحضاري، أو استجابة لحاجة داخل اللغة القومية، تدفعها إلى توسيع دائرة الاهتمام والإطلال على الجيران والأقارب؛ بل جاء من فوق منقولاً من الجامعات الفرنسية على يد الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه الأدب المقارن».

لذلك فإن قصد المؤلف من وراء هذا الكتاب هو «تصحيح مسيرة الأدب المقارن». وهو يشير - فيما يعد اكتشافًا وإضافة - إلى تأثير شكل المقامات كجنس أدبي له مواصفات فنية في الآداب الأوربية المعاصرة. ويقدم مثالاً على ذلك رواية كافكا المشهورة «أمريكا». كما يذهب إلى أن هذا المنهج يؤكد غنى الأدب العربي، ويظهره في موضع الذي يعطي، وليس في موضع الذي يأخذ ويتأثر فقط.

يقع الكتاب في 168 صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن نادي المنطقة الشرقية الأدبي بالدمام.

مسابقة مجلة الفيصل

1- جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ- ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (500 ريال، 350 ريالا، 150ريالا).

ب- خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا).

ج- عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا).

د- خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

2- ترسل الإجابات على العنوان التالي في مدة أقصاها 60 يومًا:

مسابقة مجلة «الفيصل» ص ب (3) الرياض (11411) المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

أجوبة مسابقة العدد 246

ج1: من الأحاديث الشريفة التي وردت في الحث على بناء المساجد:

- ماروي عن عثمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من بنى لله مسجدًا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتًا في الجنة» متفق عليه.

- ومارواه أحمد وابن حبان والبزار بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتًا في الجنة». ومفحص القطاة هو الموضع الذي تضع فيه بيضها.

ج2: من الأدعية التي أُثرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر:

- عن علي بن ربيعة قال: رأيت عليًّا رضي الله عنه أُتي بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى عليها قال: الحمد لله، سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنّا إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد الله ثلاثًا وكبّر ثلاثًا، ثم قال: سبحانك لا إله إلا أنت، قد ظلمتُ نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ثم ضحك. فقلت: ممَّ ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلت ثم ضحك، فقلت: ممّ ضحكت يا رسول الله؟ قال: «يعجب الرب من عبده إذا قال رب اغفر لي ويقول: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري» رواه أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

- وعن الأزدي، أن ابن عمر علّمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبّر ثلاثًا ثم قال: «سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنّا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا واطو عنّا بُعْدَه، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال»، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون» أخرجه أحمد ومسلم.

- وعن عبدالله بن سرجس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج في سفر قال: «اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في المال والأهل». وإذا رجع قال مثلها إلا أنه يقول: «وسوء المنظر في الأهل والمال»، فيبدأ بالأهل. رواه أحمد ومسلم.

ج3: تيودور نولدكه (1251- 1349هـ= 1836- 1930م) مستشرق ألماني.

ج4: تضخم الأسعار: هو ارتفاع في المستوى العام للأسعار نتيجة زيادة كمية النقود المتداولة دون أن تصاحبها زيادة مناظرة في حجم الإنتاج، ويؤدي ذلك إلى تدهور القيمة الشرائية للنقود - كما حدث في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى - وإلى زيادة في الأجور ونفقات الإنتاج، تدفع الأسعار إلى الارتفاع، وهكذا. مما يتطلب فرض القيود على الاستهلاك وإقرار رقابة حكومية على الأسعار.

ج5: أول رواية لقيت نجاحًا للأديب الروسي ديستويفسكي هي رواية «المساكين» التي نشرها عام 1846م.

نتائج مسابقة العدد 246

أ- فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها 500 ريال سعودي، عادل تركي عطية الحمداني، الدمام، المملكة العربية السعودية.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها 350 ريالا سعوديًا، علي أحمد خياط الجزائري، روي، سلطنة عمان.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها 150 ريالا سعوديًا، إسماعيل عمارة إبراهيم عقيب، إسلام آباد، الباكستان.

ب- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا)، كل من:

1- علية عبدالحميد أحمد عثمان، القاهرة، مصر.
2- أحمد فرج الأعتر، حمص، سورية.
3- توفيق محمود صالح، العين، الإمارات العربية المتحدة.
4- مباركة بنت الدراجي جيّاب، المسيلة، الجزائر.
5- إحسان الإدريسي الجوطي القيطوني، طنجة، المغرب.

ج- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا)، كل من:

1- عواطف الدليم، المحرق، البحرين.
2- حسين راتب عبودة أبو نبعة، مخيم حطين، الأردن.
3- سهام شمسان العرجان، الأحساء، المملكة العربية السعودية.
4- عبيد محمود إبراهيم مبارك، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.
5- محمد مروان التخين، دمشق، سورية.
6- الذوك امبارك، دائرة إفني، المغرب.
7- هدى محمد السيد الشحات، الدقهلية، مصر.
8- طلال حميد أحمد الجابري، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
9- عبدالخالق محمد أحمد الصلوي، صنعاء، اليمن.
10- حيدر بوعبدالله، بسكرة، الجزائر.

د- كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

1- عيشة بنت بديوة، نواكشوط، موريتانيا.
2- مصعب محمد محمد المهدي، الخرطوم، السودان.
3- ساري عبدالمعين العبدلي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
4- عبدالرحمن يوسف جقلان، حلب، سورية.
5- محمد جميل حنداش، عين الباشا، الأردن.

أسئلة مسابقة العدد 249

(سؤالان فقط)

س1: اذكر ثلاثة أحاديث شريفة مما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل سورة البقرة.

س2: اشتهرت قبيلة هُذيل بالفصاحة، واشتهر شعراؤها بفحولة شعرهم، ومنهم: أبو كبير، وأبو ذؤيب، وأبو صخر. اذكر أسماءهم الحقيقية.

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد 249
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

لايكُن حُبُّك كَلَفًا ولا بُغضُك تَلَفًا

يُضرب في وجوب عدم مجاوزة التوسط في كل أمر. ويُروى عن بعض الحكماء أنه قال: لا تكن في الإخاء مُكثرًا، ثم تكون فيه مدبرًا، فيُعرف سرفك في الإكثار، بجفائك في الإدبار.

ومنه قول النمر بن تولب:

أحبب حبيبك حبًا رويدًا
فليس يعولك أنْ تَصْرِما
وأبغض بغيضك بغضًا رويدًا
إذا أنت حاولت أنْ تحكما

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنما المرء بخليله، فلينظر امرؤ من يخالل».

وقريب منه قول عدى بن زيد:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه
فإن القرين بالمقارن يقتدي

قيمة الرجل

قيل لرجل حكيم: كيف نعرف قيمة الرجل؟!

فقال: لكي تعرف قيمة الرجل فانظر إلى من حوله فإنك ستجد صورته فيهم؛ فهم مرايا تنعكس عليها أخلاقه وصفاته وتصرفاته.

فالرجل الصغير لا يختار عمالقة حوله، إذ يتعمَّد أن يكونوا أصغر منه حجمًا، والرجل الجاهل لا يستريح للعالم، والغبي لا يطمئن للذكي، والضعيف لا يثق بالقوي، والتافه يستثقل دم العباقرة.

كلمات

قيل لمعاوية بن أبي سفيان يومًا: أي الناس أحب إليك؟

قال: مَن كانت له عندي يد صالحة.

قيل له: فإن لم تكن له؟

قال: فمن كانت لي عنده يد صالحة!

رقة عالم!

هي رقة العالم الكبير أينشتين مع جارة له صغيرة في بلدة برنستون - حيث جامعة برنستون المشهورة -. وكانت هذه الفتاة تزوره عصر كل يوم، وعلمت والدتها بهذه الزيارات المتكررة، فذهبت إلى دار أينشتين لتعتذر له عما تسببه له ابنتها من مضايقة.

فقال العالم الكبير بتواضع جم: ولِمَ تعتذرين؟ إنني أغتبط بزيارتها أعظم اغتباطَ فهي لطيفة وذكية وأنا أحب الأذكياء!

فقالت الأم بتعجب: ولكنني لا أدرك ما يؤلف بين عالم كبير وفتاة في سن ابنتي!



أحد المساجد الأثرية في مدينة لاهور

استراحة العدد

فقال أينشتين: شيء كثير! إنني أستطيب حبات الهلام الحلو التي تجيئني بها عصر كل يوم، وهي تنعم بطريقتي في حل مسائل الحساب في واجبها المنزلي!

يُسأل فيجهل!

يُروى أن عروة بن الزبير كان يوصي أولاده بالزهد في الحياة وعدم التكالب عليها، وذات يوم قال لهم من بين ما قال:

يا بَنيَّ، أنا أزهد الناس في عالم أعرف أهله، فهلموا إليّ فتعلموا مني فإنكم توشكون أن تكونوا كباراً في القوم. إني كنت صغيراً لا يُنظر إليّ، فلما أدركت من السن ما أدركت جعل الناس يسألونني: من أين لك هذا؟ وما من شيء أشد على امرئ من أن يُسأل عن شيء من أمر دينه فيجهله!!

ذاكرة الفيلة

أثبتت البحوث أن الفيلة أقوى الحيوانات ذاكرة، وهي تحتفظ بوجه خاص بذكريات الاعتداء عليها، ولا تنساها أبدا. فإذا أصيب فيل بأذى من أحد الصيادين أو المطاردين، أو حتى من إنسان عادي ثم رأى غريمه بعد عدة سنوات هاج وثارت ثائرته وحاول أن ينتقم منه!

إخفاق

قيل للكاتب والفيلسوف برنارد شو يومًا: متى يخفق الرجل في عمله؟!

فقال: حسنًا! قد يخفق الرجل مراراً في عمله، ولكنه لا يُعدّ خائبًا تمامًا إلا إذا بدأ يلوم غيره من الذين يعملون بدأب ونشاط!

جالسوا العلماء

قيل للشعبي يومًا: مَنْ يُستحسَن مِنَ الناس أن نجالسه، وأن نستفيد من علمه وأدبه؟

فقال: جالسوا العلماء، فإنكم إن أحسنتم حمدوكم، وإن أسأتم تأوّلوا لكم وعذروكم، وإن أخطأتم لم يُعنّفوكم، وإن جهلتم علّموكم، وإن شهدوا لكم نفعوكم.

وصية

في وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلى قائد جيشه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال له:

إني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب. وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لكم بهم قوة.

التوقيع الثمين

ذكرت الصحف الفرنسية أن الرسام الفرنسي الشهير «مارك شاجال» كان يدفع ثمن كل شيء «بالشيك»، حتى بلغ مرحلة من الشهرة عَدّ الناس فيها الاحتفاظ بتوقيعه أثمن بكثير من قيمة الشيك.

وعلق شاجال على ذلك قائلاً: هذا حسن! إذ يبدو أنني سأعيش مدة طويلة بالمجان مادام الجميع يحتفظون بشيكاتهم!!

أعد إليّ نقودي

أقرض الكاتب المسرحي الإنجليزي «جوزيف إديسون» صديقًا له بعض المال، ولم يستطع الصديق سداده؛ مما جعله يشعر بالتخاذل كلما التقى إديسون، فإذا تناقشا سَلَّمَ الصديق بوجهة نظر إديسون ووافقه على ما يقول.. وضاق إديسون بتخاذله هذا، فصاح به يومًا:

اسمع يا صاحبي، إما أن تناقشني وتعارضني إذا لم تقتنع، وإما أن ترد إليّ نقودي!

ما السياسة

قال الوليد بن عبدالملك بن مروان لأبيه يومًا: يا أبت، ما السياسة؟

فقال الأب العالم: السياسة يا بني هي هيبة الخاصة مع صدق مودتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الصنائع. فكن كذلك تكن سياسيًا طيبًا.

من أيهم أنت؟

دخل رجل من بني تميم على عبدالملك بن مروان، ولم يكن يعرفه، فقال له: ممن الرجل؟!

فقال: من الذين قال شاعرهم:

إذا غضبت عليك بنو تميم
حسبت الناس كلهم غضابا!

فقال عبدالملك: فمن أيهم أنت؟

قال: من الذين قال فيهم القائل:

يزيد بنو سعد على عدد الحصى
وأثقل من وزن الجبال حلوما

قال: فمن أيهم أنت؟

قال: من الذين قيل فيهم:

فلا وأبيك ما ظلمت قريع
بأن ينوا المكارم حيث شاؤوا!

فقال عبدالملك نافد الصبر: فمن أيهم أنت؟!

قال: من الذين يقول فيهم الشاعر:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم
ومن يسوّي بأنف الناقة الذنبا!

وعندئذ قال عبدالملك: اجلس يا صاحبي، فوالله إني لأخشى أن يعلو فخرك عليّ!

الآفاق الواسعة

قيل للكاتبة والروائية الفرنسية جورج صاند (1804- 1876م) يومًا: ما رأيك في العمل، وبخاصة إذا تعذر عليك إيجاده؟!

فقالت الروائية الكبيرة: إذا لم أجد طريقي للعمل في الأرض المعبّدة.. فسأقتحم القمم الصخرية الشاهقة دون تذمر.. لأنني أعلم أن كل جهد يتضمن في ذاته الجزاء الكافي عنه.. وأن الآفاق الواسعة تنتظرني في آخر الطريق!

هجاء هوميروس

قال أحدهم لهوميروس: اهجني لأفتخر بهجائك إذا لم أكن أهلاً لمديحك..

فقال له: لست فاعلاً!

قال: إذن سأمضي إلى رؤساء اليونان فأشعرهم بنكوصك؟!

فقال هوميروس: بلغنا أن كلبًا أراد قتال أسد بجزيرة قبرص، فامتنع عليه الأسد أَنَفَةً منه، فقال الكلب: سأمضي فأشعر السباع بنكوصك، فقال له الأسد: لئن تُعيّرني السباع بالنكوص عن مبارزتك أحبُّ إليّ من أن أُلوث مخالبي بدمك!!



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصة قصيرة

السقوط إلى أعلى

طارق عبدالله فيصل عبيدات

عمّان، الأردن.

تسلق شجرة الزيتون ونظر إلى شروق الشمس الجميل، ولوَّح بحبله المصنوع من الكتان ورماه في البحر فارتسمت في الماء صورة يعرفها جيداً. تذكر ما وراء الجبل هناك عندما كان طفلاً صغيراً، كان يلعب مع قطه الصغير ويعدو خلفه بفرح كل يوم. إلى أن جاء ذلك الذئب المخيف وافترس قطه المسكين، ولم يبق منه سوى بقعة من الدم تشبه قرص الشمس عند الغروب. أخذ نَفَساً عميقاً وتقلَّب على فراشه. كانت هذه أول مرة يتحرك فيها منذ أن استلقى أول الليل، غابت الشجرة عن خياله، تلاشت تماماً فلم يعد يرى شيئاً سوى بقع سوداء تراكمت أمام عينيه. ظهرت من وسط الظلام صورة والده، إنه يراه هناك بعيداً جداً، جاء من سفره اللا نهائي ليُقَبِّل ولده الوحيد ويضمه إلى صدره، ولكنه سرعان ما اختفى كما اختفى كل شيء من حياته، لم **يبقى** سوى زوجة أبيه التي تضع يديها على خصرها وتصرخ فيه: **استيقظ**.. هيا **استيقظ** بسرعة أيها الكسول. اختلط صوتها بصوت الأحلام. تجاهل الحقيقة وعاد إلى عالمه حيث ينتظره والده، إنه لا يستطيع ترك والده ينتظر هناك وحده، ركض بأقصى سرعته وشاهد والده مرة أخرى يقف بعيداً ويضع ذراعيه على صدره والابتسامة لا تفارق وجهه، لقد اقترب... اقترب... اقترب منه كثيراً، وكاد يصرخ بأعلى صوته وينادي، ولكنه سمع صرخة مخيفة جاءت من بعيد: **استيقظ** هيا بسرعة وإلا...لم يسمع بقية التهديد، لقد تلاشت صورة والده الذي تركه وحده في الغابة المظلمة يقف وحيداً. كانت هناك عيون كثيرة ترقبه بوحشية كأنها تهم بالهجوم عليه.. لكنْ هناك عين واحدة يحس أنها مختلفة، إنها تشفق عليه وتمنحه الأمان والثقة بالنفس، واصل السير إلى حيث لا يدري.، تعثر كثيراً وسقط كثيراً، وانهمر المطر، وسمع صوت الرعد الذي يصم الأذان، ولكن ما هذا؟ إن الرعد له صوت غريب، وتذكر فجأة ذلك الصوت.. **استيقظ** هيا بسرعة وإلا غمرتك بالماء، لقد نَفَّذت التهديد الذين ظن أنه لم يسمعه.

لم يعد أمامه سوى الاستسلام، أمسك المقص وقطع آخر خيط يربطه بالعالم الآخر... وسقط ... سقط إلى الأعلى.. لقد تعوّد هذا السقوط كل صباح منذ وفاة والده.. نهض عن الأرض وفرك عينيه المبلولتين، وجلس على سريره. أخرج صورة أبيه من تحت الوسادة ووضعها في جيبه بسرعة قبل أن تهب العاصفة وتلقي بها بعيداً.

التعليق: قصتك يا أخ طارق محاولة جيدة، أحسنت بناءها درامياً فجاءت تعبيرية يتطور فيها الحدث القصي الذي يبلغ ذروته في إلحاح الحلم على هذا الطفل الذي لا يريد العودة إلى العالم القاسي، ويجد في الحلم ملاذه الوحيد، ولكن قسوة من حوله وما حوله تسرق منه حتى هذا الحلم البسيط. كنت أتمنى أن يخلو نصك من بعض الأخطاء التي أرجو أن تنتبه إليها في كتاباتك المقبلة. فالفعل «استيقظ» هو بالظاء وليس بالضاد «استيقض» كما كتبت غير مرة في قصتك، وفعل «يبقى» يُجزم بحذف حرف العلة «لم يبق».

لقد أفلحت في اختيار عنوان قصتك، وربطت بين العنوان وحدث القصة النهائي، واقتصدت في الوصف وفي الاهتمام بالجزئيات. وقد أعجبتني قدرتك على نقل الحالة النفسية من خلال عبارات تترك وقعاً يناسب ما تريد التعبير عنه، ويبدو ذلك في قولك: «.. وتعثر كثيراً وسقط كثيراً، وانهمر المطر، وسمع صوت الرعد..» فأنت بهذه العبارات القصيرة نقلت الجو النفسي الذي يعيشه بطلك الذي استخدمت ضمير الغائب للدلالة عليه، وهذا الاستخدام يتفق أيضاً مع حالة الغياب التي يعيشها عن الواقع.

أرجو لك التوفيق في كتاباتك القادمة، وأنصحك بالإكثار من القراءة في مجال الفن القصصي لتصل إلى ما تصبو إليه، والله ولي التوفيق.

د. محمد خير البقاعي

قصيدة

وأهديك

شعر: عبدالعزيز إسماعيل أحمد

الحسكة، سورية.

وأهديك.. شذى عطري
وأهديكَ .. صدى فكري
وأهديكَ.. سلاماً..
يغمرُ العمرَ..
وحبّاً يجتبي أثراً..
على الدَّربِ..
ومن عمري.. تراتيلاً وألحاناً
ومن روحي.. تعابيراً من البِشْرِ..
أنادي صوتك المسحور
أنْ غنِّ معي شِعْري
أناديك..
ويسبقُ ظلكِ.. ظلي..
إلى الحقلِ..
وأركضُ خلفكِ.. أبغي..
عيوناً تغمرُ الولهان
بالسِّحرِ..
أيا حزناً.. ويا فرحاً
ويا خدّاً من الزهر
ألا من نظرة.. أولَى
لهذا العاشقَ السكران
بلا خمر..
أنا.. من يعشقُ القمرَ..
ويهوى الحقَّ.. والإنسان
والنهرَ..
أنا من يسهرُ الليلَ
ويكتبُ أعذبَ الأشعار
في نجم يداعبه
يصادقهُ..
ويهواه..
وفوق خدوده البيضاء
يرسمك..
ملاكاً يرتدي ثوباً..
من الخجلِ..
وأهديكَ.. شذى عطري..
وأهديكَ.. صدى فكري..
وأهديكَ.. سلاماً
يغمرُ القمرَ
وحبّاً يجتبي أثراً..
على الدَّربِ..
ومن قلبِ.. إلى قلبِ
يُخَطُّ الشِّعْرُ
يا قدري..
يخطُّ الشعرُ
يا قدري..

التعليق: أبيات «وأهديك» لعبد العزيز جاءت في تفعيلة بحر الوافر المجزوء، ولكن معظم تفعيلاتها جاءت معصوبة ساكنة الحرف الخامس المتحرّك من مفاعلتن، وهذا أمرٌ يجعل بُعدها الموسيقي قصيراً صالحاً للأداء السريع. ورويُّها حرف الرّاء، ومعلومٌ أنّ الراء من الحروف المجهورة، وهي من الحروف الذُّلق. وسميت بذلك لأن الذلاقة من طرف أسلة اللِّسان. والحروف الذُّلق ثلاثة، هي: الراء واللام والنون وهُنَّ من حيِّز واحد. لذلك فإنّ الراء قد أعطتها بُعداً ثانياً في الأصوات ممّا يقربها من نَفْس المتلقي والقارئ. والتكرار الذي في الراء يجعل بُعدها الموسيقي صالحاً للأداء.

ولغة الأبيات سهلة خفيفة، ولكن التزام الشاعر خطّاً مقيّداً بعبارات محدودة لم يجعله ينطلق كي نسبر غور لغته ونصل إلى ما فيها. وليت الشاعر أطلق العنان لقلمه كي يتعدى هذا المسار الذي سلكه، فلعلّ هذا مما يقوّي صورة شعره ويجعله يمتحُ من بئر الصُّور والأخيلة العميقة. وعودته إلى الهدايا من جديد في آخر الأبيات يستلّ من القارئ رونق حسن المتابعة، ويقطع عليه الاستمتاع بالصورة كاملة.

وممّا يعابُ عليه في أبياته خروجه في ضربه الذي قال فيه: العاشق «السّكران» أي خروجه إلى قافية المترادف وهي اجتماع ساكنين في القافية، ففي السكران الألف ساكن والنون ساكن وقد كانت القافية عنده (متراداف) حيث تنتهي بمتحرك بين ساكنين، وكان حَرِيّاً به أن يلتزمها في كُلّ الأبيات وألا يخرج عنها. وخاتمة القول: إن على الشاعر أن يتأمل كُتبَ القافية ففيها ما يُوسّع مداركه، ويُنمّي معارفه، ويبعجُ عليه القصيد.

د. محمد أحمد سليمان إدريس

رُدُودٌ خَاصَّة

الأخوين منيف مظهر عبدالولي الأغبري، تعز، حفظ الله أحمد عبدالسلام المسوري، كلية التربية، جامعة صنعاء، اليمن:

المجلة لم تنقطع عن السوق اليمنية، بل هناك زيادة في الكمية الموزعة فيها. وعمومًا فإن مشكلات التوزيع في جميع الدول العربية هي محل نظر ومراجعة من المجلة. أما قصائدك المرسلة إلى باب تباشير يا أخ حفظ الله، فقد أحيلت إلى القسم المختص، وهي في موضع الاهتمام، وسوف تجد التعليق المناسب عليها قريبًا في أحد الأعداد القادمة.

ونأسف للأخ منيف إذا كان الرد على خطابه من خلال هذا الباب، لأن المشكلات العامة نفضل أن يكون ردها عامًا، حتى تصل الرسالة إلى أكبر عدد من الإخوة القراء.

الأخوين م. ياسر محمد صهيوني، كلية الآداب، جامعة تشرين، شيخموس حسن حسن، القامشلي، سورية:

الأخ ياسر: جميل أن تكون لديك كل هذه المواهب، فتكتب المقالة والشعر والرواية والقصة القصيرة، إلى جانب هواية الرسم. ويا لها من ثقة كبيرة بالنفس، تلك التي تتمتع بها، حتى تقول عن قصتك إنها نوع جديد من الكتابة يختلف عن الأنواع الأدبية، وإنها، كما ترى، «باب لم يطرق أبوابه من قبل»، وبعد ذلك تعلق: «أنا لا أمدح نفسي.. لأنني لست بحاجة إليه». ولا نملك إلا أن نسألك: كيف يكون ما كتبته بابًا، فيصبح عند الطرق أبوابًا؟! عمومًا نأمل ألا تكون قد تجاوزت الشعرة التي بين الثقة والغرور، وندع الحكم على محاولاتك التي أرسلتها إلى أصحاب الاختصاص، وسوف تجد التوجيه المناسب في باب «تباشير».

وعليك أن تثق بأن رسائل الإخوة القراء تجد من المجلة كل اهتمام وعناية، ولا يوجد «مكان معين» لأوراقك كما أشرت في خطابك؛ وكذلك نطمئن الأخ شيخموس أن قصته ستجد الاهتمام من القسم المختص، وسوف يجد التعليق المناسب عليها في باب «تباشير».

الأخ رائد أحمد عبدالله، عمان، الأردن:

لك الشكر لما جاء في خطابك من إطراء للمجلة، وملاحظتك الخاصة بعدم اهتمام المجلة بالثقافة السياحية موضع تقدير، ولكن نأمل أن تراجع ما مضى من أعداد المجلة، فستجد اهتمامًا واضحًا بالأماكن السياحية في مختلف أنحاء الوطن العربي، إلى جانب بعض الأماكن السياحية في العالم. ودعنا لانذهب بعيدًا، ففي العدد الماضي من المجلة جولة سياحية ذات عمق تاريخي في جزيرة أرواد السورية. وتأمل المجلة من الإخوة الذين لديهم القدرة على إجراء استطلاعات مصورة وموثقة عن الأماكن التاريخية في عالمنا العربي، وفي أي مكان من العالم أن يبعثوا بها إلى المجلة، حتى يمكن تقويمها، وتقرير مدى إمكان نشرها.

الأخ أمين المليح بن عبدالحميد، دمشق، سورية:

الغرض من باب «البريدالثقافي» كما أشير إليه من قبل إثارة القضايا الثقافية والفكرية الملحة، وإغناء الحوار حولها من خلال إبراز أكثر من وجهة نظر عن القضية الواحدة، أما اقتراحك باستحداث باب يتناول الأسئلة البسيطة، فسوف يكون محل نظر، كما هو حال كل اقتراح يرد إلى المجلة من الإخوة القراء. وبخصوص ما جاء في خطابك عن ترجمات الأعلام، فنفيدك أن المجلة بها قاعدة معلومات تضم تراجم لقرابة أربعة آلاف علم من الأعلام البارزين في مجالات العلم والفكر المختلفة. وقد أحيلت رسالتك إلى القسم المختص حتى يمكن أن يفيدك بقدر المستطاع.

الأخ عبدالباقي يونس، معهد الدراسات الإسلامية، كوماسي، غانا:

نتمنى لمعهدكم التوفيق في القيام بمسؤولياته في تعميق الثقافة الدينية في نفوس أبناء المسلمين في بلادكم، وأن يسهم في نشر الإسلام بين غير المسلمين. وسوف تصل إلى المعهد بعض أعداد المجلة، لعل من يطالعها يجد فيها ما يفيد، ويوثق عرى علاقته بالعربية، لغة القرآن الكريم. وليتكم في المعهد توجهون رسائلكم بما تحتاجون إليه إلى الجهات المختصة، وهي كثيرة، ولله الحمد، وسوف تجدون منها كل دعم وتأييد إن شاء الله.

الأخ علي حسين علي، رجال ألمع، متوسطة البناء، عسير، السعودية:

لك الحق فيما ذكرته عن مشكلة توزيع المجلة في بعض مناطق المملكة، وهذا موضوع يجد اهتمامًا كبيرًا، ونسعى إلى إيجاد الحل المناسب له بالتفاهم مع الشركة المسؤولة عن التوزيع، وسوف تصل إليك بعض الأعداد الأخيرة التي ربما فاتك الاطلاع عليها.

الإخوة بدرالدين هزاع قائد، تعز، خالد بن صالح الأنس، صنعاء، اليمن، نورالدين شوقي، محمد روابح، ميلة، الجزائر:

لكم ولجميع الإخوة الذين طلبوا معلومات عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية نقول:

إن المركز هو أحد أجهزة مؤسسة الملك فيصل الخيرية، ويختص بالعمل في مجالات البحوث والدراسات والحضارة والتراث الإسلامي، والمجالات ذات العلاقة بهذه القضايا كافة، وقد أنشئ في العام 1403هـ.

ويضم المركز مكتبة ضخمة، ومكتبة خاصة بالأطفال، وقواعد للمعلومات المتخصصة، وقاعة الملك فيصل - يرحمه الله -، وبه أقسام للخدمات الفنية، مثل ترميم المخطوطات، والوسائل السمعية والبصرية، والمصغرات الفلمية، والطباعة والتجليد. ويعتمد المركز على الحاسوب في مختلف أعماله ونشاطاته لخدمة الباحثين، وهناك قسم خاص به للقيام بمسؤوليات الإعداد وتحليل النظم والبرمجة وتحديثها، وإدخال البيانات وتطوير العمليات. وقد نشرت المجلة في أكثر من عدد من أعدادها تفاصيل عن مؤسسة الملك فيصل الخيرية وأجهزتها، ومن ضمنها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

بين القارئ والقارئ

أرغب من إخواني قراء مجلة «الفيصل» مساعدتي في الحصول على كتاب «التوطئة في اللغة العربية» لمؤلفه الدكتور فؤاد حسنين علي الأستاذ السابق في كلية الآداب، جامعة القاهرة. كما أرغب في الحصول على بعض مؤلفات الأستاذ بخاطره نصر الشافعي أحد أساتذة جامعة الإسكندرية بمصر، والذي كان مشرفًا على المعمل الصوتي بها.

د. غنيم غانم الينبعاوي
ص.ب 875
كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

آمل من إخواني قراء «الفيصل» مساعدتي في الحصول على بعض كتب تعليم اللغة العربية، وكذلك الكتب الدينية التي تساعدني على التفقه في أمور ديني.

يونس هارون عبدالرحمن
YUNNUSA HARUNA
BY HARUNA ABDUL - RAHMAN
P.O BOX 29H9
ACCRA, GHANA

أرغب في الحصول على أعداد قديمة من المجلة العربية، وبعض مؤلفات الدكتور عبدالكريم بكار، فآمل مساعدتي في ذلك.

عبدالمنعم تركي جمعة
ص.ب 3، حمص، سورية

آمل تبادل الكتب والمجلات الثقافية والفكرية في العلوم الإنسانية مع إخواني من قراء «الفيصل»، ممن لديهم الرغبة نفسها.

رشيد الراشد
رحيمة 31941، ص.ب 410
المملكة العربية السعودية

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ محمد عبدالمجيد جودة، بور سعيد، مصر:

عنوان مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن:

AL FURGAN ISLAMIC HERITAGE FOUNDATION
EAGLE HOUSE HIGH STREET
WIMBELDON SW 19 5 EF
TEL: (0181) 944 1233 FAX: (0181) 944 1933

عنوان مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول:

RESERCH CENTER FOR I.H.A & CULTURE (IRCICA)
P.O. BOX 24, 80692 BESIKTAS
GAYRETTEPE, ISTANBUL - TURKEY
TEL: (90 - 212) 260 59 8889,
FAX: (90 - 212) 258 4365

عنوان جامعة هارفارد:

HARVARD UNIVERSITY
CAMBRIDGE, MA 02138,
U.S.A
TEL: (617) 495 1000

الأخ أحمد معتوق محمد العثيان، الأحساء، السعودية:

عنوان مجلة العلوم الأمريكية:

SCIENTIFIC AMERICAN
415 MADISON AVE
NEW YORK
N - Y 1007 - U.S.A
TEL : 212 75 40550

وتصدر من هذه المجلة نسخة بالعربية هي:

مجلة العلوم (تصدرها مؤسسة الكويت للتقدم العلمي)

وعنوانها: ص.ب 20856، الصفاة 13069الكويت
هاتف 2428186، فاكس 2415365

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

الربا ضد الفطرة الإنسانية



ورد في منتدى الفيصل - العدد 246 - في معرض الرد على بعض التساؤلات حديث عن المصارف الإسلامية وعملها. وقد تحدث الشيخ صالح الحصين - زاده الله علمًا وتوفيقًا - عن بعض عمل المصارف، ورد على بعض الشبهات، وأستميحه عذرًا في أن أدلي بدلوي المتواضع جدًا في هذا الموضوع:

فمن المعلوم أن الفارق الأساسي بين المصارف الإسلامية والمصارف التقليدية هو الربا أو ما يعرف بالفائدة، ولغة يعني: الزيادة. والربا محرم في كل الديانات السماوية، فالنصرانية تحرم الربا، قال الأب سخاري: «الذين يأخذون الربا خارجون عن الدين». كذلك اليهودية تحرم الربا، فقد ورد في العهد الجديد: «إذا استدان منك أحدُ ملّتنا الفقراء فلا تبتزه وتأخذ منه فائدة». وفي الإسلام عُدّ الربا حربًا ضد الله، قال تعالى: *يا أيها الذين آمنوا اتّقوا اللّه وذَروا ما بقي من الرِّبا إن كنتم مُؤمنينَ. فإن لم تفعلوا فأذَنُوا بحرب من اللّه ورسوله وإن تُبْتُم فَلَكُم رُؤوسُ أموالكم لا تَظْلمُونَ ولا تُظْلَمُونَ*. **البقرة:** 278-279. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه». فمن هنا يتضح لنا أن الربا ضد الفطرة الإنسانية. وحتى فلاسفة المجتمعات السابقة قد ذموا الربا، فقال أرسطو مستنكرًا الربا: «قطعة النقود لا تلد نقودًا»، وقال أفلاطون في كتابه روح القانون: «لا يجوز لأحد أن يأخذ فائدة عن القروض». وقد سنَّ ملك بابليون عام 950م قانونًا يمنع فيه الفائدة.

فمن هنا أيضًا يتضح لنا أن الربا ضد الروح الإنسانية، فمهما كانت مسوّغات المرابين لأخذ الربا فهي لا تقوى على مجابهة المنطق السليم، فبعض الناس يبيحون الفائدة الربوية من مبدأ أن الفائدة تعوض الآثار السلبية للتضخم. فالنقود تتآكل قيمتها بمرور الزمن؛ فما نشتريه اليوم بمئة درهم لا نستطيع أن نشتريه بعد عام إلا بأضعاف هذا السعر، ولكن إذا نظرنا إلى هذه الحجة من الناحية الاقتصادية، فإن الفائدة تؤدي إلى التضخم وكذلك التضخم يرسخ الفائدة، وهذا من شأنه أن يضاعف التضخم، فالفائدة التي تفرضها المصارف على التجار أو المنتجين سيعوضونها بزيادة الأسعار، فإذا زادت الفائدة فسوف ترتفع الأسعار والعكس صحيح، وربما تؤدي هذه الدائرة الحلزونية إلى كساد في الاقتصاد نتيجة لارتفاع الأسعار. وواقع الحال في الدول التي تتعامل بالنظام الربوي يبين أن معدلات التضخم أعلى من معدلات الفائدة في أغلب الأحوال. وهنا يبرز سؤال: إذا زادت القيمة الشرائية للعملة فهل الدائن سوف يعوض المدين عن هذا الفرق؟.

فالإسلام حرم الربا لأنه ضد الإنسانية، إذ إنه يجعل الإنسان حبيس المادة. والإسلام يدعو للتكافل والعدل، والربا ظلم واحتقار واستعباد للأشخاص، وبما أن الإسلام هو دين شامل وصالح لكل زمان ومكان قال تعالى: *ولقد صَرَّفْنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مَثَلٍ فأبى أكثرُ النّاس إلا كُفُورًا*. **الإسراء:** 89؛ فقد فتح باب الاجتهاد لأهل العلم لمواكبة تطورات الحياة. فقد أقر علماء الأمة عام 1965م في مجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة، ومؤتمر الأزهر الشريف وعلماء مجمع البحوث الإسلامية عام 1971م؛ كل هذه المؤتمرات أجمعت على أن الفائدة التي تأخذها المصارف اليوم هي محرمة لا فرق بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي أو القرض الإنتاجي، وقد أوصت هذه المؤتمرات أهل العلم والمال والاقتصاد المسلمين بإيجاد بديل لتلك المصارف الربوية، مما أدى إلى إنشاء المصارف الإسلامية فبدأ بنك ناصر الاجتماعي الأسلمة، ثم بنك دبي الإسلامي، ثم ازدهرت المصارف الإسلامية في مرحلة السبعينيات مثل مجموعة بنك فيصل الإسلامي، وبنك التنمية الإسلامي بجدة، وبيت التمويل الكويتي؛ وقد بلغ عدد المصارف الإسلامية حتى عام 1995م أكثر من 186 مصرفًا، مما يعني نجاح فكرة المصارف الإسلامية؛ الأمر الذي جعل بعض المصارف الربوية والغربية تفتح لها أقسامًا تتعامل بالصيغ الإسلامية.

فالمصارف الإسلامية جاءت بالبديل الأنجح للربا. فهي تتعامل بالمشاركة والمرابحة والمضاربة والسلم، وكل هذه الصيغ أجمع عليها علماء الأمة.

وقد اهتمت هذه المصارف بالفقراء، وجعلت همها الأول المساعدة وليس الربح، ولكن للأسف الشديد فإن مشكلات المصارف الإسلامية تأتي من المسلمين أنفسهم. فمعظم الحملات ضد هذه المصارف هي من العلمانيين في ديار الإسلام وبعض المسلمين؛ إذ يضعون أموالهم في المصارف الربوية والغربية مما يقوي تلك المصارف. ولكن فليعلم هؤلاء أن الربا وهو الفائدة التي تعطيها المصارف لا يجوز، وهو حرام لا شك في ذلك بإجماع علماء الأمة. وإن

التعامل مع هذه المصارف لا يجوز إلا للضرورة القصوى كما أفتى بعض الأئمة مثل ابن باز والمودودي. والضرورة هنا - كما أفتوا - هي لحفظ المال الذي يُخشى عليه، وعند غياب المصارف الإسلامية مع عدم أخذ الربا وإعطائه للمساكين.

قال تعالى: *وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورسولُه أمرًا أن يكون لَهُم الخِيَرَةُ من أمرهم*. **الأحزاب**: 36.

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل.

عبدالقادر يوسف محمد الجعفري

ماجستير اقتصاد

الجامعة الإسلامية بهاوربور، الباكستان.

التكامل الاقتصادي الإسلامي



في منتدى الفيصل مع معالي الشيخ صالح الحصين شد انتباهي رؤيته حول دور المصارف الإسلامية، ودورها في الحياة الاقتصادية. والمصارف الإسلامية أصبحت تتعرض لهجمة شرسة، ربما لأن الإسلام يحرم المعاملات الربوية كافة، وهي المعاملات التي ألحقت بأمة الإسلام الخراب الاقتصادي. ومن محاسن الإسلام أنه حرم على المسلمين شيئًا، لكنه أبدلهم خيرًا منه. ومع تطورات الحياة الاقتصادية، اقتضى الأمر قيام مصارف تساعد على نجاح الإنسان في تجارته وسبل تمويلها، وحفظ الأموال واستثمارها، لذلك فإن المصارف الإسلامية تحقق الارتباط بالعقيدة الإسلامية، والمساواة بين طرَفَي التعامل، ومعاملاتها خالية من الربا، وهي بذلك تشكل ضرورة حيوية في نسيج التعامل الاقتصادي الإسلامي.

والمصارف الإسلامية بحاجة إلى علماء الاقتصاد، لأن الاقتصاد أصبح علمًا يُدرس. ويتمحور دور علماء الاقتصاد حول أمور منها:

1- كيفية معالجة أسباب التخلف الاقتصادي في بلدان العالم الإسلامي، وذلك لا يرجع إلى ندرة الثروات أو الإمكانات البشرية، وإنما يعود لإخفاق خطط التنمية في البلدان العربية والإسلامية.

2- كيفية دفع البلدان العربية والإسلامية لامتلاك البعد الاقتصادي، وتشجيع التبادل التجاري العربي الإسلامي. وغياب الرؤية المستقبلية لدور الاقتصاد لا يحقق المجتمع الإسلامي التكاملي، والإنماء الاقتصادي لا يتحقق إلا ضمن حركة حضارية تشمل كل جوانب الحياة الاجتماعية.

3- الإسلام يشكل دين الوسطية. قال تعالى: *وكَذلِكَ جَعلناكم أُمَّةً وسطًا*. **البقرة**:143. ويتضح من ذلك أن الاقتصاد الإسلامي نظام إلهي ثابت بعد أن كفل الإسلام الحرية للنشاط الاقتصادي. والإسلام أقر الملكية الفردية واحترمها، وكفل لها من الضمانات الكثير، وعدّها وظيفة اجتماعية، كما أن الإسلام يمتلك نظرة بناءة في احترام الملكية العامة. قال تعالى: *واعلموا أنَّما غَنِمتُم من شيءٍ فأنَّ لِله خُمُسَه وللرسول وَلِذي القُربَى واليَتامى والمساكين وابن السبيل إن كُنتم آمَنْتم بالله*. **الأنفال**:41.

وهدف محاور الملكية الفردية والعامة تحقيق التوازن بين أبناء المجتمع الإسلامي.

4- النظام الاقتصادي الإسلامي بحاجة إلى اجتهاد، بعد أن اتسع النشاط الاقتصادي العالمي وتنوعت صوره، وتشابكت علاقات البلدان إسلامية وغير إسلامية في المجال الاقتصادي. فعالم اليوم يموج بتكتلات اقتصادية واختلافات اقتصادية.

5 - المعلوم أن غاية الاقتصاد الإسلامي بوصفه منهجًا متميزًا أنه يحقق للإنسان الحياة الكريمة؛ لأن الاقتصاد في الإسلام مرتبط بالقيم الإيمانية والأخلاقية. والإسلام حرم الاحتكار والغش والربا والجهالة والتدليس.. الخ.. فكيف نحقق تلك المعاني النبيلة داخل الحياة الإسلامية المعاصرة؟

6- كيفية تحقيق الاستثمار الإسلامي في مجال التنمية لمعالجة البطالة في المجتمعات العربية والإسلامية. فالنظم الوضعية أخفقت في الحد من مشكلة البطالة؛ والإسلام ربط البعد الاقتصادي بالإنسان ذاته.. وبناء الإنسان المسلم يعني أن التنمية في الإسلام لا تتركز على الجانب الاقتصادي فقط، وإنما الإسلام ينظر لعدم تعطل عناصر الإنتاج الإسلامية بشريًا وماديًا. وللزكاة في الإسلام بعد اجتماعي.. قال تعالى: *لن تنالوا البرَّ حتى تُنفقوا ممَّا تُحبون وما تُنفقوا من شيءٍ فإنَّ اللهَ به عليم*. **آل عمران**:92.

ولذلك لم تعد النظرة نحو الاقتصاد الإسلامي تتشكل كأنها حنين لنظام ننشده، ولكنها نظرة نحقق منها إطارًا تاريخيا يواجه منطلقات الاقتصاد العالمي المعاصر. والبلدان العربية والإسلامية بحاجة إلى تكامل اقتصاد إسلامي بعد أن ركزت الاقتصاديات العالمية على تقسيم بلدان العالم إلى عالم أول وثان وثالث، وهذا التصنيف لا يخدم البعد الإسلامي بعد أن اخترق الغزو الاقتصادي والثقافي هيكلية البلدان النامية في مبادئها وقيمها وعاداتها.. بما يشكل

عدم استقرار سياسي واجتماعي وفكري للإنسان في البلدان النامية. وفي ظل هذا وذاك أصبحت البلدان العربية والإسلامية بحاجة إلى الوحدة وتكامل السياسات أكثر من أي وقت مضى.. والاقتصاد الإسلامي كفيل بإنجاح مسارات عدة نحو التقدم المنشود. ولا ننشد أن نرى - عربيًا وإسلاميًا - مناقشة الأفكار المتعارضة والآفاق الفكرية والثقافية المباينة للعقل المسلم. وتكامل السياسات العربية والإسلامية لا يحتمل ذلك؛ فأعداء الأمة لا ينشدون توحد سياساتها أو تقارب أفكارها، مع أن الأمة واحدة. قال تعالى: *وإن هذه أمّتُكُم أمةً واحدةً وأنا ربكم فاتّقُون*. **المؤمنون**:52.

إذن الأمة العربية والإسلامية حينما تمتلك اقتصاديات بناءة تتشكل منها قوة. والقوة تحقق الحماية لقضايا الأمة كافة. فالبلدان الأوروبية على التناقضات وتغاير النظم، تحقق غاياتها عبر اتفاقية «ماسترخت» لتحقيق توحيد أوروبا والسير نحو التكامل والاندماج. فهل المجتمع العربي والإسلامي الذي توحده اللغة والعقيدة والموقع يفتقد تلك النظرة التاريخية؟

يحيى السيد النجار
شارع الحزاوي، الرمز 34111
دمياط، مصر.



الاستنساخ الحيوي الجسدي

استرعى انتباهي اهتمام مجلة الفيصل في العدد246 بقضية الاستنساخ الحيوي من خلال ثلاث مقالات: الأول لرئيس التحرير الدكتور زيد الحسين جزاه الله عنّا كل خير بما أتحفنا به من نظرة موضوعية ومن التحذيرات والتوجيهات التي أطلقها للعالم الإسلامي..

أما المقال الثاني للدكتور وجدي عبدالفتاح سواحل فقد ظهر به التخصص العلمي البحت، ومن خلاله عرفتُ ماذا يعني الاستنساخ الحيوي.

والمقال الثالث للدكتور خالص جلبي. إن تبسيط العلوم التجريبية يجعلها سهلة التناول قريبة للنفس ولاسيما عند غير المتخصصين، وهذا ما فعله الدكتور جلبي في مقاله: الاستنساخ الحيوي الجسدي. ولكن لي عليه بعض الملاحظات:

1- جاء في المقالك «لا يمكن فهم ما حدث قبل معرفة ما يحدث في الطبيعة، فالطبيعة دشنت منذ نصف المليار سنة طريقة وحيدة في تكاثر الحيوانات وهي الطريقة الجنسية بإنجاب فرد واحد».

فقوله: «الطبيعة دشنت» يثير العجب. فماذا يقصد بالطبيعة؟ لعلّ المقال مترجم، فهذا هو دأب العلماء الغربيين في كل ما من شأنه أن يُنسب إلى التدبير الإلهي والقدرة الإلهية والعلم الإلهي ينسبونه إلى الطبيعة الصمّاء التي لا تعرف النظام ولا تملك الإرادة فضلاً عن العلم. وإن كان يقصد بالطبيعة التدبير الإلهي فلا يحق له أن يقول كلمة «دشنت». فلم يرد هذا التعبير لا في الكتاب ولا في السنّة. ثم إن علم الله قديم لا أول له، كذلك إرادته سبحانه وتعالى، وكلمة «دشنت» مرتبطة بزمن قدّره الدكتور جلبي بنصف المليار سنة.

كما أن طريقة التكاثر الجنسي ليست الوحيدة في تكاثر الحيوانات، فطريقة التوالد البكري (إحدى طرائق التكاثر غير الجنسي) معروفة عند برغوث الماء، والبرغوث حيوان عند كل علماء الحيوان. فلعلّ الدكتور يقصد الثدييات.

2- وردت كلمة المستحيل ثلاث مرات في المقال منها قوله «فالعلم لا يعرف المستحيل». إن المستحيل عندالعلماء والفلاسفة - قديمًا وحديثًا - في أبسط تعريف له هو ما يُحيل العقل وقوعه. ولعل الدكتور يقصد بالمستحيل - الذي لا يعرفه العلم - الممكن غير المألوف لدينا. فمثلاً وجود شريك مع الله مستحيل بالدليل النقلي المتواتر وبالدليل العقلي، وكل منهما دليل علمي، وكذلك رجحان الشيء على غيره من دون مرجّح (عامل خارجي) مستحيل.. الخ. فالمستحيل لا يصبح ممكنًا، ولكن هناك ممكنات غير مألوفة لدينا نحسبها مستحيلاً.

3- يقول الدكتور جلبي: «سيتم التحكم في الجنس وعدد الذكور والإناث وسيتم التخلص من جينات الإجرام والحقد والإحباط وداء باركنسون والجنون..». والسؤال: من أين عَلِمَ الدكتور بأنه يوجد مورِّثات (جينات) للإجرام والحقد والإحباط؟ لعلّ هذا يشبه اعتداد بعض أساتذة جامعاتنا - وأقول بعض - بنظرية لامارك وداروين والدارونية الحديثة، وذكرهم لها دون إظهار فسادها وإبطال العلماء لمضامينها.

إن التصوّر بجود مثل هذه المورثات في بعض الناس إما مسوّغ للإجرام والحقد

والإحباط، وإما شك في العدالة الإلهية مادام الإنسان لا اختيار له في وجود مثل هذه المورثات، ومع ذلك فإن الله سيحاسبه على الإجرام والحقد والإحباط.

4- ذكر في نهاية المقال: «المعوذات الثلاث»، فإن كان يقصد سورة الفلق وسورة الناس فهما كما ترى اثنتين. أما إن كان يقصد غير ذلك فإن جهلي بـ«المعوذات الثلاث» حجة عليَّ لا على سواي.

عمادالدين محمود جميل
شارع الشهيد الرشدان، المدخل الرابع
مدينة أنخل، درعا، سورية.

د. جلبي والاستنساخ الجسدي



تعقيبًا على مقال الدكتور خالص جلبي «الاستنساخ الجسدي» أشكره، وأعلق على مسألة بعينها، وهي قوله: «.. لذا فإن من يطرح مسلّمة أن العقل له حدود، يقع في مغالطة كبيرة، يبرهن الواقع المرة بعد المرة على عكسها..». أوافقه على أن «النهم العلمي والشغف بالمعرفة والازدياد منها لا يعرف التوقف أو المستحيل [مجازًا]». وأقول معترضًا: إن العقل ليس سوى مستعرض لما أمامه من معطيات، وهذه المعطيات كثيرة - فهي محدودة - بشكل يبدو «غير نهائي». وأنا هنا لا أناقض نفسي، فالمسألة أشبه ما تكون بتلك الأعداد غير النهائية بين الصفر والواحد؛ فهي غير نهائية لكنها مترددة بين رقمين - أي حدّين.

وأحسب المرء منا يزعم مقولة كتلك ليس على وجه الحقيقة بل المجاز.

والإنسان يقول ذلك كلما ظهر له جديدُ علم. بيد أنه لا يحسُن به إغفال ذلك الجمّ الغفير الكامن خلف ما استشرفه من علم. فنظرتنا إلى ما نفرح به من اكتشافات هي ذات نظرة ذلك الفلكي الذي طوّر مرصاده ليكتشف أنه كان يجهل الكثير مما لم يتمكن من سبره بذات المرصاد قبل تحديثه، فاكتشافه مجرةً جديدة يُسَجِّل للإنسانية نقطة، ويُسَجِّل عليها عدد غير معلوم من النقاط. فنحن اكتشفنا المجرة، واكتشفنا أننا نجهل الكثير عن نشأتها وعما تحويه... إلخ. ويصدق هنا قول القائل:

كلما ازددت علمًا
زادني علمًا بجهلي

كما أن التغيرات التي تجري في الكون بعلم الله تُوحي للإنسان بمقولة: «العقل غير المحدود». فالظواهر أيًا كانت تجعل عقل الإنسان يتردد بين حقيقتين: ما كان يعلمه من علم يقينًا، وما استجد له في هذا العلم يقينًا.

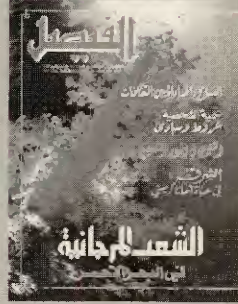
إن نسبة علمنا الذي آتاه الله سبحانه إيانا، كما في قوله عزّ وجلّ: *وما أُوتيتُم منَ العلم إلاَّ قليلاً*، إلى علمه تعالى، كما في قوله سبحانه: وهُو بكلِّ شيءٍ عليمٌ، هي نسبة تشير إلى القلة المحدودة مقارنة بعلمه عز وجل، فهذا القليل من علمنا مهما كثُر فهو محدود، وإلا لكان بوسعنا معرفة الكلّ الذي يختص به عز وجل، وهذا لا يكون لبشر لأنه شتّان بين الخالق والمخلوق.

وإنما يجمُلُ بالعالم أن يتواضع فيما يتجوّل فيه من رياض العلم؛ ولا يقولنّ قائل إننا بذلك التحديد لعقل الإنسان، وللوسائل التي يستعين بها سنستنفد العلوم عمّا قريب، أو إننا سنبلغ حدّها؛ كلا، بل يجب ألا ننسى أننا نجول في بحار من العلم عَلِمَ الله كُلِّيَّتها - وأمرنا بالتفكر والتبصر فيها -، وقلتها عندنا كالمعين الذي لا ينضب، ونقول لا ينضب لعدم معرفتنا بالكم الذي يختزنه، لا لثقتنا بغير محدودية العقل.

وأحسبُني بالغت في التعليق، وأطنبت قليلاً في أمر ربما لم يذهب إليه الكاتب، إلا أنني أستدرك على الأقل ما يمكن أن يُراود فكر القارئ من هذه العبارة أو «الاستعارة التي هي في غير محلها» والتي عجّ المقال بمثلها.

أحمد عبدالله باطيران العمودي
عمّان 11931- ص.ب 147،
الأردن.

قراءة السيرة النبوية



ما أجمل أن نعيد قراءة السيرة النبوية قراءةً تمكننا من فهم سيرورة هذه السيرة. فهذا الفهم للسيرة النبوية يعطينا تصورًا صحيحًا عن شخصية نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا الفهم يساعدنا أيضًا على طرح الإسلام طرحًا نابعًا من الفهم والاقتناع بعيدًا من التقليد الأعمى، وبذلك نكون قد قدمنا خدمة لهذا الدين الحنيف.

فقد قرأت في العدد 245 مقالاً للدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي بعنوان «مواقف من السيرة النبوية»، وكم أعجبني توظيف الكاتب لموقف الرسول عليه الصلاة والسلام مع ضماد الأزدي الذي قدم مكة ليشفي رسول الله صلى الله عليه وسلم من جنونه - على حد زعمه وزعم المشركين -، فما كان من ضماد عندما سمع كلمات الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن بايع رسول الله على الإسلام.

فلقد وظف الدكتور الحميدي هذا الموقف في الحديث عن قضية الدعوة إلى الله. وفي الحقيقة ما أريد أن أقوله هو أننا نعيش في مجتمع اضطربت فيه الموازين، وتباينت القراءات التحليلية لهذا المجتمع، وفي خضم هذا الاضطراب يظهر الإسلام نبراسًا دالاً الإنسانية على الطريق القويم، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: كيف ندعو إلى الله؟ أو بعبارة أخرى: كيف نطرح الإسلام أمام الناس؟

هل نطرحه طرحًا أحاديًا؛ أي بغض النظر عن حالة الطرف الآخر ووضعه وبيئته وثقافته واهتماماته؟ أم نطرحه طرحًا متوازنًا قائمًا على إدراك جوهر المجتمع؟

العقول السليمة ستختار بالطبع الطريق الثاني، وهو الطرح المتوازن القائم على فهم شخصية الطرف الآخر، وفهم وضعه النفسي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

هذا الجانب الأول، أما الجانب الثاني، فهو ضمان نجاح الطرح، فإن أردنا أن نضمن نتائج الطرح الإسلامي، فعلينا أن نطرحه بشكل بسيط بعيد من التعقيد والتهويل؛ أي ينبغي أن يكون كلامنا واضحًا متلائمًا مع بنية عقل الطرف الآخر، ولنا في ذلك برسول الله أسوة حسنة.

فقد أخرج الإمام مسلم - رضي الله عنه - في باب الإيمان أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أرأيت إذا صليت المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرّمتُ الحرام، ولم أزد على ذلك شيئًا، أأدخل الجنة؟ قال: «نعم». فهذا الموقف من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على أن الداعية إلى الله يجب عليه ألا يُهَوِّل الأمور، وأن يتكلم ببساطة، فالرسول عليه الصلاة والسلام لو أنه فسّر للرجل الإسلام جملةً وتفصيلاً لما آمن هذا الرجل، ولكنه بسَّط له الإسلام بكلمات مختصرة، وهذا الموقف إنْ دلَّ على شيء، فإنما يدّل على أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يأخذ بعين الاعتبار حالة السائل ووضعه الاجتماعي ونفسيته.

أيضًا يجب أن يقوم طرحنا الإسلامي على الكلمة الطيبة، وعلى استيعاب الطرف الآخر، فالله سبحانه وتعالى يقول: *وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَ نَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ*. **آل عمران**:159.

فسرُّ انتشار الإسلام هو في قيامه على الحب وعلى اللين، فالسياسة التي يجب أن تُتّبع الآن في هذا القرن هي سياسة عدم العنف، وسياسة عدم الإكراه. فالله يقول: *لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ*. **البقرة**:256. فالحق واضح، والباطل واضح، ولكن عند ذوي العقول السليمة. إذًا لنضع في أذهاننا عملية تطوير أساليب الطرح الإسلامي، لأننا نعيش في عصر التشويه والتشويش الإعلامي، وعلينا أن نُظهر جوهر الإسلام بعيدًا من البدع والتقليد والخرافات.

عبدالعزيز السيد صالح
كلية الآداب، قسم اللغه العربية
جامعة حلب، حلب، سورية.

فرنسا الجريح.. على ضفاف النيل



دار بخلدي هذا العنوان البديل الذي اختاره الناشر لكتاب «اجتياح مصر» من تأليف المؤرخ المستشرق إدوين جون ديفيز عام 1895م، وقام بترجمته إلى العربية زكي شنودة المحامي، وذلك عند مطالعتي موضوع «الخيل الحربية في دولة المماليك» المنشور في العدد 247 للباحثة ثناء

يوسف المحضر، التي قدمت دراسة مكثفة موثقة لموضوع مهم، وبرهنت على أن الرأي الذي يصف حقبة المماليك والعثمانيين بأنها مرحلة ركود فكري وتفاهة ثقافية، إنما هو رأي لا يصمد أمام مناقشة جادة موضوعية.

لقد أدرك المماليك مثل غيرهم أن مصلحة الأمة الإسلامية في وحدتها وسلامة أراضيها، وهكذا خابت تماماً آمال ومطامع الغزاة والمستعمرين المختبئين تحت أقنعة مختلفة بغية الاحتلال والسيطرة على مناطق بلاد الشام ومصر وغيرها.. بفضل البطولة والعبقرية الحربية التي أبداها المماليك؛ يدفعهم واجب الجهاد المقدس في الدفاع عن العقيدة والأرض، فتصدت جيوشهم لحملة ملك فرنسا لويس التاسع على مصر، أو ما يعرف بالحملة الصليبية السابعة (1249- 1250م) التي وصلت إلى مدينة «المنصورة»، ثم ارتدت مهزومة مدحورة بعد أسر الملك وحاشيته وقواده.

وقد تناول مؤلف الكتاب ـ الآنف الذكر ـ تفاصيل هذه الحملة المهزومة، وما رافقها منذ البدء من تناقضات وفضائح أحاطت بالغزاة واختلال النظام في معسكراتهم، فقد جعلوا من مدينة «دمياط» عندما دخلوها مسرحاً للتهتك وبؤرة للمفاسد.

ذكرت الباحثة الكريمة في مقالها أنواعاً من الحيل الحربية استخدمها المماليك في حروبهم، ومنها: «.. نار شديدة تحرق الأعداء إذا اقتربوا منها».

وهي في الواقع ما يُعرف بالنار الإغريقية وتتكون من «مزيج من النفط والزيت والكبريت، مجمد بنوع من الصمغ القابل للاشتعال.. وكان هذا المزيج الناري يُعبأ في أنابيب من النحاس لها فم توقد منه، وفي مؤخرها قوس يدفعها حين توتره إلى الأمام. وكانت تلك الأنابيب توضع بكميات كبيرة في اسطوانة مستديرة وتُلقى في مدافع المنجنيق ثم تُقذف على العدو، فتصليه ناراً حامية، إذ تنفجر بقوة الاصطدام فيندلع منها لهيب لا يمكن لمخلوق أن يخمده، وتنتشر شراراته في كل جانب فتجعل ما حواليها أتوناً متلظياً».

ويعترف المستشرق ديفيز بضروب الشجاعة والإقدام وسلامة التخطيط الذي أبداه الجيش المملوكي مع براعة قادته في هندسة الحرب وفنونها، وتجلى ذلك في معركة «المنصورة» التي كانت فاصلة في اندحار هذه الحملة الصليبية، وذلك عندما نجح المماليك في هدم القنطرة التي شيدها الفرنسيون لاجتياز حاجز طبيعي مائي متفرع من نهر النيل، وقد تم ذلك بحيلة بارعة ذكية بوساطة حفر خنادق عميقة ملاصقة لطرف القنطرة، وما لبثت مياه النيل أن اندفعت وملأتها؛ مما أدى إلى انهيار الضفة الترابية التي ترتكز عليها القنطرة وحطمتها، وذهبت معها أحلام الغزاة أدراج الرياح.

وبعد مناوشات ساحقة انسحب جيش الحملة الصليبية الخاسرة يجر وراءه ذيول الخيبة والفشل، وتبخرت معها «موضوعية» المستشرق الوقور ديفيز، وظهر الغيظ والحنق المكتوم وهو يصف انسحاب الجيش الصليبي بقوله:

«ويا لها من صورة تقطر بالألم والدماء، صورة ذلك الجيش العاثر المتعثر في الطريق وأقدامه لا تقوى على حمله.. أولئك هم أبناء فرنسا يسقطون كقطيع أنهكه طول المسير فترامى على الأرض لاهثاً.. وها هي قاماتهم الفارعة تنهار وتتهاوى لتتلقف أعناقهم السيوف التي لا ترحم»!! حتى بلغ به حقده إلى القول: «على هذه الصورة المروعة تبع المسلمون الجيش المنسحب واستمر النضال وطالت المطاردة»، وكأنما اقترف المماليك ـ في رأيه ـ جريمة لا تغتفر في تصديهم ومحاربتهم للغزاة الصليبيين.

ولابد من القول إنه ينبغي على المؤرخ الجاد أن يُقبل على دراسة التاريخ وفهمه كما هو وليس كما أن يراه.

د. محمد فؤاد الذاكري
ص.ب 12684
حلب، سورية.

المصادر:

1- فرنسا الجريح على ضفاف النيل، مطبوعات كتابي (21)، القاهرة 1956م وهو ترجمة لكتاب INVASION OF EGYPT BY ED-WIN JOHN DAVIS.
2- الصليبيون في الشرق، ميخائيل زابوروف، دار التقدم 1986م.

دائرة معارف أدباء أطباء



الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

الدكتور حسن ظاظا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جزاك الله تعالى خيراً على هذه الجهود التي تُعرِّف من خلالها وتكشفُ عن أصل اليهود وحقيقتهم، وبارك الله لك في عمرك، وأمد الله في حياتك، كما نشكر لمجلة الفيصل بشكل عام ما تبذله من جهود في سبيل الارتقاء بالثقافة ونشر المعرفة.

لقد ورد في كتاب «الأوراد الدائمة» لمفتي الديار الشامية، آنذاك، الشيخ الدكتور محمد أبو اليسر عابدين، والذي وردت ترجمة له في مجلة الفيصل العدد 246 تحت عنوان: دائرة المعارف «أدباء أطباء»، ورد في الكتاب دعاء ببعض الكلمات العبرية. لذا أرجو منك أن تفصح وتبين لنا عن معاني هذه الكلمات وجزاك الله خيراً. والدعاء هو:

بسم الله باديخ، بسم الله بيدوخ، بسم الله شمادخ، بسم الله شيموخ، بسم الله بَرْخُوى، بسم الله يانوخ.

عبدالستار عثمان شيخ محمد
إدلب، سورية.

لغة العصر



خليل الفزيع

يحمل هذا العصر سمات تختلف عن تلك السمات التي ميّزت عصورًا سابقة مضت، وحمل التاريخ والإبداع الأدبي بعض ملامحها وبعض أحداثها، مما يمكن الرجوع إليه في مختلف المصادر المكتوبة والمحفورة والمروية.

ومن سمات هذا العصر اعتماد مصادر المعرفة فيه بمختلف فروعها على المعلومة الدقيقة الموثقة، حتى أصبحت كلمات مثل: لغة الأرقام، وثورة المعلومات، والتوثيق، تتردد كثيرًا، ليس في المحيط الأكاديمي فقط، ولكن على مستوى القارئ العاديّ، الذي لم يَعُدْ ينظر بجدية إلى الكتابات الخالية من المعلومة الدقيقة الموثقة، ولاسيما الكتابات البحثية، أو التي تحاول من خلال المنابر الإعلامية طرح بعض القضايا والهموم الاجتماعية، أو التاريخية، أو النفسية، أو الاقتصادية، أو غيرها من الهموم المعيشة.

في المجال الإبداعي يجد القارئ ما يفتح أمامه طاقات السمو بمشاعره وعواطفه إلى آفاق أكثر رحابة وشفافية ونبلاً؛ مما يهذب أخلاقه ويثري لغته، ويمنحه نور اليقين بالحق، والإيمان بالمثل العليا والمبادئ السامية. فهو يجد المتعة الروحية في المجال الإبداعي الذي يطرح أمامه قضايا الإنسان وصراعه مع قوى الشر الظاهرة والباطنة، ويشبع الجانب الوجداني من خلال الرؤية الإنسانية المبدعة.

ويظل الجانب المعرفي هو الذي يحتاج إليه الإنسان، فيجد ضالته من هذا الجانب في الكتابات الصحفية التي ربما لا ترقى إلى مستوى العملية الإبداعية، لكنها قد تقتضي جهدًا أكبر. فالكاتب الذي يحترم نفسه ويحترم قارئه، لا يرسل الكلام على عواهنه؛ بل يتحرى الدقة فيما يكتب، ويعتمد على المعلومة الصحيحة التي تصبح عماد ثقة القارئ بالكاتب، والتي يمكن الاعتماد عليها ليس في الاستنتاج التلقائي فقط؛ بل في استنباط الأحكام الصحيحة المعتمدة أساسًا على صحة تلك المعلومة بعد أن أصبحت المعلومات أساسًا ثابتًا للدراسات والأبحاث والاستبانات، التي تُبنى على نتائجها قرارات حاسمة تتعلق بحاضر الأمم والشعوب، أو مستقبلها.

من أجل ذلك تحرص المؤسسات المعنية على وجود مراكز المعلومات لديها، كما تحرص على قيام تعاون بينها وبين مراكز المعلومات الأخرى المركزية منها والفرعية، وقد يمتد التعاون بين مراكز المعلومات ليتعدى حدود الدولة الواحدة إلى الدول الأخرى القريبة والبعيدة.

والصحف هي واحدة من المؤسسات الأكثر حاجة إلى مراكز المعلومات، لتستعين بها في تقديم المعلومة الحديثة والصحيحة إلى قُرَّائها، ومثل هذه الاستعانة بالمعلومة الحديثة والصحيحة لا تقلل من أهمية المادة الصحفية؛ بل تزيد من هذه الأهمية، كما تزيد من احترام القارئ للكاتب وللصحيفة التي تثبت بذلك حرصها على القارئ، وحرصها على أداء دورها الإعلامي على أفضل وجه. والاستهانة بالمعلومة دليل على ضيق الأفق في عالم زاخر بالمعلومات.

لغة العصر هي لغة الأرقام، وفي ضوئها تُتَّخذ القرارات، وبموجبها تدعم أهمية الكتابة في التأثير، ودورها في تخليص المجتمع من الكثير من أمراضه الطارئة والمزمنة.

ولا يخفى على أحد ما يمكن أن تتركه المعلومة الدقيقة من التأثير في مجرى الحياة العامة، سواء في اتخاذ القرار المتعلق بحاضر الحياة ومستقبلها، أو في التغير الذي يطرأ على نمط وسلوك أفراد المجتمع. بل قد يكون هذا التأثير (النمطي)، أو (السلوكي) أكثر استجابة للحقائق والأرقام من الاستجابة للقرار (السلطوي). ويتضح هذا الأمر في المجتمعات الأكثر وعيًا وتقدمًا، حيث تأتي الاستفتاءات العامة في صالح القضايا المدعومة بالحقائق والأرقام.

والصحافة، كغيرها من أجهزة الإعلام الأخرى، اشتدّت حاجتها إلى (المعلومة) مع ما شهدته من تحول ملحوظ في أهدافها الإعلامية، بعد أن تراجع (الرأي) ليفسح مجالاً أوسع للخبر والتحليل والعمل الإعلامي الميداني، والتغطيات الإخبارية المباشرة من قلب الأحداث وفي مواقعها الساخنة. وبذلك تصبح (المعلومة) سلاحًا يستعين به الكاتب في الإلمام بجميع جوانب موضوعه، ويصبح الرجوع إلى (الأرشيف)، أو مركز المعلومات ليس ترفًا (إعلاميًا)، ولكنه ضرورة (توثيقية) تكسب العمل الكتابي أهمية، وتضفي عليه جدوى لن تتوافر دون استدعاء (المعلومة) الصحيحة من مصدرها، وعبر وسائلها المتاحة.

وعندما يقال: إن لغة الأرقام هي لغة العصر، فليس في الأمر مبالغة، لأن الاعتماد عليها أصبح سمة الحياة بوجه عام، وعماد أيّ نشاط بشريّ يتم في إطار هذه الحياة، حتى عندما لا تكون في الحسبان مسألة الربح والخسارة. فالأمور في بعض الأحيان لا تقاس بهذا المقياس عند توخي نتائجها المستقبلية، لكن دون تجاهل أهمية (المعلومة) الصحيحة المعتمدة على الحقائق والأرقام.

لقد أدّت مراكز المعلومات خدمات كبرى للقضايا العامة ابتداء من تلك القضايا الصغيرة التي تهم فردًا دون سواه، ومرورًا بالقضايا التي تهم مجتمعًا، أو مجتمعات دون غيرها، وانتهاءً بالقضايا التي تهم العالم وتؤثر في مجرى التاريخ، وتحوّل مساره في العاجل أو الآجل إلى النتائج المتوخاة والأهداف المنتظرة.

على المستوى الإعلامي، وهو محور حديثنا، تكتسب (المعلومة) وجوهًا مختلفة تقتضي من العاملين في هذا الميدان أهمية البحث عن وجهها الحقيقي لتقديمها للمتلقي دون زخارف أو تزيين أو تمويه أضفاها عليها من لهم مصلحة وراء ذلك. فالدس المغرض وارد، وبخاصة في المصادر الأجنبية، مما يستوجب التحري والتأكد من دقتها وخلوها من الأغراض المشبوهة.

لكن الحقائق دائمًا هي التي تصمد على محك الأحداث، وبخاصة تلك الحقائق المعتمدة على الأرقام التي لا تعرف سوى لغة الصدق؛ لغة العصر التي يحترمها المتلقي حتى وإن لم تتفق مع وجهة نظره.